

جامعة عدن  
كلية الآداب  
قسم التاريخ

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية

التمردات القبلية في عصر الدولة الرسولية  
وأثرها على الحياة العامة في اليمن  
( ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ )

إعداد  
طه حسين عوض أحمد هُدِيل

إشراف  
الدكتور/ محمد صالح بلعفير

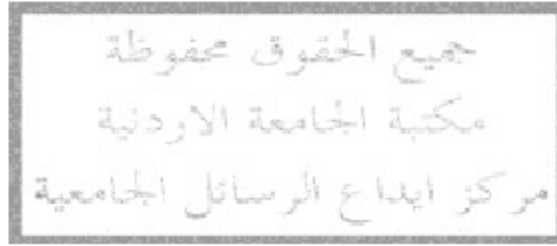
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي  
بكلية الآداب – جامعة عدن

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز البحوث والدراسات الجامعية

بسم الله الرحمن الرحيم

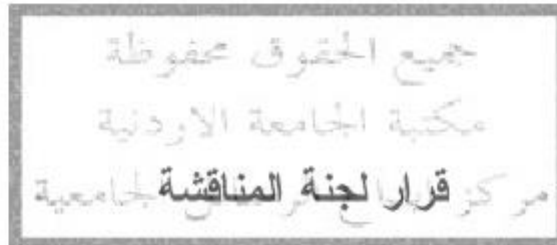


أشهد أن هذه الرسالة قد أنجزت تحت إشرافي بكافة مراحلها وأرشحها للمناقشة :

المشرف العلمي : الدكتور / محمد صالح بلعفير .



جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية



نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ

رئيس وأعضاء لجنة المناقشة :

التوقيع

الاسم

١- أ . د . محمد عبده السروري

٢- أ . مشارك . د . شائف عبده سعيد

٣- أ . م . د . محمد صالح بلعفير

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

# الإهداء

إلى من تلقيت منه التشجيع والنصيحة.... والدي أطل الله في عمره .

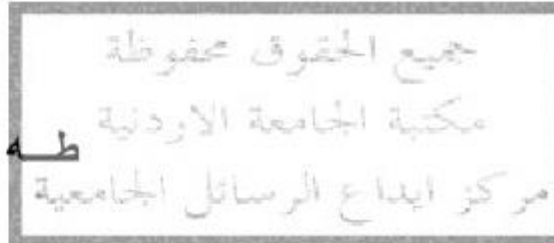
إلى روح من تمننت أن تشهد إنجاز هذا العمل .... والدتي رحمها الله وأسكنها فسيح جناته .

إلى من شاركوني مشقة البحث ومتاعبه ... أخي حسين وأخواتي جميعاً .

إلى رفيقة دربي في الحياة ... زوجتي .

إلى البسمة والحياة والمستقبل فلذتي كبدي ... إبنتي .

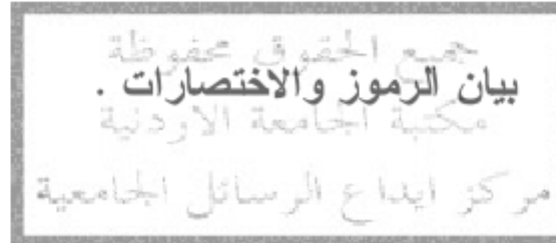
إليهم جميعاً أهدي هذا العمل .



## شكر وتقدير

يسرني وأنا أضع اللمسات الأخيرة لهذا البحث أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ القدير الدكتور / صالح علي باصرة رئيس جامعة عدن السابق على ما أتاحه لنا من فرصة الدراسة والبحث ، كما أخص بالشكر والتقدير والوفاء والعرفان أستاذي القدير الدكتور / محمد صالح بلعفير الذي أنار لي الطريق وذل لي الصعاب أثناء إشرافه على الرسالة ، وأحيي فيه نفسه العالية والصبورة على متاعب الإشراف ، واحترامه لمواعيد العمل ، وإخلاصه وتقانيه وتواضعه الجم ، وأقدر له منهجه العلمي في الإشراف والإرشاد ، وقدرته على تبديد العثرات التي واجهتني ، فلم يبخل بالنصيحة التي عملنا قدر الإمكان على الاستفادة منها .

وأتوجه بالشكر أيضاً إلى مدرسي قسم التاريخ الأجلاء الذين كان لهم الدور الأكبر في دعمي معنوياً ، كما أشكر جميع موظفي مركز الدراسات والبحوث في جامعة عدن ، وموظفي مكتبة كلية الآداب وكلية التربية ، وموظفي المكتبة الوطنية ، ومكتبة مسجد أبي ذر الغفاري الذين قدموا لي التسهيلات للاطلاع والإعارة ، وإلى جميع من أرشدني أو ساندني لإنجاز هذا العمل وإخراجه إلى الوجود .



ت	:	توفي
تح	:	تحقيق
ج	:	جزء
د . ت	:	دون تاريخ
ط	:	طبعة
ق	:	ورقة
م	:	ميلادية
مج	:	مجلد
هـ	:	هجريّة

الحجري ، مجموع : الحجري ، محمد بن أحمد ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح :  
 إسماعيل بن علي الأكوع ، ط ٢ ، دار الحكمة ، صنعاء ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .  
 المقحفي ، معجم : المقحفي ، إبراهيم بن أحمد ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، المؤسسة  
 الجامعية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

## فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ث
شكر وتقدير	ج
بيان الرموز والاختصارات	ح
فهرس المحتويات	خ
المقدمة :	١
أ- نطاق البحث	١
ب- تحليل المصادر	٤
<b>الفصل الأول : قيام الدولة الرسولية :</b>	١٤
أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام دولة بني رسول :	١٥
١- بروز بني رسول وارتفاع مكانتهم .	١٥
٢- رفض بني رسول سياسة بعض سلاطين بني أيوب .	١٨
٣- تخلص بني رسول من القوى المعارضة للأيوبيين في اليمن .	٢٢
٤- خلو اليمن من المنافسين لنور الدين عمر .	٢٤
٥- حنكة نور الدين وحسن تدبيره .	٢٦
٦- عجز بني أيوب عن استعادة ملكهم في اليمن .	٢٩
٧- نجاح بني رسول في نسب أنفسهم إلى قبيلة يمنية .	٣٠
<b>ثانياً : دور القبيلة في مساندة الدولة أو معارضتها :</b>	٣٥
١- الوضع القبلي في اليمن مع بداية قيام دولة بني رسول .	٣٥
٢- دور القبيلة في تثبيت سلطة المظفر يوسف ( الأول ) .	٣٩
٣- سياسة السلطان المظفر ( الأول ) في التعامل مع القبائل .	٤١
٤- الموقف القبلي تجاه الصراع بين الأشرف والمؤيد .	٤٥
٥- إستغلال القبائل للخلافات في البيت الرسولي .	٤٧
٦- تدهور الأوضاع القبلية بعد وفاة المجاهد .	٤٩
٧- محاولات الناصر إخماد تمرد القبائل .	٥١
٨- دور القبيلة في إضعاف الدولة الرسولية وإسقاطها .	٥٣
<b>الفصل الثاني : التمردات القبلية وأسباب قيامها :</b>	٥٨
أولاً : إستغلال مناوئي بني رسول من الزيدية للقبيلة :	٥٩
١- موقف الإمامة الزيدية من قيام الدولة الرسولية .	٥٩
٢- تجنيد الإمامة الزيدية للقبائل ضد بني رسول .	٦٠



## الصفحة

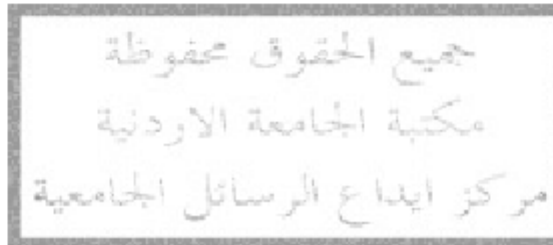
## الموضوع

- ٦٣ ٣- تأييد القبائل للزيدية بالتوسع في أراضي بني رسول .
- ٦٥ ٤- اشتداد الصراع بين الزيدية وبني رسول ووضع القبائل بينهما.
- ٦٩ ٥- ضعف علاقة الزيدية بالقبائل .
- ٧٢ ثانياً : الصراعات القبلية الداخلية وآثارها على الوضع القبلي .
- ٧٥ ثالثاً : أسباب قيام التمردات :
- ٧٦ ١- الأسباب السياسية :
- ٧٦ أ- فرض سلطة الدولة على القبائل بالقوة .
- ٧٨ ب- سوء سياسة السلاطين وضعفهم .
- ٨٠ ج- تفاقم الصراع في البيت الرسولي .
- ٨٢ د- وجود الفراغ السياسي بوفاة السلطان أو غيابه .
- ٨٣ هـ - إستبداد الولاة والعمال الإقطاعيين وجورهم .
- ٨٧ و- تسلط عسكر بني رسول وظلمهم .
- ٨٨ ز- فساد المماليك والعبيد وسوء سيرتهم .
- ٩٠ ٢- الأسباب الإقتصادية :
- ٩٠ أ- إرهاب الناس بالضرائب .
- ٩٢ ب- تدهور أوضاع الرعية المعيشية .
- ٩٤ ج- ترف السلاطين وتبذيرهم للأموال .
- ٩٥ د- حرمان القبائل حقها من العطاء .
- ٩٦ ٣- الأسباب الإجتماعية :
- ٩٦ أ- عدم تقبل القبائل فكرة نسب بني رسول .
- ٩٦ ب- إضرار بعض بني رسول بمصالح الناس .
- ٩٧ ج- إحتقار بعض بني رسول للرعية .
- ٩٨ ٤- الأسباب الدينية :
- ٩٨ أ- الصراع المذهبي .
- ٩٩ ب- إنتشار المفسد .
- ١٠٠ رابعاً : أساليب القبائل في التمرد :
- ١٠٠ ١- مهاجمة معقل بني رسول ومحاطهم .
- ١٠١ ٢- التعدي على أفراد الأسرة الرسولية وولاتها .
- ١٠٢ ٣- قطع الطريق .

## الصفحة

## الموضوع

- ١٠٤ ٤- الإنضمام إلى القوى المناوئة لبني رسول .
- ١٠٤ ٥- رفض القبائل دفع ما عليها من الحقوق .
- ١٠٥ ٦- الإتجاه إلى العنف .
- ١٠٦ الفصل الثالث : أهم القبائل المتمردة :
- ١٠٧ أولاً : قبائل عك :
- ١٠٧ ١- المعازبة .
- ١٢٦ ٢- المقاصرة .
- ١٢٧ ٣- الأهمول .
- ١٢٩ ٤- الواعظات .
- ١٣٣ ٥- الرماة .
- ١٣٦ ٦- القحراء .
- ١٣٧ ٧- الصميون .
- ١٣٨ ثانياً : قبائل الأشاعر :
- ١٣٨ ١- الأشاعر .
- ١٤٢ ٢- القرشيون .
- ١٤٧ ٣- بنو سليمان .
- ١٤٨ ٤- بنو ثابت .
- ١٤٩ ثالثاً : قبائل مذحج :
- ١٤٩ ١- الجحافل والعجالم .
- ١٥٧ ٢- عنس .
- ١٥٨ رابعاً : قبائل حمير :
- ١٥٨ ١- الأشعوب .
- ١٦٠ ٢- بنو سيف .
- ١٦٠ ٣- يافع .
- ١٦٣ ٤- بنو طاهر .
- ١٦٩ الفصل الرابع : أساليب بني رسول في إخماد التمردات وأثر ذلك على الحياة العامة :
- ١٧٠ أولاً : أساليب بني رسول في التعامل مع التمردات وإخمادها :
- ١٧٠ ١- اللجوء إلى القوة .



## الصفحة

## الموضوع

- ١٧١ ٢- تدمير القوة العسكرية للقبيلة .
- ١٧١ ٣- تعطيل البنية الاقتصادية .
- ١٧٢ ٤- إتباع نظام الرهائن .
- ١٧٣ ٥- زرع الفتنة بين القبائل .
- ١٧٤ ٦- بذل الأموال في شراء القبائل .
- ١٧٥ ٧- إشاعة الرعب بين القبائل .
- ١٧٧ ٨- إذلال القبائل والتقليل من مكانتها .
- ١٧٨ ٩- نشر العدل بين الرعية .
- ١٧٩ ١٠- إقامة المحاط أو الخطاط .
- ١٧٩ ١١- إخضاع الحصون أو شراؤها وتدميرها .
- ١٨١ ١٢- إذلال رؤوس التمرد من المشايخ والقضاء عليهم .
- ١٨٢ ١٣- تحميل القبيلة نتائج أفعالها .
- ١٨٢ ١٤- تجاهل الدولة لمصالح القبائل المتمردة .
- ١٨٢ ١٥- تعمير المناطق المشبوهة .
- ١٨٣ ثانياً : أثر التمردات القبلية على الحياة العامة :
- ١٨٥ ١- الحياة السياسية :
- ١٨٥ أ- زعزعة الأوضاع السياسية وعدم استقرارها .
- ١٨٦ ب- فقدان سيطرة بني رسول على بعض المناطق .
- ١٨٧ ج- القضاء على الكيانات القبلية المستقلة .
- ١٨٨ د- تشجيع التمرد والعصيان في البيت الرسولي .
- ١٨٩ ٢- الحياة الاقتصادية :
- ١٨٩ أ- إستنزاف الثروات الطائلة للدولة .
- ١٩٠ ب- زيادة فرض الضرائب على الناس .
- ١٩٢ ج- تدهور الحركة التجارية .
- ١٩٤ د- إنتشار الجوع وتفشي الأمراض .
- ١٩٦ ٣- الحياة الاجتماعية :
- ١٩٦ أ- عدم اهتمام الدولة بأوضاع القبائل المتمردة .
- ١٩٧ ب- إنتشار الخوف في القبيلة .
- ١٩٨ ج- تدمير المدن أو تخريب معالمها .

الموضوع	الصفحة
د- إفتقار القبيلة للإستقرار الإجتماعي والنفسي .	١٩٩
و- زيادة التخلف في بعض القبائل .	٢٠٠
الخاتمة	٢٠١
الملاحق	٢٠٦
المصادر والمراجع .	٢١٥
ملخص البحث باللغة الإنجليزية .	٢٣٢

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

## المقدمة

### أ ( نطاق البحث :

لم تحظ القبيلة اليمنية في العصر الإسلامي بالاهتمام الكبير من قبل الباحثين والدارسين اليمنيين إلا فيما ندر ، وظلت الحياة القبلية غامضة عند الكثير من أبناء هذا الوطن ، على الرغم من ارتكاز هذا المجتمع على مداميك النظام القبلي . وتفقر المكتبة اليمنية إلى وجود دراسات متخصصة للحياة القبلية في هذا العصر ، لاسيما عهد الدول المستقلة التي قامت في اليمن خلال تاريخه الإسلامي ، وبقيت الحياة القبلية عبارة عن مواضيع عامة تضم فترات زمنية مختلفة ، وحرمت من الدراسات الدقيقة والمتخصصة التي لم تظهر إلا في السنوات الأخيرة من القرن الماضي .

وقد جاءت محاولتي هذه بعدما لاحظت أن جميع الدراسات التي كتبت عن بني رسول وجهت اهتمامها إلى جوانب معينة من حياة هذه الدولة كالجوانب : الحضارية ، والعلمية والسياسية، والإقتصادية، والإجتماعية وغيرها في محاولة لإبراز الوجه الحسن لبني رسول ، وإظهار المستوى الذي وصلت إليه دولتهم من التطور والنهوض ، بينما أهملت كل تلك الدراسات الوجه الآخر لها ولسلاطينها والمتمثل بواقع حياة القبائل وغيرها من الفئات الأخرى ، والتعرف على أوضاعها المعيشية والمعاناة التي كابدها بسبب سياسة السلاطين وولاتهم ، كما أن محاولتي هذه جاءت أيضاً لسد بعض ذلك الفراغ الذي تعاني منه المكتبة العربية عامة والمكتبة اليمنية خاصة .

وغني عن القول ، أن القبيلة اليمنية لعبت دوراً كبيراً في سير الأحداث السياسية للدول المستقلة التي قامت في اليمن بعد ضعف مركز الخلافة الإسلامية في بغداد ، حتى أن اليمن شهدت قيام دويلات صغيرة تحت قيادة زعامات قبلية ، وبسبب ميل القبائل نحو النزعة الإستقلالية ازداد عدد هذه الدويلات التي كانت خاضعة للنظام القبلي ، مما أدى إلى تمزيق اليمن إلى عدة كيانات مستقلة ساعدت على خضوعها وبكل سهولة للغزو الأيوبي فيما بعد ؛ إلا أن تلك القبائل ظلت شوكة في ظهر الأيوبيين ، وتحولت حركاتها إلى مقاومة رافضة لهذا الإحتلال ، وأخذت بعض الأسر التي فقدت ملكها بسبب الهيمنة الأيوبية تبحث عن بصيص أمل لعودة ملكها المفقود ، فإنضمت للقوى المعارضة من الزيدية .

لقد شجعت القوى المناوئة للأيوبيين قيام الدولة الرسولية ، وساندوا مؤسسها وقدموا له النصيحة ، كما دعمت القبائل سلاطين بني رسول وناصروهم ، ولكن ما عكر صفو العلاقة بينهم هو نظرة هؤلاء السلاطين للمجتمع القبلي الذي يعيش في مناطق وأقاليم مستقلة بذاتها

وبحدودها الجغرافية التي لا يحق إلا لأبنائه الإقامة فيه ، فاعتبرت القبيلة أن أي تدخل في أراضيها يعد اعتداء على سيادتها وأمنها ، ولم يستوعب بنو رسول مفهوم حقيقة نظام المجتمع القبلي الذي يعد أكبر وحدة سياسية للمجتمع في ذلك الحين ، كما لم يدرك سلاطين هذه الدولة أن القبيلة اليمنية لا تخضع لسلطة أعلى منها تحت أي ظرف من الظروف ، إلا برضا مشائخها وقناعة أفرادها ، لذلك تكلف بنو رسول الكثير من الخسائر في الأرواح والأموال في الوقت الذي كان بإمكانهم أن يكسبوا رضا هذه القبائل وودها بالطرق السلمية .

ويمكن القول أن بني رسول نظروا إلى هذه المجتمعات القبلية المستقلة بحدودها ومراعيها وأراضيها نظرة المتمرد الرافض الخضوع للسلطة المركزية ، في الوقت الذي نظرت فيه القبيلة إلى أن تدخل قوى الدولة في شئونها وغزو أراضيها لفرض سلطتها عليها هو تعدٍ على سيادتها ، ومن هنا برز الخلاف واشتد باشتداد اختلاف وجهات النظر، ووسعت الدولة ذلك الخلاف بسياستها الخاطئة التي جعلت للقبائل أسبابها الخاصة في التمرد .

وقد نجد أن تخصيص هذه الدراسة في جانب محدود ومحصور في تمردات القبائل هو في حاجة ماسة إلى بحث وإطلاع وتعمق في القراءة ، بالإضافة إلى جهد لجمع هذه المادة المبعثرة بين صفحات كتب التاريخ ، لعدم وجود مادة مكتملة تشمل الموضوع كاملاً ، كما أنه في حاجة إلى دراسة متعمقة عن حياة القبائل ونفقاتها والعلاقات فيما بينها ، والدور الذي لعبته هذه القبائل في مساندة حكم بني رسول أو معارضته ، وهل كان لهذه القبائل دور في إسقاط هذه الدولة وزوالها . وقد نلاحظ أن اختلاف الآراء ووجهات النظر بين المؤرخين حول بعض أحداث هذه الدولة هو من أصعب الأمور التي تواجه الباحث ، فتصبح المعلومات والأقوال في حاجة إلى دراسة دقيقة ومركزة لفرزها والتأكد من مصداقيتها ، لميل هذا المؤرخ لهذا السلطان أو ذاك ، لاسيما وأن معظم من كتب وأرخ لهذه الدولة هم أفراد دانوا بالولاء والطاعة للسلطان ، وكانوا يعملون تحت إمرته ، بل أن بعضهم كتب بتكليف منه .

وما يهمنا هنا أن بني رسول عانوا كثيراً من النظام القبلي الذي أصبح في مقدمة أي تمرد قد تتعرض له الدولة من أي قوى مناوئة لها ، فأصبح التنافس في البيت الرسولي مدعوماً بالقبيلة ، كما أصبحت توسعات الإمامة الزيدية مدعومة بها ، حتى أن تمرد أي قبيلة أصبح مدعوماً بقبائل أخرى، لذلك أخذت هذه الأحداث في إضعاف حكم بني رسول تدريجياً . الجدير بالذكر ، أن لفظة ( تمرد ) في الرسالة تعبر عن عدة معانٍ مثل : عصيان ، فساد ، خروج عن الطاعة ، انتفاضة ، حركة ، وغيرها من الألفاظ التي تذكرها المصادر والمراجع . هذا وقد تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول رئيسة وخاتمة : يشتمل الفصل الأول على دراسة للعوامل التي ساعدت في قيام الدولة الرسولية في اليمن كتمهيد ، وذلك من خلال التعرف على الوضع السياسي الذي عاشته الدولة الأيوبية ، والذي عمل بنو رسول على

استغلاله لتحقيق أطماعهم وتنفيذ مخططاتهم التي هدفوا من ورائها إلى إقامة دولة لهم على أنقاض دولة بني أيوب ، كما تم في هذا الفصل شرح بعض الأمور التي استغلها بنو رسول للتقرب من الرعية مثل قضية نسبهم التي تعد من أهم العوامل التي مكنت بني رسول من إقامة ملك لهم في اليمن ، بعد دراستهم لواقع الحياة في المجتمع اليمني الذي يولي للشخصية القبلية أجل احترامه وتقديره ، لهذا شددوا واهتموا بهذه القضية لتحقيق ما سعوا إليه .

وفي هذا الفصل أيضاً تم استعراض الحياة القبلية منذ قيام الدولة الرسولية ، مع التركيز على دور القبيلة في مساندة الدولة أو معارضتها ، وإظهار العلاقة التي كانت قائمة بين القبائل وسلاطين بني رسول ، والتعرف على السياسة التي تعامل بها هؤلاء السلاطين ، وردود الأفعال التي أظهرها مشائخ هذه القبائل كرد فعل طبيعي أمام تصرفات بني رسول ، كما تم الإشارة إلى المواقف الحرجة التي مرت بها الدولة الرسولية في فترة الضعف ، ودور القبائل في استغلال مثل هذه المواقف لمحاربة الدولة والقضاء عليها .

أما الفصل الثاني من هذه الرسالة فيتناول التمردات القبلية وأسباب قيامها ، وذلك من خلال التعرف على موقف الزيدية من قيام الدولة الرسولية ، مع عرض للعلاقة التي ربطت الزيدية بالقبائل ، ودور الزيدية في استغلال القبائل لضرب مصالح بني رسول والسيطرة على أراضيها . ولما كان للصراعات القبلية الداخلية دورها في عدم استقرار المنطقة فقد أفردنا عنواناً لمناقشة الحياة القبلية والعلاقة التي ربطت القبائل بعضها ببعض ، بما في ذلك الصراعات الداخلية التي كانت تنشب بين هذه القبائل ، وأثرها على الوضع الداخلي للقبيلة . كما ألقينا الضوء في هذا الفصل على الأسباب التي أدت إلى قيام التمردات ، وأشرنا هناك إلى كل سبب على حده ابتداءً بالأسباب السياسية ثم الاقتصادية والاجتماعية والدينية ، واختتمنا هذا الفصل بتناول الأساليب المختلفة التي اتبعتها القبائل في التمرد ضد الدولة الرسولية .

أما الفصل الثالث فقد كرس لدراسة القبائل التي رفعت راية التمرد والعصيان ، ابتداءً بأهمها وأشدها قبائل عك والأشاعر ومذحج وحمير ، واستعرضت هناك بصورة تفصيلية مسار تمردات فروع هذه القبائل ، ابتداءً من علاقتها ببني رسول إلى لحظة القضاء على تمردها ، باستثناء القبائل التي واصلنا عرض علاقتها ببني رسول إلى زوال هذه الدولة ، وقد نكون قد أطلنا في هذا الفصل الحديث عن علاقة كل قبيلة ببني رسول على حده ، إلا أن الحاجة إلى التفصيل عن تلك الأحداث دعت إلى ذلك .

وقد خصص الفصل الرابع والأخير لدراسة الأساليب المختلفة السلمية والعسكرية التي اتبعتها سلاطين هذه الدولة لقمع هذه التمردات التي بلغت ذروتها في بعض المناطق ، وختم هذا الفصل بدراسة أهم الآثار التي خلفتها هذه التمردات على الأوضاع العامة السياسية

و الاقتصادية والإجتماعية في داخل الدولة الرسولية من جانب وفي داخل المجتمع القبلي من جانب آخر ، وأنهيت هذه الرسالة بخاتمة للموضوع ضمت أهم النتائج التي تم التوصل إليها .

## ب ( تحليل المصادر :

مما لاشك فيه أن المصادر هي الدعامة الأساسية التي تقوم عليها أي رسالة علمية أو بحثية ، وقد يؤدي النقص فيها إلى ظهور فجوات لابد للباحث من ملئها حتى تصبح الصورة أمامه واضحة ، فغنى الرسالة بغنى مصادرها ، وتعد دراسة المصادر والمراجع مسألة أساسية في توضيح مسار هذه الدراسة . وبما أن مصادر هذه الرسالة كثيرة ومتنوعة ، فسأقتصر في عرضي لها على الأساسية منها وهي :

١ - كتاب " السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن " للأمير بدر الدين محمد ابن حاتم بن عمران الياامي الهمداني الذي كان حياً سنة ٧٠٢ هـ ، وهو من أوائل وأهم المصادر التي أرخت لبني رسول ، لاجتوائه على أحداث تفصيلية عن أول الصراعات السياسية والقبلية التي عاشتها الدولة الرسولية في مهدها ، وقد أرخ ابن حاتم كتابه من سنة ٥٦٩ هـ ، أي منذ خضوع اليمن للغزو الأيوبي مروراً بدولة السلطان المنصور نور الدين عمر وابنه المظفر يوسف ( الأول ) ، ومن ثم إعلان قيام دولة السلطان الأشرف عمر بن يوسف ، إلا أن ما يثير دهشتنا أن ابن حاتم لم يبالغ كثيراً في مدح بني رسول ، مع أنه كان أحد أمراء السلطان المظفر ، حتى أنه اعتبر الأسرة الرسولية هي امتداد لسلطين الغز الأيوبيين .

٢ - كتاب " كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار " لعبد الدين إدريس بن علي بن عبد الله الحمزي ، الذي عاش في الفترة من سنة ٦٧٣ إلى سنة ٧١٤ هـ ، وهو عبارة عن كتاب شامل للتاريخ الإسلامي حتى قبيل وفاة المؤلف ، وقد قام عبد المحسن مدعج المدعج بتحقيق الجزء الخاص باليمن ( الجزء الرابع ) وسماه تاريخ اليمن وربطه بعنوان الكتاب الأم : " تاريخ اليمن من كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار " . وكتابه هذا هو ثاني المصادر المهمة التي وصلتنا عن الحياة السياسية لدولة بني رسول ، ومع أن هذا المصدر اشتمل على تاريخ اليمن منذ عهد الرسول ( ﷺ ) إلا أنه يفرد الجزء الأكبر منه للحديث عن دولة بني رسول ، وتزيد أهمية هذا المصدر كون مؤلفه كان من المعاصرين لأحداث هذه الدولة بل أنه أحد الشخصيات المشاركة في صناعة الحدث ، فهو أحد قادة السلطان المؤيد داود بن يوسف . وعلى الرغم من كونه زيدي المذهب إلا أنه حارب إلى جانب دولة بني رسول السنية ضد الأئمة الزيدية الذين كانوا على خلاف دائم مع بني رسول . وتبرز فائدة هذا المصدر من خلال الفترة الزمنية التي سرد لنا المؤلف فيه أحداثها بالتفصيل والتي



تقدر بواحد وأربعين عاماً شارك المؤلف في معظم أحداثها فاعتبر الكتاب مصدر حي للأحداث التي عاشتها الدولة الرسولية إلى سنة ٧١٤ هـ وهي سنة وفاة مؤلفه .

ونتيجة لأهمية كتاب " كنز الأخيار " ، وكتاب " السمط الغالي الثمن " أخذ مؤرخو تلك الفترة ينقلون ما جاء به هذان المؤرخان ، فكانت أهم الكتب التي نقلت عنهم :

أ - كتاب " السلوك في طبقات العلماء والملوك " للعلامة بهاء الدين محمد بن يوسف الجندي المتوفى سنة ٧٣٢ هـ ، والذي يتألف من جزئين ، ويتبع مؤلفه منهج تراجم الرجال منذ عهد الرسول (ﷺ) وأصحابه ومن جاء من بعدهم ، وقد تميز الجندي عن غيره من المؤرخين أنه جمع في كتابه هذا بين الأحداث السياسية التي عاشتها اليمن وبين تراجم لشخصيات علمية وقبيلية وحكام ، ونجد تاريخ بني رسول مبعثراً بين صفحات مؤلفه هذا ، كما أنه ينفرد في النصف الأخير من الجزء الثاني بالحديث عن قيام الدولة الرسولية ، ويستمر في ذلك حتى سنة ٧٢٥ هـ ، أي قبل وفاة الجندي بسبع سنوات. ويحتوي كتاب " السلوك " على مادة غنية بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية للقبائل، كما أن فيه وصف لأوضاع العامة قد لا نجده في مؤلف آخر، وكذلك وصف لعلاقة بعض القبائل ببني رسول ، لاسيما القبائل التي كانت على خلاف دائم مع الأسرة الرسولية . والحق أن أكثر ما استفدنا من هذا المصدر عرضه لمجموعة من الأسباب التي أدت إلى عصيان القبائل وتمردها .

ب - كتاب " بهجة الزمن في تاريخ اليمن " لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني المتوفى سنة ٧٤٤ هـ ، ويعد من المؤلفات ذات القيمة التاريخية لاحتوائه على أحداث سياسية ذات أهمية كبيرة ، لمعاصرة مؤلفه لأحداث هذه الدولة ، حيث كان يعمل بديوان الإنشاء عند السلطان المؤيد داود ، وأكثر ما يميز هذا المصدر هو اختصار مؤلفه للأحداث التاريخية ، كما تبرز فائدته من خلال إشاراتِهِ إلى دور بعض القبائل في مساندة بعض السلاطين للوصول إلى عرش الحكم ، بالإضافة إلى وصفه لحياة النعيم والترف التي عاشها سلاطين عصره .

ج - كتاب " الاعتبار في ذكر التواريخ والأخبار المعروف بـ : تاريخ وصاب " للعلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبشي الوصابي المتوفى سنة ٧٨٢ هـ ، وهو جزءان ، الأول : يتحدث فيه عن تاريخ بعض ملوك اليمن من الزيدية والصلحيين وبني مهدي ، حتى عصر المؤلف نفسه ، أي إلى عصر السلطان الأفضل عباس بن علي ، والجزء الثاني : يتحدث فيه عن أخبار وصاب وأهم الأحداث فيها ، وقد ربط المؤلف فيه جميع أحداث اليمن بما فيها أحداث بني رسول بمنطقة وصاب ، وهو من المؤلفات النادرة التي تتحدث عن تمردات القبائل في وصاب .

٣ - مؤلفات الخزرجي :

ومن أكثر المصادر التي استفادنا منها هي مؤلفات موفق الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن الحسن بن وهاس الخزرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨١٢ هـ ، الذي يعد بحق مؤرخ الدولة الرسولية ، ولكن أكثر ما يميز مؤلفات الخزرجي ميلها إلى الأسرة الرسولية وتعاطفها معها في كثير من الأمور ، ومن أهم هذه المؤلفات :

أ - كتاب " العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية " ويعد من أهمها ويتكون من جزئين ، الأول : يشمل الأحداث التي مهدت لقيام هذه الدولة مع شرح تفصيلي لنسب هذه الأسرة بطريقة تدخل الريبة والشك إلى القارئ ، حيث يعطي لها الحق في حكم اليمن ، مروراً بعصر مؤسس هذه الدولة المنصور نور الدين عمر ثم ابنه المظفر يوسف ( الأول ) ومن تبعه من أبنائه الأشرف والمؤيد ، ويكمل الجزء الثاني من هذا الكتاب حياة سلاطين هذه الأسرة إلى سنة ٨٠٣ هـ ، ابتداءً بالسلطان المجاهد ومن ثم الأفضل عباس وانتهاءً بالسلطان الأشرف إسماعيل ( الأول ) . ويعد هذا الكتاب من أكثر المصادر تفصيلاً للأحداث التي تعرضت لها الدولة الرسولية ، حيث يحتوي على معلومات نادرة عن الأوضاع السياسية والإقتصادية والاجتماعية لا نجدها في المؤلفات الأخرى التي أرخت لبني رسول ، حتى أننا لا نجدها في مؤلفات الخزرجي نفسه الأخرى ، وأمتع ما نجده في هذا المصدر هو الوصف الدقيق لأوضاع القبائل المختلفة ، والصراع الدائم الذي كان يقوم بينها وبين سلاطين بني رسول ، وردود الأفعال من قبل أولئك السلاطين لصد تمرد هذه القبائل ، كما نجد في صفحات هذا المصدر إشارات متنوعة للأسباب التي دفعت هذه القبائل إلى الخروج عن الطاعة .

ب - كتاب " العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك " : ويعد أيضاً من مؤلفات الخزرجي النادرة لاهتمامه بالتاريخ اليمني عامة خلال الحقبة الإسلامية ، وقد خصص الخزرجي ثمانية الفصول الأخيرة من الباب الخامس للحديث عن الدولة الرسولية ابتداءً بالفصل الخامس الذي يتحدث عن الدولة الأيوبية وانتهاءً بالفصل الثاني عشر الذي يسرد أحداث الدولة الأشرفية الثانية ، وقد تكون تلك الفصول ما هي إلا تلخيص لكتابه " العقود اللؤلؤية " ، ولكن ما نلاحظه في كتاب " العسجد المسبوك " عند عرضه للأحداث أنه لا يقف عند سنة وفاة الخزرجي ، ولكنه يستمر في سرد الأحداث إلى أن يصل بها إلى عهد آخر سلاطين هذه الدولة السلطان المظفر يوسف ( الثاني ) ومن ثم السلطان المسعود وسقوط دولته وقيام الدولة الطاهرية . ومما لا شك فيه أن ذلك العمل هو من صنع الناسخ نفسه الذي يبدو أنه نقل عن بعض المؤلفات الأخرى التي كتبت بعد هذه الفترة الزمنية مثل مؤلفات ابن الديبع . وقد اعتمدنا في ترقيم صفحات هذه المخطوطة وغيرها من المصادر المخطوطة التي نشرت مصورة على الترقيم الأصلي الذي يعرف بالإلحاقة ، وأشرنا إليه بمختصر ( ق ) بدلاً من الترقيم الذي أدخلته الجهات التي قامت بنشرها .

ج - أما المصدر الثالث للخزرجي الذي أخذنا عنه فهو كتاب "طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن" ويسمى أيضاً: "العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أعيان اليمن" <sup>(١)</sup> ويتكون من جزئين ، يتناول الجزء الأول تاريخ الإسلام منذ عصر الرسول (ﷺ) حتى دخول الأيوبيين اليمن ، وينتهي به إلى سقوط الحكم الأيوبي في اليمن ، ويتناول الجزء الثاني تراجم لسير عدد من الرجال ، وقد وجدنا في تلك السير إشارات إلى دور بعضهم وعلاقتهم ببني رسول ، وبين تلك السير سرد لبعض الأحداث الخاصة بالدولة الرسولية والتي لها ارتباط بهؤلاء الرجال الذين عاصروا الحدث . وتتميز مؤلفات الخزرجي بالكثرة وبتنوع عناوينها وعند قراءة بعض تلك المؤلفات يتضح أنها تحمل عناوين مختلفة لمادة متطابقة .

٤ - كتاب "تاريخ الدولة الرسولية" لمؤلف مجهول ، وهو من أهم المصادر التي تم العودة إليها عند كتابة هذه الرسالة ، ويبدو أن مؤلفه عاش في النصف الأول من القرن التاسع الهجري ، حيث كان من المعاصرين للسلطان الظاهر ، بل عمل عنده كاتباً في الديوان ، وكتابه هذا من المؤلفات التي ضمنت معلومات وفيرة عن تاريخ بني رسول لم نجدها إلا في مؤلفات الخزرجي ، رغم أن مؤلفات الخزرجي تنتهي بوفاة السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس سنة ٨٠٣ هـ . وكتاب "تاريخ الدولة الرسولية" هو تكملة لما جاء به الخزرجي من معلومات عن بني رسول ، حيث يسرد المؤلف أحداث هذه الدولة بصورة تفصيلية دقيقة ، ويأتي بمعلومات إلى عهد السلطان الظاهر لم ترد في أي مصدر آخر مما اطلعت عليه ، ويعد هذا المصدر من أفضل ما كتب عن القبائل وتمرداتها في عهد بني رسول في مدن صنعاء وتهامة ولحج وعدن وتعز وذملر وحضرموت وغيرها ، لذلك تم الاستفادة منه في معرفة العلاقة بين القبائل بعضها ببعض ، وعلاقة القبائل مع بني رسول ، وأسلوبهم في التعامل مع هذه القبائل ، وأجمل ما يورده مؤلف هذا الكتاب الأسباب المختلفة التي دفعت القبائل إلى التمرد ، بالإضافة إلى رد فعل الدولة الشديد أمام أعمال القبائل التخريبية وأسلوب تعاملها مع مشائخ هذه القبائل ، فهذا المصدر يحوي مادة غنية بالمعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، لاسيما في فترة حكم السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل التي أخذت النصيب الأكبر من هذا المصدر ، وقد توقف المؤلف بأحداثه عند سنة ٨٤٠ هـ .

(١) يمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٤ م ، ص ١٦٤ ؛ لشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد ، النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٢٧ ؛ الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، الدولة الرسولية في اليمن ( ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤ م ) ، ط ١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣ م ، ص ٥٣ .

٥ — كتاب "روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار في الحصون والأمصار" لعماد الدين إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم الأنفي القرشي المتوفى سنة ٨٧٢هـ ، وقد عاصر مؤلفه المرحلة الأخيرة من عصر بني رسول ، مما جعله يشهد الحدث ويدونه ، فكانت المعلومات التي جاء بها عن أوضاع سلاطين بني رسول وصراعاتهم الداخلية في أواخر دولتهم تكاد تكون نادرة ، لما احتوته من أحداث لم نجدها عند غيره من المؤرخين ، كما أن وصف المؤلف للحياة الاجتماعية ونظرة بني رسول للرعية ، وتدهور أوضاعهم الداخلية وضعفهم وزيادة صراعاتهم مع القوى المناوئة من القبائل والزيدية ، وتحالف الزيدية مع القبائل لضرب مصالح بني رسول ، بالإضافة إلى استقلال مشائخ القبائل في فترة الضعف للسيطرة على أراضي وحصون هذه الدولة ، وطريقة سقوطها على يد بني طاهر من الأمور التي زادت من أهمية هذا المصدر . ومع ذلك ، فإن اختصار المؤلف للمعلومات المتعلقة بالدولة الرسولية كان من الأسباب التي لم تجعلنا نحصل على تفاصيل كافية عن هذه الفترة التاريخية ، ورغم ذلك فإن هذه المعلومات والأخبار التي جاء بها عماد الدين تكاد تكون أكثر أهمية لندرتها .

٦ — كتاب "تاريخ شنبل" للعلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن علوي المعروف بـ : شنبل المتوفى سنة ٩٢٠هـ ، وهو من المصادر المهمة التي استفدنا منها لمعرفة الأحداث التي شهدتها حضرموت منذ ظهور الإسلام وحتى فترة ما قبل وفاة المؤلف ، وأبرز ما نجده في "تاريخ شنبل" هو وصفه للأوضاع السياسية والإقتصادية التي عاشتها حضرموت في فترة حكم بني رسول ، والصراعات المتواصلة التي قامت بين قبائلها ، إضافة إلى المحاولات المتكررة والحملات المتواصلة التي حاول بها بنو رسول إخضاع هذه المنطقة . غير أن ما يعيب تاريخ شنبل هو اختصار معلوماته<sup>(١)</sup> التي اتبع فيها المؤلف منهج السنين حتى أن بعض تلك المعلومات عبارة عن إشارات فقط للأحداث التي تعرضت لها حضرموت .

٧ — مؤلفات العلامة وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني المعروف بـ : ابن الديبع المتوفى سنة ٩٤٤هـ ، وتأتي في مقدمة المصادر التي تم الاعتماد عليها في بحثنا هذا ، وأهم هذه المؤلفات :

أ — كتاب "قرة العيون بأخبار اليمن الميمون" وهو من أشهر مؤلفات ابن الديبع التي كتبت عن تاريخ اليمن في الحقبة الإسلامية ، ومع أن ابن الديبع يعد مؤرخ الدولة الطاهرية ، إلا أنه ينفرد بمعلومات قيمة عن بني رسول وصراعاتهم الداخلية مع القبائل ، كما أنه يورد

(١) سارجنت ، آر . بي ، حول مصادر التاريخ الحضرمي ، ترجمة : سعيد عبد الخير النوبان ، مطبعة جامعة الكويت ، الكويت ، د . ت ، ص ٨٣ .

لنا بعض الأسباب التي تؤدي إلى تمرد القبائل ، وقد اعتمد ابن الديبع في كتابه هذا على مؤلفات من سبقه من المؤرخين .

ب - كتاب " بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد " والذي يربط فيه المؤلف أحداث اليمن بمدينة زبيد منذ تأسيسها حتى سنة ٩٢٣هـ .

ج - كتاب " الفضل المزيدي على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد " ويعد تكملة لما جاء في " بغية المستفيد " مع شئ من التوسع في سرد الأحداث الخاصة بسلاطين بني طاهر ، والعنوانان هما لكتاب واحد ، مع فرق أن ابن الديبع وضع إضافات جديدة لكتاب " بغية المستفيد " بعد مرور عشرين سنة من تأليفه ، وأطلق عليه أسم " الفضل المزيدي على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد " .

٨ - كتاب " صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر " لجمال الدين أبي الفتح يوسف بن محمد المعروف بـ : ابن المجاور الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠هـ <sup>(١)</sup> ، وهو من المصادر الغنية بالمعلومات الاقتصادية والاجتماعية لحياة الرعية في البدايات الأولى لحكم الأسرة الرسولية ، حيث يصف لنا ابن المجاور أسلوب المعاملات التجارية ( مكاييل وموازين و بضائع مختلفة واردة وصادرة ونوع الضرائب التي تؤخذ عليها وعلى المزروعات ) والتي كانت من أسباب عصيان القبائل وتمرد لها ، كما يصف العلاقات الاجتماعية بين القبائل والمناطق المختلفة ، وأمتع ما نجده في هذا المصدر الوصف الذي يعطيه ابن المجاور لبعض القبائل كثيرة العصيان ، لذلك يعتبر كتابه هذا شاهد عيان لتلك الفترة التاريخية .

٩ - مؤلفات العلامة أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله با مخرمة المتوفى سنة ٩٤٧هـ : وهي من الكتب التي لا يمكن الاستغناء عنها عند كتابة تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، وأهم هذه الكتب :

أ - كتاب " تاريخ ثغر عدن " وهو في جزئين ، الأول : عن عدن وما قيل عنها ، وهو مأخوذ من كتاب ابن المجاور " تاريخ المستبصر " ، والثاني : عبارة عن تراجم لمن نشأ في عدن أو جاء إليها من رجال علم ودين ودولة وسلاطين أو ملوك وغيرهم ، ويستعرض لنا كتابه هذا معلومات جيدة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في عدن خلال فترة التاريخ

(١) يشير الدكتور محمد كريم إبراهيم لشمرى إلى أن المؤلف الحقيقي لكتاب ((تاريخ المستبصر)) ليس جمال الدين أبي الفتح يوسف بن محمد المعروف بـ : ابن المجاور ، وإنما هو : أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي بن احمد بن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد سنة ٦٢٦هـ ، مستدل ببعض الحقائق التي توصل إليها والتي لم يركز عليها محقق الكتاب ، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر : " رحلة مع أشعار الغربية والحنين إلى الأوطان والتغني بالمنزل والديار والخلان في كتاب : تاريخ المستبصر لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد سنة ٦٢٦هـ " ، مجلة التواصل ، العدد الثامن ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٠ - ٢٥ .

الإسلامي ، لاسيما في عصر بني أيوب وبني رسول ، وما كان من سلاطينها ووزرائها وولاتها ، بالإضافة إلى الصراعات السياسية التي شهدتها عدن في فترة حكم هؤلاء السلاطين والولاة .

ب - كتاب " قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر " ، ويعد من أبدع ما ألفه بامخرمة ، ويتكون من ثلاثة أجزاء ، وما يهمنا هو الجزء الثالث الذي يشمل تراجم للمشاهير من الرجال منذ الهجرة النبوية ، ويتبع بامخرمة في تأليفه لهذا الكتاب منهج الحوليات ابتداءً بالهجرة حتى يصل إلى سنة ٩٢٧هـ . وتأتي الفائدة منه باعتباره المصدر الوحيد الذي يصف لنا الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية عند سقوط الدولة الرسولية ، لاسيما في مدينة عدن التي شهدت النزاع الأخير لهذا الدولة ، فقد كشف بامخرمة النقاب عن أسماء قبائل كان لها الدور الأكبر في سقوط هذه الدولة وزوالها .

١٠ - كتاب " غاية الأمان في أخبار القطر اليماني " ليحيى بن الحسين بن القاسم ، المتوفى سنة ١١٠٠هـ ، وهو من الكتب التاريخية التي تناصرت زبديه اليمن وتميل إليهم ، وقد رُتب في تأليفه حسب السنين ، ورغم دفاع مؤلفه عن الزبديه بعبارات واضحة وصريحة ، إلا أنه يُعد من المؤلفات المهمة جدا في تاريخ اليمن الإسلامي ، لما احتوت مادته من معلومات وحقائق ، ويعد من الكتب التي تستعرض لنا العديد من الأحداث في فترة حكم الأسرة الرسولية لليمن ، خاصة في الجانب السياسي والإقتصادي والإجتماعي والديني ، بالإضافة إلى سرده لمعلومات قيمة عن الآثار التي خلفتها التمردات القبليّة على الحياة التجارية والإجتماعية خلال حكم بني رسول .

#### ١١ - كتب التاريخ العام :

ومن الجدير بالإشارة أن هناك بعض المصادر العامة التي اهتمت بتاريخ العرب ، وكان لليمن نصيب فيها ، فكان لكتب التاريخ العام هذه دوراً في إظهار بعض الأحداث التي شهدتها اليمن خلال فترة الحكم الأيوبي والرسولي وأهم هذه الكتب :

أ - كتاب " مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " لجمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧هـ ، وهو من المصادر التي كتبت عن تاريخ مملكة بني أيوب ، وباعتبار اليمن من ضمن أراضي هذه المملكة فقد حصلت على نصيب من معلومات هذا المصدر ، حيث تم الاستفادة منه في التعرف على الأسباب التي ساعدت على قيام دولة بني رسول بعد ضعف الدولة الأيوبية نفسها .

ب - كتاب " صبح الأعشى في صناعة الإنشاء " للعلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١هـ ، ويعتبر من أهم المصادر التي زودتنا بمعلومات قيمة ومفيدة عن حياة بني رسول ، خاصة في جوانب الحياة الإقتصادية

(التجارية) والعسكرية ، إضافة إلى معلومات عن حياة الترف والنعيم التي عاشها سلاطين بني رسول والتي كانت من أسباب عصيان القبائل، فضلاً عن تعريفه لقبائل اليمن وجذورها، وتفسيره لمصطلحات تعامل بها الناس منذ العهد الأيوبي ، ويعد الجزء الأول والرابع والخامس من أهم الأجزاء التي استفدنا منها من مجموعته المكونة من أربعة عشر جزءاً .

ج - كتاب " السلوك لمعرفة دول الملوك " للعلامة تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥هـ ، وهو من كتب التاريخ العام التي اهتمت بالحياة في اليمن خلال العصريين الأيوبي والرسولي ، وأكثر ما استفدنا منه هو إشاراته إلى نسب الأسرة الرسولية .

## ١٢ - كتب الأنساب والجغرافية :

وقد كان لكتب الأنساب والجغرافية دوراً مهماً جداً في إخراج هذه الرسالة مثل :  
أ - كتاب " صفة جزيرة العرب " للعلامة أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، والذي يعد قيمة في المعلومات الجغرافية التي لم يسبقه أحد إليها ، وتزداد أهمية هذا المصدر من خلال تحديده لمواقع القبائل وتحالفاتها وأنسابها وحدودها .

ب - كتاب " الإكليل " المكون من عشرة أجزاء ، لم يعثر إلا على أربعة منها وهي :  
الجزء الأول : في مبدأ الخليقة وأصول الأنساب ونسب مالك بن حمير ، و الجزء الثاني : في أنساب ولد الهميسع بن حمير بن سبأ ، و الجزء الثامن : في قصور اليمن ومدائنها ومدافنها ومحافدها وما حفظ من شعر ذي جدن والمراثي والمسائد والقبوريات ، والجزء العاشر : في أخبار اليمن وأنساب حمير . وتظهر قيمة هذه الأربعة الأجزاء من الإكليل للهمداني من خلال المعلومات القيمة والنادرة التي قام بتقديمها لنا عن القبائل اليمنية وتقسيمها وفروعها وأماكن تواجدها وأحلافها وغيرها من المعلومات التي تعد من أغنى ما كتب حتى وقتنا الحاضر .

ج - كتاب " معجم البلدان " لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ ، وهو من الكتب التي تم العودة إليها لتحديد مواقع القبائل والمدن والقرى والمعازل والحصون . وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها ياقوت عند تعريفه لبعض المواقع ، إلا أن كتابه هذا هو من أعظم ما كتب عن البلدان .

د - كتاب " طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب " للملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول المتوفى سنة ٦٩٦هـ ، وهو من السلاطين الذين اهتموا بالأنساب والتأليف ، والكتاب المذكور من أهم كتبه التي عدنا إليها لمعرفة القبائل التي عاصرت حكم بني رسول . وقد تم الاستفادة منه في معرفة أنساب القبائل وفروعها وأقسامها وأماكن تواجدها ، أما الفائدة الأكبر

التي حصلنا عليها هي تحديد فروع القبائل التي لعبت دوراً كبيراً في إثارة الشغب والفوضى ضد دولة بني رسول .

هـ — كتاب " مجموع بلدان اليمن وقبائلها " للعلامة محمد بن أحمد الحجري المتوفى سنة ١٣٨٠هـ ، وقد وضعه في مجلدين ، يحتوي كل مجلد على جزئين ، ويعد كتاب الحجري هذا من أهم الكتب وأنفعها لاحتوائه على معلومات تفصيلية ودقيقة عن مدن اليمن وقراها وقبائلها .

و — كتاب " معجم البلدان والقبائل اليمنية " لإبراهيم بن أحمد المقحفي ، وهو لا يقل أهمية عن مجموع الحجري ، لما ضمه من معلومات حديثة عن العديد من مناطق اليمن ، وكان تحديد المسافة والأبعاد بين هذه المناطق من الأمور التي سهلت علينا معرفة الأبعاد بين المدن والقرى بعضها ببعض ، ولم يخلُ معجم المقحفي هذا من إشارات إلى فروع وبطون العديد من القبائل ، خاصة في طبعته الأخيرة والتي أخرجها في جزئين كبيرين ضمت أحدث المواقع وأقدمها ، وكذلك بالنسبة للقبائل القديمة والحديثة ومواقعها .

ي — كتاب " البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي " للعلامة إسماعيل بن علي الأكواع ، الذي فسر الغموض الذي اكتنف بعض المعلومات عن البلدان اليمنية في معجم ياقوت ، وصحح الأخطاء التي وقع فيها ، فيما يخص أسماء المناطق والحصون والقبائل وأماكن توأجدها .

ولقد كان لكتب تفسير المصطلحات والألقاب دوراً في كشف الغموض عن بعض الكلمات التي واجهتنا عند كتابة هذه الرسالة وأهم هذه الكتب : كتاب " المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار " لتقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي سالف الذكر ، بالإضافة إلى بعض المراجع الحديثة مثل كتاب " الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار " لحسن الباشا ، وكتاب " معجم الألقاب التاريخية في العصر المملوكي " لمحمد أحمد دهمان وغيرها من الكتب التي وضحت لنا معنى بعض الألقاب والرتب والسلاح والملابس والأطعمة والكلمات والمصطلحات التي كانت تستخدم في الحياة العامة خلال ذلك العصر ، ويبدو أن مؤلفي هذه المراجع قد اعتمدوا كثيراً على ما جاء به القلقشندي في "صبح الأعشى" ، والمقرئزي في " المواعظ " .

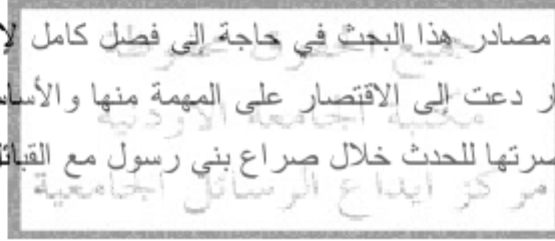
وكذلك فقد كان لمعاجم اللغة دوراً في كشف النقاب عن بعض الكلمات التي كانت في حاجة ماسة إلى تفسير وشرح وافٍ للتعرف على معانيها اللغوية ، ومن هذه الكتب : كتاب " لسان العرب " لجمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور المتوفى سنة ٧١١هـ ، وكتاب " القاموس المحيط " لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة

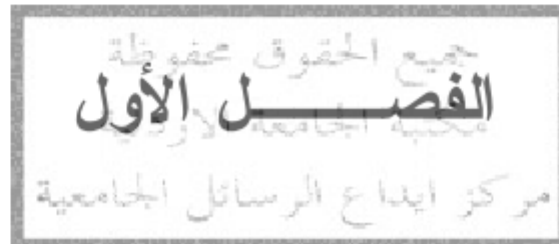


٨١٧هـ ، بالإضافة إلى بعض قواميس اللغة التي ألفت حديثاً ، والتي كشفت لنا النقاب عن تفسير عدد من الكلمات .

أما المراجع الحديثة التي عدنا إليها لتوضيح بعض المعلومات وتفسيرها فهي كثيرة وأهمها كتاب : " بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما " للدكتور محمد عبد العال أحمد ، والذي أظهر فيه المؤلف العديد من الآراء ووجهات النظر حول بعض القضايا السياسية والعسكرية والقبلية التي شهدتها الدولة الرسولية ، كما كان لمنهجية هذا الكتاب دوراً في التعرف على أسلوب سرد الأحداث التاريخية وترتيبها . ومن الرسائل العلمية الحديثة التي رجعنا إليها عن تاريخ بني رسول : " الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول باليمن " لمحمد عبد الفتاح عليان ، حيث يستعرض لنا الباحث مظاهر الحضارة التي شهدتها الدولة الرسولية ، بنوع من التفصيل والتدقيق ، وكانت وجهات النظر الواردة فيه أكثر ما استفدنا منه .

وختاماً فإن تحليل مصادر هذا البحث في حاجة إلى فصل كامل لإعطائها حقها ، ولكن الحاجة إلى الاختصار دعت إلى الاختصار على المهمة منها والأساسية التي عدنا إليها بشكل دائم لأهميتها ولعاصرتها للحدث خلال صراع بني رسول مع القبائل .





## قيام الدولة الرسولية

### أولاً : العوامل التي ساعدت على قيام دولة بني رسول :

تجمع المصادر التاريخية <sup>(١)</sup> على أن ظهور دولة بني رسول قد مهدت له مجموعة من العوامل التي ساعدت على قيامها ، إلا أن تلك المصادر لم تشر بشكل واضح إلى مثل هذه العوامل ، ولكن ومن خلال تفحص تلك المصادر تتضح لنا تلك العوامل والتي سارت بشكل تدريجي ابتدأت بدخول بني رسول إلى اليمن وحتى إعلان قيام دولتهم ، ويمكن أن

نلخص تلك العوامل في الآتي :  
مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

#### ١ - بروز بني رسول وارتفاع مكانتهم :

ارتبط ظهور بني رسول في اليمن بالوجود الأيوبي فيها ، فقد كان شمس الدين أبو الحسن علي بن رسول ضمن الحملة التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي <sup>(٢)</sup> بقيادة أخيه توران شاه إلى اليمن ، ولم يكن علي بن رسول الوحيد من الأسرة الرسولية الذي شارك القوات الأيوبية ، بل كان معه أبنائه الأربعة : بدر الدين الحسن بن علي وهو أكبرهم ، وشرف الدين موسى ، وفخر الدين أبو بكر ، ونور الدين عمر وهو أصغرهم <sup>(٣)</sup> ، ويستبعد

<sup>(١)</sup> انظر على سبيل المثال: ابن حاتم ، بدر الدين محمد، السمط لغالي لثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح: ركس سمث، كمبردج، ١٩٧٤ م، ص ٤٨ - ١٩٧؛ الخزرجي، علي بن الحسن، العقود للولوية في تاريخ لدولة لرسولية، ج ١، عني بتصححه: محمد بسيوني عسل، مطبعة الهلال، القاهرة، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م، ص ٢٨ - ٤٣.

<sup>(٢)</sup> دخلت القوات الأيوبية إلى اليمن في سنة ٥٦٩ هـ، في ظل أوضاع متردية كانت تعيشها البلاد بسبب حالة التجزئة التي كانت تعاني منها، مما ساعد الأيوبيين على الدخول إليها بكل سهولة وإخضاعها في ظل دولة مركزية واحدة، وعن هذه الأوضاع انظر: الحكمي، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، ط ٣، تح: محمد بن علي الأكوع، المكتبة اليمنية، صنعاء، ١٩٨٥ م، ص ٨٣ - ٨٨، ١٣٩ - ١٤١؛ يحيى بن الحسين بن القاسم، غاية الأمل في أخبار القطر اليمني، ج ١، تح: عبد الفتاح عثور، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨ م، ص ٣١٦؛ الكبيسي، محمد بن إسماعيل، اللطائف السنية في أخبار لملك اليمنية، ج ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٨٤ م، ص ٧٢ - ٧٣؛ لمطاع، أحمد بن أحمد، تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ إلى سنة ١٠٠٦ هـ، تح: عبد الله محمد الحبشي، ط ١، دار للتوير، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٢٨٠ وما بعدها.

<sup>(٣)</sup> لخزرجي، العقود للولوية، ج ١، ص ٢٨؛ العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوطة مصورة، ط ٢،

البعض وصولهم مع حملة توران شاه ، وذلك لأن المصادر التاريخية لم تشر إلى أي دور لهم في حملته ، إلا إذا كانوا كجنود عاديين يعملون في خدمة جيش توران شاه ، مع تفخيم المصادر المتأخرة لهم من دون تحديد دورهم وموقعهم في الحملة <sup>(٤)</sup>.

وقد ظهر بنو رسول بشكل واضح كما تذكر المصادر وتجمع عليه في عصر الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب في سنة ٥٧٩ هـ حيث كان شمس الدين أميراً على الجيش ، وتميز بصفات حميدة في الدين والصلاح وسلامة الصدر وحسن السياسة <sup>(١)</sup>، واحتل مكانة كبيرة عند سيف الإسلام ، ويبدو أن شمس الدين عند مجيئه إلى اليمن أقام هو وأبنائه في جبلة <sup>(٢)</sup>، إذ يشير الخزرجي إلى أن هناك من ذريته من كان إلى عصر الخزرجي نفسه، وله في تلك الناحية مآثر كثيرة لدرجة حب الناس والصالحين والعلماء له وحبه لهم <sup>(٣)</sup>.

وعمل شمس الدين أميراً للسلطان طغتكين بن أيوب في حيس <sup>(٤)</sup> و أعمالها ، وكان كثيراً ما يصحب العلماء والفقهاء والصالحين ويقتدي بأرائهم ، وفي ظل هذه الظروف ارتفع صيت أبنائه الأربعة وتميزوا بالشجاعة والإقدام والقيادة ، وبدأوا يُعرفون في أرض اليمن بهذه الصفات التي أكسبتهم محبة الجميع <sup>(٥)</sup>.

وفي سنة ٥٩٣ هـ توفي السلطان طغتكين بن أيوب وخلفه في الحكم ابنه المعز إسماعيل <sup>(٦)</sup> الذي واجه في بداية حكمه حركات وتمردات وجب عليه مواجهتها ؛ أهمها إعلان إمامة المنصور عبد الله بن حمزة <sup>(٧)</sup> وانضمام السلطان علي بن حاتم الهمداني إليه

وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ق ٩٦ أ .

<sup>(٤)</sup> محمد عبد لعال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما ( ٦٢٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٣١ - ١٥١٧ م ) ، الهيئة المصرية للعلماء للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م ، ص ٦٤ - ٦٥ .

<sup>(١)</sup> الخزرجي ، العهود المسبوك ، ق ١٩١ أ .

<sup>(٢)</sup> جبلة : تقع في جنوب إب وتبعد عنها بحوالي ( ١٠ كيلومتر ) وهي على ربوة بشمال جبل التعكر . الرئيسي ، حسين بن علي ، اليمن الكبرى : كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م ، ص ١٤٤ .

<sup>(٣)</sup> العهود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٢ .

<sup>(٤)</sup> حيس : بلد عامر من نواحي زبيد باليمن ، وسكانها من الركب الأشاعر . الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ، معجم البلدان ، تح : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت ، ج ٢ ، ص ٣٨٠ .

<sup>(٥)</sup> الخزرجي ، العهود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ ابن الدبيع ، عبد الرحمن بن علي ، قرعة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تح : محمد بن علي الأكوع ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٠٠ .

<sup>(٦)</sup> ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، النجوم لزاخرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ، قدم له وعلق عليه :

محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م ، ص ١٢٧ ؛ العامري ، يحيى بن أبي بكر محمد بن يحيى ، غربال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه وعلق عليه محمد ناجي زعي العمر ، دار الخير ، دمشق ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٧٨ .

<sup>(٧)</sup> هو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة من آل لقاسم الرسي الزيدي ، ويعود نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، وقد دعا إلى نفسه بالإمامة سنة ٥٩٣ هـ في صنعاء ، وكانت صنعاء وأعمالها آنذاك تحت حكم بني أيوب ، ودخل في صراع مع عمال بني أيوب وأمرائهم ، وقد توفي سنة ٦١٤ هـ وله الكثير من المآثر في الجوف ، إضافة إلى العديد من المؤلفات والفتاوى ، كما أنه كان شاعراً بليغاً ، انظر : ابن دعثم ، أبو فراس بن أبي عمر ، السيرة المنصورية سيرة الإمام عبد الله بن حمزة ( ٥٩٣ - ٦١٤ هـ ) ، مج ١ ، ج ٢ ، تح : عبد الغني محمود عبد العاطي ، ط ١ ،

وهو يرى فيه المنجد الذي سيساعده على استعادة ملكه ، لهذا بذل الأموال الطائلة في شراء بعض الحصون المهمة مثل كوكبان وبكر وثلا والظفر<sup>(٨)</sup> من عمال طغتكين بن أيوب<sup>(٩)</sup> ، الأمر الذي جعل المعز إسماعيل يتبع سياسة البطش والتنكيل ، لا سيما مع عمال أبيه وقادته . ولأجل ضمان ولاء بعض النواب اتبع المعز نظام الرهائن وكان بنو رسول من ضمن النواب الذين تضرروا من سياسته ، وكان الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول من هؤلاء الرهائن في سنة ٥٩٤ هـ بدلاً عن والده الأمير شمس الدين ، وظل بدر الدين رهينة لدى المعز حتى آخر عهده<sup>(١٠)</sup> . وتعد سياسة المعز هذه سبباً في خروج العديد من القادة وانضمامهم إلى المعارضة وأهم هؤلاء القادة هو الأمير سيف الدين سنقر المعزي<sup>(١١)</sup> . وفي سنة ٥٩٨ هـ قُتل المعز إسماعيل وترك خلفه أخاً صغيراً ، فوجدها الأمير سنقر فرصة للعودة إلى خدمة بني أيوب<sup>(١٢)</sup> ، وجعله الأكراد والعساكر أتاكاً<sup>(١٣)</sup> للملك الناصر أيوب بن طغتكين أخو المعز إسماعيل وهو ما يزال صغيراً ، وقد بذل الأتابك سنقر جهداً كبيراً لإعادة تنظيم البلاد ، وأعاد الثقة إلى العمال والنواب الذين فقدوها في عهد المعز إسماعيل ، وبدأ بتعيين الولاة والعمال على مناطق ومخالفات اليمن ، وكان لبني رسول نصيب في ذلك ، فقد ذاع صيتهم وبلغوا من الشجاعة والإقدام وصواب الرأي ما جعل الأتابك سنقر يهتم بهم ، وقام بتولية الأمير شمس الدين علي بن رسول على حصن حب<sup>(١٤)</sup> ،

دار لفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١٧٦ ؛ المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد ، الحداثق لوردية ، ج ٢ ، مخطوطة مصورة ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢ م ، ق ٦٧ م — ب ؛ عبد الله بن حمزة ، الشافعي ، تقديم : مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، مج ١ ، ج ١ ، ط ١ ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٦ م ، ص ٣ .  
(٨) يقع حصن كوكبان في الغرب الشمالي من صنعاء على مسافة (٤٠ كيلومتر ) ، أما بُكر فقرية حصينة عامرة تقع إلى لشمال لغربي من حصن كوكبان ، ويقع حصن ثلا الشهير في الغرب بالشمال من صنعاء على مسافة ( ٤٥ كيلومتر ) ، ويقع حصن لظفر في أطراف أرحب من جهة لشمال . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان ليمانية عند ياقوت الحموي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨ م ، ص ٤٦ ، ٦٧ ، ١٩٤ ، ٢٤٣ .

(٩) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٨٦ ب .

(١٠) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤٨ — ٥٠ ، ٧٨ .

(١١) ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ، مفرج لكروب في أخبار بني أيوب ، ج ٣ ، تح : جمال الدين لثيال ، دار العلم ، لقاهرة ، د . ت ، ص ١٣٦ — ١٣٧ .

(١٢) ابن الوردي ، زين الدين عمر ، نعمة لمختصر في أخبار البشر المعروف بـ : تاريخ ابن لوردي ، ج ٢ ، المطبعة لحيديرة ، لنجف ، د . ت ، ص ١٧١ ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج ٥ ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار لكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٨ .

(١٣) الأتابك : والمراد بها في الاصطلاح مرابي الأمير ، ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب أتابك العسكر . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٨ ؛ الباشا ، حسن ( لدكتور ) ، الأتقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، لقاهرة ، ١٩٧٨ م ، ص ١٢٢ — ١٢٥ ؛ دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار لفكر المعاصر ، بيروت ، دار لفكر ، دمشق ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١١ ؛ الخطيب ، مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والأققاب لتاريخية ، مؤسسة لرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦ م ، ص ١٧ .

(١٤) حب : من الحصون المشهورة في جبل بحدان من أعمال إب . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٤٥ .

وولي الأمير بدر الدين الحسن ريمة<sup>(٧)</sup> وأقطع وصاب<sup>(٨)</sup> للأمير فخر الدين أبي بكر بن علي ابن رسول<sup>(٩)</sup> .

## ٢ - رفض بني رسول سياسة بعض سلاطين بني أيوب :

انفرد السلطان الناصر أيوب بن طغتكين بعد وفاة الأتابك سنقر في سنة ٦٠٨ هـ — بالملك ، وجعل الناصر غازي بن جبريل والي لحج صاحب باب<sup>(١)</sup> وأستاذ داره<sup>(٢)</sup> وأتابكه ، ويبدو أن الأتابك غازي لم يثق ببعض رجال الدولة والنواب ، فاتبع سياسة الفتك بهم ، وقتل الكثير منهم بالسم<sup>(٣)</sup> ، وكان الأمير بدر الدين الحسن بن علي بن رسول من بينهم ولكن السم لم يؤثر فيه وغلب عليه الأجل ، وعقب هذه الحادثة نقل الملك الناصر الأمير بدر الدين من ولاية ريمة إلى حرص<sup>(٤)</sup> وما جاورها ، أما الأمير فخر الدين فقد أبقى واليا على البلاد الوصابية<sup>(٥)</sup> .

وبعد وفاة الملك الناصر مسموماً سنة ٦١١ هـ دخلت اليمن مرحلة من الفوضى ، وازداد الأمر تعقيداً بمقتل الأتابك غازي بن جبريل حيث سبب ذلك فراغاً سياسياً كبيراً<sup>(٦)</sup> .

مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

(٧) ريمة : تقع في الجنوب لثرفي من لحديدة بمسافة ( ٧٠ كيلومتر ) . المقطعي ، معجم ، ج ١ ، ص ٧٢٣ — ٧٢٤ .

(٨) وصاب : بلد واسع في لغرب الجنوبي من صنعاء ، وجبلها يحاذي زبيد وفيه عدة قرى وحصون ويقسم إلى وصاب لعالي والسافل . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧٦٧ . وتتسب وصاب إلى وصاب بن سهل الذي يعود نسبه إلى حمير الأكبر بن سبأ الأكبر . الوصابي ، وجيه لدين عبد الرحمن بن عمر الحبشي ، تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩ م ، ص ٨١ — ٨٣ .

(٩) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٠٥ .

(١) صاحب الباب أو لقاتم بالباب هو من يقف بباب السلطان يبلغه أخبار لرعية ويأخذ لهم الإذن منه ، ويطلق عليه اسم الحاجب ، والحجب هو المنع من الدخول . لباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٢٥١ .

(٢) الأستاذ دار : من أكبر موظفي البلاط لسلطاني وهو المسؤول عن بيوت لسلطان كلها من لمطابخ والشراب خاناه والحاشية والعلمان ولا يمشي إلا بأمر لسلطان ، ويحكم في غلمانه وباب داره وله الحديث لمطلق ولتصرف التام في استدعاء ما يحتاج إليه بيت لسلطان من النفقات والكسوات وغيرها . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ ؛ دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٤ — ١٥ ؛ قنسنك ، أ . ج ، مقال أستاذ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ط ١ ، مركز لشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٧٠٠ .

(٣) الجندي ، بهاء الدين محمد بن يوسف ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ج ٢ ، تح : محمد بن علي الأكووع ، ط ٢ ، مطبعة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ٥٣٧ ؛ ابن عبد المجيد ، تاج لدين عبد الباقي ، تاريخ ليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : مصطفى حجازي ، ط ٢ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥ م ، ص ٨١ .

(٤) حرص بلدة مشهورة من تهامة شرقي ميدي بينها وبين ساحل البحر الأحمر مسافة ست ساعات . الجعدي ، عمر بن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، تح : فواد سيد ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٣١٢ — ٣١٣ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٤٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .

(٦) الحمزي ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله ، كنز الأخبار في معرفة لسير والأخبار ، دراسة وتصح : عبد المحسن مدعج لمدعج ، ط ١ ، مؤسسة لشراف العربي ، الكويت ، ١٩٩٢ م ، ص ٩٣ .

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يبقَ من بني أيوب في اليمن إلا أم الناصر والخواتين<sup>(٧)</sup> أخوات الناصر ، وكنَّ يقمن في حصن حَبَّ ، لذلك نزلت أم الناصر من إب إلى تعز فقامت تدير شئون الحكم ستة أشهر<sup>(٨)</sup> ، وفي أثناء هذه الفترة بذل بنو رسول جهداً كبيراً في تولية شخصية جديدة من بني أيوب حكم اليمن لتغطية ذلك الفراغ السياسي ، وقد وصلت الأخبار إلى الأمير بدر الدين الحسن بن رسول أمير حرص بأن هناك رجلاً في زي الفقراء ينتمي إلى بني أيوب قد جاء إلى اليمن بعد أن كان في الحج ، فأمر الأمير بدر الدين بإحضاره وعرف الأمير بدر الدين نسبه وتأكد له ذلك ، فأعلنوه سلطاناً ولقبوه بالملك المعظم سليمان بن تقي الدين<sup>(٩)</sup> ، وتزوج بأم الناصر وأصبح ملك اليمن<sup>(١٠)</sup> .

ويتضح من المعطيات التاريخية أن بني رسول قد وصلوا إلى مرحلة من القوة والجاه جعلت سليمان يخاف منهم ويهابهم ، لذلك أظهر الرضا للأمير بدر الدين في بداية الأمر تمهيداً للتخلص منه ، حيث أقطعه صنعاء مكافأة له على موقفه إلى جانبه ومساعدته له للوصول إلى الملك .

وفي الوقت نفسه دبر مؤامرة لقتله ، وعند دخوله الجند وصل خبر تلك المؤامرة إليه ، الأمر الذي دفعه إلى التحصن في الدملوة<sup>(١١)</sup> ، وقام بالاتصال بأحد أصحابه في أبين وهو سيف الدين بن عصية للتفاوض مع سليمان ، ولم يكن من سيف الدين إلا الاتجاه إلى سليمان ، فتمكن من إقناعه بأن يعفو عن الأمير بدر الدين ، فأذن سليمان على بدر الدين وأعادته إلى ولايته<sup>(١٢)</sup> .

وعلى الرغم من أن سليمان قد أذن على الأمير بدر الدين إلا أن هناك أمراً زاد من حقه وكرهه لبني رسول ، وهذا الأمر يتمثل في موقف أمراء بني رسول مما فعله سليمان مع بدر الدين ، فقد كان موقفهم ترك الولاية والوقوف إلى جانب أخيهام في محنته ، ففي أثناء وجود بدر الدين في الدملوة قدم أخوه فخر الدين والي وصاب ، إضافة إلى نور الدين عمر لأجل تقديم العون والمساعدة لأخيهم وتعبيراً عن رفضهم لما يقوم به سليمان<sup>(١٣)</sup> .

(٧) الخاتون : كلمة تركية تعني المرأة لشريفة وقد لقب بها العرب نساء الملوك . إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، د . ت ، ص ٢١٣ ؛ لويس معروف ، المنجد في اللغة ، ط ١٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت ، ص ١٦٩ ؛ لباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٨) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٩) ابن حاتم ، السمط لغالي الثمن ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

(١٠) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٨ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩ .

(١١) الدملوة : قلعة منيعة مشهورة تقع في جنوب الجند وتبعد عن تعز جنوباً بنحو ( ٦٠ كيلومتر ) ، وقد اكتسبت شهرة كبيرة في عصر بني أيوب ثم بني رسول . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١١٧ .

(١٢) ابن حاتم ، السمط لغالي الثمن ، ص ١٦١ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

وهنا زاد إصرار سليمان على التخلص من بني رسول ، لذلك أقطع بدر الدين صنعاء ، في الوقت الذي جهز عسكرياً للقبض عليه ، لكن عيون بدر الدين كانت قريبة من سليمان ، فبمجرد صدور أمر سليمان بن تقي الدين علم بدر الدين بذلك فخرج من صنعاء قاصداً تهامة وكان طريقه نقيلاً السود<sup>(٦)</sup> إلى الكدراء<sup>(٧)</sup> ، مما جعل سليمان يخشى من سيطرة بدر الدين على تهامة لما لها من أهمية ، واستدعى الأمر تحركاً سريعاً من قبل سليمان الذي نزل من تعز إلى زبيد التي لم تكن محطته الأخيرة بل سار على عجل إلى الكدراء ، فلم يصل بدر الدين إلى الكدراء إلا وأمامه جيش سليمان بن تقي الدين ، ودارت معركة بين الفريقين ، وكان النصر لحليف الأمير بدر الدين ، فاضطر سليمان إلى عقد صلح معه ، ورهن أحد قادته عند بدر الدين ولسر الجميع إلى زبيد<sup>(٨)</sup> .

ومن الملاحظ أن ذلك الصلح لم يكن سوى إجراء شكلي أخفى وراءه أشياء أثارتها الأيام ، ويظهر ذلك من خلال الخلاف الذي نشب بين سليمان بن تقي الدين وكبار أمراء الغز<sup>(٩)</sup> وقادتهم بما فيهم الأمير بدر الدين ، وقد أدى ذلك إلى خروجهم من زبيد ، فأرسل سليمان جريدة<sup>(١٠)</sup> من العسكر لملاحقتهم فتمكن الغز من هزيمتها ، وأمام موقف سليمان هذا لجأ الغز إلى القوة المعارضة وكتبوا الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة من أجل الانضمام إلى أخيه الإمام عبد الله بن حمزة ، لذلك دخلوا في جملة قوات الإمام في رمضان سنة ٦١١ هـ<sup>(١١)</sup> ، كما أعلن الأمير فخر الدين خروجه عن الطاعة وتحالفه مع الإمام تضامناً مع أخيه بدر الدين وأصحابه ، وقد شجعت هذه الأمور كلها الإمام عبد الله بن حمزة على إرسال

(٦) نقيلاً السود : سفح مستوي كثير الحجارة السود يقع في الجهة الشمالية الغربية من صنعاء . الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، دار اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٩٠ - ١٩٩١ ، ص ٦٣ .

(٧) الكدراء : من المناطق التهامية وسكانها من عك والأشاعر . لهداني ، الحسن بن أحمد ، صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٩٧ . وتقع على وادي سهام في الجنوب لشرقي من المراوعة . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ٢٤١ .

(٨) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأملاني ، ج ١ ، ص ٤٠٢ - ٤٠٣ .

(٩) الغز : جنس من الترك . ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد لصاوي العبيدي ، ج ١٠ ، ط ٢ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، مادة : غز . وقد أطلق على بني أيوب ، لأن جيشهم كان من الغز . ابن النديم ، قرعة العيون ، ص ٢١٦ ، حاشية رقم ( ٦ ) .

(١٠) الجريدة : لاراجلون فيها ، ويقال : ندب القائد جريدة من الخيل ، إذ لم ينهض معهم راجلاً . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٢ ، مادة : جريد ؛ إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ١ ، ص ١١٦ .

(١١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٢ - ١٦٣ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأملاني ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .



الحمالات إلى مواقع نفوذ الأيوبيين فتم مهاجمة المهجم<sup>(٥)</sup> وإحراقها، كما هوجمت لحج وأبين، وتسلم الإمام كوكبان ، وساعت أوضاع البلاد نتيجة لسياسة سليمان بن تقي التعسفية<sup>(٦)</sup> .

ولم يكن سلاطين بني أيوب في مصر غافلين عما يحدث في اليمن من خلافات وصراعات أضعفت السيادة الأيوبية على هذا القطر ، فبمجرد وفاة الملك الناصر الأيوبي وقيام أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، حتى أعد الملك الجديد حفيده الملك المسعود صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبو بكر بن أيوب على رأس جيش كبير مزود بكافة المؤن والسلاح والرجال<sup>(٧)</sup> ، ولأجل تسهيل المهمة للملك المسعود كتب الملك العادل إلى أمرائه في اليمن لتقديم المساعدة للمسعود ، وكان الأمير شمس الدين علي بن رسول من ضمن هؤلاء الأمراء<sup>(٨)</sup> .

وما كاد الملك المسعود يصل اليمن حتى كان الأمير بدر الدين الحسن بن رسول أول من استقبله من أمراء بني أيوب في اليمن ، وكان برفقته أخوه نور الدين عمر<sup>(٩)</sup> وشرف الدين موسى وفخر الدين أبو بكر<sup>(١٠)</sup> ، وأمام هذا الاستقبال من بني رسول فقد قام المسعود بالخلع عليهم وأكرمهم بالهدايا والأموال والإقطاع ، حيث أقطع الأمير بدر الدين القحمة<sup>(١١)</sup> وأقطع الأمير نور الدين صهيان<sup>(١٢)</sup>، وسار الجميع حتى دخلوا زبيد في محرم سنة ٦١٢هـ<sup>(١٣)</sup>. وقد ترتب على قدوم المسعود إلى اليمن هروب سليمان إلى تعز وتحصن فيها<sup>(١٤)</sup> ، وتبعه المسعود إلى هناك ، ثم أخذ المسعود برأي الأمير بدر الدين الذي قدمه له وقام بمراسلة الجند الذين هم في حصن تعز مع سليمان يهددهم ويقسم بالويل والتكيل إذا هم لم يقبضوا على سليمان ، وهذا ما حدث ، فكان هذا الرأي من الأمير بدر الدين خير رأي<sup>(١٥)</sup> ، حيث

(٥) المهجم : مدينة من أعمال زبيد وأكثر أهلها من خولان . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٦٥ . وتقع المهجم في وادي سرند قبالة لزيدية من جهة الشرق وبينها وبين زبيد أكثر من ( ١٥٠ كيلومتر ) وهي اليوم من المدن لخربة . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، لبلدان اليمانية ، ص ٢٧٦ .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٧) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٢٩ ؛ لمقريري ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، لسلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، صححه ووضع حواشيه : محمد بن مصطفى زيادة ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص ٢٢٠ .

(٨) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٣٠ .

(٩) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

(١٠) لكيسي ، للطائف السنية ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(١١) لقحمة : بلدة عامرة في بلاد الرجود من أعمال زبيد وتقع شرق الطريق للمعبد بالقرب من المركب بين وادي زبيد جنوباً وولدي رمع شمالاً . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، لبلدان اليمانية ، ص ٢٢٦ .

(١٢) صهيان : مخلاف مشهور من أعمال ذي السفال . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٤٨ .

(١٣) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

(١٤) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٣ ؛ لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٣١ .

(١٥) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٦٧ .

قبض المسعود على سليمان بن تقي الدين وأرسله إلى مصر مقيداً<sup>(٩)</sup>. وبالتخلص من سليمان عزم المسعود على إعادة تنظيم البلاد ، لهذا بذل أتابك المسعود جمال الدين فليت مجهوداً كبيراً في استعادة الأراضي التي فقدها بنو أيوب في فترة الفوضى التي عمت اليمن<sup>(١٠)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد قام الملك المسعود بمكافأة بني رسول على موقفهم وإخلاصهم الجاد له ، فجعل الأمير بدر الدين أستاذ داره في جمادى الآخرة سنة ٦١٤ هـ ، ثم ولاه صنعاء في ربيع الأول سنة ٦١٨ هـ<sup>(١١)</sup> ، كما سلم أخاه نور الدين عمر الحصون الوصائية<sup>(١٢)</sup> ، ثم لم يجد من هو أكفأ من نور الدين ليوليه مكة بعد أخذها من واليها الشريف الحسن بن قتادة في سنة ٦١٩ هـ ، وقد دخل نور الدين في صراع مع الشريف الحسن الذي حاول استعادة مكة من أيدي الأيوبيين بعد خروج نور الدين منها<sup>(١٣)</sup> ، إلا أن نور الدين عاد مسرعاً إليها وهاجم محطة الشريف ومزق قواته وانتصر عليه ، وفي هذا الوقت أخذ المسعود يستعد للعودة إلى الديار المصرية لزيارة أبيه ، فاستدعى نور الدين واستخلفه على اليمن ، بعد أن عينه أتابكه وصاحب باب<sup>(١٤)</sup> ، ويقال أنه أناب الأمير حسام الدين لؤلؤ على اليمن<sup>(١٥)</sup> ، واستخلف على صنعاء بدر الدين الحسن<sup>(١٦)</sup> ، ومن هنا بدأ دور بني رسول في تنظيم الأوضاع في اليمن لأحداث قادمة كانوا هم أبطالها .

### ٣ - التخلص من القوى المعارضة في اليمن :

أخلص بنو رسول في تعاملهم مع الأيوبيين ، خاصة مع السلطان المسعود ، مما أدى إلى ارتفاع مكانة الأسرة الرسولية في اليمن ، وكان ما قدمه المسعود من مكافآت وخلع لبني رسول بداية نحو إقامة دولة لهم في اليمن تابعة للدولة الأيوبية في مصر ، ومن ثم الاتجاه نحو الاستقلال ، لذلك سعت الأسرة الرسولية لترسيخ بقائها وربط العلاقات مع غيرها من الأسر ، كما رأت ضرورة التخلص من القوى البارزة أمامها والمتمثلة في الإمامة الزيدية وتمردات القبائل . إضافة إلى بعض الأخطار التي قد تهدد مخططها .

(٩) ابن واصل ، مفرج لكروب ، ج ٤ ، حققه ووضع حواشيه : حسنين محمد ربيع وراجعه وقدم له : سعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، لقاهرة ، ١٩٧٢ م ، ص ١٢٠ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ١٨١ .

(١٠) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .

(١١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧٣ ، ١٧٥ ؛ الشرجي ، أحمد بن أحمد عبد اللطيف ، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، ط ١ ، دار المناهل ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٣٤٧ .

(١٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣ .

(١٣) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧٥ ؛ المقرئ ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢١٣ .

(١٤) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٤ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣ ؛ لعسجد المسبوك ، ق ٩٢ ب .

(١٥) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٧٦ .

(١٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣ .

وكانت أول تلك الأخطار التي واجهتها الأسرة الرسولية بعد خروج الملك المسعود في سنة ٦١٩ هـ من اليمن هي حركة مرغم الصوفي<sup>(٥)</sup> في بلاد سحمر<sup>(٦)</sup> ، والتي تصدى لها الأمير نور الدين عمر بمساندة بعض الشخصيات القبلية مثل راشد بن مظفر الهرش صاحب سنحان<sup>(٧)</sup> ، ودخلوا مع مرغم في قتال هزم فيه الأمير نور الدين وقتل راشد بن مظفر<sup>(٨)</sup> .

وعلى إثر هذه الهزيمة انسحب نور الدين إلى دروان<sup>(٩)</sup> ، فتحركت القبائل المساندة لمرغم إلى الحصن الذي دخله وأحاطوا به ، وفي ظل هذا الوضع بدأت البلاد تعيش حالة من الفوضى ، حيث تمرد أهل الشوافي<sup>(١٠)</sup> وعملت الزيدية على زيادة حشودها لمحاصرة صنعاء ، مما جعل الأمير بدر الدين يقع في حيرة من أمره بين إنقاذ أخيه نور الدين وبين ضياع صنعاء ونواحيها ، ومن جانب آخر لم يقدم حسام الدين لؤلؤ أي معونة لنور الدين ، على الرغم من استعانته به فلم يكن جوابه إلا الدعاء له بالنصر وتشجيعه على المواصلة<sup>(١١)</sup> ، وقد يكون موقف الحسام هذا يعبر عن تأمر ضد بني رسول رغبة في التخلص منهم لما شاهده من علو مكانتهم عند الملك المسعود وارتفاع صيتهم في اليمن .

والحق إن هذه المحنة التي تعرض لها بنو رسول تطلبت التحرك السريع لمعاقبة الخارجين على الدولة ، خاصة وأن هذا الموقف إما أن يقضي على وجودهم في اليمن ، وإما أن يكون بداية نحو خطوة أكبر تهيئها الأيام لهم .

لقد كان الكتاب الذي بعثه الأمير نور الدين عمر وهو محاصر قد أثار أخاه بدر الدين الذي خرج من صنعاء إلى دروان في رجب سنة ٦٢٣ هـ ، على الرغم من التجهيزات التي أعدها الأمير عز الدين محمد ابن الإمام عبد الله بن الحمزة لمهاجمة صنعاء ، فاستخدم بدر الدين القوة والعنف والتكيل بالقبائل التي اعترضت طريقه ، بل وصلت به الأمور إلى

(٥) كان مرغم الصوفي في بداية حياته حاكماً في بلاد عنس، ثم قام بدعوته في بلاد يريم وبلاد زبيد وزعم أنه داع إلى إمام حق، وأنه منصور حمير الذي يخرج كنوزهم ويناصر المهدي الذي يخرج آخر الزمان ، ويبدو أنه كان يتكلم في بعض المغيبات حتى صدقه الناس و أجابته قبائل المنطقة من عنس وجنب و أهل لمغارب وبنو سيف و أهل عتمه وجبل بني مسلم وسحمر . ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ١٧٦ ؛ الخزرجي ، المسجد لمسيوك ، ق ٩٢ ب .

(٦) سَحْمَر : جبل وبلدة في بلاد يريم . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤١٧ .

(٧) سَنَحَان : قبيلة من مذحج . الملك الأشرف ، عمر بن يوسف ، طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تح : ك . و سترستين ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥ م ، ص ٤٨ . وتمتد مساكنهم من قاع صنعاء الجنوبي إلى ما يحاذي خولان العالية . مجهول ، صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، تح : حسين بن أحمد السياغي، مركز للدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ ، ص ٤٠ ، حاشية رقم ( ٨٩ ) .

(٨) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٩ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٥ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٩) دروان : حصن مطلق على منكث من بلاد يريم . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ .

(١٠) لَشَوَافِي : مخلاف عظيم في الشمال الغربي من مدينة إب . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٩ ، حاشية رقم ( ٢ ) .

(١١) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ١٧٨ .

إيادته رجال تلك القبائل وبطريقة وحشية ، وكان لذلك الخبر صدهاء عند القبائل المحاصرة لأخيه ، حيث هرب الجميع ولم يقف أحد لحربه ، ونزل الأمير نور الدين من دروان للقاء أخيه<sup>(٤)</sup>، أما ما كان من مرغم الصوفي فقد هرب إلى وصاب وأقام فيها حتى مات هناك<sup>(٥)</sup> . وصلت الأخبار إلى الأمير بدر الدين بزحف الأمير عز الدين ومن معه إلى صنعاء ، فأسرع بالعودة إلى صنعاء ، وعند وصوله إليها قام بتنظيم جيشه استعداداً للحرب ، وفي عصر<sup>(٦)</sup> قامت المعركة بين الجانبين وانهزم جيش الأمير عز الدين بعد إصابته بسهم في إحدى عينيه ، نقل على أثر ذلك إلى ظفار<sup>(٧)</sup> ومات هناك في سنة ٦٣٣هـ<sup>(٨)</sup> وبهذا النصر فقد حقق بنو رسول خطوة كبيرة في سلم الوصول إلى هدفهم الذي سعوا من أجل تحقيقه وهو إقامة ملك لهم في اليمن .

#### ٤ - خلو اليمن من المنافسين لنور الدين عمر :

حرص بنو رسول في ظل غياب الملك المسعود أن تكون السلطة بأيديهم باعتبارهم أنفسهم أصحاب الحق بعد الأيوبيين في اليمن ، لا سيما الأمير نور الدين عمر الذي لم يعد ينافسه في حكم اليمن إلا بعض الشخصيات بينها إخوته . لقد أدت الأحداث السالفة الذكر إلى ذبوع صيت بني رسول في ربوع اليمن ، وبدأت القبائل تدرك المستوى الذي وصلت إليه هذه الأسرة من القوة والمكانة ، كما كانت الانتصارات التي حققتها القوات الأيوبية في اليمن بقيادة بدر الدين وأخيه نور الدين أبناء علي بن رسول قد وصلت أخبارها إلى مصر ؛ لهذا أشتد خوف بني أيوب على ملكهم في اليمن<sup>(٩)</sup> ، وتشير المصادر إلى أن بني أيوب لم يخافوا أحداً من العرب أو الغز كخوفهم من بني رسول ، وذلك لما كانوا يتصفون به من شجاعة وإقدام وجرأة ، وظهرت جرأة الأمير بدر الدين عندما أرسل قصيدة إلى الديار المصرية ، فاستعظمها الملك الكامل الأيوبي لكثرة نون العظمة فيها ، لذلك نصح حفيده المسعود بالعودة إلى اليمن والتخلص من بني رسول

(٤) لمصدر نفسه ، ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(٥) لجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٣٩ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٩٥ .

(٦) عصر : قرية وجبل غربي صنعاء على مسافة ( ٤ كيلومترات ) تقريباً . الهمداني ، حسين بن فيض الله ، الصليحيون

والحركة لفاطمية في اليمن ( ٢٦٨ - ٦٢٦ هـ ) ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٩٣ .

(٧) ظفار : هناك الكثير من المناطق التي تحمل اسم ظفار ، ويبدو أن المقصود هنا ظفار لظاهر في مرهبة بجوار ذيبين ، كانت

عاصمة للإمام عبد الله بن حمزة . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١٩٣ .

(٨) ابن حاتم ، لمسط الغلي الثمن ، ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٩) لخزرجي ، لعمود للولوية ، ج ١ ، ص ٣٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤١٦ .

قبل أن ينتزعوا الملك من بين أيديهم<sup>(٣)</sup> ، فخرج من مصر في سنة ٦٢٣ هـ<sup>(٤)</sup> ، وكان دخوله تعز في صفر سنة ٦٢٤ هـ ، وهنا أخذ الحسام بن لؤلؤ يحيك المؤامرات والمكائد من أجل الإيقاع بالأمير بدر الدين وأخيه نور الدين أمام الملك المسعود قبل أن يوقع به بدر الدين أمام المسعود بسبب تخاذله وعدم تقديمه المساعدة للأمير نور الدين عندما كان محاصراً بالقوات القبلية المناصرة لمرغم الصوفي<sup>(٥)</sup> ، وكان لهذه المكائد التي أوقعها الحسام في نفس المسعود أثر عظيم ، وجاء هذا الشيء مطابقاً لكلام والده الملك الكامل ، لذلك رأى المسعود أن عليه التحرك السريع لضبط الأمور ، فكان عقاب المسعود شديداً مع رجال قدموا أرواحهم لحماية هذه الدولة .

فلهذا عند سماع بني رسول بوصول الملك المسعود إلى اليمن قدموا للقائه والترحيب به ، فنزل الأمير بدر الدين من صنعاء وبرفقته أخويه الأمير شرف الدين صاحب جهران<sup>(١)</sup> والأمير فخر الدين صاحب التريية<sup>(٢)</sup> ، ولم يقدم المسعود على تنفيذ مخططه مباشرة بل تمهل في تلك خوفاً من أي رد فعل ، فأرسل الأمير نور الدين إلى عدن بخزانة كجزء من الخطة ، وعمل سماتاً<sup>(٣)</sup> كبيراً دعا إليه بقية بني رسول ، وأمر بالقبض عليهم وقيدهم وأودعهم السجن وذلك في رجب سن ٦٢٤ هـ ، وظلوا في سجن الجند حتى بعث بهم المسعود إلى الديار المصرية<sup>(٤)</sup> ، ويقال إن الأمير نور الدين عمر أعتقل معهم ثم أطلق في يومه<sup>(٥)</sup> ، والصحيح أنه بعثه إلى عدن وأرسل بعده بكتاب يخبره بما حدث وأن هذا الإجراء مؤقت وسيتم الإفراج عنهم ، وكانت تلك خطة من المسعود لاسترضاء نور الدين وامتصاص غضبه ، بل إنه بوصوله من عدن أصدر أمراً بتعيينه أستاذ داره وصاحب بابيه لكسبه إلى صفه ، علماً بأن نور الدين كان يحظى بمكانة رفيعة واحترام وتقدير المسعود ، لذلك سارت الأمور كما أراد المسعود<sup>(٦)</sup> .

(٣) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ١٨٧ — ١٨٩ .

(٤) لمقريزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٥) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ١٩٢ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٩ .

(١) جهران : حقل واسع وناحية من أعمال نيس . الحجري ، مجموع ، ج ١ ، ص ٢٩ ، ٢٠١ .

(٢) لتريية : بلفظ التصغير بلدة كبيرة عامرة بالشرق من زبيد بمسافة (١٠ كيلومتر) ، وهي من بلاد الأشاعر . المقفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٣) لسمات : هو الوجبات الغذائية التي يقوم بها الملوك في المناسبات والأعياد لكبار رجال الدولة ويكون فيته ما لذ وطاب من

الفاكهة والخضروات والشراب . المقريزي ، نقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط

والآثار ، تح : ليمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩٥ م ، ص ٧٧ — ٧٩ .

(٤) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ١٩٣ .

(٥) لخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٦) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ١٩٣ .

وتشير بعض المصادر إلى أن القبض على أبناء علي بن رسول كان مؤامرة دبرها أخوهم نور الدين عمر وذلك عندما طلب المسعود منه أن ينوبه على اليمن فرفض ذلك إلا إذا أبعاد إخوته عنه ، أي أن ما قام به المسعود كان بإيعاز من نور الدين نفسه <sup>(٧)</sup> ، وقد يكون في هذا الكلام نوعاً من الصحة والصواب ، فقد فكر نور الدين في الخطوة اللاحقة وهي الاستقلال بحكم اليمن ، خاصة وأن المسعود لم يكن باقياً في اليمن ، لهذا لم يعد هناك منافس له ، فكل الخطوات التي يمر بها كانت في صالحه ، فبعد أن تخلص نور الدين عمر بمساعدة أخيه بدر الدين من القوى الزيدية المتمثلة في الشريف عز الدين بن الإمام عبد الله بن حمزة وكسر شوكتهم ، وبعد أن أدخل الرعب في قلوب القبائل لم يعد أمامه حتى يحقق ما يفكر فيه إلا التخلص من إخوته أصحاب الحق في السلطة وبالأخص أكبر إخوته بدر الدين ، وتم له ذلك عن طريق المسعود نفسه ، وفي الوقت نفسه تخلص من الحسام بن لؤلؤ النائب السابق للمسعود الذي فضل العودة إلى مصر <sup>(٨)</sup> ، ولم يبق أمام الأمير نور الدين إلا المرحلة الأخيرة وهي التخلص من التبعية الأيوبية ومن ثم إقامة دولته .

## ٥ - حكمة نور الدين وحسن تدبيره :

تؤكد المصادر التاريخية التي بين أيدينا أن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول لم يكن بالرجل الهين والبسيط بل كان رجل دولة من الطراز الأول ، وقد وصفته تلك المصادر بالشجاعة والعقل والعدل والدهاء والحزم والجود والكرم وشرف النفس وحسن السياسة وكمال الرئاسة ، كما كان صبوراً على الحرب شديداً فيها <sup>(٩)</sup> ، وكل هذه الصفات مكنته وساعدته على إقامة دولته . فعندما قرر المسعود الخروج من اليمن <sup>(١٠)</sup> والعودة إلى الديار المصرية لم يجد بين أرباب دولته وأعيانها وخواصها من يصلح للنيابة مثل الأمير

(٧) ابن لاديع ، عبد الرحمن بن علي ، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : عبد الله محمد لحبشي ، ط ١ ، مركز لدراسات اليمانية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٧٩ ؛ الكيسي ، اللطائف لسنية ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٨) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ١٩٤ .

(٩) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٠ ؛ المسجد المسبوك ، ق ٩٥ أ ؛ الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٤٢ ؛ محمد عبد لعل أحمد ، الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم ، لبيئة لمصرية لعامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٨٠ ؛ جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن في عصر الأيوبي ، ط ١ ، تهامة ، جدة ، ١٩٨٥م ، ص ١١٤ .

(١٠) عن سبب عودة الملك المسعود إلى الديار المصرية انظر : الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٠ ؛ الملك الأشرف ، أبو العباس إسماعيل بن عباس ، المسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، ج ٢ ، تح : محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي ، بيروت ، دار البيان ، بغداد ، د . ت ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ؛ اليافعي ، أبو محمد عبد الله ابن أسعد بن علي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ج ٤ ، ط ٢ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٥٧ .

نور الدين ، هنا قال المسعود للأمير نور الدين : " تقف أنت نائبنا حتى يصلك أمرنا بتسليم البلاد لمن يتعين له ، وتلحقنا بعد ذلك إلى الديار المصرية " <sup>(٤)</sup> ، فأجابه نور الدين عمر بالموافقة والأمثال <sup>(٥)</sup> ، لكن بعض المصادر تشير إلى أن الملك المسعود عندما أراد العودة إلى الديار المصرية استدعى الأمير نور الدين عمر وقال له : " إني قد عزمت على السفر ، وقد جعلتك نائبني في اليمن . فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد ، وإن عشت فأنت على حالك ، وإياك أن تترك أحد يدخل اليمن من أهلي ولو جاءك الملك الكامل والذي ، فإذا ألح عليك أعلمتني حتى أجمع أنا وعمي الأشرف عليه فنحاربه ونشغله . فقال له نور الدين : أخشى إخوتي يعارضوني ، فقال له الملك المسعود : أنا أكفيك أمرهم " ، فقيدهم حينئذ ، وقيل أنه لم يقيدهم حتى أمر العسكر بالركوب خوفاً من حدوث شيء منهم لميل أكثر العسكر إليهم <sup>(١)</sup> .

وقد تكون هذه الحكاية ملفقة من أساسها لإيجاد صفة شرعية لدولته ، فليس من المعقول أمام ما قدمه نور الدين عمر للمسعود أن يتنازل الأخير له باليمن بل ويخبره بأنه سيدخل في حرب مع والده إذا ما حاول أن يرسل أحداً إلى اليمن في الوقت الذي لم تكن هناك أي عداوة بين المسعود ووالده بل على العكس من ذلك ، إلا أن بعض المصادر التاريخية تشير إلى الخلاف بين المسعود ووالده بسبب أن الملك المسعود كان ظالماً وجباراً وسفاكاً للدماء وأنه ارتكب العديد من الجرائم فقتل خلقاً كثيراً باليمن واستولى على أموالهم ، فكان أبوه الكامل يكرهه ويهابه <sup>(٢)</sup> .

وكيفما كان الأمر فإن هذه القصة التي بموجبها تنازل المسعود عن ملك اليمن لنور الدين إنما هي ترويح من بعض المقربين لبني رسول ، وهي أيضاً من تأليف مؤرخي الدولة الرسولية من أجل إعطاء ملك نور الدين عمر الحق الشرعي ، كما أن ذلك يعد تمهيداً من أجل إعلان الاستقلال بملك اليمن ، وأن تلك القصة قد بنيت لتخفيف هول المفاجأة على اليمنيين أنفسهم وعلى بني أيوب عند إعلان قيام دولة بني رسول .

والمهم أنه عندما خرج الملك المسعود من اليمن كان طريقه مكة المكرمة ، ولكن المرض اشتد به هناك فمات بها في جمادى الأولى سنة ٦٢٦ هـ <sup>(٣)</sup> ، وعندما وصل خبر

(٤) ابن حاتم ، لسط الغلي الثمن ، ص ١٩٥ .

(٥) يؤكد حسين فيض الله الهمداني أن هذه الرواية أقرب إلى المنطق من تمجيد الخرجي لأل رسول . الصليحيون والحركة

الفاطمية في اليمن ، ص ٢٩٤ ، حاشية رقم ( ٣ ) .

(١) لخرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) ابن تغري بردي ، لنجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٤٢ .

(٣) ابن الجزري ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ، المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان وتبأؤه

موته إلى الأمير نور الدين تحقق له ما كان يخطط له وصفت له الأمور وكانت هذه هي الخطوة الأخيرة نحو الاستقلال ، إلا أنه كان أدكى من أن يعلن الاستقلال بهذه السرعة خوفاً من إثارة الملك الكامل الذي كان من الممكن أن يرسل حملة تقضي على دولته التي مازالت في مهدها رغم الظروف العصيبة التي يعيشها في مصر<sup>(٤)</sup> ، لذلك أجل نور الدين إعلان الاستقلال وأعلن أنه نائب المسعود في اليمن ، وبعث إلى الملك الكامل هدايا عديدة ، وأبقى الخطبة والسكة كما كانت عليه في عهد المسعود<sup>(٥)</sup> كدليل على الولاء والطاعة لبني أيوب ، وليدخل أيضاً في نفس الملك الكامل الثقة والطمأنينة ، كما قام الأمير نور الدين عمر بتنفيذ خطوة ضرورية لتسهيل عليه كثيراً من المشاكل التي قد يتعرض لها عند إعلان الاستقلال ، وتمثلت تلك الخطوة في تولية المناطق والحصون لرجال كان يثق بهم ويضمن عدم عصيانهم في حالة الاستقلال ، كما قام بعزل النواب الذين كان يخشى خلافهم وعصيانهم ، بل وصل به الأمر إلى القيام بأسرهم ، وإذا دعت الحاجة يأمر بقتلهم تمهيداً لخطوة لاحقة ، كما أخذ يخضع المناطق منطقة نلو الأخرى ويسيطر على الحصون حتى يستعد لأي رد فعل قادم<sup>(٦)</sup> ، فكان حكيماً وأخذ يعمل على تحقيق أهدافه مرحلياً<sup>(٧)</sup> ، وقد رأى الأمير نور الدين بأن أمامه خطوات لا بد أن يتبناها وذلك حتى يضمن إقامة دولة مستقرة مستقلة وشرعية وهي :

**أولاً : إقامة صلح مع الأشراف الزيديين الذين يعدون من أخطر القوى المعارضة للأمير نور الدين وحتى يضمن الاستقرار في البلاد ، ولذلك سعى بنو حاتم في ذلك الصلح سنة ٦٢٨هـ في صنعاء وقبل الجميع بشروطه ولمدة سنة وكان أهم تلك الشروط عدم عودة بني أيوب إلى اليمن<sup>(٨)</sup> ، وتمت مبايعة نور الدين عمر من قبل الأشراف من بني حمزة وغيرهم ،**

ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، دراسة وتتح : خضير عباس محمد خليفة المنشدوي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٣٧١ : العامري ، غربال الزمان ، ص ٥٨ .

(٤) جميل حرب محمود ، الحجاز واليمن ، ص ١١٤ .

(٥) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٦ : المسجد المسبوك ، ق ٩٧ أ : المقرئ ، لسلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .

(٦) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٦ : يحيى بن الحسين ، غلبة الأماني ، ج ١ ، ص ٤١٨ — ٤١٩ .

(٧) محمد عبد العال أحمد ، الأيوبيون في اليمن ، ص ٩١ .

(٨) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٦ : لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٧ .



وتعهدوا بمناصرة نور الدين عمر الذي تلقب بالمنصور<sup>(٤)</sup> ، والقيام بخدمته أيضاً وتقديم النصح له ، لذلك أنعم عليهم وأقرهم على البلاد التي كانت تحت أيديهم مما أسعدهم<sup>(٥)</sup> .

**ثانياً :** القضاء على الوجود الأيوبي في اليمن ، وذلك عن طريق ممثل بني أيوب فيها الأمير نجم الدين أحمد بن زكري الذي ولاه المسعود على صنعاء<sup>(٦)</sup> ، فعندما شعر بتحريك نور الدين عمر سار إلى براش<sup>(٧)</sup> وتحصن فيه فاعتبر نور الدين عمر أن نجم الدين هو من اعظم الأخطار التي تهدد كيان دولته ، فوجوده يمثل الولاء والتبعية لبني أيوب في مصر ، كما أنه يمثل القوة الباقية لهم في اليمن وهو المركز الأساس الذي يلجأ إليه نواب بني أيوب الذين مازالوا على إخلاصهم لهم ، فحاربهم نور الدين عمر حتى طردهم من مواقعهم<sup>(٨)</sup> .

ولقد كان الصلح الذي عقد بين نور الدين عمر والأشراف هو الأمل الأخير الذي أطفئ في وجه نجم الدين ، لذلك وجد أنه لا خيار أمامه إلا مراسلة نور الدين والنزول إليه ومصالحته ، فنزل من براش بين يدي نور الدين الذي أنعم عليه وأكرمه<sup>(٩)</sup> ، وبذلك ضمن نور الدين عمر انقطاع طلبة بني أيوب باليمن بانقطاع خط الوصل بينهما .

**ثالثاً :** سعى نور الدين عمر لإعطاء دولته الصفة الشرعية ، فأرسل في سنة ٦٣١ هـ إلى الخليفة العباسي المستنصر<sup>(١٠)</sup> في بغداد هدية عظيمة وطلب منه تشريفه في النيابة في السلطة في بلاد اليمن ، ووصلت تلك التشريف من بغداد سنة ٦٣٢ هـ<sup>(١١)</sup> ، وبذلك تمكن السلطان المنصور من تحقيق ما خطط له وبصورة مرحلية ، واكتمل ذلك باعتراف الخلافة العباسية بدولته .

(٤) أصبحت الألقاب فيما بعد مثل المنصور والمظفر والأشرف والمؤيد والمجاهد والأفضل وغيرها تطلق على أبناء السلاطين منذ ولادتهم ، ثم يضاف إليها لقب ملك ، وإذا تولى أحدهم الملك أضيف له لقب السلطان خيالاً له مثلاً: السلطان الملك الأكرع، إسماعيل بن علي ، الدولة الرسولية ، ص ١٠ . بعكس ما كانت عليه الدول التي قامت قبل ذلك في اليمن مثل الدولة الصليحية والدولة الزيرية، حيث كان للخليفة الفاطمي هو الذي ينعم على السلاطين وأبنائهم بمثل هذه الألقاب . انظر : بلعغير ، محمد صالح ، " معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزيرية من خلال المسكوكات " ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، لعدد الأول ، جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٥ .

(٥) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٢٠٣ .

(٦) لمصدر نفسه ، ص ١٩٤ .

(٧) برّاش : جبل متصل بجبل نقم من جهة لشرق ، وتقدر المسافة من صنعاء إليه ساعة ونصف لما فيه من الالتواء والصعود .

ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢٠٤ ، حاشية رقم ( ٢ ) .

(٨) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٩٣ — ٩٤ .

(٩) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٢٠٣ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٠١ .

(١٠) هو الخليفة أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله العباسي ولد في صفر سنة ٥٨٨ هـ من لم تركية ، تولى أمور الخلافة بعد موت أبيه في رجب سنة ٦٢٣ هـ ، وقد تجمعت فيه العديد من الصفات الحميدة والجميلة التي أهلته للحكم ، توفي سنة ٦٤٠ هـ .

السويطي ، الحافظ جلال الدين ، تاريخ خلفاء دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٤٢٤ — ٤٢٦ .

(١١) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ؛ ابن الجزري ، حوائث الزمان ، ص ١٥٧ .

## ٦ - عجز بني أيوب عن استعادة ملكهم في اليمن :

أعلن السلطان المنصور نور الدين عمر استقلاله عن بني أيوب في سنة ٦٢٨ هـ<sup>(٤)</sup> بعد أن تأكد له ضعفهم وعجزهم عن استرداد ملكهم في اليمن ، لاسيما وأنه كان على علم بكل ما يدور في مصر ، حيث ظهر الشقاق في البيت الأيوبي بعد وفاة الملك العادل الأيوبي في شوال سنة ٦١٥ هـ فاستقل كل من أبنائه بما تحت يده بعد أن قسمها الملك العادل بينهم قبل وفاته ، فاستقر الملك الكامل في ديار مصر ، وكانت ممالك الشام من نصيب الملك المعظم عيسى ، أما نصيب الملك الأشرف موسى شاه ديار بكر وممالك الشرق ، وفي الفترة من سنة ٦٢٤ إلى سنة ٦٢٦ هـ زادت الخلافات والمشاكل بين أفراد البيت الأيوبي<sup>(٥)</sup>، مما شغل الملك الكامل عن أمور اليمن وجعل تفكيره ينصب على مواجهة تلك الخلافات الأسرية خوفاً على ملكه في مصر .

وفي هذا الوقت أيضاً ازداد خطر الصليبيين في المنطقة ، وزاد تفاؤلهم باحتدام الصراع بين أفراد البيت الأيوبي ، حيث ظهرت تحالفات جديدة في المنطقة بسبب ذلك الصراع ،

فتحالف الملك المعظم مع جلال الدين خوارزم صاحب فارس ضد أخيه الملك الكامل الذي تحالف مع فريدريك ( الثاني )<sup>(٦)</sup> ، فكان لذلك التحالف أثره على أراضي المسلمين ، حيث تنازل الملك الكامل عن بيت المقدس لفريدريك ( الثاني ) مما أثار سخط المسلمين ، فظهرت موجة عارمة من الغضب ضد الملك الكامل هزت مكانته عند المسلمين<sup>(٧)</sup> . أما جلال الدين خوارزم فقد أخذ بالتوسع في أراضي المسلمين فسيطر على منطقة خلاط<sup>(٨)</sup> سنة ٦٢٧ هـ<sup>(٩)</sup>،

(٤) لكيسي ، للطائف السنية ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٥) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن شيباني ، الكامل في التاريخ ، مج ١٢ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص ٤٨٢ - ٤٨٥ ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، البداية والنهاية في التاريخ ، ج ١٣ ، تح : أحمد عبد الوهاب فتاح ، ط ١٤ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص ١٤٣ ؛ الملك الأشرف ، العسجد لمسيوك ولجوهر لمحكوك ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٤٢ ؛ حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم لعولي في أنباء الأول والتوالي ، ج ٤ ، المكتبة لسلفية ، لقاهرة ، د . ت ، ص ١٣ .

The New Encyclopaedia Britannica , volume 1 , Micropaedia Ready Reference , 15 th edition , E . B . Inc . , U . S . A , 1995 , p . 753 .

(٦) المقرئزي : لسلوك ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٢٤٢ ؛ المعاضيدي ، خاشع (الدكتور) وآخرون ، الوطن لعربي والغزو الصليبي ، دار الكتب ، الموصل ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٢٠٧ - ٢١٣ ؛ علي عبد الحكيم محمود ، الغزو للصليبي والعلام الإسلامي ، ط ٢ ، دار عكاظ ، جدة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١١٤ - ١١٩ .

(٧) ابن الأثير ، لكامل في لتاريخ ، مج ١٢ ، ص ٤٨٢ - ٤٨٥ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٤٣ .

(٨) خلاط بقصبة أرمنية لوسطى وهي من البلدان المشهورة ذات الخيرات الواسعة ولثمار البانعة، وتمتاز بكثرة فواكهها وغزارة مياهها وشدة برودتها . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٩) ابن واصل ، مفرج لكروب ، ج ٤ ، ص ٢٩٨ ؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ؛ العامري ، غربال

مستغلاً التناحر القائم بين الأسرة الأيوبية ، وأمام كل هذه الحوادث التي تعرضت لها الدولة الأيوبية أصبح من الصعب على الملك الكامل أن يستغني عن جزء من جيشه ليرسله إلى اليمن لإعادة سيادتها<sup>(٥)</sup>، فظروف السياسة في مصر والشام لا تسمح بذلك ، الأمر الذي أسعد السلطان المنصور نور الدين عمر وشجعه على مواصلة بناء دولته الجديدة باطمئنان تام .  
وحتى يضمن بنو رسول عدم عودة القوات الأيوبية إلى اليمن فتح السلطان المنصور أمام الأيوبيين جبهة جديدة ، وذلك عندما أخذ في إرسال قواته إلى الحجاز ومن ثم بدأ صراع طويل بين الأيوبيين والسلطان المنصور حول مكة والحجاز وليس حول اليمن<sup>(٦)</sup> ، وبذلك استطاع المنصور أن يحمي اليمن من غزو الأيوبيين ، ولم يعد الأيوبيون يفكرون في استعادة اليمن لاهتمامهم الأكبر بالحجاز لوجود المقدسات الإسلامية فيها ، بالإضافة إلى صعوبة تجهيز الحملات وإرسالها إلى اليمن لوعورة مسالكها وطرقها وارتفاع جبالها .

#### ٧ - نجاح بني رسول في نسب أنفسهم إلى قبيلة يمنية :

لقد أدرك السلطان المنصور نور الدين عمر بعد إعلان دولته أهمية الانتماء إلى اليمن، كما أدرك من جاء بعده من سلاطين بني رسول ذلك ، بعدما لاحظوا رفض القبائل اليمنية للوجود الأيوبي، لهذا أعلنوا نسبهم اليمني وبذلوا مجهوداً كبيراً في إثبات يمنيته ، باعتبار أنهم من أبناء هذا الوطن وعادوا إليه لبنائه وتعميره ، ولهذا نسبوا أنفسهم إلى محمد بن هارون<sup>(١)</sup> بن أبي الفتح بن يوحى بن رستم الغساني المجكي<sup>(٢)</sup> التركماني<sup>(٣)</sup> ، ويظهر الاختلاف واضحاً أيضاً بين المصادر في ذكر الاسم الصحيح في هذه السلسلة<sup>(٤)</sup> .

الزمان ، ص ٥٠٧ .

(٥) محمد عبد العال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٩٠ .

(٦) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ١٤٤ ؛ لفلي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج ٢ ، تح : عمر عبد السلام تكمري ، دار لكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٣٧٨ - ٣٧٩ .

(١) هو جد بني رسول وقد تميز بلشجاعة والرياسة بين قومه فخره بالخليفة ليعاسي المستجد باشه ( ٥٦٦ - ٥٧٥ هـ ) وأصبح رسوله إلى الشام ومصر ، وصار بذلك من أكثر المقربين للخليفة لدرجة رفع لحجاب بينه وبين الخليفة ، وقد جعلت هذه السفارة الجميع يطلقون على محمد بن هارون اسم رسول الخليفة ، وطغى اسم رسول على الاسم الحقيقي وأصبح لا يعرف إلا به بين الناس ، وقد انتقل لأسباب لم تذكرها المصادر إلى الشام ومنها إلى مصر وهناك استقر بمن معه من أولاده حتى قامت الدولة الأيوبية . انظر: الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٢٧ ؛ محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٤٦ - ٥٢ .

(٢) لملك الأشراف ، طرفة الأصحاب ، ص ٣١ ، ١٠٠٠ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٢٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٩٥ ب .

(٣) لمقرئزي ، السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ؛ السخوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مج ١ ، ج ٢ ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٢٩٩ ؛ ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحسي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٧ ، لجنة إحياء التراث ، بيروت ، د . ت ، ص ٢٦ ؛ الزركلي ، خير الدين ، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال ونساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ج ٨ ، ط ١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،

- ويعود نسل محمد بن هارون إلى جبلة بن الأيهم الغساني<sup>(٥)</sup>، والغساسنة هم من أزد<sup>(٦)</sup> اليمن الذين هاجروا من جنوب الجزيرة العربية قبل حادثة سيل العرم إلى بلاد الشام<sup>(٧)</sup> .
- وقد يكون بنو رسول نجحوا بعض الشيء في بث ذلك النسب ، إلا أن هناك بعض الأمور التي أدت إلى التشكيك فيه وبالتالي عدم تصديقه ، منها :
- ١ - كثرة الفجوات التي تصل بني رسول إلى جبلة بن الأيهم الغساني ، مما سبب خللاً في الاسم<sup>(٨)</sup> .
- ٢ - عدم إشارة بعض مؤرخي الدولة الأوائل إلى ذلك النسب<sup>(٩)</sup> ، وإن أشار إليه آخرون فذلك بنوع من التشكيك وعدم الاهتمام<sup>(١٠)</sup> .
- ٣ - إصرار مؤرخي الدولة المتأخرين على صحة ذلك النسب<sup>(١١)</sup> ، بإسلوب يدخل الريبة والشك إلى القارئ .

١٩٩٩ م ، ص ٢٤٣ .

(٤) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٥ : « ملك الأشرف ، تغسجد لعمشوك والجوهر المحكوك ، ج ١ ، ص ٤٩ : العرشي ، حسين بن أحمد ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإسلام ، تح : الأب أنستاس ماري الكرمل ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، ص ٤٤ .

(٥) يعود نسب جبلة بن الأيهم إلى مالك بن زيد بن كهلان ، وهو آخر ملوك غسان على الشام في فترة ما قبل الإسلام ، وقد أسلم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ( ١٣ - ٢٥ هـ ) ، وسرعان ما ارتد عن الإسلام وعاد إلى الديانة النصرانية ولحق ببلاد الروم ثم انتقل إلى بلاد لتركمان لأسباب لم ترد في المصادر ، واختلطوا بقبيلة مجك وأنصهروا في مجتمعهم حتى عدا منهم ، وظلوا هناك إلى أن انتقل أحد أحفاده وهو محمد بن هارون إلى العراق وعمل عند الخليفة العباسي في بغداد . انظر : المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج ٢ ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٩ : الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٢٥ : دروزة ، محمد عزت ، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار ، ج ٧ ، ط ١ ، المطبعة العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٩٦٢ م ، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٦) ليعقوبي ، أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تاريخ اليعقوبي ، مج ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م ، ص ٢٠٢ : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٦٩ .

(٧) عن هجرة قبائل الأزد من اليمن انظر : اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ص ٢٠٣ : المسعودي ، مروج الذهب ، مج ٢ ، ص ١٠٦ : الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ١٣ : نبيه عقل ، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ١٥٢ - ١٥٣ : بامطرف ، محمد عبد القادر ، الجامع ( جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلها ) ، ج ١ ، ط ٢ ، دار الهمداني ، عدن ، ١٩٨٤ م ، ص ١٦٠ - ١٦٨ : شكري ، محمد سعيد ، الأوضاع القبلية في اليمن منذ بداية العصر الراشدي وحتى الفتنة الكبرى ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٦٨ - ٢٨١ : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ لعرب في عصر الجاهلية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ م ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٨) لخيرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٢٦ .

(٩) يعد المؤرخ اليمني الأمير بدر الدين محمد بن حاتم من أوائل المؤرخين الذين كتبوا عن البدايات الأولى لدولة بني رسول ، إلا أنه لم يشر إلى أي نسب لهم سواء أنهم امتداد لسلطين الغز من بني أيوب . لمسط لغالي لثمن ص ١٠ - ١١ .

(١٠) يشير ابن عبد المجيد إلى نسب بني رسول الغساني ، ولكنه يختم كلامه عن هذا النسب بقوله : ( كما يزعمون ) . بهجة الزمن ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(١١) ونلاحظ هذه التبرة في حديث الخزرجي الذي يقول : ( أنه ليس هناك أصح من نسبهم ) . العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٦ .

٤ — عدم الاتفاق بين مؤرخي هذه الدولة حول صيغة موحدة لهذا النسب واختلافهم حوله . وفي هذا الصدد ، فقد ظهر عدد من المؤرخين والباحثين اليمنيين وغير اليمنيين المتأخرين الذين اهتموا بهذا النسب اهتماماً كبيراً ، فكان منهم من خلط في ذلك النسب ثم أعادهم إلى الأصل التركماني<sup>(٥)</sup> ، ومنهم من نفى انتمائهم إلى الأصول العربية باعتبار أن ذلك النسب ملفق ومشكوك فيه<sup>(٦)</sup> ، كما ذهب آخرون إلى القول بأن هذا النسب هو من صنع بني رسول أنفسهم<sup>(٧)</sup> ، وهو ما أكده بعض الباحثين<sup>(٨)</sup> ، بينما يرى البعض أن بني رسول عربياً عادوا إلى بلدهم لتعميرها وبنائها<sup>(٩)</sup> .

وكيفما كان الأمر فإن السؤال الذي يضع نفسه أمامنا هو : لماذا اختار بنو رسول قبيلة غسان دون سائر قبائل اليمن المهاجرة ؟

مما لا شك فيه أن هناك صفات تميزت بها قبيلة غسان جعلت بني رسول ينسبون أنفسهم إليها ، لذلك يمكن أن نحصر الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك في الآتي :

**أولاً :** عراقية قبيلة غسان اليمنية ، فهم من قحطان أصل العرب في جنوب جزيرة العرب<sup>(١٠)</sup>  
**ثانياً :** المكانة الرفيعة التي تميزت بها قبل تهديم سد مأرب ، حيث يقال : " حمير أرباب العرب وغسان أرباب الملوك"<sup>(١١)</sup>  
**ثالثاً :** شهرة ملوك هذه القبيلة في بلاد الشام ، فهم من نسل ملوك العرب في فترة ما قبل الإسلام ، وهذا دليل على عراقية نسبهم وليس غريباً عليهم أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه .  
**رابعاً :** بانتمائهم إلى هذه القبيلة يكونون قد كسبوا قلوب القبائل اليمنية ، على اعتبار أن كل القبائل في جنوب جزيرة العرب هم أبناء عمومة ويعودون إلى أب واحد .  
**خامساً :** أن قبيلة غسان من القبائل التي انقطعت أخبارها بعد انتقالها إلى بلاد الروم وتنصرها ، وبالتالي من الصعب التأكد مما جاء به بنو رسول من انتمائهم إلى هذه القبيلة .

(٥) العرشي ، بلوغ المرام ، ص ٤٤ .

*The New Encyclopaedia Britannica* , volume 9 , p 950.

(٦) محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو ظاهر ، ص ٥٢ .

(٧) محيرز ، عبد الله أحمد ، العقبة دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب مدينة عدن ، مؤسسة ١٤ أكتوبر ، عدن ، د . ت . ص ١٥٨ .

(٨) Balafier, Mohamed , *Tresors et Collections de Monnaies islamiques des Musees du Yemen* , These de Doctorat .Universite de Paris-Sorbonne (Paris v) , 1994 , p . 266 .

(٩) قائد حميد عثمان غالب ، أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل دولة بني رسول (٦٢٦ — ٨٥٨ هـ —

١٢٢٨ / ١٤٥٤ م ) ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٢ .

(١٠) *The New Encyclopaedia Britannica* , volume 9 , p 950

(١١) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ١ .

**سادساً :** إن ادعائهم هذا جاء تماشياً والاتجاه السائد في البلاد الإسلامية في ذلك الوقت ، حيث نسبت الأسر غير العربية التي وصلت إلى الحكم في بعض الولايات إلى أصول عربية عريقة<sup>(٢)</sup> للحصول على الشرعية وكسب تأييد المجتمعات العربية الإسلامية كالانتماء إلى بني أمية<sup>(٣)</sup> أو بني العباس<sup>(٤)</sup> أو أي من قبائل العرب ذات الأصل العريق .

**سابعاً :** أظهرت هجرة قبائل غسان أثراً برزت على أحفادهم من بني رسول ، من خلال امتزاجهم وتزاوجهم مع التركمان ، فمن المعروف أن الملامح الشكلية للإنسان العربي تختلف كل الاختلاف عن التركماني الذي يمتاز ببشرة بيضاء تغلب عليها الحمرة مع طول في القامة وضخامة في الجسم وتغيرات أخرى كلون العين والشعر وغيرها ، ويبدو أن بني رسول عندما جاءوا إلى اليمن كانت أشكالهم تركمانية بحكم تزاوجهم مع التركمان ، وعند تمكنهم من إقامة دولتهم نظر إليهم اليمنيون بموجب أشكالهم ، لذلك أخذوا ينشرون من خلال المؤلفات المختلفة نسبهم اليمني ، ويذكرون قصة هجرتهم إلى بلاد التركمان التي أوردها الخزرجي<sup>(٥)</sup> . ورغم ذلك فإن جميع الأدلة التي قدمها بنو رسول لإثبات نسبهم كانت غير كافية ومقنعة ، لكثرة الدلائل التي تثبت عدم انتمائهم إلى الأصول العربية حتى نلاحظ ذلك في دخول بعض الأسماء غير العربية على سلسلة أسمائهم مثل يوحى ورستم<sup>(١)</sup> ، وهذه الأمور تجعل نسب الرسوليين محاط بالغموض<sup>(٢)</sup> لعدم وجود الأدلة المقنعة التي تثبت صحته .

ومن الملاحظ أن قضية النسب هذه قد تم الاهتمام بها منذ عهد السلطان الأشرف (الأول) عمر بن يوسف (الأول) بن المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، وهذا ما يذهب إليه محمد عبد العال<sup>(٣)</sup> ، ولكن المعطيات الأثرية أثبتت عكس ذلك ، فقد وجدت عملة سكنت في عهد

(٢) لفتي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٣٦ .

(٣) نسبت بعض المصادر صلاح الدين الأيوبي للكردي الأصل إلى بني أمية ، وكذلك فعل الملك المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب و أعدا نسبه إلى بني أمية متخلياً عن أصله الكردي . ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج ٣ ، ص ١٣٦ ؛ لجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٣٥ ؛ حسين بن عبد الملك ، سمط النجوم العوالي ، ج ٤ ، ص ٨ .

(٤) أعد أبو مسلم الخراساني قائد الثورة العباسية على الأمويين في خراسان نسبه إلى بني العباس . يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، مج ٢ ، ص ٣٦٥ — ٣٦٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، مج ٢ ، ص ٣٠٣ ؛ السيد عبد العزيز سالم ، العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت ، ص ٦١ .

(٥) لعمود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٧ .

(١) يعيد البعض نسب بني رسول إلى أصل فارسي بسبب وجود اسم رستم فيه ، وهو ما يستبعد . لين بول ، ستانلي ، لدول الإسلامية يبحث عن ( ١٨١ ) دولة إسلامية ، ج ١ ، إضافات وتصحيحات : بارتولد و خليل أدهم ، نقله من التركية إلى العربية: محمد صبحي فرزات ، أشرف على ترجمته وعلق عليه : محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق ، دمشق ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م ، ص ٢٠٢ ؛ لفتي ، اليمن في ظل الإسلام ، ص ٢٣٦ .

(٢) Porter , V., " The Rasulid Sultan Al- Malik al -Mansur and the Mint of Mabyan" AAE ,I, October , (٢) 1990 , p 39 .

(٣) بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٥١ — ٥٢ .

أول سلاطين بني رسول المنصور نور الدين وهي ثلاثة عشر درهماً ضربت في دور ضرب :  
الدملوة وعدن والمهجم ويقع تاريخها بين سنتي (٦٣٤ - ٦٤٢هـ) ، وفي أوجه هذه الدراهم  
وصف السلطان المنصور نفسه بالملك المنصور عمر اليماني<sup>(٤)</sup> ، وبذلك فإن ما ذكرته المصادر  
من أن السكة ضربت في سنة ٦٣٠ هـ<sup>(٥)</sup> تناقضه المعطيات الأثرية ، حيث لم توجد حتى الآن  
نقود تثبت ما ذكرته المصادر من أن العملة ضربت في سنة ٦٣٠ هـ ، وبموجب ذلك نجد أن  
نور الدين قد سبق حفيده الأشرف (الأول) عمر في الاهتمام بهذا النسب<sup>(٦)</sup> ، وهذه حقيقة تصحح  
ما يذهب إليه بعض المؤرخين المحدثين من أن أول من أهتم بنسب بني رسول هو السلطان  
الأشرف (الأول) في كتابه : " طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب " .

وفضلاً عن ذلك ، فإن تلك النقود توضح أن نور الدين عمر بهذا النسب احتقر أصله  
التركمانى واعتبر نفسه يمينياً وفصل نفسه عن الماضي الأيوبي<sup>(٧)</sup> . ومن هنا نصل إلى أن  
بني رسول ادعوا انتمائهم إلى قبيلة يمنية لعاملين أساسيين هما :

أولاً : وضع ثقل قبلي لهم بين القبائل اليمنية وفرض احترامهم ومكانتهم على غيرهم ،  
لإدراكهم واستيعابهم لواقع اليمن القبلي خلال عملهم كنواب في عصر بني أيوب .  
ثانياً : إعطاء حكمهم لليمن الصفة الشرعية والوطنية التي ادعوا أنهم توارثوها عن أجدادهم ،  
وإظهار أحقيتهم لهذا الحكم بدلاً من بني أيوب الذين حكموا اليمن من دون أي وجه حق .

والخلاصة أن بني رسول سعوا في نشر هذا النسب ونجحوا فيه باعتباره من  
العوامل الأساسية لبقائهم داخل اليمن ، ولكن محاولة إعادة نسبهم إلى غسان هي محاولة  
لا تقوم على أساس من الصحة ، لأن هذا النسب تتقصه الحقائق المقنعة والبراهين التي تؤكد  
ما قالوه ، وإلا فإن ما كتبوه لا أساس له ، وما هو إلا قصة لا تمت للواقع بصلة ، وبهذا يكون  
بنو رسول بعيدين كل البعد بأصلهم التركمانى عن أي أصول عربية .

## ثانياً : دور القبيلة في مساندة الدولة أو معارضتها:

### ١ - الوضع القبلي في اليمن مع بداية قيام دولة بني رسول :

شهدت الأوضاع القبلية مع بداية قيام الدولة الرسولية نوعاً من الاستقرار والهدوء ،  
وقد حرص السلطان المنصور نور الدين عمر (٦٢٦ - ٦٤٧ هـ) على استمرار هذا

(٤) Balafier , M , *Tresors et Collections de Monnaies islamiques des Musees du Yemen* , p . 266

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٥١ .

Nutzel , Heinrich , *Munzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynastie / Coins of the Rasulids* , Translated by Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , 1987 , p . 10

Balafier , M , *Tresors et Collections de Monnaies islamiques des Musees du Yemen* , p ٢٦٨ (٦)

Porter , V . , " The Rasulid Sulten Al - Malik al - Mansur and the Mint of Mabyan " , p . 39 . (٧)

الهدوء ، فوجه اهتمامه الأكبر إلى إخضاع كافة الحصون والمعازل التي يتحصن فيها المعارضون من اتباع الأيوبيين والقبائل ومشائخها وغيرهم .

لقد لعبت القبيلة دوراً كبيراً في حياة الدولة الرسولية ، وكانت كثيراً ما تعلن خروجها عن الطاعة وتتجه إلى أعمال السلب والتخريب ، ويكون رد فعل الدولة مماثلاً كنوع من العقاب ، لذلك اتبع المنصور سياسة يضمن من خلالها عدم خروج القبائل عن الطاعة فأخذ في تولية الحصون والمدن لشخصيات عسكرية وقبلية يثق بها ، وعزل كل من يخشى تمرده ، بل وصلت به الأمور إلى استخدام العنف من أسر وقتل عند ظهور خلاف أو عصيان<sup>(١)</sup> .

وظهرت هنا العلاقة بين الدولة والقبيلة ، وبدأت القبيلة في تقديم المساعدات للدولة عند الحاجة كدليل على الولاء والطاعة ، ففي سنة ٦٢٦ هـ قام السلطان المنصور بمحاصرة حصن تعز ، فقدمت إليه قبيلة مذبح<sup>(٢)</sup> بزعامة القيل<sup>(٣)</sup> علوان بن سعيد الجحدري<sup>(١)</sup> ، لدعم السلطان ومساندته حتى يتمكن من إسقاط هذا الحصن وغيره من الحصون المهمة التي وجد في أصحابها من يهدد استقرار دولته<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن العلاقة بين علوان والسلطان سرعان ما ساءت في سنة ٦٣٠ هـ ، فقد دخل معه في صراع أدى إلى تسلّم السلطان للأراضي والحصون الواقعة تحت يد علوان ، كما كان لمشائخ بني بطين<sup>(٣)</sup> دور كبير في دعم السلطان المنصور أثناء صراعه مع الأشراف بني حمزة سنة ٦٣٤ هـ ،

(١) لخزرجي ، المعجد لمسبوك ، ق ٩٧ أ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ص ٣٠٠ .

(٢) مذبح : قبيلة تنسب إلى عريب بن زيد بن كهلان . الهمداني ، الحسن بن أحمد بن يعقوب ، الإكليل في أخبار اليمن وأنساب حمير ، ج ١٠ ، تح : محمد بن علي بن الأكوخ ، ط ١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٩٠ م ، ص ٣١ ؛ ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ، الاشتقاق ، ط ١ ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د . ت ، ص ٣٩٧ ؛ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ، جمهرة أنساب العرب ، مراجعة النسخة لجنة من العلماء وبإشراف لئانشر : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م ، ص ٣٩٧ .

(٣) لقيل : دون الملك الأعلى وأصله كنفيل وسمي قيل لأنه يقول ما شاء فينفذ . الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، تح : مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوس ، ط ٦ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، مادة قيل . والقيل موظف رسمي له أرض واسعة يديرها ولتباع يحكمهم ، وله أيضاً حصون وقصور غنية ، بافقيه ، محمد عبد القادر ، لعربية لسعيدة دراسات تاريخية قصيرة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٤٥ ؛ " الأقبال والأنواء ونظام الحكم في اليمن القديم " ، مجلة دراسات يمنية ، العدد (٢٧) ، مركز لدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٤١ - ١٥٢ ؛ الحمد ، جواد مطر ، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠٢ م ، ص ١٦٥ .

(١) هو علوان بن عبد الله بن سعيد الجحدري ثم المنحجي نسباً ويعرف بالكردني لقباً ، تميز بصفات حميدة وجميلة ، وقد ملك مناطق مختلفة من شرق اليمن ، وكان كثير الحرب ضد ملوك الغز لا يخافهم ولا يهابهم ، وقد بذل السلطان المنصور الكثير من أجل الإيقاع به ، وفي سنة ٦٦٠ هـ ، توفي بعد صراع طويل مع بني رسول . انظر : لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٨ - ١٤١ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٠١ ، ٢٠٥ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٦ .

(٣) بنو بطين : بطن من أحمد من بني نمير من العدنانية . كحالة ، عمر رضاء ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج ١ ، ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٨٥ .



وذلك عندما دخلوا ضمن قوات المنصور ، فكان كريماً معهم ، ودفع لهم الأموال الجزيلة ، مما مكنه من الاستيلاء على حجة<sup>(٤)</sup> والمخالفة<sup>(٥)</sup> ومخاليفها في يوم واحد<sup>(٦)</sup>.

وفي محاولة نحو إقرار الأوضاع الداخلية للبلاد أرسل السلطان المنصور حملاته إلى مناطق مختلفة من اليمن ، فسير حملة إلى حضرموت بقيادة الأمير أحمد بن زكري سنة ٦٣٧ هـ فاعترضته قبائل نهد<sup>(٧)</sup> وأحلافها من قبائل حضرموت ودخلت معه في حرب قتل فيها وهزم عسكره ، علماً بأن السلطان كان قد سير حملة إلى الشحر<sup>(٨)</sup> في سنة ٦٣٦ هـ — تمكنت من الاستيلاء عليها ، ولكن الأمور عادت إلى التوتر فأرسل حملة ابن زكري التي قتل فيها<sup>(٩)</sup> .

وكان السلطان المنصور شديداً مع بعض المشائخ الذين أكن لهم في قلبه الكثير بسبب استمرار خروجهم عليه ، وقد استخدم معهم ابشع الأساليب ليكونوا عبرة لغيرهم ، كما فعل مع الشيخ عمار السبائي في سنة ٦٣٩ هـ ، عندما وشى به الشاعر محمد بن حمير عند السلطان المنصور ، وذلك لقيام بعض غلمان ابن السبائي بنهب ما معه ، فأمر السلطان بوضع ابن السبائي في سلة ثم ألقي به من رأس حصن ، وقد قيل بأن ابن حمير لم يكن السبب الحقيقي ، بل أن السلطان المنصور كان يحمل في قلبه الكثير عليه<sup>(١٠)</sup> والدليل على ذلك بشاعة القتل ، ولم يكتف السلطان بقتله فقط بل سيطر على حصونه : يمين ومنيف والسواء والسمدان<sup>(١١)</sup> وغيرها ، وبذلك أخضع أهم حصونه المشهورة بالمناعة<sup>(١٢)</sup> .

وكذلك اتجه السلطان المنصور إلى السيطرة على الحصون التي قد يجد في قبائلها ما يقلق أمن دولته ، كما مد سيطرته إلى بعض المناطق مثل بلاد خولان<sup>(١٣)</sup> في سنة ٦٤٢ هـ<sup>(١٤)</sup> ،

(٤) حجة : مدينة كبيرة في الشمال الغربي من صنعاء ، ومعظم المنطقة جبلية وجزء منها من تهامة . لويحي ، اليمن الكبرى ، ص ١٠٠ .

(٥) لمخالفة : مقاطعة كبيرة في جنوب حجة . الهمداني ، محمد بن حمير ، ديوان ابن حمير ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، دار العودة ، بيروت ، د . ت ، ص ٩٠ ، حاشية رقم ( ١ ) .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢١٢ .

(٧) نهد : قبيلة تنسب إلى قضاة بن مالك بن حمير . الحميري ، نشوان بن سعيد ، ملوك حمير وأقيال اليمن ، تح : إسماعيل أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨ م ، ص ٥٤ .

(٨) لشحر : من موالي حضرموت ، ويمتد على الساحل من حدود جبال دمع شمالاً إلى وادي المعينة غرباً . الأكوخ ، محمد بن علي ، اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط ٢ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ١٢٨ .

(٩) لحمزي ، كنز الأخيار ، ص ٩٧ ؛ شنبل ، أحمد عبد الله ، تاريخ شنبل ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، ص ٨٩ — ٩١ ؛ الحامد ، صالح ، تاريخ حضرموت ، ج ٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، د . ت ، ص ٦١٤ .

(١٠) الهمداني ، ديوان ابن حمير ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(١١) يمين ومنيف والسواء والسمدان من الحصون القريبة من تربة ذبحان في بلاد المعافر . انظر : الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ ، ٢٧٥ ، ٣١٣ .

(١٢) الهمداني ، ديوان ابن حمير ، ص ٩٣ — ٩٥ ؛ الخزرجي ، لعسجد لمسيوك ، ق ١٠٠ ب ، ١٠١ أ .

(١٣) خولان : وينسب إلى عمرو بن أحلاف بن قضاة ، ويقسم إلى خولان العالية وخلان صعدة ، وهم من نسب واحد ، وإنما

واشتد التوتر بين السلطان المنصور وعلوان الجحدري في السنة نفسها ، حيث قام السلطان بالسيطرة على بلاده وطرده إلى بلاد خولان الشام ، وبهذا يكون المنصور قد سيطر على جميع مناطق اليمن عدا بعض المناطق الخاضعة لسيطرة الأشراف الزيديين<sup>(٦)</sup> .

وقد عادت البلاد مرة أخرى للاضطراب وظهرت فيها القلاقل والفتن واتجهت بعض المناطق للخلاف ، لذلك شن المنصور عدة حملات على مناطق مختلفة من اليمن خلال الفترة من سنة ٦٤٥ إلى سنة ٦٤٧ هـ ، فهاجم بلاد العوادر<sup>(٧)</sup> وسيطر عليها واسقط حصونها<sup>(٨)</sup> ، كما غزا أهل فرسين وجربان<sup>(٩)</sup> الذين أظهروا الخلاف فتمكن من إخمادهم وأعادهم إلى طاعته . وفي هذه الفترة ظهر أول تمرد للمعازبة<sup>(١٠)</sup>

في تاريخ بني رسول في تهامة فسار السلطان إليهم على رأس قوة من العسكر وتمكن من إخماد حركتهم<sup>(١١)</sup> .

وعلاوة على ذلك جهز السلطان المنصور في سنة ٦٤٦ هـ حملة بقيادة ابن أخيه الأمير أسد الدين لإخضاع بعض المناطق القريبة من صنعاء ، فدخل مع أهل تلك المناطق في صراع أدى إلى التكتيل بهم في ذي الحجة من السنة المذكورة ، بل أنه قاد بعض تلك الحملات بنفسه في أوائل سنة ٦٤٧ هـ لزرع الخوف في قلوب القبائل المتمردة<sup>(١٢)</sup> ، وفي السنة المذكورة خرجت زبيد

قيل ذلك للفرق بين البلاد وليس للفرق بين النسب . لهدماني ، الحسن بن أحمد ، الإكليل ، ج ١ ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ٣ ، دار للتوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٣٠ ؛ ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله ، الأنباء على قبائل الرواة ، حققه وقدم له ووضع فهرسه : إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ١١٧ ؛ الحميري ، نشوان بن سعيد ، منتخبات في أخبار اليمن ، عن بصحيحه : عظيم الدين أحمد ، ط ٣ ، دار للتوير ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٩ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٢٢ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٧ - ٩٨ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٠١ ب .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

(٧) العوادر : قبيلة من السكلسك في شرقي الجند . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٨٥ .

(٨) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٢٣ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٧ .

(٩) جربان : قرية من همدان ثم عيال سريح شمال صنعاء . لهدماني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٤٤ ، حاشية رقم ( ٨ ) ، ويبدو أن فرسين أيضاً في شمال صنعاء لتوافق اتجاه الحملة والفترة .

(١٠) المعازبة : قبيلة من عك عاتية لا يزال لها بقية في ما بين بيت الفقيه والمنصورية . ابن النديم ، فرة لعيون ، ص ٣٥٣ ، حاشية رقم ( ١ ) .

(١١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٢٤ .

(١٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٧٧ ؛ مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، دار لكتاب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ ، ص ٢٤ .

ومراد<sup>(٣)</sup> عن الطاعة واشتد عصيانها ، ولتأديبهما قام عسكر السلطان بتخريب بلادهم ، ولم يكتف بذلك بل أنه في جمادى الأولى تحرك بنفسه إلى قبائل زبيد وتسلم الحصون والرهائن منهم ليضمن عدم تمردهم مرة أخرى<sup>(٤)</sup> ، وفي فترة الفوضى هذه التي عاشتها البلاد سعى علوان الجحدري إلى الخلاف وشق عصا الطاعة ، وأخذ بالتوسع في البلاد على حساب أراضي السلطان ، الأمر الذي أغضب السلطان فأعلن الحرب على علوان في ذي القعدة من السنة نفسها<sup>(٥)</sup> ، إلا أن مقتل السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول في الجند<sup>(٦)</sup> عرقل استمرار مخططاته التي هدف من ورائها إلى إخماد تمرد علوان وغيره .

ومع أن هذه الفترة قد شهدت بعض الاضطرابات ، إلا أنها لم تكن تشكل خطراً على ملك بني رسول لاتخاذها صفة العصيان في ظل فوضى تعيشها البلاد ، ويعتبر هذا العصيان مؤقتاً فقط من دون أن يهدد بقاء الدولة الرسولية ، حيث يكتفي السلطان المنصور بإرسال مجموعة من العسكر لإخضاع قبائل هذه المنطقة أو تلك ، وإذا دعت الحاجة كان يخرج على رأس هذه القوة لينشر الخوف في نفوس الخارجين عن الطاعة .

## ٢ - دور القبيلة في تثبيت سلطة المظفر يوسف ( الأول ) :

في التاسع من ذي القعدة سنة ٦٤٧ هـ قُتل السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول في قصره بالجند على يد جماعة من مماليكه<sup>(١)</sup> ، وبموته دخلت دولة بني

(٣) زبيد ومُراد : قبائل شهيرة تنسب إلى مذحج بن أد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن سبأ . لهداني ، الإكليل ، ج ٢ ، تح : محمد بن علي بن الأكوخ ، ط ٣ ، دار لتتوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٥١ - ٥٢ ، حاشية رقم ( ٩٨ ) ؛ ابن عبد البر ، الأنبا ، ص ١٢٦ - ١٢٨ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٤ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٣٤ .

(٦) الجند : بلدة مشهورة بالشرق الشمالي من مدينة تعز بمسافة ٢٢ كيلومتر ، وهي مدينة قديمة وبها بني أول مسجد في اليمن بناء معاذ بن جبل في السنة الثامنة للهجرة . المقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٥٩ .

(١) لملوك : العبد ويطلق عند أهل الشام على الأبيض من العبيد . البستاني ، بطرس ، محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧ م ، ص ٨٦٢ . ثم اقتصررت لتسمية في معظم الدول الإسلامية المتأخرة على فئة من الرقيق الأبيض يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة البيضاء لتكوين فرق عسكرية خاصة في أيام السلم وإضافتها إلى الجيش العلم أيام الحرب . علي عبد الحكيم محمود ، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ط ٢ ، دار عكاظ ، جدة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٨ ؛ العبادي ، أحمد مختار ، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٨ م ، ص ١١ . وقد استكثر السلطان المنصور من المماليك في جيشه ، فيقال أنهم بلغوا ألفي فارس وقيل ثمانمائة ، وكانت لديهم موهبة يفقدها كثير في جيش المنصور ، فكانوا يحسنون القروسية والرمي وهو مالا يحسنه مماليك مصر أنفسهم ، كما كن يحتفظ بأعداد كبيرة من المماليك الصغار يصلون إلى العدد المذكور سابقاً من مماليكه . الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ،

رسول مرحلة صراع وتنافس للوصول إلى السلطة بين أفراد البيت الرسولي ، ويظهر هنا دور القبيلة التي عُدت عاملاً أساسياً في وصول المظفر بن السلطان المنصور إلى السلطة ، فعندما مات المنصور لم تكن الأوضاع مستقرة ، فابنه المظفر يوسف كان غائباً في المهجم ولم يكن طيب النفس من والده لأنه فضل عليه أخويه المفضل والفائز بتحريض من أمهما بنت جوزة بنت سنقر الأتابك مع أن المظفر أكبر إخوته ، ولكن بنت جوزة ضغطت على زوجها السلطان المنصور من أجل أن يكون ابنها المفضل ولي العرش من بعده حتى أنه حلف العسكر لابنه المفضل<sup>(٢)</sup> ، كما انحاز المماليك بأسرهم إلى ابن عمه الأمير فخر الدين ابن الحسن بن علي بن رسول الذي كان والياً في فُشال<sup>(٣)</sup> من قبل عمه السلطان المنصور ، فنصبه المماليك سلطاناً ولقبوه بالملك المعظم<sup>(٤)</sup> ، فقادهم فخر الدين لمحاصرة زبيد في محاولة لأخذها ، وكان الأمير أسد الدين محمد بن الحسن بن علي بن رسول مقطوعاً صنعا وأعمالها ، وكان الأشراف الزيديون يسيطرون على المناطق الشمالية<sup>(٥)</sup> ، فأوضاع البلاد هذه كانت تنذر بحرب أهلية حتمية ، خاصة وأن كلاً من هؤلاء كان يطمح في الحصول على السلطة لنفسه .

لهذا كانت القبائل خير معين للمظفر بعد مقتل والده ، حيث ساعدته في القضاء على منافسيه ، فعند وصول خبر مقتل المنصور إلى ابنه المظفر جمع أهل الرأي والمشورة الذين أشاروا عليه بالنهوض إلى بعض مشايخ القبائل في وادي سررد<sup>(٦)</sup> ، مثل الشيخ علي بن عمران القرابلي و الشيخ سليمان بن جابر الذين ساعدوه في تجميع القبائل<sup>(٧)</sup> ، وبهذا تمكن المظفر من تجميع قوة يستطيع من خلالها مواجهة أعدائه ، فخرج من المهجم إلى زبيد وفي أثناء سيره كانت القبائل تتوافد إليه وكلما مر بقبيلة من العرب أستعان بما معها من خيل ورجال<sup>(٨)</sup> ، وانضم إليه أيضاً بعض زعماء القبائل ومشايخها مثل الشيخ أحمد بن أبي القاسم شيخ مشايخ سررد<sup>(٩)</sup> والشيخ محمد بن زكري الحديقي وهو من مشايخ سررد<sup>(١٠)</sup> ، وقد أنفق المظفر الأموال في الناس مما جعل بقية القبائل تتسابق إليه . ومن هنا بدأت ملامح النصر

ج ١ ، ص ٨٢ .

(٢) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٠ ؛ ابن الجزري ، حوادث الزمان ، ص ٣٧١ .

(٣) فُشال : بلدة تهامية خربة من أعمال رمع شمال زبيد ، عمرت محلها قرية الحسينية . لمحقفي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٢١٥ .

(٤) الكبسي ، اللطائف السنية ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٨٩ ؛ العسجد لمسيوك ، ق ١٠٦ ب .

(٦) مُرْدَد : وادٍ مشهور بين وادي مور شمالاً ووادي سهام جنوباً . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية ، ص ١٤٨ .

(٧) الهمداني ، ديوان ابن حمير ، ص ١٠٨ ، حاشية رقم ( ٢ ) ؛ ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٤٦ .

(٨) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٨ .

(٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩٠ ؛ العسجد لمسيوك ، ق ١٠٦ ب .

(١٠) الهمداني ، ديوان ابن حمير ، ص ١٠٢ ، حاشية رقم ( ٣ ) .

تظهر أمام المظفر واشتد أزره بهذه القوة<sup>(٥)</sup> ، ولم يصبح أمامه إلا أن يخطو الخطوة الأخيرة وذلك بمهاجمة قوات فخر الدين الذي قرر اللحاق بأخيه أسد الدين في صنعاء ، وفي تلك الأثناء حدثت مكاتبة بين رؤساء المماليك الذين تورطوا مع فخر الدين وبين المظفر ، مما أدى إلى شق صفوف قوات فخر الدين ، لا سيما وأن المماليك هم أكثر قواته ، فطلبوا من المظفر الدزمة ، وسريعاً ما أذمهم بشرط إيقاف فخر الدين والقبض عليه هو ومن معه من المماليك المتورطين في قتل السلطان المنصور ، ففعلوا ذلك وساروا جميعاً إلى المظفر<sup>(٦)</sup> . وتشير المصادر إلى أن المظفر استعان ببعض القبائل للقبض على الأمير فخر الدين ، فاستعان ببني ثابت<sup>(٧)</sup> من أجل قطع الطريق عليه ومنعه من الوصول إلى أخيه أسد الدين في صنعاء ، ففعل بنو ثابت ذلك ، وتم القبض عليه وعلى من معه من المماليك وسُلموا إلى المظفر يوسف<sup>(٨)</sup> .

وكيفما كان الأمر فقد كان المظفر حكيماً عاقلاً في تعامله مع مشايخ القبائل الذين وقفوا إلى جانبه وساندوه<sup>(٩)</sup> ، ونلاحظ هذا من خلال بعض الأحداث التي شهدتها حملته<sup>(١٠)</sup> ، لذلك جمع المشايخ وجدد الأيمان لهم وأحسن إليهم وأكرمهم وأقطع كلاً منهم قطيعة مكافأة لهم لما قدموه له من مساندة وتأييد حتى وصل إلى كرسي السلطنة ، وعاد المشايخ بعد أن استأذنوا من السلطان المظفر إلى مناطقهم راضين بما حصلوا عليه<sup>(١١)</sup> .

وكان السلطان المظفر حكيماً أيضاً في تعامله مع بعض الشخصيات القبليّة التي حاولت إثارة الفتنة ضده مثل الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي<sup>(١٢)</sup> الذي كان ظاهره مع المظفر وباطنه مع الأمير أسد الدين وأخيه فخر الدين<sup>(١٣)</sup> .

### ٣ - سياسة السلطان المظفر ( الأول ) في التعامل مع القبائل :

استقر السلطان المظفر يوسف (الأول) ( ٦٤٧ - ٦٩٤ هـ ) في تعز بعد أن أخضع البلاد في سنة ٦٤٨ هـ ، وهناك وصلت إليه مشايخ القبائل من كل مناطق اليمن مقدمين له

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٤٦ .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٧) بنو ثابت : بطن من الأشاعر . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٩ ، ٦٧ .

(٨) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥٠ .

(١٠) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر أناء : ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(١١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(١٢) عن الأمير شمس الدين علي بن يحيى العنسي انظر أناء : ص ١٥٧ .

(١٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩١ - ٩٢ ؛ الأهل ، بدر الدين الحسين بن عبد الرحمن ، تحفة لزمن في تاريخ

اليمن ، تح : عبد الله الحبشي ، ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

الطاعة والولاء ومهنيين له بالنصر الذي حققه ، وكان في مقدمة تلك القبائل قبيلة المقاصرة<sup>(٣)</sup> ، إضافة إلى مشائخ الجهات التهامية كابن أبي زكري وإبن كنانة ، حيث طلبوا من السلطان المظفر تجديد الصدقات التي قد وهبها لهم سابقاً ، ففعل ذلك وعادوا إلى بلادهم فرحين بما وهبهم السلطان<sup>(٤)</sup> .

وفي هذا الصدد ، وقعت قبائل مذحج موقفاً مسانداً بقيادة الشيخ علوان الجحدري إلى جانب السلطان المظفر في أثناء حصار حصن تعز الذي يتركز فيه أخواه المفضل والفائز وأمهما بنت جوزة خالة المظفر ، وظلوا محاصرين للحصن حتى تسلمه<sup>(٥)</sup> .

وفي السنة المذكورة وصل إلى اليمن من الديار المصرية الأميران بدر الدين الحسن وفخر الدين أبو بكر أبناء علي بن رسول بعد الإقراج عنهما ، مما أثار مخاوف السلطان المظفر من منافسته على الحكم ، لذلك أمر بتقييدهما وزجهما في حصن تعز ، وقد أثار هذا العمل الأمير أسد الدين ، والذي خالف في صنعاء وتحالف مع بني حبيش<sup>(٦)</sup> وإنضم إليه كثير من القبائل ، فتصدى له السلطان المظفر ودخل معه في حرب ، وأمام قوة وإمكانات المظفر لم يكن أمام أسد الدين إلا الاتجاه نحو المشرق ، فبلغ في مسيره عمقين<sup>(٧)</sup> وعمدان<sup>(٨)</sup> وجردان<sup>(٩)</sup> ، ولكن قوات السلطان المظفر كانت خلفهم فلم يجد الأمير أسد الدين مكاناً يلجأ إليه إلا الشيخ علوان الجحدري ، الذي أخذ يلاطف السلطان ويسايره إلى أن عفا عنه وعن أسد الدين سنة ٦٥٠ هـ<sup>(١٠)</sup> .

(٣) لمقاصرة : قبيلة من عك ، مساكنهم بالمقصية في تهامة . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ ، ٨٣ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٧٥ .

(٥) الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٩٤ .

(٦) بنو حبيش : قوم من مذحج ويقال لبلادهم الحبيشية وتقع في الجنوب الغربي من رداع . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٠١ ، حاشية رقم (٢) ؛ عماد الدين إبريس بن الحسين بن حاتم بن الألف ، روضة الأخبار ونزهة الأسفار في حوادث اليمن لكبار والحصون والأمصار ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، دار المعرفة ، صنعاء ، ١٩٩٥ م ، ص ٣٤ ، حاشية رقم ( ٨ ) .

(٧) عمقين أو عَمَاقِينَ : وادٍ مشهور شرقي عَقَق ينحدر من سلسلة الجبلية لشمالية ويصب في وادي ميفعة لنازل إلى خليج عدن . المقحفي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١١٢٣ ؛ حيتور ، ناصر صالح ، وادي ميفعة دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم ، رسالة ماجستير ، عدن ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ١١ .

(٨) عمدان أو عمدان وادٍ كبير وقرية أثرية مشهورة في جنوب رملة السبعين من أعمال شبوة . المقحفي ، معجم ، ص ٩٩٩ .

(٩) جردان : من أودية شبوة المعروفة بين مرخة وعماقين وحبان . لسقاف ، عبد الرحمن بن عبد الله ، معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، تح : إبراهيم أحمد المقحفي وعبد الرحمن حسن لسقاف ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١١٣ ؛ بافقيه ، محمد عبد القادر ، تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٠ .

(١٠) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٨٦ — ٢٨٧ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

وحتى يتمكن السلطان المظفر من إقرار الأوضاع الداخلية قام بإخضاع الحصون التي قد تكون مواقع لأي تمرد أو عصيان ، وكذا تسلم في سنة ٦٥١ هـ حصون بعض المشائخ مثل حصون الشيخ الورد محمد بن ناجي<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ٦٥٧ هـ قرر الأمير أسد الدين الاتجاه إلى حضرموت فطلب من السلطان المظفر أن يجهزه لذلك فسانده وزوده بكل ما يحتاج إليه من مال وغيره ، وخرج إلى الجوف<sup>(٥)</sup> وهناك أثار الفتنة بين آل جحاف وآل ضيغم وآل راشد بن منيف<sup>(٦)</sup> أنصار السلطان المظفر ، وقامت الحرب بينهما وقتل جماعة من آل راشد أنصار السلطان مما أغضب السلطان عند وصول هذا الخبر إليه ، فتدهورت العلاقة بينه وبين أسد الدين ، ولم يعد في استطاعة أسد الدين العودة إلى السلطان أو الاتجاه نحو المشرق ، خاصة وأن بعض القبائل مثل بني حبيش وبني مكرمان<sup>(٧)</sup> وغيرهم أخذوا يترصبون له ويتآمرون على قتله ، مما أخافه ، فتقدم جهة ظفار الأشراف<sup>(٨)</sup> وظل هناك<sup>(٩)</sup> ، وقد حاول اللجوء إلى بني حاتم أحلاف السلطان في زممر<sup>(١٠)</sup> ، إلا أن تمسكهم بالمظفر وإخلاصهم له حال دون ذلك ، فرفضوا استقباله ولم يسمحوا له بدخول الحصن<sup>(١١)</sup> .

لقد كانت همدان<sup>(١٢)</sup> أكثر القبائل تأييداً للسلطان المظفر ، ولكنها في سنة ٦٦١ هـ خالفت ، وذلك عندما ظهر الشقاق بين بني حاتم الهمدانيين في زممر حول إيواء الأمير أسد الدين ، فكان منهم المؤيد ومنهم المعارض على ذلك ، على اعتبار أنهم حلف السلطان وهذا العمل يغضبه ، وولد ذلك حقداً وبغضاء بين بني حاتم ، وفي هذه الأثناء خرج الأمير علم الدين الشعبي مرسل من قبل السلطان للمحطة على بيت أنعم<sup>(١٣)</sup> ، الذي استولى عليه قوم من همدان ، و أراد إخراجهم منه بالقوة ، مما أثار الفتنة بين الشعبي وحمدان الذين رفضوا

(٤) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١١٣ ب ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٣٠ ؛ ابن النبيع ، قرّة لعيون ص ٣٢١ .

(٥) لجوف : مدينة في الشرق الشمالي من مدينة صنعاء على مسافة أربع مراحل ( ١٢٢ كيلو متراً ) . لحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٦) عن أنساب آل جحاف وآل ضيغم وآل راشد بن منيف ، انظر : الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٢١ — ١٢٤ .

(٧) بنو مكرمان : هم رؤساء مراد بيحان ، ينحدرون من ولد الأشرس بن كنده . المقحفي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٦٢٤ .

(٨) ظفار الأشراف : وتعرف بظفار داود نسبة إلى داود بن الإمام المنصور ويقع في بلد حاشد . ابن النبيع ، قرّة لعيون ، ص ٣٢٦ ، حاشية رقم ( ٣ ) .

(٩) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٣٣٩ ؛ الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١١٧ ب .

(١٠) زممر : حصن تاريخي شهير في الشمال الشرقي من صنعاء بمسافة ( ١٨ كيلومتر ) . لمقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٦٥١ .

(١١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٣٤٣ .

(١٢) همدان : قبيلة كبيرة تنسب إلى مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن قحطان . يعقوبي ، تاريخ يعقوبي ، مج ١ ، ص ٢٠٢ ؛

الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٣٥ — ٣٦ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٩٢ .

(١٣) بيت أنعم : يقع في أعلى وادي ضهر من همدان صنعاء . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ٤٩ .

التفاوض معه وظلوا في الحصن إلى أن طلبوا الأمان من السلطان فأمنهم وعرضهم عن هذا الحصن بغيره (٣) .

وفي سنة ٦٦٢ هـ قدم إلى الأبواب السلطانية الشيخ عبد الله بن حسن الوهبي مرسلاً من قومه بني وهيب (٤) يعرضون عليه حصن مدع (٥) ، بسبب محاولات الأشراف المختلفة للسيطرة عليه ، فقبل السلطان بعد الاستشارة وعرضهم عنه بحصن بيت أنعم ومالاً اشترطوه (٦) .

وفضلاً عن ذلك ، كانت قبائل مذحج من القبائل التي ظلت وفية للسلطان المظفر ومساندة له في كثير من المواقف ، حتى أنها شاركت مع قوات السلطان التي هاجمت عدد من الحصون وأخضعتها في سنة ٦٦٤ هـ (٧) .

وفي الوقت نفسه قامت قبائل همدان بدور كبير في مساندة قوات السلطان في صنعاء ، وصعدة (٨) ضد الأشراف في سنة ٦٦٦ هـ ، فقد نهج الأشراف سياسة أتعبت الأمير علم الدين الشعبي ، فكانوا يتجهون إلى صعدة إذا دخل صنعاء ، وإذا عاد إلى صعدة إتجهوا إلى صنعاء ، مما أدى إلى إرهابه وأتعب قواته ، وكان السلطان المظفر في حيرة من هذا الأمر ، لذلك استعان بقبائل همدان وقبائل أخرى إضافة إلى الأشراف المواليين له ، وأمر أن تحمل لهم العطايا لمدة سنة كاملة مقابل حلولهم في صعدة بعيالهم وأموالهم وأن تصبح صعدة لهم دار مقام من ثم يمنع الأشراف دخول صعدة ويستريح من همهم ومن إرسال الحملات في كل حين (٩) . وفي السنة المذكورة عاد علوان الجحدري مرة أخرى إلى الخلاف لذلك تسلم السلطان المظفر كافة حصونه خوفاً من أي عصيان قد يظهر منه ، خاصة حصن العرائس (١٠) .

ظلت قبائل همدان ومذحج القوة العسكرية التي يستعين بها المظفر عند الشدة ، ففي سنة ٦٧١ هـ كان بدر الدين محمد بن حاتم ومعه مئة فارس من همدان والأمير محمد بن ربيع ومعه ألف رجل من مذحج ضمن القوات التي اتجهت إلى بعض المناطق لإخضاعها

(٣) عن سبب خضوع همدان في بيت أنعم للسلطان انظر أنناه : ص ١٧١ - ١٧٢ .

(٤) بنو وهيب : قوم من همدان . ابن النبيع ، قرّة العيون ، ص ١٦٧ ، حاشية رقم ( ١ ) .

(٥) مدع : حصن مشهور من حمير ، من أعمال ثلا في الشمال الغربي من صنعاء على نحو (٦٠ كيلومتر) . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ٢٦٤ .

(٦) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٣٥٨ - ٣٦٢ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٧ .

(٧) يحيى بن الحسين ، غاية الأمل ، ج ١ ، ص ٤٥٢ .

(٨) صعدة : مدينة شمال اليمن جنوب غرب نجران بمسافة أربع ساعات بالسيارة ، وتسكنها فرق من همدان . المروني ، محمد بن عبد الملك ، لثاء الحسن على أهل اليمن ، ط ٢ ، دار الندى ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(٩) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٣٩٧ - ٣٩٨ .

(١٠) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ١٦٨ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٣٧ .



والسيطرة عليها بعد تمرد أهلها<sup>(٣)</sup> ، وفي السنة ٦٧٣ هـ أظهر الحواليون<sup>(٤)</sup> الخلاف وأخذوا حصن كوكبان ، فكان ذلك سبباً في خروج كثير من القبائل عن الطاعة<sup>(٥)</sup> .

وقد ظلت القبائل مصدر قلق بالنسبة إلى الدولة الرسولية في عهد المظفر ، وفي الوقت نفسه كانت أيضاً خير معين له في بعض المواقف ، فعن طريق مساندتها تمكن المظفر من تسلم بيت حنبص<sup>(٦)</sup> في ربيع الأول سنة ٦٧٢ هـ قهراً بالسيف<sup>(٧)</sup> ، كما تمكن المظفر من دخول ظفار الحبوضي<sup>(٨)</sup> وقتل صاحبها سالم بن إدريس الحبوضي ، وإخضاع حضرموت و الشحر و انقياد قبائلها للسلطان في سنة ٦٧٨ هـ<sup>(٩)</sup> .

ولهذا كانت العلاقة بين السلطان المظفر والقبائل هي علاقة تقوم على أساس المصلحة التي تُرتجى من السلطان بعد تحقيق الهدف ، ونلاحظ ذلك من خلال الهدايا والهبات والقطائع التي يمنحها السلطان للقبائل ومشائخها مقابل الولاء والطاعة ، كما أن سياسة المظفر في تقديم الجوامك<sup>(١٠)</sup> أدت إلى كسب كثير من القبائل ، لذلك ساد فترة حكمه نوع من الهدوء النسبي لا سيما في علاقته مع القبائل التي كانت هي القوة والسند في مواجهة الأخطار التي تهدد دولة بني رسول .

#### ٤ - الموقف القبلي تجاه الصراع بين الأشرف والمؤيد :

لقد كان لوفاة السلطان المظفر يوسف ( الأول ) في سنة ٦٩٤ هـ أثره على الأوضاع في اليمن ، وذلك بسبب الصراع الذي ظهر في داخل الأسرة الرسولية ، حيث أنه بعد إعلان وفاة السلطان في تعز خلفه في الحكم ابنه الأشرف عمر بن يوسف ( ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ ) الذي تمكن من إخضاع الحصون والمدن وسائر البلاد ، ولكنه دخل في صراع مع أخيه المؤيد داود بن يوسف والي الشحر من قبل أبيه السلطان المظفر ، وقد أدت قبائل الجحافل<sup>(١١)</sup> دوراً كبيراً في مساندة المؤيد إلا أن خذلانهم له وهم معظم قواته أدى إلى هزيمته

(٣) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٤٢٠ ، ٤٢٥ .

(٤) بُنُو حَوَالٍ : قبيلة من حمير ، منهم لملوك بنو يعفر لحواليون مشاهير القرنين الثالث والرابع الهجريين . لجري ، مجموع ،

مج ١ ، ص ٢٩٩ ؛ العمري ، حسين عبد الله ، اليعفريون ، الموسوعة اليمنية ، ج ٤ ، ط ٢ ، مؤسسة الغيف الثقافية ،

صنعاء ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٣٢٢٢ .

(٥) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ١٨٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٢٣ ب .

(٦) بَيْتُ حَنْبَصٍ : بلدة غربي صنعاء في ظاهر جبل عيان فوق حدة . المقحف ، معجم ، ج ١ ، ص ٥١٨ .

(٧) ابن حاتم ، لسمط الغلي الثمن ، ص ٤٣١ ، الحمزي ؛ كنز الأخيار ، ص ١١٠ .

(٨) تنسب إلى أسرة آل الحَبُوضِي وتقع بين عمان وحضرموت . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١٩٣ .

(٩) عن حملة لسلطان المظفر على ظفار الحبوضي وأسبابها انظر : ابن حاتم ، لسمط الغالي الثمن ، ص ٥٠٥ - ٥٢٣ ؛

الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٢٠٧ - ٢١٦ .

(١٠) الجَوَامِكُ : من مصطلحات الدوليين ، ومعناها المرتب أو العطاء الذي يناله موظف الدولة . ابن عبد المجيد ، بهجة لزمن ،

ص ١٠٥ ، حاشية رقم ( ٥ ) ؛ دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٥١ .

(١١) الجَحَافِلُ : من قبائل مذحج و تسكن أبين ومنهم من يسكن بين دثينة و أبين . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٣٩ .

والقبض عليه وعلى ولديه المظفر والظافر ووضعهما في حصن تعز<sup>(٢)</sup>. وقد واجه السلطان الأشرف عدداً من المتاعب التي أظهرتها القبائل له مثل قبائل منحج في سنة ٦٩٥ هـ<sup>(٣)</sup>. ولم تدم فترة حكم السلطان الأشرف طويلاً إذ سرعان ما وافته المنية في سنة ٦٩٦ هـ، وتولى بعده أخوه المؤيد داود يوسف (٦٩٦ - ٧٢١ هـ)، وكانت إجراءات المؤيد أن قام بإقطاع ولده المظفر صنعاء، وأقطع ولده الظافر جهة القحراء<sup>(٤)</sup>، وكانت أول أعمال المظفر بن المؤيد في صنعاء هي استعادة حصن أود<sup>(٥)</sup> من بني الحارث<sup>(٦)</sup> بعد سيطرتهم عليه، ويبدو أنه قد واجه مقاومة من بني الحارث، لذلك اضطر إلى استخدام القوة حتى أعلنوا استسلامهم وسلموا الحصن للمظفر بن المؤيد<sup>(٧)</sup>، وفي ربيع الآخر من السنة المذكورة ٦٩٦ هـ حط الأمير سيف الدين طغرل على حصن شخب<sup>(٨)</sup> ووضع فيه من يحميه وقبض على جماعة من مشائخ منحج<sup>(٩)</sup> يبدو أنهم كانوا يتحصنون في داخله. وكانت قبائل صنعاء ومشائخها من أوائل المناصرين للسلطان المؤيد حيث قدموا إليه بعد استقراره في صنعاء سنة ٦٩٨ هـ، وقد لعبوا دوراً كبيراً في إتمام الصلح بينه وبين الأشرف، واستقرت الأوضاع في صنعاء بعد أن تسلم السلطان عدداً من الحصون في المنطقة<sup>(١٠)</sup>، وبعد عودة المؤيد أقطع ولده الظافر صنعاء سنة ٧٠٠ هـ، فكانت القبائل في استقباله إلى نقيل صيد<sup>(١١)</sup>، وهناك قام بالقبض على جماعة من أهل صعدة لأمر فعلوه لم تذكره المصادر، ولضمان خضوعهم وعدم تمردهم أخذ ما معهم من خيل<sup>(١٢)</sup>.

كما تسكن الجحافل في لحج. العبدلي، أحمد فضل بن علي، هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، ط ٢، دار العودة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٧٨؛ لقمان، حمزة علي تاريخ لقبائل اليمن، ط ١، دار الكلمة، صنعاء، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م، ص ٢٤٥.

- (٢) الخزرجي، طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، ميكرو فيلم، لمكتبة لوطنية بعن، برقم (٢١٠)، ق ٢٨ أ.
- (٣) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٢٩١؛ المسجد المسبوك، ق ١٤٠ أ.
- (٤) القحراء: قبيلة من عك ومسكنهم في بلدة القحرية في تهامة. لملك الأشرف، طرفة الأصحاب، ص ٨٣.
- (٥) أود: حصن يقع في قرية القابل من قرى بني الحارث أسفل وادي ظهر. الحجري، مجموع، مج ١، ج ٢، ص ٢١٢.
- (٦) بنو الحارث: من ولد الحارث بن كعب بن جلد بن مذحج. الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ١٠٥. وثقع ديارهم بناحية نجران وتسكن قبائل منهم رداع وبيحان وفي شمال صنعاء. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.
- (٧) الحمزي، كنز الأخبار، ص ١٢٢؛ ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ١٠٣.
- (٨) شخب: حصن في بلاد مذحج. الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٧٢.
- (٩) الحمزي، كنز الأخبار، ص ١٢٣؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٠٩.
- (١٠) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص ١٠٨؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣١٧.
- (١١) نقيل صيد: وهو ما يعرف بنقل سمارة، ويقع وسطاً بين حقل يحصب شرقاً ومخلاف جعفر غرباً وجنوباً، ويبعد عن حقل نمار بنحو (٥٠ كيلومتر). الأكوخ، إسماعيل بن علي، البلدان اليمنية، ص ١٨٤؛ باوزير، سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية، ط ٢، مؤسسة لصبيان، عدن، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م، ص ٢٠٠.
- (١٢) لخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٣٢٨.

وقد شهدت العلاقة بين السلطان المؤيد ومذحج في سنة ٧٠٣ هـ تطوراً كبيراً حتى أن قوات المؤيد التي أرسلها إلى صعدة في آخر ذي القعدة كان قاداتها من هذه القبيلة التي كانت برجالها تمثل قوة كبيرة اعتمدت عليها دولة بني رسول عبر تاريخها<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ٧٠٦ هـ اضطراب منطقة وصاب ، بسبب قيام ابن أصهب<sup>(٥)</sup> بأخذ حصن النشابة وهو من أعظم حصون وصاب لمناعته وارتفاعه ، فسير المؤيد إلى ابن أصهب قوة كبيرة تمكنت من إخضاعه وإعادته إلى طاعة السلطان<sup>(٦)</sup> ، كما شهدت ناحية حرض توتراً شديداً في سنة ٧٠٧ هـ لقيام النجوع<sup>(٧)</sup> بمحاولة غزوها للقيام بأعمال السلب والنهب ، فتمكنت قوات السلطان من تشتيت شملهم قبل تنفيذ ما عزموا عليه<sup>(٨)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فقد استعان المؤيد في ربيع الأول سنة ٧٠٩ هـ برجال قبائل همدان وعيال سريح<sup>(٩)</sup> وغيرهم ، وذلك عندما خرج الأكراد<sup>(١٠)</sup> عن الطاعة في زمار ، الأمر الذي أغضب السلطان، فأرسل قوة من رجال تلك القبائل المذكورة ، فتمكنوا من دخول زمار وتفريق شمل الأكراد<sup>(١١)</sup> ، ولم تشر المصادر إلى اضطراب العلاقات بين بني رسول والقبائل خلال الفترة المتبقية من سنة ٧١٣ هـ حتى نهاية حكم المؤيد سوى بعض الحملات التي أرسلها السلطان لإخضاع بعض المناطق<sup>(١٢)</sup> ، والاضطرابات التي أحدثها الأشراف الزيديون .

#### ٥ - استغلال القبائل للخلافات في البيت الرسولي :

كانت فترة حكم السلطان المجاهد ( ٧٢١ - ٧٦٤ هـ ) الذي تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان المؤيد في سنة ٧٢١ هـ أكثر الفترات اضطراباً في عهد بني رسول ، وذلك نتيجة لما واجهته دولة بني رسول من أخطار بسبب الخلافات في البيت الرسولي وكثرة خروج القبائل عليه ، إضافة إلى التدخلات الأجنبية التي أثارت النقمة ضده لتخاذله وعدم حزمه في التعامل مع هذه التدخلات .

(٤) لخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٥٢ أ .

(٥) بنو أصهب : من الأسر الحاكمة في وصاب وهي من حي ثم من حمير . الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ١٣٨ .

(٦) لحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٦ ؛ لخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

(٧) لنجع : بطن من حمير . لمقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ١٧٢٣ .

(٨) لحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٧ ؛ لخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٥٥ ب .

(٩) يعود نسبهم إلى سريح بن سهل من أبناء الدعلم الأصغر من بكيل ، وتقع ناحيتهم شمال صنعاء بمسافة ساعة بالسيارة .

المروني ، الثناء الحسن ، ص ٧٥ .

(١٠) الأكراد : هم البقية الباقية من عسكر الأيوبيين ، وكانوا قد تجمعوا بعاتلاتهم في مدينة زمار منذ بداية دولة بني رسول وظلوا موالين لها ضد مناوئها والخارجين عليها ، ويبدو أنه كان لهم تجمع كبير في زمار مكثهم من غزو صنعاء وقتل واليها .

الحداد ، محمد يحيى ، التاريخ العام لليمن ، ج ٣ ، ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٤٢ .

(١١) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٤١ - ١٤٣ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

(١٢) انظر : الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

وكان أول ما قام به المجاهد عند توليته السلطنة هو عزل ولادة والده وأمرائه كافة وتعيين بدلاً منهم ، الأمر الذي أثار بعضهم ، زد على ذلك أنه قام بقطع جامكيات الجند ، مما أدى إلى تمردهم ، فقبضوا عليه وأتوا به أسيراً إلى عمه المنصور أيوب بن المظفر في جمادى الآخرة سنة ٧٢٢ هـ<sup>(١)</sup> . وكالعادة كانت القبيلة هي الطرف الذي يلجأ إليه بعضهم عند الحاجة ، فقد اتجه غلمان السلطان المجاهد إلى بلاد العربيين<sup>(٢)</sup> بالاتفاق مع جهة صلاح أم المجاهد التي بذلت لرجال العربيين الأموال الكثيرة لخلاص ولدها ، حيث تمكن هؤلاء بمساعدة الرتبة<sup>(٣)</sup> في الحصن الذين مازالوا يميلون إلى المؤيد وولده المجاهد من خلاص المجاهد والقبض على عمه المنصور الذي استمر معتقلاً لديه حتى مات<sup>(٤)</sup> .

وتلا ذلك اشتداد الصراع بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر عبد الله بن المنصور لامتناع الظاهر عن تسليم حصن الدملوة للمجاهد ، فأرسل المجاهد إليه قوة من العسكر ، وقد لعب جماعة من الأشعوب<sup>(٥)</sup> دوراً في مساعدة عسكر السلطان للوصول إلى الدملوة ، وقامت الحرب ، فخادعهم الظاهر بأن أعطى مالاً لبعض قيادات المجاهد الذين ارتفعوا عن المحطة وتبعهم كثير من الناس ، مما أدى إلى هزيمة عسكر السلطان<sup>(٦)</sup> .

وقد اشتدت تمردات القبائل ومشائخها خلال فترة الصراع بين المجاهد والظاهر ففي سنة ٧٢٢ هـ ثارت القبائل في جهة جبلة ، واستغلت بعض القبائل ذلك الصراع فقامت بالانضمام إلى أحد الحاكمين ، كما فعلت قبائل ذمار<sup>(١)</sup> بانضمامها إلى الظاهر<sup>(٢)</sup> ، واتجه العوادر إلى الخلاف أيضاً ضد المجاهد في جمادى الأولى سنة ٧٢٦ هـ<sup>(٣)</sup> ، وفي الشهر

(١) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٢٩ — ١٣٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م ، ص ٤٩ .

(٢) لغربيون : قبيلة من لسكاسك وديارهم في بلد كبير جنوب مدينة الجند . ابن النبيع ، قرّة العيون ، ص ٣٥٠ ، حاشية رقم (٣) .

(٣) لرُكَّب : وهم الجنود الذين يجعلهم الملك حفظة للمدن والحصون ويقال لهم أيضاً لحامية . ابن النبيع ، قرّة العيون ، ص ٣٧٣ ، حاشية رقم (٣) .

(٤) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣١ — ١٣٢ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٤ — ٥ .

(٥) الأشعوب : من قبائل حمير . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٠ .

(٦) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٣ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٥ — ٦ .

(١) ذَمَلَر : مدينة تنسب إلى الملك ذمار علي ، وتقع في جنوب صنعاء بمسافة ساعة ونصف بالسيارة . الأكوخ ، محمد بن علي ، اليمن لخضراء ، ص ٧٩ .

(٢) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(٣) لخزرجي ، المسجد لمسيوك ، ق ١٨٠ ب ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٥٨ .

نفسه زاد خطر أهل إيب<sup>(٤)</sup> بعد تحالفهم مع الظاهر ، لذلك كان العنف هو رد الفعل الذي تعامل به المجاهد معهم<sup>(٥)</sup> .

وفي سنة ٧٢٧ هـ ساعدت قبائل منحج قوات السلطان المجاهد ولعبت دوراً كبيراً في محاولات فتح جبل صبر<sup>(٦)</sup> ، وشهدت هذه الفترة توتراً في العلاقات بين المجاهد والأشعوب و الأهمول فقامت العديد من المعارك بين الفريقين في سنة ٧٢٨ - ٧٢٩ هـ<sup>(٧)</sup> . وعم الهدوء النسبي دولة السلطان المجاهد في سنة ٧٣٣ هـ ، لا سيما بعد أن سيطر المجاهد على سائر الحصون وقام بتوسيع رقعة دولته ، ودانت له القبائل ودخل الجميع تحت طاعته ، الأمر الذي أدى إلى توجيه ضربة للظاهر المتمركز في حصن السمدان المحاصر ، وقد انسحب أصحاب الظاهر عنه ، بسبب تحسن أوضاع المجاهد ، لذلك طلب الذمة من المجاهد فأجابته إلى ذلك<sup>(٨)</sup> وتحقق الأمن في دولة المجاهد وقل الصراع بدخول جميع المخالفين تحت طاعته . وما كاد الوضع يستقر حتى عادت البلاد للاضطراب مرة أخرى في الفترة من سنة ٧٤٠ إلى سنة ٧٥١ هـ ، فتصدى المجاهد للمتمردين وأخضعهم بالقوة<sup>(٩)</sup> .

وفي سنة ٧٥١ هـ قرر السلطان المجاهد الحج وهناك قبض عليه و أرسل إلى مصر<sup>(١٠)</sup> وكان غيابه سبباً في اضطراب أحوال البلاد ، فخالف أهل بعلان واستغل الأشعوب فرصة غيابه وأعلنوا تمردهم ، على الرغم من محاولات أم المجاهد لضبط الأمور في البلاد حتى يعود ابنها من مصر ، وعند وصول المجاهد من الديار المصرية في سنة ٧٥٢ هـ كان أول عمل يقوم به هو تجهيز عسكر إلى بعلان لتأديبهم على ما فعلوه ، وهذا زاد من حدة الفوضى داخل البلاد ، لا سيما بين المجاهد وأبي بكر بن معوضة صاحب بعلان ، الذي أرسل إليه السلطان حملة عسكرية كبيرة أحاطت بالجبل ، إلا أن فشل هذه الحملة في رجب سنة ٧٥٤ هـ شجع بقية القبائل على التمرد والخروج عن الطاعة خاصة في التهائم<sup>(١١)</sup> .

(٤) إيب : مدينة تقع في السفح الغربي لجبل بعلان وتتميز بكثرة خيرها ووفرة أمطارها . الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ٤١ .

(٥) بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطوبى بن عبد الله ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ط ٢ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٤٤ .

(٦) صبر : جبل مشهور تقع في سفحه الشمالي مدينة تعز بما في ذلك قلعة تعز ( لقاهرة ) . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١٧٢ .

(٧) الخزرجي ، المسجد لمسيوك ، ق ١٨١ ، ب ١٨٣ ، أ ١٨٤ ، ١٨٥ .

(٨) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤٦ ؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٠ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ص ٤٩ .

(٩) لخزرجي ، المسجد لمسيوك ، ق ١٨٩ ، أ ١٩٢ ، ب مجهول ؛ تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٦١ .

(١٠) عن سبب القبض على المجاهد وإرساله إلى مصر انظر : لخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥ .

(١١) لخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٧ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٦٥ .

ويمكن القول أن العلاقة بين القبائل والسلطان في السنوات الأخيرة من حكمه قد ساءت إلى أبعد الحدود، مما أثر في أوضاع البلاد، ويبدو أن أكثر الأسباب التي أدت إلى تدهور أوضاع البلاد في أواخر عهد المجاهد هو خروج الأمير محمد بن ميكائيل<sup>(٢)</sup> عن الطاعة، وتمرد الملك المظفر بن المجاهد على والده وتحالفه مع العقارب<sup>(٣)</sup> في محاولة للدخول إلى عدن ولكنها كانت فاشلة<sup>(٤)</sup>، لذلك كانت الفترة الأخيرة من حياة المجاهد من أكثر فترات الفوضى والاضطراب والاختلاف السياسي، وتعد من الفترات الحرجة التي عاشتها اليمن خلال تاريخ بني رسول<sup>(٥)</sup>.

## ٦ - تدهور الأوضاع القبلية بعد وفاة المجاهد :

جاءت وفاة السلطان المجاهد في سنة ٧٦٤هـ في ظل أوضاع صعبة تعيشها البلاد، وقد تولى بعده ابنه الأفضل عباس بن المجاهد علي بن داود (٧٦٤-٧٧٨هـ) وخطر ابن ميكائيل قد استفحل، لذلك تصدى له السلطان الأفضل حتى تمكن من طرده من بلاده وقضى على تمرده<sup>(٦)</sup>، وكانت سياسة السلطان الأفضل التي اتبعها مع الخارجيين عن الطاعة من القبائل وغيرهم تقوم على أساس استخدام القوة والعنف، لهذا استخدم القوة في سنة ٧٧٠هـ ضد مشائخ العنسيين<sup>(٧)</sup> والجعاشين<sup>(٨)</sup>، وأخذ في إرسال الحملات إلى بعض المناطق لإخضاعها وأرسل قوة إلى جيزان<sup>(٩)</sup> في سنة ٧٧٣هـ، بسبب تمرد أهلها بمساعدة

(٢) هو الأمير محمد بن ميكائيل لفاطمي كان رجلاً جليلاً عاقلاً نبيلاً كريماً وكان يُلقب بملك الأمراء في فترة إمارته ونفاذه لبني رسول، وفي صفر سنة ٧٦٣هـ ادعى السلطنة وخطب له في المهجم والمحالب وحرّض ونواحيها، وضرب لسكة باسمه وتسمى في الخطبة بالشريف الحبيب النسيب. الخزرجي، العقود للولوية، ج ٢، ص ١٠٢، ١٦٦.

(٣) ينسب العقارب إلى بني مجيد من قضاة بن مالك بن حمير. الملك الأشرف، طرفه الأصحاب، ص ٧٨. ومساكنهم في لحج. العبدلي، هدية لزمن، ص ٨٣. وفي المنطقة المحيطة بعدن وأهم قراهم بنو أحمد. لريحاني، أمين، ملوك العرب رحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرست أعلام، ج ١، ط ٨، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧ م، ص ٤٥٦.

(٤) لخزرجي، العقود للولوية، ج ٢، ص ١٢١ - ١٢٢.

(٥) Playfair.R. L. AHistory Arabia Felix or Yemen, from the commencement of the christian era to the present time, inclding An Account of the British settlement of Aden, Bombay : Edncoton S. P. , 1859, p 92.

(٦) لخزرجي، العقود للولوية، ج ٢، ص ١٦٦؛ المسجد المسبوك، ق ٢٠٥ ب، ٢٠٦ أ.

(٧) عَنَس : قبيلة من منحج. لهداني، الإكليل، ج ٨، ص ٨٦. وتقع مساكنهم جنوب صنعاء في منطقة واسعة مركزها مدينة نمار، المروني، الثناء الحسن، ص ١٠٢.

(٨) لجعاشين : عزلة من ناحية ذي لفسال، الحجري، مجموع، مج ١، ج ١، ص ١٨٩.

(٩) جِيزَان : وادي في المخلاف السليماني سمي بمدينة جيزان الواقعة على ساحل البحر الأحمر، وهي ميناء قديم يبعد عن القنفذة بحوالي ٢٠٠ ميل من الجنوب الغربي وقبلتها من منحج وخولان وهمدان وخزاعة. الأكوخ، محمد بن علي، اليمن الخضراء، ص ١٨٢، ١٨٥.

أصحاب المخلاف السليماني ، وعندما لاحظوا قوة الحملة اتجهوا إلى الصلح وسلموا ما معهم من خيل ومال ورهائن لإثبات حسن النية <sup>(٢)</sup> .

وقد ترتب على ذلك اشتداد العصيان والتمرد في جهة بلاد المعافر <sup>(٣)</sup> في سنة ٧٧٤هـ . لهذا شن الأفضل حملة شاملة تمكنت من إخضاع القبائل المتمردة في المعافر ، كما دخلت قواته أيضاً إلى بلاد العربيين وأخذت جميع حصونهم ، وتمكن في سنة ٧٧٥هـ من قتل الشيخ أبي بكر بن معوضة السيري <sup>(٤)</sup> صاحب بعدان بعد أن نزع يده عن الطاعة ، مما أدى إلى تمرد ولده محمد بن أبي بكر وتحالفه مع الإمام صلاح بن علي في سنة ٧٧٦هـ <sup>(٥)</sup> .

ولكن الأوضاع زادت سوءاً بعد وفاة السلطان الأفضل عباس في سنة ٧٧٨هـ وتولي ابنه السلطان الأشرف إسماعيل بن عباس (٧٧٨-٨٠٣هـ) ، لهذا اتجه إلى إقرار الأوضاع في البلاد ، وقبض أهم الحصون فيها واستمر في سياسته التي هدف من ورائها إلى إخضاع البلاد لحكمه <sup>(٦)</sup> ، وأمام ما حققه من انتصارات توافدت إليه القبائل و المشائخ ، حيث وصل إليه مشائخ الشعر <sup>(٧)</sup> وبنو زياد <sup>(٨)</sup> وبنو الحارث معلنين ولاءهم ومقدمين له الرهائن دليل الطاعة <sup>(٩)</sup> ، وقد تمكنت قواته في سنة ٧٨٤هـ من إخضاع الحبيلين <sup>(١٠)</sup> ، وبلاد المرامحة <sup>(١١)</sup> في ربيع الأول سنة ٧٨٦هـ ، ودخلت قواته إلى بلاد الحنكة <sup>(١٢)</sup> وقتلت رجال قبائلها ، وشهدت العلاقة بين الأشرف وابن السيري تطوراً كبيراً ، وأصبح أحد رجال السلطان ، وفي الفترة نفسها دخلت قوات الأشرف بلاد المداد <sup>(١٣)</sup> بقوة السيف . وهكذا يتضح أن الوضع القبلي في عهد الأشرف إسماعيل لم يستقر لشدة عصيان القبائل ورغبتها بالانفراد بما تحت يدها مثل قبائل ريمة التي هاجت في وجه حكام بني رسول في جمادى الأولى سنة ٧٩٣هـ ، وطردها والي السلطان إلى حدود بلادهم ، بعد أن أحكموا قبضتهم على حصون

(٢) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٣٨ - ١٥٠ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٦٩ - ٧٣ .

(٣) لمعافر : بطن كبير من حمير يسكنون لمنطقة المعروفة بالحجرية بامطرف ، لجامع ، ج ٤ ، ص ١١٣ - ١١٤ ؛ الشجاع ،

عبد الرحمن عبد الواحد ، اليمن في صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧ م ، ص ٣٣ .

(٤) بنو السيري : أسرة همدانية حكمت بعدان . عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٦٦ ، حاشية رقم (٣) .

(٥) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٥٣ ؛ مجهول ، تاريخ النولة لرسولية ، ص ٧٤ - ٧٥ .

(٦) لخزرجي ، R. L. A History of Arabia Felix or Yemen , p. 92 .

(٧) لشعر : مخلاف مشهور من ناحية النادرة بلب . الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣١٨ .

(٨) بنو زياد : من قبائل عس ، وبنو زياد عزة من ناحية شرعب وأعمال تعز . المقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٧٥٢ - ٧٥٣ .

(٩) مجهول ، تاريخ النولة لرسولية ، ص ٨٢ ، ٨٤ .

(١٠) الحبيلين : مدينة كبيرة بها عاصمة مديرية ردفان . المقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

(١١) المرامحة : قرية من ناحية بيت الفقيه . مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٩ ، حاشية رقم (٣٩) .

(١٢) الحنكة : قرية بالقرب من جبن . مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٩٢ ، حاشية رقم (٤٩) .

(١٣) المداد : بلاد تقع شرقي قطيفة ، ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٨٥ ، حاشية رقم (٥) .

المنطقة<sup>(١)</sup>، وفي حرص هاجمت قبائل الخبيثاء<sup>(٢)</sup> الأمير البهاء اللطيفي في محطته في محرم سنة ٧٩٧هـ وقتلوا عدداً من عسكرة بما فيهم الأمير البهاء ، لهذا قام عساكر حرص بمهاجمة الخبيثاء ونهب ما معهم وهربوا إلى الجبال لالتجاء بها<sup>(٣)</sup>.

وفي الوقت نفسه زاد عصيان قبائل بعدان وإب فغزاهم السلطان الأشرف سنة ٧٩٨هـ وأمر بتخريب مدينة إب وقتل من خالف من أهلها و أهل بعدان فهرب الكثير من الناس أمام قوات السلطان التي سارت إلى الشوافي وتمكنت من دخولها وقبض حصونها بقوة السيف وقتل الشيخ الحبيشي ومن خالف معه<sup>(٤)</sup>.

وقد شهدت ظفار الحبوضي تدهوراً في الأوضاع القبلية فيها ، و أرسل واليها الأمير الفائز بن المظفر الرسولي إلى الأشرف في شوال سنة ٧٩٩هـ يشكو إليه سوء الأوضاع هناك ، فسير الأشرف قوة أخضعت قبائل ظفار وأعادتها إلى الطاعة<sup>(٥)</sup>.

لقد بذل السلطان الأشرف مجهوداً عظيماً واستنزف جانباً كبيراً من الموارد الاقتصادية للدولة ومن الجهد البشري لإخماد تمردات القبائل ومشائخها<sup>(٦)</sup> ، ورغم ذلك لم يستطيع إخضاع جميع المناطق لتعدد الجبهات التي فتحت أمامه .

مركز أبحاث الرسائل الجامعية  
جامعة الأردنية

## ٧- محاولات الناصر إخماد فتنة القبائل :

ورث السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل ( ٨٠٣ - ٨٣٧ هـ ) كافة المشاكل التي واجهتها دولة أبيه الأشرف ، ويعتبر البعض أن بداية حكم الناصر ومن تلاه من سلاطين بني رسول هي بداية حكم السلاطين الضعاف في دولة بني رسول ، و بداية زوال نجمهم<sup>(٧)</sup>.

فعند تولى الناصر الحكم قام بغزو المناطق الخارجة عن الطاعة واستعاد الحصون التي كانت بيد بعض القبائل ، وفي ذي الحجة سنة ٨٠٧ هـ اشتد الخلاف بينه وبين ابن المداد الذي استفحل أمره وأخذ يتحدى الدولة بالسيطرة على حصونها ، لذلك أرسل إليه

(١) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ، ٢١٩ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٢ ، ١٠٧ ، ١١٧ .

(٢) لخبيثاء ، من قبائل عك المقيمة في حرص . لملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٨٣ .

(٣) لخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ٢٤١ ب ، ٢٤٢ أ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٢٥ .

(٤) لخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ - ٢١٨ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٢٩ .

(٦) نعمة علي مرسي ، بلاد اليمن في عهد الملك الأشرف لثاني إسماعيل بن العباس الرسولي ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٣٨ .

(٧) شكري ، محمد سعيد ، " التاريخ السياسي للدولة الرسولية " ، ندوة الاحتفال بالمنوية الثامنة للمدرسة لياقوتية ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م ، ص ١٨ .



الناصر قوة غير أنها هزمت على أثر كمين أعده لها ابن الممداد أدّى إلى قتل العديد من رجال السلطان<sup>(١)</sup>.

وفضلاً عن ذلك ، فقد شهدت منطقة بعدان تمرداً شديداً ، فتم إخضاعها بشدة من قبل الناصر في ذي القعدة سنة ٨٠٩ هـ ، كما خرج الشيخ الحسام الزاهر عن الطاعة في ربيع الآخر سنة ٨١١ هـ ، وسيطر على حصون الشوافي ، فحاصره السلطان في داخلها ، وخالف في السنة المذكورة أيضاً الشيخ الفهد بن أبي بكر بن وهبان في شرعب<sup>(٢)</sup> ، وأخذ حصون المنطقة ، فأرسل إليه الناصر قوة تمكنت من إخضاع بلاد شرعب وحصونها ، واستسلم الفهد بن وهبان وعودته إلى طاعة السلطان الناصر<sup>(٣)</sup> .

وكذا سار الناصر إلى المناطق التي اشتدت فيها حركات التمرد ، فدخل الحبيلين بقوة السيف في السنة المذكور ، وواصل مسيره إلى وصاب وأسقط حصونها في رجب سنة ٨١٢ هـ . وبالرغم من ذلك فقد ظلت وصاب مصدر قلق بالنسبة للناصر نتيجة لشدة تمرد قبائلها ، ولهذا استمرت حملات الناصر التأديبية طوال فترة حكمه إلى وصاب<sup>(٤)</sup>.

وقد ظهرت في عهد السلطان الناصر أول علاقة بين الأسرتين الرسولية والطاهرية<sup>(٥)</sup> وذلك في سنة ٨١٢ هـ ، واستمرت تلك العلاقة في تطور مستمر خلال حكم بني رسول إلى أن تسلم بنو طاهر الحكم إثر تدهور الدولة الرسولية وانهيارها<sup>(٦)</sup>.

وفي سنة ٨١٣ هـ اضطربت بلد صهبان بعد قيام الناصر بالقبض على الشيخ الأسد الصهباني واستمر التمرد فيها إلى سنة ٨٢٠ هـ ، لذلك استخدم الناصر القوة ضد هذه المنطقة فعادت إلى طاعة بني رسول ، ولكنهم عادوا إلى الخلاف والتمرد في سنة ٨٢٤ هـ

(١) لخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٤ أ ب ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٣٣ - ١٣٤ ، ١٤٠ - ١٤٤ .

(٢) شرعب : مخلاف من نواحي تعز ويقع في شمالها ومركزه الرونة . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية ، ص ١٦٥ .

(٣) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٤) لمصدر نفسه ، ص ١٥٥ - ١٥٦ ، ١٦١ - ١٦٢ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٥) بنو طاهر : أسرة يعود نسبها إلى قبيلة لذرلحن الحميرية سكنها جبن في رداع . ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٤٠٥ ، حاشية رقم (١) ؛ الحداد ، التاريخ العلم لليمن ، ج ٣ ، ص ٢١٥ ؛ الوائلي ، عبد الحكيم ، موسوعة قبائل العرب ، ج ٣ ، ط ١ ، دار أسامة ، الأردن ، ٢٠٠٢ م ، ص ١١٢٦ . وتعيد بعض المصادر نسبهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز . ابن لنديع ، قرة العيون ، ص ٤٠٥ ؛ بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : عبد الله الحبشي ، ط ١ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩ م ، ص ١٢١ ؛ عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ١٦١ ؛ بامخرمة ، أبي محمد لطيب ، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، ج ٣ ، مخطوط ميكرو فيلم ، المكتبة الوطنية بعبن ، برقم ( ٣٠١ ) ، ق ١٦٠ أ ؛ بافقيه ، محمد بن عمر الطيب ، تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر ، تح: عبد الله الحبشي ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١٢٤ . وتذهب بعض المصادر إلى إعادة نسبهم إلى بني أمية دون الإشارة إلى انتمايتهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز . شرف الدين ، عيسى بن لطف الله بن لمطهر ، روح الروح فيما جرى بعد المائة لتاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوط مصور ، ط ٢ ، وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ٧ / ١ ، صنعاء ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ق ٤ ب ؛ العرشي ، بلوغ المرالم ، ص ٥٤ .

(٦) عن دور بني طاهر في إسقاط الدولة الرسولية انظر أدناه : ص ١٦٦ - ١٦٨ .

وشجعهم على ذلك قيام الشيخ الأسد الصهباني ببناء حصن الأكمة ، لهذا أحاطت قوات السلطان الناصر بهذا الحصن في جمادى الآخرة في سنة ٨٢٦ هـ فتمكن الصهباني من شراء عسكر السلطان بالمال وتم مهاجمة المحطة ليلاً ، وهزم عسكر الناصر وقتل عدد كبير من رجاله وأمرائه <sup>(١)</sup> .

واصل السلطان الناصر سياسته في إخضاع الحصون الواقعة تحت سيطرة بعض المشايخ والقبائل في الفترة من سنة ٨١٢ هـ إلى سنة ٨١٩ هـ ، إلا أن اشتداد حركة المشايخ وسيطرتهم على الحصون جعلت الناصر يلجأ إلى الصلح لحل هذه المشكلة ، فتم ذلك في جمادى الأولى سنة ٨٢٦ هـ مع الشيخ الجلال السيري صاحب بعدان والشيخ علي بن الحسام الزاهر والشيخ عبد الباقي الحبيشي ، ودخلوا بذلك بمناطقهم وقبائلها تحت طاعة السلطان الناصر <sup>(٢)</sup> .

#### ٨ - دور القبيلة في إضعاف الدولة الرسولية وإسقاطها :

لم تكن الأوضاع القبلية قد استقرت عند وفاة السلطان الناصر في سنة ٨٢٧ هـ ، حيث تولى بعده ابنه المنصور عبد الله بن أحمد ( ٨٢٧ - ٨٣٠ هـ ) ، ثم تولى السلطان الأشرف إسماعيل بن أحمد ( ٨٣٠ - ٨٣١ هـ ) ولم يحكم إلا علماً واحداً ، وجاء بعده عمه السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل ( ٨٣١ - ٨٤٢ هـ ) وكان من السلاطين الذين ساءت سيرتهم منذ البداية <sup>(٣)</sup> .

وقد واجه الظاهر تمرداً شديداً من قبائل تهامة ، لذلك قام بإخضاع حصونها مثل حصن الكاهل في المحالب <sup>(٤)</sup> ، وظهر في بداية حكمه الشيخ أيوب <sup>(٥)</sup> وهو من المشايخ الذين أرفعوا دولة بني رسول وسببوا لها كثيراً من المتاعب ، حيث جمع قبائل تلك الجهات وحرصهم على التمرد ضد السلطان الظاهر ، فأرسل إليه الظاهر قوة تمكنت من إخضاعه وإذلاله وقتل الكثير من رجال القبائل المؤيدة له ، وهرب الشيخ أيوب عن بلده بعد تدمير حصنه ولم تقم له قائمة بعد ذلك <sup>(٦)</sup> ، كما ساءت الأوضاع في حرض بسبب شدة تمرد قبائلها وانتشار الفوضى هناك <sup>(٧)</sup> .

(١) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٦١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ .

(٢) لمصدر نفسه ، ص ١٥٨ ، ١٦٥ - ١٦٦ ، ١٨٠ - ١٨١ ، ١٩٦ - ١٩٧ ، ٢٠٣ .

(٣) حول الحديث عن هؤلاء السلاطين نظر أدناه : ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) لمحالب بلده جنوب وادي مور وتبعد عن زبيد بنحو (٢٠٠ كيلومتر) . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ٢٥٦ .

(٥) يشير المحقق عبد الله الحبشي إلى أن مؤلف كتاب " تاريخ الدولة الرسولية " هو الوحيد الذي انفرد بذكر الشيخ أيوب دون أن يحدد من هو ؟ ولين تقع بلدة ؟ ويعتقد أن حصن الكاهل هو حصنه تقريباً ، كما يفهم من سياق .

(٦) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

(٧) ابن النديم ، فرة لعيون ، ص ٣٩٥ .

ومن الملاحظ أن هناك شخصيات قبلية بارزة ساعدت السلطان الظاهر على إقرار الأوضاع في البلاد ، مثل الشيخ مياس العربي الذي تمكن من دخول بلد الأساودة <sup>(١)</sup> في سنة ٨٣٣ هـ <sup>(٢)</sup>.

وعلاوة على ذلك فقد واجه السلطان الظاهر تمردات شديدة في بعض مناطق اليمن ، ومنها التمرد الذي قامت به القبائل في جهة المداد سنة ٨٣٤ هـ وتمرد قبائل الحجة <sup>(٣)</sup> في سنة ٨٣٥ هـ ، وقد قوبلت تلك التمردات برد فعل قوي من قبل الظاهر ، فقتل عدداً كبيراً من رجال هذه القبائل تأديباً لهم <sup>(٤)</sup>.

لقد ارتبط السلطان الظاهر بعلاقات طيبة مع بعض المشائخ والقبائل المؤيدة له مثل بنو سبأ <sup>(٥)</sup> في حرض <sup>(٦)</sup> ، في الوقت الذي كان شديداً مع بعض المشائخ الذين يميلون إلى العصيان ، مثلما فعل في ذي القعدة سنة ٨٣٦ هـ مع مشائخ الحديدة عندما لاحظ ميلهم إلى الغدر به <sup>(٧)</sup>.

ولقد ترتب على تلك السياسة الشديدة التي اتبعتها الظاهر مع المشائخ وقبائلهم في أواخر سنة ٨٣٧ هـ وصول عدد من المشائخ إلى باب السلطان كمشائخ وصاب و مشائخ تهامة وفيهم الشجاف شيخ الرماة <sup>(٨)</sup> ، ومعهم عدد من الخيل وجملة من المال للسلطان ، وكان الشيخ شمس الدين يوسف بن حفيص شيخ الزيديين <sup>(٩)</sup> ضمن المشائخ الواصلين إلى باب السلطان <sup>(١٠)</sup> ، كما كانت سياسة الظاهر في بذل الأموال لهذه القبائل سياسة استطاع بها كسب هذه القبائل إلى صفه على الرغم من سرعة خروجهم عن الطاعة . وفي سنة ٨٣٨ هـ وصل إليه مشائخ مخلاف ريمة ، بعد أن تمكن الظاهر من إخضاع أهم حصونها ريمان والشبوة وهجرة وأكمة النمر <sup>(١١)</sup> ، وفي شعبان من السنة المذكورة وصل الشيخ محمد بن أبي

(١) الأساودة : بلدة بالقرب من صهيب أبين . الخزرجي ، العقود اللؤلؤة ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) لحجة : قبيلة من عك بن عدنان . الملك الأشرف ، طرفه الأصحاب ، ص ٨٣ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٥٥ .

(٥) بنو سبأ : قبيلة من حمير مساكنهم شمال وادي مور . ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٩٦ ، حاشية رقم (٥) .

(٦) المصدر نفسه والصفحة .

(٧) عن أساليب بني رسول في إخماد التمردات انظر أنباه : ص ١٧٠ - ١٨٣ .

(٨) لرماة : من قبائل عك بن عدنان في تهامة . الملك الأشرف ، طرفه الأصحاب ، ص ٨٣ .

(٩) لزيدية : قبيلة في تهامة من عك بن عدنان وتسكن هذه القبيلة مدينة الزيدية الواقعة على شط وادي سرمد تجاه جزيرة كمران ، وزعامة قبائل الزيدية في بني حفيص . وقبائل لزيدية سنية المذهب ولا يمتنون للمذهب الزيدي بصلية . ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٩٧ ، حاشية رقم (٣) ؛ الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٦ - ٣٩٨ ؛ محمد عبد لعال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(١٠) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٧٢ - ٢٧٦ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .

القاسم بن حفيص طالباً الذمة والأمان من الظاهر بعد أن تمرد على أمراء السلطان ورفض دفع ما عليه من الواجبات السلطانية ، لذلك عفا عنه السلطان و أكرمه بالمال <sup>(١)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد ظلت منطقة وصاب من أكثر المناطق اضطراباً في عهد الظاهر لأنفراد بعض القبائل بما تحت يدها من الحصون ، لهذا كثف الظاهر حملاته العسكرية عليها ولم تأت سنة ٨٤٠هـ إلا ومنطقة وصاب وقبائلها خاضعة لسيطرة بني رسول <sup>(٢)</sup> .

وفي أواخر عهد الظاهر أخذت وفود القبائل ومشايعها يتوافدون عليه ، حيث قدم إليه الشيخ الصديق بن خلف شيخ الخبثاء والشيخ عيسى بن سعيد صاحب الشعر و الشيخ جمال الدين محمد بن الحسام وغيرهم من مشايخ تلك الجهات الذين أنعم عليهم السلطان وأكرمهم <sup>(٣)</sup> ، وعن طريق هؤلاء المشايخ تمكن السلطان من الحصول على ولاء المناطق التي تحكم من قبلهم وقبائلها ، وبالرغم من كل هذه الجهود التي بذلها الظاهر مع تلك القبائل إلا إنه فشل في تطبيق سياسته مع قبائل تهامة التي ظلت على تمرد لها طوال فترة حكمه <sup>(٤)</sup> .

وشهدت سنة ٨٤٢هـ وفاة السلطان الظاهر وتولى بعده ابنه السلطان الأشرف إسماعيل ( الرابع ) ابن يحيى (٨٤٢-٨٤٥هـ) الذي انتهج سياسة الشدة ضد قبائل العرب منذ تولى الحكم وسفك دمائهم ، ودخل في سنة ٨٤٣هـ مع قبائل تهامة في معارك أصبحت معروفة عند قبائل العرب بأسماء مشهورة وذلك لشهرتها وشدتها <sup>(٥)</sup> .

وبعد وفاة السلطان الأشرف إسماعيل ( الرابع ) تولى بعده السلطان المظفر يوسف ( الثاني ) بن عمر بن الأشرف إسماعيل (٨٤٥-٨٤٧هـ) ، وقد اختلف المظفر منذ توليه الحكم مع الجند الترك الذين بايعوه على الطاعة ، حيث اتجهوا إلى مدينة زبيد وارتكبوا هناك المنكرات ووجدوا أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الأفضل بن العباس وأقاموه سلطاناً ولقبوه بالمفضل <sup>(٦)</sup> فدخل زبيد في سنة ٨٤٦هـ وصرف الأموال الطائلة لقبائل المنطقة لكسبها إلى صفه وسلم لهم أيضاً جملة من الخيل والسلاح ففويت شوكتهم وعاثوا في زبيد خراباً <sup>(٧)</sup> ، وزادت الأمور تعقيداً عندما خرج هؤلاء الجند في سنة ٨٤٧هـ إلى حيس وأقاموا هناك أحمد بن الناصر بن الظاهر بن يوسف بن عبد الله بن المجاهد الرسولي سلطاناً

(١) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٩١ ، ٢٩٣ .

(٢) لمصدر نفسه ، ص ٣٠١ - ٣٠٤ .

(٣) لمصدر نفسه ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٨ .

(٤) عن تمرد قبائل تهامة في فترة حكم الظاهر انظر أدناه : ص ١٢١ - ١٢٤ ، ١٣٠ - ١٣٣ ، ١٣٥ - ١٣٧ .

(٥) عن تلك المعارك التي قامت بين الأشرف بن الظاهر و قبائل تهامة انظر أدناه : ص ١٢٤ - ١٢٥ ، ١٤٦ - ١٤٧ .

(٦) ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١١٥ .

(٧) بالمحزمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٣ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ ؛ لكهي ، اللطائف لسنية ،

ج ١ ، ص ١٠٨ .

بدلاً من السلطان المظفر ، ولكنهم لم يحققوا ما كانوا يصبون إليه ، فأقاموا بدلاً منه السلطان المسعود أبا القاسم بن الأشرف بن الناصر بن الأشرف (٨٤٧ - ٨٥٨ هـ) لضرب السلطان المظفر<sup>(١)</sup> ومن هنا بدأ الصراع بين السلطان المسعود وبني طاهر أنصار المظفر<sup>(٢)</sup> .

لقد وصلت دولة بني رسول في هذه العهد إلى مرحلة من الضعف لم تمكنها حتى من الدفاع عن أراضيها ، فتكفلت بعض القبائل بهذه المهمة ، ففي سنة ٨٥٥ هـ وصل إلى ساحل الحديدة رجل من الترك كان عاملاً لسلطان مصر على جدة وقد غضب السلطان عليه وعزله عن ولاية جدة ، وأراد هذه العامل الاتجاه إلى الهند ولكنه رجع إلى الحديدة ومعه أموال جلييلة ، ويبدو أن هذه الرجل قد سمع بالحالة التي وصلت إليها اليمن من الخلاف والتناحر و الضعف فطمع في ملك اليمن ، لهذا جمع عسكراً و أقام مخيماً خارج الحديدة وذلك للتهيئة لإخضاع البلاد ، وعند وصول خبره إلى ابن حفيظ<sup>(٣)</sup> صاحب أبيات حسين<sup>(٤)</sup> هاجمه على غفلة ، ليس محبة في التخلص من هذا الدخيل الأجنبي ، وإنما طمعاً في الحصول على أمواله التي جاء بها على أمل إقامة ملك له في اليمن ، وتمكن ابن حفيظ من قتل ذلك الرجل وتشتيت عسكره و أخذ ما معه من أموال ثم عاد إلى أبيات حسين ، ويبدو أن هناك خلافاً كان قائماً بين ابن حفيظ و الزعليين<sup>(٥)</sup> ، لأنه بمجرد عودة ابن حفيظ إلى أبيات حسين حتى هاجمه الزعليون وقتلوه وخربوا أبيات حسين التي تعد في تلك الفترة من عجائب مدن اليمن وأحسنها<sup>(٦)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أصبحت أوضاع بني رسول في اليمن يرثى لها، فالمظفر في صراع مع المسعود ، وبنو طاهر يخططون للانفراد بالحكم ، وقبائل تهامة في تناحر شديد ، والمماليك في زبيد يولون ويعزلون من يشاؤون من بني رسول ، حتى أنهم وجدوا المؤيد حسين بن الظاهر بن الأشرف وولوه سلطاناً في زبيد ، كما اتجهت بعض المناطق للخلاف مستغلة هذه الأوضاع ، وبدأ بعض زعماء المناطق بالإستقلال بما تحت أيديهم ، كصاحب الحوبان<sup>(٧)</sup> وصاحب قفاعة<sup>(٨)</sup> وصاحب شرعب ، وطمع بقية الحكام فيما تحت أيديهم وأخذوا

(١) لحزرجي، لعسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ أ ؛ عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٧ ؛ ابن النديم ، قرّة العيون ، ص ٤٠٣ .

(٢) عن ذلك الصراع انظر أدناه : ص ١٦٦ - ١٦٨ .

(٣) بنو حفيظ : من قبائل تهامة . عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٨ ، حاشية رقم ( ٢ ) .

(٤) كانت أبيات حسين مركز للعلماء و الفقهاء في تلك الفترة . الجندي ، لملوك ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، ١٣٦ . وهي اليوم مدينة خربة في وادي سررد . لمقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٠ .

(٥) لزعليون : قبيلة من عك بن عدنان . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ ، ٨٣ .

(٦) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٧ - ٥٨ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأملاني ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

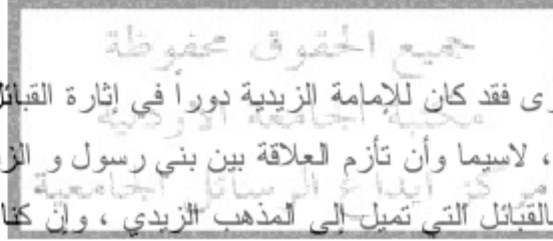
(٧) لحوتان : حقل من أعمال تعز في لشرق الشمالي من المدينة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .

(٨) قفاعة : تقع شمال تعز وتسمى اليوم لمخلاف من أعمال تعز . عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٨ ، حاشية

يجمعون الرجال و الخيل و الأموال في ظل هذه الفوضى<sup>(١)</sup> ، واشتدت الحرب بين المسعود و منافسيه بني طاهر الذين زاد إصرارهم على الانفراد بالحكم ، وأصبح المسعود ضعيفاً لاحول له ولا قوة ، فعدن أصبحت تحكمها قبائل يافع<sup>(٢)</sup> الذين أصبحوا هم السلطة الحاكمة فيأمررون وينهون في وجود السلطان المسعود الذي لم يجد أمام هذا الهوان وقلة الهيبة وعدم السيادة إلا أن يخلع نفسه فخرج من عدن في جمادى الآخرة سنة ٨٥٨ هـ ودخلها الملكان علي وعامر إبنا طاهر بن معوضة بن تاج الدين مدعومين بقوات قبلية من يافع الذين مهدوا لبني طاهر دخول عدن<sup>(٣)</sup> وساعدوهم على إقامة دولتهم<sup>(٤)</sup> .

خلاصة القول أن العلاقة بين القبائل وبني رسول لم تكن مستقرة منذ بداية قيام دولتهم ، ونتيجة لشدة تلك التمردات التي أرهقت بني رسول فقد فقدت دولتهم توازنها وأصبحت تحارب تلك القبائل في جبهات مختلفة ومتباعدة ، مما أدى في الأخير إلى فشلها في سد جميع الثغرات و من ثم زوالها على يد عناصر قبلية استغلت تلك الظروف التي مرت بها .

ومن ناحية أخرى فقد كان للإمامة الزيدية دوراً في إثارة القبائل ضد بني رسول و اشتداد حركه التمرد ، لاسيما وأن تأزم العلاقة بين بني رسول و الزيدية عكس نفسه تدريجياً على علاقتهم بالقبائل التي تميل إلى المذهب الزيدي ، وإن كنا نجد بأن للقبائل أسبابها الخاصة التي دفعتها إلى ذلك ، حيث أن اجتماع كل تلك الأسباب أدى إلى سقوط دولة بني رسول و انتهائها .



(١) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٨ ؛ ابن النديم ، فرة العيون ، ص ٤٠٤ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٢٠ .

(٢) يافع : قبيلة من ذي رعين ، مساكنهم في سر وحمير . الهمداني ، الإكليل ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ - ٣٠١ ؛ صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٢ - ١٧٤ ؛ السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، الأنساب ، ج ٥ ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط ١ ، دار الجنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٦٧٥ - ٦٧٦ .

(٣) لخزرجي ، المسجد لمسبوك ، ق ٢٦٠ ب ، ٢٦١ أ ؛ عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٩ - ٦١ ؛ ابن النديم ، فرة العيون ، ص ٤٠٤ ؛ بغية المستفيد ، ص ١١٩ - ١٢٠ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٧ أ ، ١٥٧ ب .

(٤) لمزيد من التفاصيل عن كيفية إسقاط بني طاهر ويافع للدولة الرسولية انظر أنناه : ص ١٦٢ - ١٦٨ .

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

## الفصل الثاني

التمردات القبلية وأسباب قيامها

### أولاً : استغلال مناوئي بني رسول من الزيدية للقبيلة :

كانت القبيلة هي القوة التي يلجأ إليها الأئمة الزيديون عند قيامهم بالدعوة للإمامة لمواجهة دولة بني رسول ، وظلت الزيدية من أقوى الأخطار التي هددت أمن الدولة الرسولية ، وأصبحت القبائل التي تنضم للإمام الزيدي تشكل قوة مهمة بالنسبة إليه وسنداً قوياً يعتمد عليه حتى يتمكن من نشر دعوته والحصول على أكبر عدد ممكن من المؤيدين ، فكانت الزيدية دوماً مدعومة بالقبيلة ، ولهذا كان تحالف الزيدية مع القبائل من الأمور التي تقلق سلاطين بني رسول وتخيفهم .

### ١ - موقف الإمامة الزيدية من قيام الدولة الرسولية :

أدرك السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول منذ أن أقام دولته الخطر الذي تشكله الإمامة الزيدية، لاسيما عند تحالفها مع أي قوة قبلية ، لذلك سعى منذ سنة ٦٢٨هـ إلى عقد الصلح مع الأشراف بني حمزة<sup>(١)</sup> من أجل ضمان جبهة الأشراف الزيديين والقبائل المناصرة لهم ، فساد الهدوء والاستقرار بين السلطان والأشراف ، فاستغل الأشراف فترة الصلح هذه وأخذوا يهيئون أنفسهم ويستعدون ويجمعون ما يستطيعون من أنصار من القبائل من أجل خوض حرب ضد بني رسول . وفي سنة ٦٣٢هـ انتقض الصلح القائم بينهما ،

(١) ليد الأشراف بنو حمزة السلطان المنصور على الاستقلال بملك اليمن وذلك لضمان انقطاع الإمدادات العسكرية من قبل الدولة الأيوبية في مصر وبذلك تسوء العلاقة بين الطرفين الرسولي والأيوبي ويعد الأيوبيين المنصور مغتصباً للملك ومن ثم فإن قيام أي حرب بين الدولتين سيكون في صالح الأشراف ، ولضماً إضعافاً لقوة بني رسول . محمد عبد العال ، الأيوبيين في اليمن ، ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .



وذلك عندما قام الشريف يحيى بن حمزة أخو الإمام عبد الله بن حمزة بإرسال بعض أتباعه إلى حصن كوكبان للاستيلاء عليه ولكن حاميتها تمكنت من صدّهم ، الأمر الذي أغضب السلطان المنصور فأرسل حملة تأديبية إلى منطقة البون<sup>(٢)</sup> أخضعت الأشراف ، وأخذت الأراضي التي كانت قد أقرت لهم في الصلح تأديباً لهم لنقضهم ذلك الصلح<sup>(٣)</sup> ، وقد كرر يحيى بن حمزة المحاولة مرة أخرى عندما استولى على جبل منابر<sup>(٤)</sup> ، وأخذ في تحصينه وإعداده ليكون قاعدة ينطلق منها إلى بقية الحصون والمدن ، مما أخاف السلطان الذي أخذ يقدم للشريف الإغراءات ابتغاء ترك ذلك الحصن ، فأعلن الشريف يحيى أنه شريكاً للسلطان في المهجم<sup>(١)</sup> ، ويبدو أن الشريف يحيى كان لديه من القوة القبلية ما يجعله يتحدى السلطان ويقف في وجهه ، فدفع ذلك السلطان إلى استخدام سلاح يستطيع من خلاله كسر وحدة الأشراف وتمزيق قوة يحيى بن حمزة ، حيث راسل الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة في محاولة لكسبه إلى صفه ، وقد كان الأمير شمس الدين على خلاف مع عمه لنقضه الذمم إلا أنه لم يتخل عنه ، وعندما فشل السلطان في استمالة الأمير شمس الدين اتجه إلى سلاح آخر وهو بدل الأموال الطائلة وإنفاق الخزائن في شراء القبائل الموالية لابن حمزة ، لذلك تخلت تلك القبائل عنه وساعد ذلك السلطان على استعادة حصن منابر وتسلم العديد من الحصون والبلاد مثل حجة والمخلاة<sup>(٥)</sup>.

## ٢ - تجنيد الإمام الزيدية للقبائل ضد بني رسول :

شهدت الأوضاع بعض الهدوء بين الإمامة وبني رسول إلى صفر سنة ٦٤٦ هـ ، حيث أعلن الإمام الزيدي أحمد بن الحسين<sup>(٣)</sup> ( ٦٤٦ - ٦٥٦ هـ ) إمامته في ثلا ، ولكسب تأييد القبائل وسع نطاق دعوته وبثها إلى جميع المناطق ، ثم أمر بمهاجمة الحصون والبلاد المهمة التي كانت بيد السلطان المنصور رغبة منه في إخضاعها ، لذلك اتجه السلطان إلى المخالفة لمساندة أهلها وحماية حصونها ، ولكن رجال القبائل الموالين للإمام حاولوا منعه

(٢) لبون : أرض باليمن في بلاد همدان . الحميري ، منتخبات في أخبار اليمن ، ص ١٠ . وتقع شمال صنعاء . لحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٧ .

(٤) منابر : جبل يقع غرب حفاش وملحان ويطل على المهجم وهو اليوم أطلال . ابن لديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٠٤ ، حاشية رقم ( ١ )

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٥٩ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢١٠ ، ٢١٢ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٩٨ ب ، أ ٩٩ .

(٣) هو الإمام المهدي لدين الله أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن أحمد بن إسماعيل بن أبي البركات أحمد بن لقاسم بن محمد ابن الإمام القاسم الرسي بن إبراهيم المكنى بأبي طير ، وكان قيامه آخر أيام لسلطان المنصور سنة ٦٤٦ هـ . لجرافي ، عبد الله بن عبد الكريم ، المقطف من تاريخ اليمن ، ط ٢ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤ م ، ص ١٣٣ .

من ذلك<sup>(٤)</sup>، ولزيادة الأنصار أرسل الإمام إلى بلاد بني شهاب<sup>(٥)</sup> الأمير عبد الله بن حسين بن حمزة فتحالف مع بني شهاب وبني الراعي<sup>(٦)</sup> وأهل حضور<sup>(٧)</sup>، الأمر الذي جعل السلطان يتجه إلى بلاد بني الراعي وقد عمروا موضعاً يسمى حجر الجراد في حضور فأخبره ورتب في الجبل عسكرياً وبني حصناً سماه القاهرة وولى فيه رجلاً يسمى مسافراً، وتمكن هذا الرجل من استمالة جماعة من بني الراعي، وبهذا ضمن السلطان جبهة بني الراعي ثم اتجه إلى بني شهاب وقام بتأديبهم فأخرب زروعهم، مما أدى إلى قيام الحروب بينهم في تلك الجهات ثم عاد السلطان إلى صنعاء في رمضان سنة ٦٤٦ هـ .

ولم يمض سوى بعض الوقت حتى عاد بنو الراعي المواليين للإمام إلى التمرد مرة أخرى وذلك حينما كان السلطان في صنعاء، فأخذوا حصن القاهرة الذي عمره السلطان، وقد حاول السلطان إعادة الحصن بعد عدة حروب ولكنه فشل<sup>(٨)</sup>، وأعاد الكرة مرة أخرى في ٢٩ ذي الحجة من السنة المذكورة وخرج من صنعاء قاصداً بلاد بني شهاب، فحط في الحقل غربي صنعاء وأمر العسكر بإخراخ زروع حدة وسناخ<sup>(٩)</sup>، ومد حربه إلى المناطق الموالية للزيدية، وكان فيها تجمع كبير من الأشراف وقبائل بني شهاب فاشتبك معهم في حروب وانتصر عليهم، وعندما سمع بقية الأشراف بذلك اجتمعوا في قرية داعر<sup>(١٠)</sup> ومعهم عسكرهم من قبائل بني شهاب وبني الراعي وأهل حضور، ودخلوا في حرب مع السلطان ويبدو أنه هزمهم بدليل أنه خرب قرية داعر وكان ذلك في محرم سنة ٦٤٧ هـ<sup>(١١)</sup>.

وفضلاً عن ذلك فقد أخذ الإمام أحمد بن الحسين في تجميع القبائل ثم سار إلى بلاد الظاهر<sup>(١٢)</sup> فحاصر بني حمزة وكان على خلاف معهم حتى قرروا الخروج إلى صعدة بعد

(٤) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٧٦؛ يحيى بن الحسين، غية الأماني، ج ١، ص ٤٣٠ .

(٥) بنو شهاب: قبيلة وبلد من حمير قرب صنعاء وتسمى ليوم بلاد البستان . ابن الديبع، قرّة العيون، ص ١٢٩، حاشية رقم (٤) .

(٦) بنو الراعي: عزة من ناحية بني مطر ناحية البستان سابقاً . المقحفي، معجم، ج ١، ص ٦٦٥ .

(٧) حضور: جبل لحمر سمي بسكاته، وهم ولد حضور بن عدي من حمير الأصغر . الحميري، منتخبات في أخبار اليمن،

ص ٢٧؛ السويدي، أبي الفوز محمد أمين البغدادي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت،

١٩٨٩ م، ص ٦٥ . وهو أرفع جبل باليمن ويسمى جبل النبي شعيب ويقع غربي صنعاء . الهمداني، صفة جزيرة العرب،

١٢٢، حشوية رقم (٦) .

(٨) ابن حاتم، السط الغالي الثمن، ص ٢٢٧ - ٢٢٩؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١، ص ٧٧؛ العسجد المسبوك،

ق ١٠٢ ب .

(٩) حدة: بلدة في الجنوب الغربي لصنعاء بمسافة فرسخ (٦ كيلومتر) . أما سنّاع: فهي قرية مجاورة لها من الشرق وكلاهما

من منزهات صنعاء . ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٣١٠، حاشية رقم (٣) .

(١٠) داعر: من قرى ناحية البستان . الحجري، مجموع، مج ١، ج ٢، ص ٣٢٥ .

(١١) ابن حاتم، السط الغالي الثمن، ص ٢٢٩؛ الحمزي، كنز الأخبار، ص ٩٨؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ١،

ص ٧٧، ٨٠ .

(١٢) الظاهر: بلاد تقع في البلاد التابعة لهمدان . الهمداني، أبي محمد الحسن، الإكليل، ج ٨، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين

فارس، دار العودة، بيروت، د. ت، ص ٩٤ .

هزيمتهم والتنكيل بهم ، ولتوسيع رقعة دولته وكسب تأييد القبائل سار إلى الجوف واستقر في الزاهر<sup>(٦)</sup> ، وأقبلت إليه القبائل مؤيدة ومقدمة له فروض الطاعة والولاء<sup>(٧)</sup>.

وبذلك تمكن الإمام أحمد بن الحسين من كسب ود القبائل في تلك المناطق وغيرها ، وكان موقفه إلى جانب أنصاره من القبائل سبباً في زيادة نفوذه وتأييد القبائل له ، ونلاحظ هذا من خلال موقفه مع قبائل بكيل<sup>(٨)</sup> ، ففي ربيع الآخر سنة ٦٤٧ هـ تقدم السلطان المنصور لحرب بكيل أنصار الإمام فقام الإمام بتجميع القوة المناصرة له من القبائل ، إضافة إلى عسكره وتقدموا جميعاً لمنع السلطان من مهاجمة بكيل ، إلا أن عسكر السلطان تمكنوا من هزيمتهم وقتل كثير منهم<sup>(٩)</sup>.

وبعد هذه الهزيمة خرج عسكر الإمام وكافة قبائل سنحان لحرب الأمير أسد الدين وأخذ ما معه ، وذلك عندما وصلتهم الأخبار أن أسد الدين خرج من صنعاء لاستقبال خزائن يبدو أن السلطان قد أرسلها إليه ، فقامت معركة بين قوات السلطان بقيادة الأمير أسد الدين وبين قوات الإمام وأنصاره من القبائل ، وتمكن أسد الدين من هزيمتهم جميعاً ، وأثارت تلك الهزيمة قبائل المنطقة لما فعله أسد الدين ضدهم ، وسرعان ما خالفت البلاد على أسد الدين وافترق عسكره من الغز والعرب المؤيدين للسلطان ، ويبدو أن الإمام قد دفع الأموال لكسب القبائل في جيش أسد الدين ، فأنضموا إليه ولم يبق مع أسد الدين إلا مماليكه<sup>(١٠)</sup>.

وقد شجع موت السلطان نور الدين عمر في سنة ٦٤٧ هـ الإمام أحمد بن الحسين على السير إلى صعدة في جيش عظيم من همدان وخولان ودخلوها ، فصالحه الأشراف الحمزات<sup>(١١)</sup> ، وفي أثناء محاولات المظفر يوسف (الأول) إقرار الأوضاع في البلاد استغل الإمام هذه الفرصة ودخل صنعاء في جمادى الأولى سنة ٦٤٧ هـ أمام تأييد قبائل المنطقة ، فاضطر أسد الدين إلى الهروب إلى براش بعد أن تحالفت عليه القبائل المؤيدة للإمام<sup>(١٢)</sup>.

وفي سنة ٦٥٠ هـ اصطالح الأمير أسد الدين والإمام أحمد بن الحسين ، وتوترت العلاقة بين أسد الدين وابن عمه المظفر (الأول) بسبب تقييد المظفر لعميه بدر الدين وفخر الدين بعد قدومهما من مصر، لهذا أرسل الإمام الأمير أسد الدين إلى ذمار ومعه عسكر من قبله ،

(٦) الزاهر : بلدة من ناحية الجوف . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٧) عن تلك القبائل انظر : يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٣٣ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ٨١ .

(٨) بكيل : قبيلة من ولد جشم بن جبران بن نوف بن همدان . السمعي ، الأنساب ، ج ١ ، ص ٣٨٦ ؛ السويدي ، سبائك الذهب ، ص ٣٤٦ . ومساكنهم في مشارق بلاد حاشد . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان ليمانية ، ص ٤٦ .

(٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٨١ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٠٣ ب ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ص ٣١١ .

(١٠) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٣٢ .

(١١) الجرافي ، المقتطف ، ص ١٣٣ .

(١٢) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ،

ج ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

فلما وصل خبر تحركهم إلى السلطان المظفر سيّر إليهم الطواشي تاج الدين<sup>(٥)</sup>، ولما رأى أسد الدين العساكر المظفرية دخل الرعب في قلبه هو ومن معه، وطلبوا الإمداد من الإمام فأمدهم بأعداد كبيرة من قبائل العرب من بني شهاب وسنحان وأهل حضور وغيرهم، حتى قيل أنه لم يترك أحداً من العرب إلا أرسله لقتال قوات السلطان، وأمام هذه الحشود الهائلة من القبائل عاد الطواشي تاج الدين إلى دمار بموجب نصيحة قدمهاله الأمير أسد الدين الذي أخذته الحمية مع ابن عمه عندما لاحظ تكاتف قبائل العرب مع الإمام ضد السلطان<sup>(٦)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر أنه في سنة ٦٥٥ هـ حدث الخلاف بين علماء الزيدية وبين الإمام أحمد بن الحسين الذي أخذت عليه عدداً من الأشياء في سيرته وأفعاله، فتكاثفت عليه جموع الأشراف، وقامت الحرب وأحاطت به عسكر الأشراف من كل جانب وعقر فرسه وهنا هاجمه رجال من ظفار وقاموا بقتله في صفر سنة ٦٥٦ هـ<sup>(٧)</sup>.

وبعد قتل الإمام أحمد بن الحسين بايع بعض الناس الحسن بن وهاس<sup>(٨)</sup>، ولكنه لم يدم في الإمامة طويلاً، لذلك دعا في سنة ٦٥٩ هـ يحيى بن محمد السراجي (٦٥٩ - ٦٦٠ هـ)<sup>(٩)</sup> إلى نفسه بالإمامة، وأجابه أهل حضور من دون غيرهم من القبائل، ولكسب تأييد أكبر كتب إلى الأشراف يدعوهم فلم يجبه أحد، لذلك خرج إليه الأمير علم الدين سنجر الشعبي عامل صنعاء من قبل السلطان المظفر وحاربه وتمكن من هزيمته وطرده، وتقدم الشريف الإمام يحيى إلى بلاد بني فاهم<sup>(١٠)</sup> في حضور معتقداً أنه سيجد الحماية و اللجوء هناك، ولكن بني فاهم قبضوا عليه هناك وسلموه إلى الأمير علم الدين

(٥) الطواشي : وهم المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه . دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٠٩ .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١١٠ ب ، ١١١ أ .

(٧) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٣٢٣ - ٣٢٨ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٩١ .

(٨) هو الإمام الحسن بن وهاس بن محمد بن حسين بن حمزة بن الإمام أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن ، بايعه بعض الناس بعد مقتل الإمام أحمد بن الحسين ، ولم يرتض به أكثر الناس لمشاركته في حرب الإمام ولم يستمر طويلاً حيث قبض عليه الأمير صارم لدين داود بن الإمام المنصور عبد الله بن حمزة وحجسه في حصن ظفار عشر سنين ، ثم أطلق سراحه بعدها ، وتوفي بصعدة سنة ٦٨٣ هـ . يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٦٨ - ٤٦٩ ؛ الجرافي ، المقطف ، ص ١٣٤ .

(٩) هو الإمام يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن سراج الدين ، ويعود نسبه إلى زيد بن الحسن بن علي ابن أبي طالب ، كانت دعوته في ناحية مسور من بلاد خولان العالية ، وقد كُتِل على يد والي صنعاء بعد القبض عليه ، وسجن سنة ٦٦٠ هـ وقد فقد بتكحيله أحد شروط الإمامة ، ويقال أن السلطان لمظفر استاء كثيراً من هذا الفعل وفضل الاكتفاء بسجنه فقط . ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ؛ لوسعي ، فرجة الهموم ، ص ٢٤٠ ؛ العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، مطابع الرياض ، الرياض ، ١٩٥٨ م ، ص ٣٥٦ .

(١٠) بنو فاهم : من قبائل حضور . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٣١ .

مقابل مال أعطي لهم، فقام الأمير علم الدين بكحل<sup>(٥)</sup> الإمام السراجي وذلك في ذي الحجة سنة ٦٦٠ هـ<sup>(٦)</sup> .

### ٣ - تأييد القبائل للزيدية بالتوسع في أراضي بني رسول :

اضطربت أوضاع الزيدية بسبب عدم وجود إمام يعمل على جمع كلمتهم ويلم شملهم، لذلك تمكن الأمير علم الدين الشعبي من تحقيق انتصار كبير عليهم ، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى دعا الإمام إبراهيم بن أحمد تاج الدين ( ٦٦٩ - ٦٧٤ هـ )<sup>(١)</sup> لنفسه من ظفار ، فأجابته القبائل من بني شهاب ومن بني الراعي وأهل حضور وغيرها من بلاد عنس وزبيد<sup>(٢)</sup> .

وفي سنة ٦٧٤ هـ تمكن أكبر تجمع قبلي من دخول صنعاء بقيادة الإمام إبراهيم والأشراف ، وذلك بعدما خرج الأمير علم الدين الشعبي إلى نمار لقبض الواجبات السلطانية وترك الممالك لحماية صنعاء ، فأعلنوا تمردهم وكتبوا الإمام والأشراف وحشواهم على الوصول إليهم فكان الشريف بن عبد الله أول من وصل من الأشراف ، كما تحرك الإمام والأمير صارم الدين من ثلا ، وجاءت القبائل من كل مكان مؤيدين للإمام وأقبل أهل حضور وبني شهاب وأهل المغارب وأهل الظاهر وعيال سريح ، والأمير تاج الدين وعز الدين أبناء الإمام عبد الله بن حمزة وابن وهاس بأهل بلاده ، ولم يشاركهم أحد من همدان بسبب ولائهم للسلطان المظفر ، فدخلوا جميعاً صنعاء في جيش جرار جارف ، حتى قيل أنهم تفرقوا في أبواب صنعاء عند دخولهم لكثرة أعدادهم<sup>(٣)</sup> .

وكيفما كان الأمر فإن القوة الزيدية والقوة القبلية المساندة لها تمكنت من دخول صنعاء ، ولكن الأشراف الزيديين لا حظوا عدم مشاركة قبائل همدان وسنحان لهم في دخول صنعاء ، وأخذوا يعلنون ذلك بأنه خوف من السلطان ، فاغتر الأشراف بذلك وقرروا مهاجمة قرى همدان وسنحان ، وإخضاع كل قبائل المنطقة بالقوة ، وأمر الإمام بمراسلة مشائخ القبائل للدخول تحت الطاعة وتقديم المعونة لهم لمواجهة أي هجوم من قبل السلطان ، فكتبوا

(٥) الكحل : هو سمل العين وفقاً بمسامير الحديد المحماة بالنار . ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، مادة سمر ؛ الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، مادة سمر .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٣٣٤ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ - ٣٥٣ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(١) لم يكن الإمام إبراهيم بن أحمد بن تاج الدين مرتبطاً بصداقة مع لرسولين وخاصة بالمظفر ( الأول ) الذي بلغت دولة بني رسول في عصره لوج عظمتها ، لذلك سير إليه المظفر لجيش فأخذ أسيراً إلى زبيد وبقي في الأسر إلى أن توفي في سنة ٦٨٣ هـ . العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، ص ٣٥٦ ؛ الجرافي ، لمقطف ، ص ١٣٦ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٤٤٥ - ٤٤٦ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٩ .

(٣) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٩٤ - ٩٥ ؛ الخزرجي ، طراز أعلام الزمن ، ق ٤٠ ب .

إلى الشيخ الحسام بن الفضل يستنهضوه وكافة أصحابه من سنان ، واستجاب الشيخ الحسام لهم<sup>(٤)</sup> . وفي تلك الأثناء كتب السلطان إلى الشيخ الحسام يستعين به على الإمام والأشراف ويخبره بوصوليه إلى صنعاء ، ووصل رسول السلطان إلى الشيخ الحسام في النصف الأول من الليل ، أي بعد خروج الشيخ إلى الإمام ، وعند وصول خبر الرسول إلى الشيخ دخل الخوف إلى قلبه ، وأخبر الأشراف بهذا الخبر الذي سبب لهم صدمة واضطرب الجميع عندما انتشر خبر قدوم السلطان ، وخاف المماليك على أنفسهم وعادوا إلى صنعاء<sup>(٥)</sup> ، أمّا الأشراف فأخذوا يستطلعون مخيم السلطان ويهاجمونه في دمار ، ودخل الاطمئنان في قلوبهم عندما لم يجدوا أي رد فعل من قبل عسكر السلطان ، فعدّوا ذلك ضعفاً في عسكره ، وكان هذا من تدبير السلطان نفسه ، فقام بمهاجمتهم وهم في غفلة في قرية أفق<sup>(٦)</sup> ، وقامت قبائل مذحج بدور كبير في دخول القرية وتحقيق الانتصار ضد الأشراف الذين هربوا مهزومين، واستقروا عند أنصارهم من بني شهاب خائفين منلولين ، أما الإمام فقد تم محاصرته في حصن أفق ، وتمكن الشفالييت<sup>(٧)</sup> من الوصول إليه ، فخرج مسلماً نفسه وخائفاً من القتل وأخذ أسيراً<sup>(٨)</sup> .

وبعد حادثة أفق راسل الأمير صارم الدين بن الإمام الشريف مطهر بن يحيى ( ٦٧٦ هـ - ٦٩٧ هـ )<sup>(٩)</sup> ، واستدعاه للقيام بالإمامة ، فوصله ودعا إلى نفسه وأجابته الزيدية قاطبة ، ولم يجد الأشراف خيراً من بلاد بني شهاب للإقامة بها خوفاً من السلطان الذي أخذ يخضع المناطق والحصون الخاضعة للزيدية . وفي سنة ٦٧٦ هـ تحرك الأمير سنجر الشعبي

(٤) الخزرجي ، لعسجد المسبوك ، ق ١٢٤ ب .

(٥) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١١١ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٩٢ ؛ طراز أعلام الزمن ، ق ٤١ أ .

(٦) أفق : قرية عامرة من مخلاف عس وأعمال دمار . البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، حققه وضبطه مصطفى السقا ، ج ١ ، ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ١٧٨ ؛ الأكوخ ، إسماعيل ابن علي ، البلدان اليمنية ، ص ٣٢ .

(٧) الشفالييت : جمع شفلوت وهي محرقة عن كلمة Cavalier الفرنسية أي لفارس ، وقد أطلقت في أوروبا على الفرسان الذين يهاجمون الحصون والمدن ويحفرّون ويتسلقون أسوارها ويفتحون أبوابها للجيش ، والشفلوت رجل شهيم يدفع عن الضعيف ويحترم المرأة ، ويبدو أن الكلمة انتقلت إلى شمال بلاد العرب مع فرسان الصليبيين الذين قاتلهم صلاح الدين الأيوبي ، ثم انتقلت إلى اليمن مع فرسان أخيه توران شاه ، وبقيت صفة لسلّاح الفرسان في جيش الأيوبيين ومن بعدهم لرسوليين . وفي أواخر أيام بني رسول تحولت لفروسية والشهامة إلى قسوة متناهية فكان فرسان المماليك قساة غلاظ لقلوب نهالين ينشرون الرعب حيثما ذهبوا ، وحرفت الكلمة إلى شلفوت ، ومازالت تستعمل في اليمن حتى الآن صفة للإنسان رديئ الأخلاق . لقمان ، حمزة علي ، معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، ط ١ ، مركز لدراسات ليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٨ م ، ص ١٠١ ؛ ابن النبيع ، عبد الرحمن بن علي ، الفضل لمزيد علي بغية المستفيد من أخبار مدينة زبيد ، تح : يوسف شلحد ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣ م ، ص ٣٨٩ .

(٨) ابن حاتم ، السط الغالي الثمن ، ص ٤٩٠ - ٤٩٦ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٩٥ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٢٥ أ - ب .

(٩) هو الإمام المتوكل علي الله المطهر بن يحيى بن لمرضى ابن القاسم ، ويعود نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ، وقد دعا إلى نفسه في سنة ٦٧٦ هـ وتوفي بدروان سنة ٦٩٧ هـ . الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ٩١ - ٩٢ ؛ الجرافي ، لمقتطف ، ص ١٣٨ .

لإخضاع الحصون الزيدية في جهة حضور حيث الشريف علي بن عبد الله والذي سعى بدوره بالاتصال ببني حاتم للتدخل للصلح بينه وبين السلطان<sup>(٥)</sup>.

#### ٤ - اشتداد الصراع بين الزيدية وبني رسول ووضع القبائل بينهما :

في أثناء ولاية الواثق بن المظفر على صنعاء اضطربت البلاد ، فأرسل السلطان المظفر ( الأول ) ولده الأشرف مقطوعاً لها ، واستدعى الواثق في سنة ٦٨٦ هـ ، فدخل الملك الأشرف صنعاء في جمادى الآخرة ، وتمكن من إخضاع المناطق المجاورة لها وإقرار الأمور<sup>(١)</sup> وإقامة الصلح مع الإمام في جمادى الأولى سنة ٦٨٧ هـ ، ولكن ذلك الصلح لم يدم طويلاً ، وسبب ذلك أن جماعة من جشم<sup>(٢)</sup> هاجموا حصن بيت نعم في سنة ٦٨٨ هـ وكان الإمام قد صالح عليه ، ومن شروط الصلح أن أي قبيلة تتعدى على حصن أو جبل فإنهم غرماء للسلطان وللإمام ، فلما حدث من جشم ما حدث أصدر السلطان أوامره بمحاصرة بيت نعم ، وطلب من الإمام أن يخرج من عسكره للحصار على الحصن ، إلا أنه لم يفعل شيئاً<sup>(٣)</sup> ، وعلى أثر ذلك كتب السلطان إلى القبائل المؤيدة له طالباً منهم النصرة والتأييد ضد الإمام ، وطلب المؤيد بن المظفر بجيوشه ، فجاءت إليه قبائل المشرق والمغرب ولم يبق أحد من قبائل المنطقة إلا دخل في طاعته رغماً أو رهياً ، وظلت بعض القبائل على ولائها للإمام ، فتوجه المؤيد إلى تلك القبائل وقاتلها وأخرب بلادها ، مما اضطرها إلى الدخول في طاعته خوفاً ، لما رأوا من خراب ودمار ، كما اشتبك مع عسكر الإمام<sup>(٤)</sup>.

وفي سنة ٦٩٢ هـ شهدت العلاقة بين الأمير جمال الدين علي بن عبد الله الحمزي وبين المؤيد اضطراباً ، فتخوف الأمير جمال الدين من المؤيد لذلك قام بمراسلة الإمام الذي طلع إليه بعسكر عظيم وخرج الأمير جمال الدين على رأس قوة من أهل شظب<sup>(٥)</sup> وأهل الظاهر أنصاره ضد بني رسول ، والتقى الإمام وعسكره دون أن يقوموا بشيء<sup>(٦)</sup>.

(٥) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١١١ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٩٨ ، ٢٠٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ١ ، ص ٤٦٢ .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٤٦ — ٢٤٧ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٣٢ ب ، ١٣٣ أ .

(٢) جُشَم : قبيلة من نسل زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير ومنازلهم في بعدان وريمان وعنوان وخملان في إب وفي سعوان وشعوب بضواحي صنعاء لشمالية . المقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٥٥٥ — ٥٥٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٥٧ .

(٥) شَظْب : جبل عظيم فيه مزارع وقرى ويطل على مركز السودا . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٢٦ ، حاشية رقم (١) .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٥٥٨ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١١٨ — ١١٩ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٣٣ ب .

لقد ظلت قبائل بني شهاب وحضور موالية للأشراف الزيديين ومعادية لبني رسول ، ففي السنة المذكورة أظهر بنو شهاب وأهل الحضور الخلاف وانحازوا إلى عسكر الأشراف ، فتجهز المؤيد بن المظفر في سنة ٦٩٣ هـ لحربهم ووقع بينه وبين جمال الدين علي بن عبد الله مراسلة في الصلح ، ولكن المؤيد خرج إلى البلاد الشهابية فخرّب عدة مواضع فيها ، كما خرب مواضع في ناحية حضور بأمر من السلطان المظفر ، وفي الوقت نفسه وصل الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة بجيش كبير مدداً للأمير جمال الدين ، لذلك هاجم المؤيد عدداً من المناطق عندما لاحظ ميلهم إلى الأشراف حتى دخلت في طاعته<sup>(٧)</sup> ، ثم نزل المؤيد إلى الأبواب السلطانية ، واستمرت محاولة الأشراف من أجل إقامة صلح مع السلطان ، ولكن الأمور بدأت بالتدهور في البلاد ، حيث خرج الأمير علي بن عبد الله إلى ناحية المشرق وابتنى مصنعة تنعم<sup>(٨)</sup> ، وأجابه أهل المشرق قاطبة واتصل ببعض الأمراء لكسب تأييد أكبر ، فساعت الأمر وانتشر العصيان في البلاد .

وقد ترتب على ذلك أن أصدر السلطان المظفر أوامره بتحريك ولده الأشراف إلى البلاد العليا لإتمام الصلح مع الأشراف ، فدخل صنعاء في ذي القعدة سنة ٦٩٣ هـ في ظل ظروف سيئة ، بسبب ميل قبائل المشرق قاطبة إلى الأمير جمال الدين علي بن عبد الله والإمام المطهر بن يحيى ، وعند دخول الأشراف صنعاء خافت القبائل وتوافد عليه أهل المشرق من حضور والأمراء الشهابيون ، وقدم إليه بنو الراعي والأمير جمال الدين وفي صحبتهم الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة ، ودخل الجميع تحت طاعة السلطان المظفر<sup>(٩)</sup> .

وعقب ذلك شهد الوضع السياسي نوعاً من الاستقرار إلى عهد السلطان المؤيد حيث دعا الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر ( ٧٠٠ - ٧٢٨ هـ ) إلى نفسه بعد موت والده ، فنزل الأمير تاج الدين إلى حجة والمخلاة وانضم إليه بنو شاور<sup>(١٠)</sup> وغيرهم من قبائل العرب في سنة ٧٠١ هـ ، وشكل بذلك قوة قبلية كبيرة<sup>(١١)</sup> .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٨) تنعم : بلدة في وادي قروي شرقي صنعاء . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣١٠ ، حاشية رقم ( ٦ ) .

(٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأملاني ، ج ١ ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(١٠) بنو شاور : قبيلة تنسب إلى شاور بن قنم من جشم بن حاشد من همدان . الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ١١٢ - ١١٦ .

وبلدهم في شمال مسور مربوطة بناحية كحلان غفار من بلد حجة . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ١٣٦ ، حاشية رقم ( ٧ ) .

(١١) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١١١ - ١١٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣١ ؛ العسجد المسبوك ،



وقد استغل الإمام محمد بن المطهر في سنة ٧١١ هـ الخلاف القائم بين قبائل الشرف<sup>(٥)</sup> وولاية السلطان المؤيد، فأتجه إلى الشرق في جمع كثير من عسكره وتحالف مع قبائل المنطقة واستولى على عدد من حصونها، وأجابه أهل الشرف الأعلى كافة، وعندما اشتد خطره نزل السلطان إلى تهامة وجرّد عسكراً إلى تلك الجهة ووضع عليهم الشريف عماد الدين إدريس ابن علي الحمزي<sup>(٦)</sup>، وحاول استمالة قبائل المنطقة فلم يجيبوه، فدخل معهم في صراع أدى إلى فقدانه كثير من عسكره، وفي المقابل قام الإمام بالاستعانة بقبائل حجة وشطب والأهونم وقبائل الشام<sup>(٧)</sup>، فلبّوه وقدموا إليه فتكونت له قوة قبلية كبيرة تمكن من خلالها الإمام من هزيمة العسكر السلطاني، وأسر الشريف عماد الدين وقتل كثيراً من قادة وعسكر جيش السلطان<sup>(٨)</sup>. وكان الإمام محمد بن مطهر مخلصاً لمناصريه من القبائل ومعيناً لهم في أوقات الأزمات، ففي سنة ٧١٣ هـ أرسل الإمام أخاه إبراهيم بن المطهر إلى جبل سوري لمناصرة بني صعصة<sup>(٩)</sup> أنصاره علي بن فيصل<sup>(١٠)</sup> بسبب خلاف حصل بينهم، فقويت شوكة الإمام بأنصاره من القبائل وزداد خطره، وذلك عندما خالف معه أهل الشرف والأشراف بنو القاسم في سنة ٧١٨ هـ، لهذا أرسل السلطان المؤيد جيشاً لمحاربة الإمام، فتمكن هذا الجيش من تحقيق العديد من الانتصارات بعد معارك طاحنة<sup>(١١)</sup>. ومع ذلك أخذ الإمام بالتوسع والسيطرة على الحصون المهمة، وكاد أن يدخل في حرب مع قوات السلطان التي أرسلها في سنة ٧٢٢ هـ لإيقاف زحفه لولا الخلاف الذي حدث بينه وبين أنصاره من بني شاور والذي اضطره إلى الانسحاب عندما شعر بضعف قوته<sup>(١٢)</sup>.

وفي سنة ٧٢٣ هـ دخل الإمام محمد بن مطهر في صراع مع أهل صنعاء، وذلك بسبب الأمير الأسد بن نور الدين عامل السلطان على صنعاء، حيث استدعى أصحاب الأمير الأسد علي بن إبراهيم بن الأنف الداعي ليكون عليهم، فغضب الإمام محمد بن مطهر، وقام

(٥) الشرف: جبل واسع في الشمال الغربي من حجة ويشكل أحد قضايتها يتبعه من العزل كحلان لشرف وخيران والمحاشة وأسلم والقل والشاهل وأظح والمفتاح. لمقهي، معجم، ج ١، ص ٨٦٠ - ٨٦١.

(٦) هو مؤلف كتاب "كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار".

(٧) الشام: في لغة اليمانيين جهة الشمال، وما كان جنوباً قيل له يمن. ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٣٧٢، حاشية رقم (١).

(٨) الحمزي، كنز الأخبار، ص ١٤٤ - ١٤٥؛ الخزرجي، العقود للؤلؤة، ج ١، ص ٣٩٦ - ٣٩٧؛ الكبسي، اللطائف السنينة، ص ٩٥.

(٩) بنو صعصة: بطن من هوزان من العدنانية. كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٢، ص ٦٤٢.

(١٠) بنو فيصل: بطن من ليرة من آل محمد رؤساء شمر الجربة من شمر من القحطانية. الوائلي، موسوعة قبائل العرب، ج ٤، ص ١٧٣٤.

(١١) يحيى بن الحسين، غلبة الأماني، ج ١، ص ٤٩١، ٤٩٣.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٤٩٧.

بمحاصرته في صنعاء ، واستعان بالهادوية<sup>(٥)</sup> فجاءوا إليه من مختلف نواحي البلاد ، ولكن اختلاف كلمة همدان في صنعاء ساعدت الإمام على دخول المدينة وخروج ابن الأنف وحمدان منها ، وملك الإمام صنعاء وأحسن التدبير فيها<sup>(٦)</sup> .

وهكذا استقر الإمام في صنعاء وبدأ عملياته التوسعية إلى خارج صنعاء ، ففي سنة ٧٢٤ هـ خرج لمحاربة من في قلعة طيبة في وادي ظهر ، وهم جماعة من بني حاتم وجماعة من أهل ضلع<sup>(٧)</sup> ، فامتنعوا على الإمام ، فتمكن أصحابه من دخول القلعة والافتتال مع من فيها فهلك أكثرهم وأمن الإمام على من بقي منهم ، وثبتت بعض القبائل على أموالها مثل بني الحارث وحمدان<sup>(٨)</sup> .

ومما هو جدير بالذكر أنه في أثناء الصراع القائم بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر عبد الله بن المنصور أيوب ساند الإمام محمد بن مطهر الظاهر ، ووصل إليه وهو محاصر في عدن من قبل المجاهد على رأس قوة ، الأمر الذي أخاف المجاهد واضطره إلى العودة إلى تعز في سنة ٧٢٦ هـ<sup>(٩)</sup> ، وعند عودة الإمام من عدن تعرضت له القبائل فدخل معها في صراع أدى إلى هرب عسكره ولم يبق غيره ، فنشبت في وجوه القوم حتى هزمهم ورجع إليه عسكره وأوقعوا بهم<sup>(١٠)</sup> .

## ٥ - ضعف علاقة الزيدية بالقبائل :

لقد كان للخلاف الذي قام في أوساط الزيدية أثره في ضعف مركز الإمامة بين الناس ، وعندها تفرقت القبائل من حولهم بسبب عدم توحيد كلمة الزيدية وتفرق شملها ، فقد شهدت سنة ٧٣٠ هـ قيام أربعة من الأئمة بالدعوة لأنفسهم وهم : الإمام المهدي علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين ( ٧٣٠ هـ ) ، والإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة ( ٧٣٠ هـ - ٧٤٧ هـ ) ، والإمام الوائق بالله المطهر بن الإمام محمد بن المطهر بن يحيى ( ٧٣٠ هـ -

(٥) الهادوية : مذهب زيدي يُنسب إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي ( ٢٨٤ - ٢٩٨ هـ ) مؤسس الدولة الزيدية في بلاد اليمن . الديلمي ، محمد بن الحسن ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه من كتب قواعد عقائد آل محمد ، على بتصحيحه : شد وطمان ، مطبعة لدولة ، أستنبول ، ١٩٣٨ م ، ص ١١ ، ١١٦ ؛ أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ط ١ ، لدار المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٣٢ - ٢٣٤ ، ٢٤٢ .

(٦) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٩٩ .

(٧) ضلع : قرية من ناحية همدان وتبعد عن صنعاء بمسافة ( ٨ كيلومتر ) . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٥٣ .

(٨) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٥٠١ .

(٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(١٠) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٥٠٤ .

٧٥٠ هـ ) ، والإمام المهدي أحمد بن علي الفتحي ( ٧٣٠ - ٧٥٠ هـ ) ، وكان الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة أفضلهم وأشرفهم علماً وعملاً (٣) .

وقد سار الإمام يحيى بن حمزة إلى وادي ظهر لمحاربة همدان الإسماعيلية ، بعد أن جمع عدد من الأشراف ، وأقبلت عسكر همدان مساندة للداعي علي بن إبراهيم ، ونشبت الحرب بين الجانبين وقتل الكثير منهم ووصلت الغارات إلى الإمام من ظفار وصعدة وكثرت قواته وطالت الحرب بينهم ، ووصل الفريقان في الأخير إلى إقامة صلح بينهما (٤) .

وفي الفترة من سنة ٧٣١ إلى سنة ٧٤٦ هـ شهدت همدان الإسماعيلية صراع مرير فيما بينها ، وقد لعب الإمام الزيدي المهدي لدين الله علي بن محمد بن يحيى بن منصور بن المفضل قبل قيام دعوته دوراً كبيراً في ذلك الصراع ، عندما استعان به صاحب شبام اليعالير (٥) بعد خرابها بسبب الصراع ، وقد استجاب له الكثير من الأشراف والعرب ومنهم الإمام المهدي الذي تحرك إليه ، فقامت حرب عظيمة كانت الدائرة فيها على الأشراف والعرب وقتل في المعركة خلق كثير ، كما أصيب الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد (٦) .

وفي سنة ٧٤٧ هـ توفي الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة ، وقام بأمر صنعاء بعده الأميران الأخوان إبراهيم وداود أبناء عبد الله والي الإمام علي صنعاء ، إلا أن الأمير داود وأولاده أحمد وعبد الله تمكنوا من الانفراد بحكم صنعاء بعد أن عاملوا جماعة من همدان ، فتأروا مع ولديه ودخلوا القصر وأخرجوا الأمير إبراهيم وملكوا صنعاء ، وفي أثناء حكمهم لصنعاء كان قيام الإمام المهدي لدين الله أبي علي بن محمد بن يحيى بن المنصور بن المفضل في ثلث سنة ٧٥٠ هـ ، وتتحى له الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن يحيى وأعلن ولاءه له (١) ، وحاول الإمام المهدي علي بن محمد الاستيلاء على صنعاء بعد إعلان دعوته ، وظل محاصراً لها ولكن أولاد الأمير داود بن عبد الله المتقدم ذكرهما تمكنوا من الصمود بمساعدة همدان ، مما اضطره إلى الصعود إلى ثلث ، حيث استدعاه أهالي صعدة ووعدوه بالنصرة على الأشراف الحمزيين ، فدخلها وطرد الأشراف عنها (٢) .

وبعد وفاة الإمام المهدي علي بن محمد تولى بعده الإمامة ابنه الناصر صلاح الدين ( ٧٧٣ - ٧٩٣ هـ ) ، وقد حدث أن قتل الشيخ أبي بكر بن معوضة السيري صاحب بعدان وأحتز رأسه وحمل إلى السلطان الأفضل عباس الذي دبر مؤامرة قتله في شهر ذي الحجة

(٣) عن هؤلاء الأئمة وأماكن ظهور دعوتهم انظر : الكسبي ، اللطائف السنية ص ٩٧ - ٩٨ ؛ العرشي ، بلوغ المرالم ، ص ٥١ .

(٤) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٥١١ .

(٥) شبام اليعالير : حصن مظل على مناخة غربي صنعاء ، ويسمى شبام حرار . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٤٢٢ .

(٦) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥١٢ - ٥١٣ .

(١) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥١٤ - ٥١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥١٥ .

سنة ٧٧٥ هـ ، واستغل الإمام صلاح الدين هذه الفرصة عندما استعان به محمد بن أبو بكر السيري لمساندته ضد السلطان ، فسار الإمام بنفسه على رأس قوة إلى ابن السيري في سنة ٧٧٦ هـ واجتمعوا ثم تحركوا جميعاً إلى تعز ، وفي ذات الوقت كتب السلطان إلى القبائل عامة بحفظ الطريق الذي يمر فيه الإمام ، فاستوحش الإمام من هذا التصرف ، وزاد السلطان على ذلك أنه وعد القبائل بما يرضيهم ، مما زاد في حث القبائل على التصدي للإمام ، لذلك رجع الإمام في غير الطريق الذي جاء فيها حتى خرج من حدود بلاد السلطان ، أما ابن السيري فقد تمركز في حصونه (٣) .

وفضلاً عن ذلك فقد أعاد الإمام الكرة مرة أخرى في محاولة للسيطرة على أراضي السلطان في سنة ٧٧٧ هـ فجمع جيوشاً جرارة وسار بها إلى تهامة فدخل المهجم وخرّبه ، وتوجه إلى زبيد فأقام شرقي المدينة ثلاثة أيام وهو يدور حولها من دون أن يتمكن من دخولها فعاد إلى الجبال (٤) ، وقد ساءت العلاقة بينه وبين همدان سنة ٧٧٨ هـ ودخلوا في صراعات وفتن أدت إلى إرهاب قواهم وتكديدهم خسائر كبيرة ، كما حدثت تحالفات جديدة أدت في الأخير إلى إقامة الصلح مع الإمام (٥) .

وقد حاول الإمام صلاح الدين السيطرة على حراز في سنة ٧٩٠ هـ ، ولكن قبائلها تمكنت من هزيمته، لهذا عاد إلى صنعاء، وقد كرر في السنة التي تليها محاولاته في إخضاع تهامة ، حيث تقدم إليها على رأس جيش فاستولى على شاميها ، وعلى أثر هذه الانتصارات انضمت إليه كثير من قبائل العرب المتمردة على السلطان في تلك الجهات ، فقويت شوكة الإمام ، لذلك انسحب صاحب حرض وصاحب المحالب وصاحب المهجم واتجهوا جميعاً إلى السلطان الأشرف الذي أمر بعمارة خندق حول زبيد وأمرهم بالعودة إلى جهاتهم (٦) .

وفي سنة ٧٩٣ هـ ساءت العلاقة بين الإمام صلاح الدين وبني شاور أنصاره (٧) ، فقصده الإمام بلدهم وخرّبها ونهبها وقتل الفقيه أحمد بن زيد الشاوري ، ولم يعيش الإمام صلاح الدين بعد هذه الحادثة ، فتوفي في ذي القعدة سنة ٧٩٣ هـ ، وظهر الخلاف بين الزيدية بسبب صغر سن ولده وعدم إحرازه كثير من شروط الإمامة مع وجود من هو أفضل وأولى

(٣) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢١٤ ب .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .

(٥) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ - ٥٣٤ .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ؛ لعسجد لمسبوك ، ق ٢٨٨ أ .

(٧) انتقل بنو شاور من المذهب الشافعي إلى الهدوي فبلغ الإمام اجتماعهم ليلة النصف من شعبان بحضور النساء وقيل لفواش ،

وكان الفقيه أحمد بن زيد لشاوري بنهاهم عن ترك مذهبهم الشافعي . يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ص ٥٣٦ .

منه<sup>(٣)</sup> ، وكثر المخالفون من قبائل همدان كالهبريين وبني مكرم وبني حاشد وجشم ونهم وغيرهم من أهل خولان وذيبيان وبني شهاب وسنحان<sup>(٤)</sup> .

إلا أنه تم الاتفاق على إمامة علي بن صلاح الدين ولقب بالمنصور بالله ( ٧٩٣ - ٨٤٠ هـ ) ، بينما بايع بعض علماء الزيدية في صنعاء الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل ( ٧٩٣ - ٨٤٠ هـ ) ، وهنا شهدت الفترة من سنة ٧٩٤ هـ - حتى انتهاء دولة بني رسول اضطراباً شديداً في أحوال الزيدية ، فقد خالفت على الإمام علي بن صلاح قبائل همدان وغيرها ودخل معهم في حروب كثيرة ، كما دخل في حروب مع الإمام المهدي ، وظهر أيضاً في فترة إمامة المنصور بالله والمهدي الإمام الهادي علي بن المؤيد<sup>(٥)</sup> . لقد كان الإمام علي بن صلاح حريصاً على توسيع رقعة نفوذه على حساب أراضي السلطان الأشرف إسماعيل ، ففي سنة ٨٠٢ هـ وصل كتاب من أهل قرية طيبة في الحقل<sup>(٦)</sup> إلى الإمام علي بن صلاح يطلبون مساعدته ضد السلطان الأشرف ، وكانت هذه القرية في ملك السلطان ، فقام أهلها بطرد أصحاب السلطان منها ، وبعثوا بذلك إلى الإمام الذي جاء إليهم مسرعاً دون أن يأخذ ضمانات من رهائن وغيرها ، ولما أوغل في تلك الجهات ثار عليه باطنية تلك البلاد فقاتلهم ، وأخذ ينتظر الجماعة التي استدعته فلم يصل إليه أحد ، وهنا أدرك أنه وقع في كمين أعد له ، والتفت عليه باطنية تلك الجهات مرة أخرى ، مما اضطره إلى عدم الاشتباك معهم فعاد إلى دمار وأدرك أن أهل القرية أرادوا المكر به فقط<sup>(٧)</sup> .

وهكذا يتضح أن العلاقة بين الزيدية والقبائل إلى فترة انتهاء دولة بني رسول في سنة ٨٥٨ هـ كانت مضطربة بسبب كثرة خروجها عن طاعة الإمامة وعدم انصياعها للأئمة المتناحرين فيما بينهم حول الإمامة ، لذلك شهدت علاقة الزيدية ببني رسول في سنواتها الأخيرة نوعاً من الهدوء لانشغال الزيدية في صراعاتها الداخلية ، ومن ثم فشلها في تحريض واستغلال القبائل لضرب دولة بني رسول .

(٣) عن شروط الإمامة عند لزيدية انظر : الحميري ، شوان بن سعيد ، الحور العين ، تح : كمال مصطفى ، ط ٢ ، دار أزال ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٠٢ - ٢٠٩ ؛ أيمن فؤاد سيد ، تاريخ المذاهب لدينية في بلاد اليمن ، ص ٢٢٤ - ٢٢٧ ؛ أبو زهرة ، محمد (الإمام) ، تاريخ المذاهب الإسلامية في سياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت ، ص ٤٥ ؛ أنشوق أحمد مهدي ، التجديد في فكر الإمامة عند لزيدية في اليمن ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ١١٠ ؛ عواجي ، غلب بن علي ، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، ج ١ ، ط ٣ ، دار لينه ، دمنهور ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٠١ - ٢٠٥ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الإمامي ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ ، ٥٣٨ .

(٥) لمزيد من التفاصيل عن تلك الحروب انظر : عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٩ - ٥٥ .

(٦) الحقل : كان يسمى حقل يَحْصَب وهو في الغرب من يريم . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١٠١ .

(٧) يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .

## ثانياً : الصراعات القبلية الداخلية وآثارها على الوضع القبلي :

لم تذكر المصادر التاريخية الشيء الكثير عن تلك الصراعات التي كانت تقوم بين القبائل ، عدا إشارات بسيطة إلى بعض المعارك التي تقوم في مناطق مختلفة من اليمن ، ولأسباب لم تتعمق فيها المصادر ، إضافة إلى بعض التحالفات القبلية ، خاصة عندما تقتضي المصلحة ذلك ، لهذا نجد أن إغفال المصادر عن ذكر نوعية العلاقة القائمة بين القبائل في عصر بني رسول لدليل واضح على أن العلاقة بين القبائل في تلك الحقبة الزمنية كان يسودها بعض الهدوء بسبب الروابط التي كانت تجمع تلك القبائل من حسن جوار ومصاهرة ومصالح مشتركة في الزرع والماء والأرض ، ولكن الاختلاف في أحد من تلك الأشياء هو الذي يؤدي إلى تناحرهم وفي الأخير الإضرار بمصالحهم .

وفي عصر السلطان نور الدين عمر وجدت مثل تلك الصراعات والعلاقات العدائية ، حيث أنه في سنة ٦٤٥ هـ قامت الحرب بين قبيلتين في بلاد شفا جبهة رازح<sup>(٢)</sup> وهما قبيلتا بني منبه<sup>(٣)</sup> وبني معين<sup>(٤)</sup> ، وكان نتيجة ذلك الصراع تكبد الفريقين خسائر بشرية<sup>(٥)</sup> ، كما شهدت فترة حكم المظفر تناحراً قبلياً في جهة الجوف بين بعض قبائل المنطقة مثل آل راشد وآل جحاف وآل ضيغم وذلك في سنة ٦٥٨ هـ<sup>(٦)</sup> ولقد عرفت القبيلة اليمنية نظاماً داخلياً يعرف بحق اللجوء ، فعندما يتعرض الشخص لمشكلة ما يكون بإمكانه الهروب إلى أي قبيلة واللجوء إليها بشرط حماية تلك القبيلة له وعدم التفريط به لأي جهة أو قبيلة أخرى<sup>(١)</sup> . فعندما هرب الشيخ عبد الله بن عمر من المماليك بعد هزيمتهم من قبل الأشراف اعتقاداً في خيانتهم لهم في سنة ٦٦٦ هـ لجأ إلى قبيلة خولان التي قامت بحمايته والدفاع عنه<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن النظام القبلي في هذه الفترة يقوم على هذا الأساس ، أي في حالة اللجوء يمنع الاعتداء على اللجئ ، وأي اعتداء عليه يعد اعتداءً على القبيلة ، لهذا تقوم القبيلة بأحلافها بمساندة هذا اللجئ ، وقد يحدث العكس من القبيلة ، حيث تسامح في الشخص الذي يلجأ إليها، وهذا يعد من الأمور التي تتعارض مع العرف القبلي<sup>(٣)</sup> ،

(٢) رازح : ناحية مشهورة في بلاد خولان من أعمال صعدة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

(٣) بنو منبه : قبيلة من خولان في شمال الغربي من صعدة . لمقهي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٦٤٨ .

(٤) بنو معين : قوم من خولان بن عمر بن لحاف . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧١٤ .

(٥) يحيى بن الحسين ، غاية الأملاني ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

(٦) ابن حاتم ، السمت الغالي لثمن ، ص ٢٢٨ - ٢٣٩ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١١٧ ب .

(١) لقمان ، تاريخ القبائل اليمنية ، ص ١٨ .

(٢) ابن حاتم ، السمت الغالي لثمن ، ص ٣٣٨ .

(٣) العرف : مجموعة من القوانين غير المكتوبة ومن العادات والتقاليد ، تم تناقلها شفويّاً عبر الأجيال متضمنة لأحكام وقرارات

زعماء القبائل وحكامها ، ويطلق عليها في بعض المناطق اليمنية اسم الطاغوت ، ومن الجدير بالذكر أن هناك من الأعراف ما

هي مكتوبة في اليمن . لقمان ، تاريخ القبائل اليمنية ، ص ١٠ ؛ أبو غانم ، فضل علي أحمد ، لبّنية القبلية في اليمن بين

باعتباره عيباً في حق القبيلة ، كما حصل في سنة ٦٦٠ هـ مع الإمام يحيى بن محمد السراجي عندما لجأ إلى بني فاهم ظناً منه أنه سيجد الحماية لديهم فتم بيعه للسلطان مقابل مال معين تم دفعه لبني فاهم<sup>(٤)</sup> .

ومن ناحية أخرى شهدت حضرموت عدم استقرار في أوضاعها القبلية نتيجة الصراع المستمر بين قبائلها لأسباب مختلفة أدت إلى أن تحكم حضرموت من قبل حكومات قبلية متناحرة تقاسمت حكمها ودهورت أوضاعها الداخلية<sup>(٥)</sup> .

وكثيراً ما كانت الفتنة تحدث بين القبائل لأسباب الاعتداء أو القتل ، خاصة في قبائل تهامة ، مثل الفتنة التي حدثت بين قبائل المعازبة والأشاعر<sup>(٦)</sup> في سنة ٧٤٨ هـ بسبب مقتل الشيخ ابن طبيق المعزبي من قبل رجلين من الأشاعر ، واستمر ذلك العداء واشتد عندما اشتركت فيه أكثر من قبيلة من قبائل تهامة<sup>(٧)</sup> ، مما أدى إلى تدهور الأوضاع في مناطق الصراع ، لا سيما وأن فترة الحرب قد طالت ، فقد امتدت من سنة ٧٥٦ إلى ٧٦٠ هـ<sup>(٨)</sup> فكان كل ذلك على حساب أفراد القبيلة من النساء والأطفال والشيوخ ، ومن الملاحظ أن الصراع في داخل القبيلة يكون له الأثر الأكبر في إضعافها وتكبيدها الخسائر البشرية والمادية ، وما تعرض له بنو الفقيه والشهالي سكان النخل في وادي زبيد أثناء صراعهم في سنة ٧٩٢ هـ لدليل واضح على ما تتكبده القبيلة من خسائر بشرية .

وفي هذا الصدد ، ظهر صراع في السنة المذكورة بين الأشاعر وبني الدريهم ، وهم فرع من الأشاعر ، بسبب قتل بني الدريهم لشيخ الأشاعر ، فظلت الأمور في توتر دائم بين القبيلتين حتى تمكن الأشاعر من قتل شيخ بني الدريهم<sup>(٩)</sup> ، حيث لم تستقر الأمور في داخل هذه القبيلة حتى أخذت بثأرها من أجل رفع رأسها بين القبائل الأخرى .

الاستمرار والتغيير ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢٥٣ - ٢٥٨ ؛ علي محمد زيد ، الثأر : بين الفقه الإسلامي والعرف القبلي ، مجلة دراسات يمنية ، العدد ( ٣٠ ) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٦٠ - ١٧٧ .

(٤) ابن حاتم ، السطع الغالي الثمن ، ص ٣٥٣ ؛ لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٦ - ١٣٧ ؛ لعسجد لمسبوك ، ق ١٢٠ .

(٥) عن أوضاع حضرموت في عهد بني رسول انظر : شنبل تاريخ شنبل ، ص ٨٩ وما بعدها ؛ باوزير ، سعيد عوض ، صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة الثقافة ، عدن ، د . ت ، ص ٩٢ - ٩٦ ؛ الحامد ، تاريخ حضرموت ، ص ٥٤٥ - ٥٧١ .

(٦) الأشاعر : وهم من نسل أشعر ( نبت ) بن لؤد من عريب بن زيد بن كهلان ولقب الأشعر لأنه ولد وكله شعر . ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك ، السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام ، مج ١ ، تح : ثابت محمد محمود وسيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٧ ؛ ابن دريد ، الإشتقاق ، ص ٣٩٧ ؛ الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٣٠ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٩٧ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٧ ، مادة شعر ؛ السويدي ، سبائك الذهب ، ص ١٢٥ .

(٧) عن صراع قبائل تهامة انظر أناء : ص ١٠٩ .

(٨) لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٠١ - ١٢٣ .

(٩) لمصدر نفسه ، ص ٢١٥ .

وقد تستدعي المصلحة تحالف قبيلة مع أخرى حتى يشكلوا حلفاً قوياً تهابه بقية القبائل، ونجد ذلك في تحالف القرشية<sup>(٣)</sup> والأشاعر ضد المعازبة في ذي القعدة سنة ٧٩٦ هـ الذي تكبد فيه الفريقان خسائر فادحة في الأرواح لشدة ذلك الصراع<sup>(٤)</sup>، وفي شهر جمادى الأولى سنة ٨٠١ هـ توترت العلاقة بين المعازبة وأهل التريبة بسبب مقتل رئيس المعازبة من قبل أهل التريبة، الأمر الذي أثار قبائل المعازبة الذين أغاروا على أهل وادي زبيد، وأخذوا يخربون دون تمييز فقتلوا من أهل الوادي نحو عشرين رجلاً<sup>(٥)</sup>.

ومن ناحية أخرى فقد قامت حرب طاحنة في أواخر سنة ٨٤١ هـ بين أهل الجرابح<sup>(٦)</sup> والضمريين<sup>(٧)</sup> أهل تهامة، ووصل عدد القتلى من الجرابح فقط فوق مئة رجل<sup>(٨)</sup>، وفي سنة ٨٤٦ هـ اشتدت الفتنة بين المعازبة والقرشيين، وذلك عندما استغلت قبائل تهامة الصراع الذي تعيشه الأسرة الرسولية بين المظفر (الثاني) والمفضل، وأخذت نخل وادي زبيد على أهله، ولكن الخلاف بينهما أدى إلى اندلاع الحرب، وانفرد القرشيون بملك ذلك النخل على أهله<sup>(٩)</sup>. ومما لاشك فيه أن اليمن لم تعرف في هذه الفترة من تاريخ بني رسول أشد من ذلك الصراع الذي أدى في بعض العهود إلى خراب التهام وتدهور الحياة المعيشية للناس فيها.

وفي أواخر عهد دولة بني رسول شهدت اليمن صراعاً شديداً بين قبائل يافع آل أحمد وآل كلد في عدن، وهو صراع جعل تلك القبائل تتخلى عن كل القيم والصلات التي تربطها ببعضها من قرابة ومصاهرة وصلات دم، حتى أن آل أحمد عندما تحالفوا مع بني طاهر قبل سقوط دولة بني رسول بأيام شرطوا على بني طاهر إهدار دم أبناء عموماتهم من آل كلد<sup>(١٠)</sup> من دون مراعاة لما يربطهم من دم ودون التفكير في مصير هذه القبيلة بعد خروجها من موطنها مع عدم مراعاة وضع الأطفال والنساء والشيوخ، وفي هذا دليل على وحشية تصرفات بعض القبائل ليس فقط في علاقتها بالقبائل الأخرى ولكن أيضاً على مستوى العلاقات الداخلية للقبيلة نفسها، وهذه الشدة الذي تميزت بها القبائل هي التي جعلتها تدخل

(٣) القرشيون : من قبائل الأشاعر في بلاد زبيد من تهامة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٤٨ .

(٤) لخرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .

(٥) لخرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٤٩ أ .

(٦) الجرابح : قبيلة من عك بن عدنان ولهم موضع بتهامة سمي باسمهم . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٨٤ .

(٧) لضمريون : نسبة إلى ضمرة بن بكر بطن من كنانة من العدنانية . الوائلي ، موسوعة قبائل العرب ، ج ٣ ، ص ١١١٢ .

(٨) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ .

(٩) لخرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٩ أ - ب ؛ ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٤٠١ - ٤٠٢ .

(١٠) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٧ أ .



في صراع دائم مع الدولة لرغبتها في عدم الخضوع والانصياع لها ورغبتها أيضاً في حكم نفسها بنفسها بعيداً عن أي قيود قد تفرضها عليها الدولة .

### ثالثاً : أسباب قيام التمردات :

اعتمد بنو رسول كثيراً على القبائل في صراعاتهم المختلفة وعند شعورهم بعجزهم ، خاصة تلك القبائل التي أذعنت بالولاء والطاعة لهم <sup>(٢)</sup> ، لذلك كان أفرادها يؤلفون معظم القوات السلطانية إلى جانب غيرهم من العناصر الأخرى <sup>(٣)</sup> والتي يتم إرسالهم في مهام رسمية من قبل السلطان الرسولي . ولأهمية القبيلة أخذ سلاطين بني رسول يسترضون مشائخها ورؤسائها ويدفعون لهم من الأموال ما يكفيهم به شرهم ، وقد ظلت القبائل مصدر قلق واضطراب ومعل من معاول الهدم التي أسهمت في انهيار هذه الدولة <sup>(٤)</sup> ، على الرغم من كل الجهود التي بذلتها الأسرة الرسولية لردع هذه القبائل ، في الوقت الذي كان لتلك القبائل أسبابها التي دفعتها إلى التمرد والخروج عن الطاعة ، وأصبحت تعمل بسببها كل ما تستطيع أن تفعله لإسقاط هذه الدولة ، ولا نجد فرقاً كبيراً بين الأسباب التي أدت إلى انهيار هذه الدولة وانتهائها وبين الأسباب التي دفعت تلك القبائل إلى التمرد ، وهذه الأسباب هي :

#### ١ - الأسباب السياسية :

##### أ ( فرض سلطة الدولة على القبائل بالقوة :

تميزت القبيلة اليمنية دوماً بالنزعة نحو الاستقلال وعدم الخضوع لأية سلطة مركزية <sup>(١)</sup> والميل نحو مقاومة الحكم المركزي أياً كان <sup>(٢)</sup>، وقد أصبحت تلك القبائل بكياناتها المستقلة تمثل

<sup>(٢)</sup> يبدو أن القوات السلطانية لبني رسول كانت تتكون من جيش نظامي وجيش غير نظامي ، ويُعد الجيش النظامي الذي يتكون من فرق منظمة من الغز والعرب أساس قوات بني رسول ، أما الجيش الغير نظامي فهو يتكون من رجال القبائل الذي يستعان بهم في أوقات الاضطرابات والأزمات .

<sup>(٣)</sup> القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٢ .

<sup>(٤)</sup> عليان ، محمد عبد الفتاح ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول باليمن ، رسالة دكتوراه ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ص ٢٥٥ .

<sup>(١)</sup> الموسوعة العربية الميسرة ، مج ٢ ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٣٧٠ ؛ المقرمي ، عبد الملك ، التاريخ الاجتماعي للثورة اليمنية رؤية سوسيولوجية لتحول بناء لقوة ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ٩٨ ، ٢٣٤ .

<sup>(٢)</sup> الشرجبي ، قائد نعمان ، الشرائع الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار الحدائق ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١٨٣ .

مصدر قلق بالنسبة للدولة الرسولية ، ونجد أنه منذ قيام هذه الدولة وسلاطين بني رسول يسعون إلى القضاء على تلك الكيانات القبلية رغبة منهم في التخلص منها أو إضعافها ، خاصة وأن تلك القبائل شكلت دويلات صغيرة لها كياناتها وأراضيها ومصالحها داخل الدولة المركزية ، وهناك إشارات أوردتها المصادر تؤكد أن القبيلة وشيخها كان لهم كيانتهم الخاص بهم وقوتهم التي قد تحتاج إليها الدولة المركزية عند الضرورة ، كما حدث في سنة ٦٢٦ هـ عندما قدم الشيخ علوان الجحدري من بلاده لمساندة السلطان المنصور عند حصاره لحصن تعز (٣) .

وعلى الرغم مما قدمته تلك القبائل من مساعدات للسلطان المنصور ، لكنه ظل ينظر إلى تلك الكيانات القبلية بعدم ارتياح ، وأمام رغبة تلك القبائل ومشائخها في الانفراد بحكم ما هو تحت يدها بعيداً عن سيطرة السلطة المركزية قام السلطان المنصور في سنة ٦٣٠ هـ بتسليم بعض المناطق القبلية ، فبسط يده على بلاد الشيخ علوان الجحدري وحصونه ، وبلاد الشيخ الهرش (٤) الرياحي وحصونه من أجل إخضاعهم والقضاء على كياناتهم المستقلة (٥) ، لهذا كان كل ما يقوم به سلاطين بني رسول مع هذه القبائل في محاولة لبسط سيطرتهم يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للقبائل من وجهة نظر تلك القبائل ، فعبرت عن رفضها لذلك بالتمرد والخروج عن الطاعة ، فعلى الرغم من أن قبائل نهد قد رحبت بالقوات التي أرسلها السلطان المنصور بقيادة الأمير نجم الدين أحمد بن أبي زكري إلى حضرموت في سنة ٦٣٧ هـ ، لكنها أعلنت تمرداً وقتلت الأمير نجم الدين عندما أحست أن تلك القوات جاءت لتفرض نفسها على أراضيها ، بدليل رفض مقدمي الغز إعطاء الذمة لهذه القبيلة رغبة في إخضاعها بالقوة (٦) .

ومن جهة أخرى ، فقد نظر سلاطين بني رسول إلى امتناع بعض المشائخ إلى تسليم ما يملكونه من حصون خروجاً عن الطاعة وتمرد ، ونجد وجهة النظر هذه في موقف السلطان المنصور من الشيخ عمار السبائي الذي امتنع عن تسليم حصونه التي يملكها في المعافر للسلطان ، فدبر السلطان مؤامرة قضى فيها على الشيخ عمار وسيطر على حصونه في سنة ٦٣٩ هـ (٧) . وأدت محاولات بني رسول المستمرة للسيطرة على المناطق القبلية وإخضاع مشائخها إلى خروج تلك القبائل عن الطاعة وزيادة تمرداً ، حيث أظهر الشيخ علوان الجحدري الخلاف ضد السلطان المنصور في شهر ذي القعدة سنة ٦٤٧ هـ بسبب كثرة أعمال السلطان العسكرية ضده وتكررها ، ويبدو أن علوان هدف من وراء تمرد هذا إعادة ما سيطر عليه السلطان من أراضيه ، خاصة وأنه أخذ في التوسع على حساب أراضي السلطان . وفي عهد السلطان

(٣) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٤) آل الهرش : من مشائخ سنحان . ابن لديبع ، قرّة لعين ، ص ٢٩٣ ، حاشية رقم ( ٣ ) .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٠٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٧) الهمداني ، ديوان ابن حمير ، ص ٢١٨ - ٢١٩ ؛ الخزرجي ، العبد المسبوك ، ق ١٠٠ ب ، ١١١ أ .

المظفر ظهر تمرد أهل التريبة في سنة ٦٤٧ هـ ، عندما حط السلطان بقواته على أراضيهم وهو في طريقه لاختصاع ابن عمه الأمير فخر الدين المحاصر لزبيد<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن أهل التريبة قد رفضوا أن يدخل السلطان بقواته أراضيهم أو حتى يمر فيها فاقفوا مع قواته .

لقد كان بنو حاتم أكثر الأسر الهمدانية ولاء لبني رسول ، ولكن قيام الأمير سنجر الشعبي بمحاربة أهل بيت أنعم وهم من همدان قد أثارهم فكتبوا إلى الأمير سنجر يتوعدونه بالخلاف إذا لم يكف يده عن أبناء عمومته في بيت أنعم ، إلا أن إصراره على موقفه جعل همدان تتجه إلى الخلاف تضامناً مع أبناء عمومته<sup>(٣)</sup> .

ولم يكن ذلك فقط على مستوى علاقة القبائل ببني رسول ، بل نلاحظ ذلك في علاقة الأشراف بالقبائل ، ففي سنة ٦٧٢ هـ حدث أن أنكرت همدان على الأمير عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة قيامه ببناء درب في نجران أطلق عليه اسم كوكبان ، باعتبار ذلك تدخلاً في أراضيها ، ودخلت في صراع مع الأمير عز الدين الذي استعان بالأشراف على همدان التي عاثت في المنطقة خراباً ، وكان لقبائل يام<sup>(٤)</sup> دوراً في مساندة همدان ضد الأشراف وهزيمتهم بعد قتل أهم قادتهم ورجالهم ، مما اضطر الأشراف إلى ترك نجران بعد هذه الحادثة<sup>(٥)</sup> ، كما ثارت قبائل حرز ضد الإمام صلاح الدين بن الإمام المهدي علي بن محمد في سنة ٧٩٠ هـ عندما حاول غزو أراضيهم والتوغل فيها ، فتصدت له هذه القبائل بشدة ، هزم على أثرها وانسحب بعد أن أدرك أنه من الصعب أن يأخذ أراضيهم بالقوة ، وأيضاً نلاحظ فشل الحملة التي أرسلها السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل بقيادة الأمير شكر العدوي إلى ناحية حرز ، بسبب رفض القبائل السماح لقوات الظاهر من دخول أراضيها أو المرور فيها<sup>(٦)</sup> .

ومن هنا نستنتج أن القبائل في عهد بني رسول كانت شديدة أمام أي تدخل في أراضيها ، لاسيما عند تدخل الدولة ، فقد نظرت تلك القبائل إلى هذا التدخل باعتباره تعدياً على سيادتها ، فأخذت تعبر عن رفضها بالتمرد والعصيان .

## ب ( سوء سياسة السلاطين وضعفهم :

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٣٤ ، ٢٥٢ .

(٣) يحيى بن الحسين ، غلبة الأماني ، ج ١ ، ص ٤٥١ .

(٤) يلم : فرع من قبيلة حاشد من همدان ومساكنهم في منطقة نجران . الهمداني ، الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٨٥ — ٩٠ : النجدي محمد البسام التميمي ، الدرر لمفاخر في أخبار العرب الأواخر " قبائل العرب " ، تح ونشر : سعود بن غانم الجمران العجمي ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٣٥ — ٣٦ .

(٥) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٤٤٧ — ٤٤٨ .

(٦) يحيى بن الحسين ، غلبة الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ ، ٥٦٩ .

كانت أكثر الفترات تمرداً هي عندما تشعر القبائل بضعف السلطان وقلّة كفاءته ، لصغر سنه أو لفشل سياسته أو لغيرها من الأسباب ، ونلاحظ ذلك في شخصية المجاهد الذي تولى بعد وفاة والده المؤيد وهو في سن الخامسة عشر عاماً ، فحدثت سن المجاهد نتج عنها قيام التنافس والصراع داخل البيت الرسولي على السلطة ، وتقلص ملك المجاهد، وتمرد القبائل والجند ضده ، إضافة إلى تطلع الإمامة الزيدية إلى توسيع أراضيها على حساب أراضي بني رسول<sup>(٢)</sup> ، فلم يكن المجاهد قد وصل إلى مرحلة تؤهله إلى حكم هذه الدولة ، لهذا وجدت القبائل وغيرها من القوى المناوئة فرصتها في الخروج عن الطاعة وإعلان التمرد .

ولقد أظهر الصراع الذي قام بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر ضعف سياسة المجاهد وقلّة تدبيره وخبرته ، عندما استعان بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون لإنجاده بقوة عسكرية على منافسيه<sup>(٣)</sup> ، وكان لوصول هذه الحملة الأثر العكسي على اليمن ، لما قام به رجالهما من أعمال تدمير وتخريب وإحراق ، وتعدّ هذه الفترة من أصعب الفترات التي مرت بها اليمن ، خاصة وأنها على مرّأي ومسمع المجاهد<sup>(٤)</sup> الذي زاد الطين بله عندما قام بكحل والي صبر كحلاً شنيعاً في الفترة نفسها أي سنة ٧٢٥هـ ثم وافته المنية بعد ثلاثة أيام في السجن ، مما أدى إلى ثورة أهل صبر ضد المجاهد وسياسته التي أظهرت عجزه عن تسيير الأمور ومعالجتها<sup>(٥)</sup> .

وفي هذا الصدد ، فقد كان السلطان الناصر أحمد من سلاطين بني رسول الذين أخذت عليهم بعض الأمور في سياستهم ، والتي أظهرت عدم كفاءتهم ، وبالتالي زيادة استياء الناس من بعض أعمالهم كقيام الناصر باحتضان بعض المبتدعة كابن الأنف والكرماني المتصوفة ، إضافة إلى إنقاصه المساحات والعطايا المقررة لبعض الشيوخ وغيرهم ، لذلك أخذت عليه غالب حصون الجبال ، كما ارتكب الناصر جريمة أصبحت سبة يعيّر بها بني رسول ، عندما أمر في سنة ٨٢٢هـ بسمل أو كحل عيني أخيه حُسيناً الذي خرج عليه مرتين ، ويبدو أنه أمام الانتقادات التي تعرض لها أعلن ندمه على ما فعله<sup>(٦)</sup> ، وزاد من تذمر الناس وعصيانهم ولعه في آخر عمره بشرب الخمر والتبذير في بناء الحصون وصرفه الأموال الباهظة لذلك ،

(٢) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٢٨ - ١٢٩ ؛ بامخرمه ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٣) المقرئزي ، سلوك ، ج ٢ ، ص ٢٦٥ - ٢٦٨ ؛ ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ص ٤٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم

الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٨٤ ؛ العقيلي ، تاريخ المخلاف السليماني ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) Playfair . R.L. AHistory.Arabia Felix or Yemen , p. 91

(٥) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٩٣ - ٥٩٤ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٥ أ - ب ؛ ابن النبيع ، قرة العيون ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

واتجاهه أيضاً إلى مذهب الإسماعيلية<sup>(٢)</sup> ، وكل هذه الأمور زادت من كراهية الناس بما فيها القبائل ، وظلوا ينتظرون الفرص المناسبة لشق عصا الطاعة بسبب سياسته .

ويشير ابن الديبع إلى أن السلطان المنصور ( الثاني ) عبد الله بن أحمد قد أحدث بعض المظالم يوم أن قل في يده المال ، فنزل أبيات حسين في آخر سنة ٨٢٩هـ وجبا أهلها بلا حجة ، وأخذ في ظلم الفقهاء بني الحجاج الذين يعدون من أكابر علماء تهامة ، ولم ينجو منه حتى أفراد بيته ، وبالرغم من الصفات الحميدة التي تميز بها في بداية حكمه<sup>(٣)</sup> إلا أنه لم يحمل مقومات الشخصية الحاكمة<sup>(٤)</sup> .

وقد ساءت أمور الدولة الرسولية عند تولي السلطان الأشرف ( الثالث ) بعد موت أخيه السلطان المنصور في سنة ٨٣٠هـ فقد كان الأشرف صغير السن لم يخبث بعد ، فتولى شئون البلاد جماعة من الأعيان الذين لم تتفق كلمتهم ، فانتشرت الفوضى في البلاد واشتد عصيان وتمرد القبائل في ظل هذا الوضع ، وأخذوا في نهب الضعفاء من الناس ، وزاد الأمور سوءاً أن حدث في البلاد جدباً عاماً وأخذ الأقوياء من القبائل وغيرها يأكلون الضعفاء من العامة ، وتدهورت الأوضاع لضعف السلطان وعدم كفايته ، وتضرر الناس وثاروا ضده ، فقبض عليه وزج به في السجن سنة ٨٣١هـ<sup>(٥)</sup> .

وفي بداية عهد السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل سنة ٨٣١هـ حدثت واقعة أظهرت سوء سياسته منذ البداية ، ذلك عندما قام بمصادرة<sup>(٦)</sup> وزير ابن أخيه القاضي شرف الدين إسماعيل بن عبد الله العلوي ، وأخذ أمواله وقام بمراسلة زوجته ابنة المزجاجي سراً فأطلعت زوجها الذي طلقها خوفاً من بطش السلطان ، وبعد أن أنقضت العدة أرسل الظاهر وكيله فتزوجها ونقل إليها ، وهرب ابن العلوي إلى مكة في جمادى الآخرة سنة ٨٣٣هـ ، لهذا قبض السلطان الظاهر على أخيه الشهاب العلوي وأمر بمصادرة بيوت بني العلوي وأموالهم وأمر بضرب عنق الشهاب ، وأباد بني العلوي جميعاً ولم يبقَ لهم باقية<sup>(٧)</sup> . هذه القضية غير الأخلاقية والتي لا تصدر عن ولي أمر بيده مصائر الرعية تركت علامة سوداء في

(٢) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٦٥ .

(٣) قرّة العيون ، ص ٣٩٢ ، نقلاً عن الفقيه الحسين بن عبد الرحمن الأهل .

(٤) Playfair . R.L. AHistory .Arabia Felix or Yemen , p . 93

(٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٦ ب ؛ مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٠٩ .

(٦) المصادرة : هي أن تعمد السلطة إلى انتزاع الأملاك المنقولة أو غير المنقولة ( أرض ، سلاح ، مال ، بضاعة ... الخ ) من أحد المخالفين أو المحكوم عليهم . جبران مسعود ، الرائد معجم لغوي عصري ، ج ٢ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١ م ، ص ١٣٨٦ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٦ ب ، ٢٥٧ أ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ؛ يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

قلوبهم وإن لم تعبر عنها المصادر ، إلا أنها من الأعمال التي أثارت الجميع على حكام بني رسول .

وبهذا فقد أصبح سوء السياسة والتهور وقلة التدبير صفة اتصف بها بعض سلاطين بني رسول ، فلقب السلطان الأشرف (الرابع) بن الظاهر بالمجنون لتهوره وعدم حنكته <sup>(٢)</sup> ، وكانت الأعمال الوحشية التي قام بها الجند في زبيد بأمر من السلطان أحمد الناصر بن الظاهر يوسف بن عبد الله بن السلطان المجاهد الذي أقامه العبيد في سنة ٨٤٦ هـ سبباً في أن يلقب بالخاسر ، ولقب من قبل ابن الديبع بالكاسر لسياسة البطش الشديدة التي نفذها ضد أهالي زبيد ، كما أدت تولية المسعود في سنة ٨٤٧ هـ وهو في سن السابعة عشرة عاماً إلى ظهور بوار زوال هذه الدولة ، فحادثة سن المسعود جعلت البعض يطمعون في التخلص من هذه الدولة ، وإقامة دولة لهم على أنقاضها مثل بني طاهر <sup>(٣)</sup> الذين كانوا يتفائلون كلما شاهدوا بوار الضعف والتدهور والانحيار التي تعيشها هذه الدولة ، خاصة وأنه لم يعد لسلاطين بني رسول أي ثقل سياسي أو عسكري ولم تعد لهم أي مكانة أو هيبة أو قرار لقوة وهيبة القبائل كقبائل يافع <sup>(٤)</sup> .

خلاصة القول أن ضعف السلطان أمام القبائل يعد عاملاً أساسياً ومشجعاً لخروج القبائل عن الطاعة وعصيانها .

### ج ( تفاقم الصراع في البيت الرسولي :

تعد الفترة التي عاشتها الدولة الرسولية في ظل الصراعات الأسرية الداخلية ، من أفضل الفترات التي وجدت فيها القبيلة فرصتها للتمرد والعصيان ، وذلك من خلال الانضمام إلى أحد أفراد الأسرة ضد منافسه أو العكس . ففي أثناء الصراع بين السلطان المظفر يوسف ( الأول ) وابن عمه الأمير أسد الدين في سنة ٦٤٨ هـ انضمت إلى الأمير أسد الدين العديد من قبائل العرب وعلى رأسها بنو حبيش الذين وجدوها فرصة لشق عصا الطاعة ضد السلطان والخروج عليه ، وفي الوقت نفسه استغل أهل الدملوة الصراع بين المظفر وأخيه الملك المفضل بالانضمام إلى المفضل ، وأصبح تحصنه في الدملوة من الأمور المقلقة للمظفر <sup>(١)</sup> .

(٢) بلخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٣ ب .

(٣) قرّة العيون ، ص ٤٠٣ .

(٤) عن تمرد قبائل يافع لنظر أثناء : ص ١٦٠ - ١٦٣ .

(١) ابن حاتم ، السمط لغلي لثمن ، ص ٢٨٦ ، ٢٩١ .

وعلاوة على ذلك فقد شهد عهد السلطان الأشرف بن مظفر سنة ٦٩٤ هـ اضطراباً بسبب صراعه مع أخيه الملك المؤيد الذي أراد السيطرة على الحكم ، وزادت الأمور تعقيداً بانضمام قبائل الجحافل إلى المؤيد ضد الأشرف ، وقد واجه المؤيد المصير نفسه عند تولية الحكم في سنة ٦٩٦ هـ وذلك عند انضمام قبائل الجوف الراضية لحكم المؤيد إلى الملك المسعود بن مظفر بعد خروجه على أخيه السلطان المؤيد <sup>(٢)</sup> . وفي عهد السلطان المجاهد استغلت بعض القبائل الصراع القائم بينه وبين ابن عمه الظاهر في سنة ٧٢٩ هـ ، كما استغلت قبائل أخرى صراع المجاهد مع ابنه مظفر وانضمت إلى الملك مظفر سنة ٧٦٤ هـ ، وفي ظل هذه الأوضاع خالف الأمير محمد بن ميكائيل سالف الذكر <sup>(٣)</sup> مستغلاً تلك الصراعات داخل الأسرة الرسولية .

ومن غريب ما نلاحظ في تاريخ بني رسول أن الصراع في هذه الدولة يبدأ صغيراً ثم تظهر تحالفات تعمق الخلاف وتبرزه ، فقد أدى الصراع بين العباس بن إسماعيل الأشرف وأخيه السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل إلى تحالف العباس مع العبيد المخالفين على الظاهر ثم تحالف الجميع مع قبائل الواعظات الذين شكلوا بذلك قوة أصبحت تهدد دولة السلطان الظاهر الذي تمكن من هزيمتهم بالتعاون مع أنصاره بني حفيظ في المحالب <sup>(٤)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أدت الصراعات في داخل البيت الرسولي والتي سببها الرئيسي التنافس الشديد على السلطة إلى قيام السلطان عند توليه الحكم بالقضاء على جميع منافسيه من أفراد أسرته ، وإن لم يكن لذلك الفرد صلة أو ارتباط بأمور السياسة ، حيث أن السلطان الأشرف ( الرابع ) إسماعيل بن يحيى لم يتراجع عن تطبيق هذه السياسة ضد إخوته وبني عمه عند وصوله إلى الحكم ، حتى أنه أخذ رجلاً من ذرية المجاهد كان يعمل جمالاً وسمل عينيه خوفاً من أن ينافسه على الحكم ، لهذا بعد وفاة الأشرف إسماعيل وجد رجال الدولة صعوبة في الحصول على أحد أبناء ذرية بني رسول لتوليه الملك ، فلم يجدوا إلا طفلاً في الضنوج <sup>(٥)</sup> مستجيراً عند بعض شيوخ الصوفية هناك ، والخوف يملأ قلبه من أن يصير إلى ما صار إليه أبناء عمومته ، فنصبوه ملكاً وهو ما يزال قاصراً عاجزاً عن أمور الملك ، فشغل نفسه باللهو والطرب ، فكانت هذه من أفضل الفرص للقبائل لتحقيق أطماعها وتستعيد ملكها وحصونها التي سلبها منهم سلاطين بني رسول في السابق ، وقد صرح السلطان

(٢) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٢١ ؛ الخزرجي ، لعقود للدولة ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ، ٣٠٨ .

(٣) انظر أعلاه : ص ٤٧ - ٤٩ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٩٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٧٢ .

(٥) الضنوج : بلد تقع في وصاب . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٢ ، حاشية رقم (١) .

المظفر يوسف ( الثاني ) بن عمر بأنه لا حاجة له بكثرة الحصون هذه ، وأخذت القبائل في استعادة تلك الحصون ، فزاد ذلك من قوتها وقوة دفاعاتها بالحصول على هذه الحصون <sup>(١)</sup> . وإضافة إلى ذلك كان المسعود بن الأشرف المخلوع ممن عانى من كثرة الصراعات ووحشيتها منذ طفولته ، لذلك أخفته أمه في أعلى أحد دور زبيد خوفاً عليه من القتل أو السمل ، واستمر كذلك حتى كبر ، ووجده العبيد وولوه المُلْك ، ولم يكن إلا كما كان منافسه المظفر ( الثاني ) ، حيث تخلى عن أهم حصونه وأعلن أنه لا حاجة له فيها لانشغاله في الصراع مع المظفر ( الثاني ) ، ووجدها زعماء القبائل فرصة في الحصول على تلك الحصون فوزعت بينهم ، وتجراً البعض على أخذها بالقوة في ظل الفوضى العامة ، وبذلك زادت قوة وشوكة القبائل ، وقلت هيبة الدولة وسلطته <sup>(٢)</sup> .

وفي أواخر عصر دولة بني رسول وجدت قبائل تهامة ومن ثم قبائل يافع وبنو طاهر فرصتها في التمرد وتحقيق أطماعها دون أن يكون هناك رادع لأعمالهم التخريبية والتوسعية، مستغلين تناحر سلاطين بني رسول على الحكم <sup>(٣)</sup> ، الذين لم يدركوا أهمية الوضع والأزمة التي تعاني منها دولتهم ، لذلك لم يفيقوا من غفلتهم إلا بعد فوات الأوان ، خاصة وأن القبائل قد أخذت ما يمكن أن تأخذه من الأراضي والحصون، فأصبحت هذه الدولة على حافة الانهيار .

#### (د) وجود الفراغ السياسي بوفاة السلطان أو غيابه :

لقد لاحظنا سابقاً المراحل الحرجة التي مرت بها الدولة الرسولية بسبب وفاة السلطان أو عزله ، وقد ظهر ذلك منذ مقتل السلطان المنصور نور الدين عمر في سنة ٦٤٧هـ — وحالة الفوضى التي عاشتها البلاد لعدم وجود شخصية قوية تملأ مقعد المنصور نور الدين عمر ، وقد تكررت هذه الأحداث خلال عهود الدولة الرسولية، وكانت القبيلة في كل مرحلة انتقالية تتجه إلى العصيان، وإثارة الفتنة بين حكام وسلاطين بني رسول رغبة منها في زعزعة أمن وسلامة نظام هذه الدولة <sup>(٤)</sup> .

وفي الوقت نفسه استغلت القبائل فترة غياب السلطان لتحقيق أطماعها وتنفيذ مخططاتها التي هدفت من ورائها إلى الاستقلال بما تحت يدها ، فكان غياب السلطان المجاهد في مصر سنة ٧٥٢هـ سبباً في خروج بعض القبائل والمناطق عن طاعته في ظل فوضى عامة شهدتها البلاد ، فسيطر الأشعوب على حصن سامع <sup>(١)</sup> في شهر رمضان سنة ٧٥٢ هـ، وقتلوا من

(١) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٦ .

(٢) لمصدر نفسه ، ص ٢٧ — ٢٩ .

(٣) عن تمرد قبائل تهامة ويافع وبنو طاهر لنظر أنناه : ص ١٠٧ — ١٤٩ ، ١٦٠ — ١٦٨ .

(٤) لنظر أعلاه : ص ٣٩ — ٥٧ .

(١) منابع بمقاطعة من مخالف للمعافر في الجانب الشمالي ، جنوبي صبر . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٢١٨ ، حاشية رقم (٢) .



الرتبة التي فيها خمسة عشر رجلاً ، وتعد هذه فرصة للانتقام من المجاهد الذي كانوا على خلاف دائم معه، فبمجرد غيابه أظهروا عصيانهم ، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بمهاجمة جباً<sup>(٢)</sup> في شهر شوال ونهبها ، وفي الفترة نفسها أظهر أهل إب الخلاف مستغلين غياب السلطان<sup>(٣)</sup> . ويمكن القول أن كل فترة انتقالية تشهدها دولة بني رسول بانتقال السلطة من سلطان إلى آخر ،فترة صعبة تشتد فيها الخلافات و التمردات بسبب رغبة الجميع تحقيق أطماعهم في ظل هذه الفرصة المناسبة .

### هـ ( استبداد الولاة و العمال الإقطاعيين وجورهم :

يُعد من أهم عوامل تمرد القبائل وعصيانها ، وذلك لما عانتها القبائل من هؤلاء الولاة لاسيما عند تحديد الضرائب و العشور وجبايتها وما يصاحب ذلك من استخدام كافة أنواع العنف و التعسف ، على مرأى ومسمع سلاطين بني رسول ، الذين يقفون مكتوفي الأيدي أمام تصرفات هؤلاء الولاة . ففي عهد السلطان المنصور نور الدين عمر ثارت بعض قبائل منطقة وصاب وتمردت بسبب جور الولاة وظلمهم ، وفقد بنو رسول سيطرتهم على المنطقة بعد أن هاجمت القبائل الحصون وسيطرت عليها ، وكذا اشتدت الفتنة بين رجال القبائل أنفسهم ، ودخل بنو رسول في صراع مع تلك القبائل في محاولة لإقرار الأوضاع ، وكل ذلك بسبب ظلم الولاة عند الجباية<sup>(٤)</sup> ، ووصل الجور بالسلطان المنصور ( الأول ) وولاته إلى ثورة الناس واتصلهم بالشيوخ والصالحين لردع أعماله التعسفية ،حتى أنهم طلبوا أن تكون الخطبة للمظفر بدلاً عن والده المنصور تعبيراً عن سخطهم ورفضهم لأعمال السلطان وولاته الاستفزازية ، ولولا مقتل المنصور في سنة ٦٤٧هـ لتم ذلك<sup>(٥)</sup> .

وشهد عهد السلطان المظفر يوسف ( الأول ) العديد من القضايا المماثلة لذلك ، ففي شهر شوال سنة ٦٥٢هـ أقطع السلطان المظفر الأمير شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله بن حمزة مدينة القحمة وحمل إليه السلطان من الأموال و الخيول و الخلع الكثير وجهاز معه قوة من المماليك ، ولكن سياسة الأمير شمس الدين الاستفزازية ضد قبائل الجوف أثارتهم ضده لاسيما وأنة عند وصوله إلى الجوف استباحه دون أن يكون للسلطان المظفر موقف

(٢) جباً : من مدن المعافر كان يسكنها ملوك آل الكرندي وهم من حمير الأصغر . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٩٩ .  
وتقع في السفح الغربي لجبل صبر من أعمال تعز ونواحيه . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية ، ص ٦٩ ؛  
العيديروس ، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ، لنور السافر عن أخبار القرن العاشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٣٨ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٨٣ - ٨٥ ، ٨٩ ؛ للسجد لمسيوك ، ق ١٩٥ ب ، ١٩٦ ب .

(٤) الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ١٥٥ - ١٥٧ .

(٥) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٥٥ .

معارض ، فتمرد عليه أهل الجوف ودخل معهم في حرب وكثرت الوقعات بينهم ، مما أدى إلى توتر الأوضاع في الجوف<sup>(١)</sup> بسبب سوء سياسة هذا الوالي التي تسبب في تأزم العلاقة في الجوف بين القبائل و الدولة . ونتيجة لسوء سياسة الولاة أيضاً انضمت قبائل الشرف إلى الإمام محمد بن مطهر في سنة ٧١١هـ ، وذلك بعد أن أصابهم ما يكرهون من ولاة بني رسول ، وقد زاد ذلك من قوة الإمامة بانضمام القبائل إليها ، وضعف جانب السلطان بتمرد القبائل عليه<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الصدد ، فقد ظهر في بداية عهد السلطان المجاهد شخصية الوالي ابن حسين بن إبراهيم والي الجند الذي مثل أسوأ صورة لولاة بني رسول خلال فترة تاريخهم ، ووصفته المصادر بذلك ، لهذا عزله المجاهد لكثرة شكوى الناس منه وعين بدلاً منه ابن وهيب العريقي أحمد فخان ، ولكن عدم وجود الرقابة من بني رسول وانشغال المجاهد في صراعه مع الظاهر جعل ابن وهيب يكون أكثر فساداً ، فأعاد المجاهد مرة أخرى الوالي ابن حسين ، مما شجعه على زيادة الظلم ، وأخذ يستخدم سياسة المكر والخديعة و اللعب و الفتنة بين ولاة المناطق في الدملوة وتعز ليثير الحرب بينهم<sup>(٣)</sup> ، وزاد ظلم ابن حسين وهلك الكثير من الناس ، وخرج البقية عن الطاعة ، خاصة أهالي الجند وغيرها من المناطق التي عانت من أمثال هذا الوالي ، بل وصل أسلوبه في الكداع و المكر إلى استغلال الصراع القائم بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر ، واللعب بالاثنتين معاً ، وإظهار حسن النية للجانبين ، فكان يأخذ من المجاهد جامكية ومن الظاهر مثلها<sup>(٤)</sup> ، وهذا دليل آخر على سذاجة وضعف سلاطين بني رسول والاستهتار بهم وابتزازهم ؛ ولهذا السبب أيضاً عزله السلطان المجاهد وعين بدلاً منه ابن الحجازي ، وولى ابن حسين حصن تعز . ونلاحظ هنا أن المجاهد يتصرفه هذا لم يغير شيئاً بل زاد الأمور تعقيداً ، لاسيما وأن أهالي تعز تشاءموا منه ، لأنه لما باشر عمله في تعز استمر على تلك السياسة التي اتبعها في الجند ، وزاد على ذلك قيام مجموعة من شفاليتيه بمهاجمة بيوت الناس ونهبها ونشروا كل قبيح هناك<sup>(٥)</sup> ، في الوقت الذي لم يكن هناك أي رد فعل من بني رسول ، فثارت الفتنة داخل تعز وقامت الحرب في سنة ٧٢٤هـ ، وظهرت تحالفات جديدة ، مما جعل أهالي تعز<sup>(٦)</sup> يستعينون بأهل صبر وغيرهم، بل وصلت الأمور إلى مراسلة بعض أهل تعز للمماليك

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٣١٦ ؛ الخزرجي ، لعسجد لمسيوك ، ق ١١٥ - ب .

(٢) الخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٣٩٦ ؛ ابن النبيع ، قرة العيون ، ص ٣٤٧ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٧٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨٥ .

(٦) شكل أهل تعز تجمعاً قبلياً ظم مجموعة من القبائل التي انتقلت من مناطق مختلفة من اليمن واستقرت في تعز . لمزيد من

في زبيد يستجدون بهم ، وكانت الحرب طاحنة<sup>(٢)</sup> نتيجة لسياسة هذا الوالي الذي أثار الأهالي والقبائل ضد سلاطين بني رسول الذين ظلوا يرعون ويحمون مثل هؤلاء الولاة .

ونلاحظ صورة أخرى من صور هؤلاء الولاة في لحج وأبين وعدن ، تتمثل في شخصية الوالي الأمير عمر بن بالبال الدويدار<sup>(٣)</sup> وأخوانه الذين أساءوا السيرة في الرعية ، وجعلوا العديد من العلماء و الصالحين يرحلون بأهلهم وذراريهم من المناطق التي كانت تحت ولايتهم بعد شعورهم بالظلم<sup>(٤)</sup> .

ونصل إلى حقيقة مفادها أن عصر السلطان المجاهد يعد أكثر عصور بني رسول توتراً ، بسبب الولاة الذين لم يحسنوا التعامل مع الرعية ، ففي سنة ٧٣٨ هـ قام المجاهد بتولية الأمير بدر الدين بن الحجازي على حصن هران<sup>(٥)</sup> وأساء التعامل مع الأهالي هناك ، وخالفت عليه المنطقة ودخل معهم في حرب وحاصروه في حصن هران أياماً حتى تمكن من الهرب إلى باب السلطان ، في الوقت الذي شهدت فيه المنطقة تمرداً شديداً ضد سياسة بني رسول المؤيدة لمثل هؤلاء الولاة<sup>(٦)</sup> .

وفضلاً عن ذلك كانت سياسة الولاة التعسفية سبباً في خراب التهاشم في سنة ٧٥٤ هـ ، وذلك عندما أقطع السلطان المجاهد الأمير شجاع الدين عمر بن العماد فثال ، وتعهد في استقزاز الأشاعر وكان خلافه معهم سبباً في عدم استقرار المنطقة<sup>(٧)</sup> . ومن هنا نلاحظ أن ما عاناه الناس من ظلم وتعسف وقهر وهوان من الولاة والمقطعين في عهد المجاهد ، لم تعانه دولة بني رسول حتى في مراحل الضعف والانحطاط ، وقد يرجع السبب في ذلك إلى كثرة الصراعات التي واجهها المجاهد ، وفقدان الرقابة الشديدة على هؤلاء الولاة .

وفي عهد السلطان الأفضل العباس بن علي عانت زبيد من الوالي بهاء الدين بهادر المجاهدي وزاد بسببه العصيان في زبيد سنة ٧٦٩ هـ ، وشهدت حرض في السنة المذكورة اضطراباً في أوضاعها ، نتيجة الأعمال التي قام بها واليها الأمير سيف الدين طغي الأفضل الذي تميز بأنه كان حاد المزاج غريب الأطوار كثير الغيظ قليل الاحتمال ضعيف السياسة ،

لتفاصيل حول البنية السكانية لأبناء تعز انظر : طربوش ، قائد محمد ، " الوحدة اليمنية في البنية السكانية لأبناء محافظة تعز " ، الندوة العلمية اليمن وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م ، ص ١٠٧ - ١١٤ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ - ٥٨٠ ؛ الخزرجي ، العقود التولية ، ج ٢ ، ص ١٨ - ١٩ .

(٣) الدويدار : هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير ويتولى أمرها ويسمى صاحب الدوات . دهمان ، معجم الألفاظ لتاريخية ، ص ٧٧ - ٧٩ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ .

(٥) هران : من حصون ذمار . الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٥٦ . ويقع في شمالها وسكانه من جنب . الهمداني ، صفة جزيرة لعرب ، ص ١٥٢ ، حاشية رقم (٧) .

(٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٨٩ أ .

(٧) عن ذلك الصراع انظر أناه : ص ١٣٨ - ١٣٩ .

فدخل في صراع مع أشراف حرض وسجنهم ، وأمام إصرار بقية الأشراف في إخراجهم قام الوالي المذكور بقتلهم جميعاً ، وثارت المنطقة كلها ضد هذا الوالي والسلطان الرسولي الأفضل الذي حاول إخماد هذه النار ، ولكنه فشل بعد كل المحاولات التي قام بها . وفي سنة ٧٧٠هـ عادت المعاناة إلى زبيد نتيجة لسياسة واليها الأمير شهاب الدين أحمد بن سمير الذي أذاق الناس صنوف العذاب ، وأخذ أموالهم وشردهم حتى أن أعماله أثارت السلطان الأفضل نفسه ، لهذا أمر بالقبض عليه وعين بدلاً منه الأمير علاء الدين شنجل (١) .

وقد شهد عهد السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس وجود عدد من هؤلاء الولاة الذين استغلوا مناصبهم وأخذوا في اضطهاد العامة من الناس وابتزازهم دون أي وجه حق ، وكان القاضي موفق الدين علي بن محمد بن سالم من هؤلاء العمال الذين أذاقوا الرعية صنوف العذاب ، مما أثر في علاقتهم ببني رسول ، خاصة وأنه كان مشدداً (٢) في الأعمال السهامية وساعت سيرته بسبب تعذيبه لسكان المنطقة و المبالغة في اضطهادهم سنة ٧٨٣ هـ (٣) .

وعانى الناس أيضاً من الأمير شمس الدين علي بن حسن السقيم سنة ٧٨٤ هـ الذي استغل وظيفته كشاد (٤) للدواوين (٥) من قبل السلطان الأشرف وأخذ في ابتزاز الرعية ونهب أموالهم ، واشتهر بسوء الخلق معهم ، وانتهاك حرمتهم ، وكان شرساً فظاً ، تمكن بإسلوبه هذا من كسب أموال كثيرة بصورة غير شرعية ، الأمر الذي كان له الأثر السيئ في نفوس الرعية ضد بني رسول (٦) .

وفي أوائل شهر رمضان سنة ٧٩٨ هـ أعلن الأهول تمردهم ضد أمير الجهات الموزعية (٧) ، لأنه حبس رجالاً منهم حتى مات ، فهجموا عليه وقتلوه لسوء سياسته وتدبيره (٨) . كما ثارت فتنة أخرى في أبين في شهر صفر سنة ٨٠١ هـ بسبب قيام واليها الأمير بدر الدين محمد بن أحمد فراحا بتنفيذ بعض الأعمال الوحشية و الهمجية ضد جماعة من بني إبراهيم ، حيث قتل منهم نحو عشرين شيخاً ، وأخذ بيوتهم وخيولهم ، مما أثار قبائل أبين ضد حاميه

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

(٢) المشد : موظف يرقب الأعمال والإنشاءات التي يقوم بها متعهدوا الدولة ويشرف عليها . ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٣٩٠ ؛ دهمان ، معجم الألفاظ لتاريخية ، ص ١٣٩ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٧١ - ١٧٢ ؛ المسجد المسبوك ، ق ٢٢٠ أ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٧٧ .

(٤) شاد : بمعنى شد الدواوين أي فتشها وضبط حساباتها . دهمان ، معجم الألفاظ لتاريخية ، ص ٩٥ .

(٥) الديوان : هو المكان الذي يجلس فيه الكتاب والموظفين في الدولة لإعداد ما يتعلق بحقوق السلطنة من الأعمال و الأموال ومن يقوم بها من الجيوش و العمال . انظر : لماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب ، الأحكام السلطانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٦ م ، ص ١٩٩ - ٢١٨ ؛ لباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص ٢٩١ .

(٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٢ ب .

(٧) مؤزّع : بلد من أعمال لمخاء وتعد من البلدان الساحلية . الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ٢٩ .

(٨) عن تمرد الأهول انظر أنناه : ص ١٢٧ - ١٢٩ .

بني رسول هناك<sup>(١)</sup> . وشهدت لحج العديد من أعمال الظلم نتيجة لأساليب الولاة و الكتاب المكلفون بجمع الخراج في عهد السلطان الناصر أحمد ، وأخذ الناس يكتبون إليه ويشكون ما هم به من ظلم عسى أن يجدوا عنده الإنصاف من هؤلاء الولاة<sup>(٢)</sup> .

ولهذا السبب أدى جور العمال وسوء سيرتهم من العكوف على الملاهي و الملذات وشرب الخمر وسماع الغواني وانشغالهم عن أمور الرعية و الاستهتار بها إلى اضطراب الأمور في تهامة في سنة ٨٠٦ هـ ، وانتشار الفتنة بين الناس ، فهاجم الأشراف السليمانيون حرص وملكوها ، ووجد المعازبة فرصتهم في التمرد وعاثوا خراباً في نواحي زبيد وقطعوا الطريق وأخافوا الناس ، وساءت أحوال مدينة عدن وانقطعت الحركة الواصلة إليها من الهند وغيرها، وكل هذا نتيجة أعمال هؤلاء الولاة القبيحة ، كما أدى جور العمال وتماديهم في الظلم دون حسيب أو رقيب من قبل بني رسول إلى عصيان الرماة أهل سهام وخروجهم عن الطاعة في سنة ٨٣٥ هـ ، وقيامهم بإحراق الكدراء والقحمة وفشال وإثارة الرعب و الخوف بين الرعية<sup>(٣)</sup> ، فكانت أعمال هؤلاء الولاة ضد الرعية سبباً في توليد الحقد و البغضاء في قلوبهم ضد حكام بني رسول وانتظارهم الفرصة المناسبة للتمرد .

#### و ( تسلط عسكر بني رسول وظلمهم بالرسائل الجامعية

لقد أدت الأعمال العسكرية الوحشية التي قام بها جند بني رسول إلى إثارة القبائل ضد الدولة ، وكان كثيراً ما يرسل السلطان الرسولي عسكره لإخماد تمرد أو إخضاع منطقة ، فيرتكب العسكر هناك أفظع الأعمال ويقومون بالسلب والنهب والتدمير والتخريب والحرق ، الأمر الذي يثير قبائل المنطقة ويضطرهم إلى إعلان التمرد . ونلاحظ ذلك في الأعمال التخريبية التي قام بها عسكر المظفر ( الأول ) والمكونة من القوات القبلية المساندة له في أثناء صراعه مع إخوته وأبناء عمومته سنة ٦٤٧ هـ<sup>(٤)</sup> ، وقد شهد عهد السلطان المجاهد العديد من الحوادث المشابهة في أثناء صراعه مع منافسه الظاهر عبد الله بن أيوب ، حيث انتهب عسكره بعض القرى في جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ تحت حجة أنهم يميلون إلى الظاهر<sup>(٥)</sup> ، كما حاول عسكر المجاهد التعدي على زرع الأعمور<sup>(٦)</sup> بالقوة في جمادى الأولى سنة

(١) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٤٨ ب .

(٢) العبد لي ، هدية الزمن ، ص ٨٥ .

(٣) يحيى الحسين ، غاية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ - ٥٦١ ، ٥٦٩ .

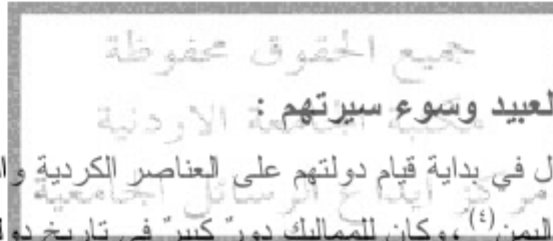
(٤) انظر : ابن حاتم ، لسمط لغلي لثمن ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٥) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٩٠ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٧٧ أ - ب .

(٦) الأعمور : عزلة في بلاد الحجرية . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٨٦ .

٧٢٦هـ ، وذلك عند مرور السلطان في بلادهم ، مما أثار الأعمور ضد بني رسول فدخلوا في قتال معهم نتيجة هذه الأعمال الاستفزازية <sup>(٢)</sup> .

وعانت بلاد عنس كثيراً من هذه الأعمال في عصر السلطان الأفضل ، بعد أن اشتد فساد العسكر الأفضل في بلادهم في سنة ٧٧٠هـ فأحرقوا قرى كثيرة ودمروها وقبضوا على مشائخها وأخذوا خيلهم وأذلّوهم . كل ذلك دون أن تحدد المصادر دوافع تلك الأعمال التعسفية . وفي عصر السلطان الأشرف إسماعيل دخل العسكر السلطاني إلى الحبيلين سنة ٧٨٤هـ بقوة السيف وارتكبوا هناك المجازر ، وقتلوا في الناس قتلاً ذريعاً ، وارتفع نداءهم طالبين الرحمة والرفقة من هؤلاء العسكر حتى أن جثث القتلى ظلت مرمية للسباع والطيور <sup>(٣)</sup> ، وهذا دليل واضح على بشاعة تلك العمليات التي تتم على يد عسكر بني رسول والتي على أثرها أظهرت القبائل رفضها لهذا الواقع المرير الذي ذاقته فيه صنوف العذاب من هؤلاء العسكر ، لذلك تمردت تلك القبائل وقاومت الدولة تعبيراً عن رفضها لذلك الوضع .



(ز) فساد المماليك والعبيد وسوء سيرتهم : اعتمد بنو رسول في بداية قيام دولتهم على العناصر الكردية والمملوكية التي سبق أن جاء بها الأيوبيون إلى اليمن <sup>(٤)</sup> ، وكان للمماليك دور كبير في تاريخ دولة بني رسول <sup>(٥)</sup> ، حيث عانت الرعية كثيراً من هؤلاء المماليك وأعمالهم التعسفية التي كانت تتم تحت رعاية سلاطين بني رسول أنفسهم ، وكان لهم دوراً أيضاً في الصراع الدائر بين السلاطين ومنافسيهم من البيت الرسولي <sup>(٦)</sup> .

وعلاوة على ذلك ، فقد بلغ خطر المماليك ضد دولة بني رسول إلى درجة خوف السلاطين منهم ومن أفعالهم ، لهذا أباح بعض هؤلاء السلاطين مثل المجاهد دماءهم وأموالهم في سنة ٧٢٣هـ ، رغبة منه في التخلص منهم ، لاسيما وأنهم قد تجرّءوا على الدولة بما لا يليق من الأفعال القبيحة وغيرها <sup>(٧)</sup> ، بل أنهم ثاروا ضد المجاهد بسبب تأخر نفقاتهم وحاولوا القبض عليه ولكنه تمكن من الفرار منهم <sup>(٨)</sup> .

(٢) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٨٠ أ .

(٣) مجهول ، تاريخ دولة لرسولية ، ص ٧٠ ، ٨٦ .

(٤) سيد مصطفى سالم ، لفتح لعثماني الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥ م) ، ط ٣ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ،

١٩٧٧ م ، ص ٤٨ .

(٥) انظر أعلاه : ص ٣٩ .

(٦) انظر : الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ، ٣٠٤ .

(٧) مجهول ، تاريخ دولة لرسولية ، ص ٥٥ .

(٨) ابن لديبع ، قرّة لعيون ، ص ٣٦٢ .

وكانت القبائل أكثر حقداً وكرهاً لهؤلاء المماليك لما عانوه منهم من ظلم وتتكيل بعلم ودراية سلاطين بني رسول، فأخذوا يترقبون الفرص المناسبة لمهاجمتهم، ففي سنة ٧٢٤هـ كان القتال شديداً بين هؤلاء المماليك والأشراف في يوم كان من أشهر أيام العرب في تلك الفترة وهو يوم جاحف<sup>(٢)</sup> والذي هُزم فيه المماليك الخارجين على السلطان المجاهد وقتل كثير من أعيانهم، وهرب من هرب منهم. وأمام هذه الهزيمة كانت قبائل المنطقة تتربص بالموقف وهي مسرورة بهذه النتيجة، إلا أن أحد هؤلاء المماليك تمكن من الهرب والدخول إلى بلاد المعازبة دون أن يعرفه أحد، ولكن شهرة هذا الرجل الذي يسمى لطينا المحمودي بين القبائل، بسبب أفعاله الإجرامية والتعسفية ضدهم في الفترة التي كان فيها أحد قادة بني رسول، جعل البعض يتعرفون عليه، وكانت فرصتهم التي طالما انتظروها للانتقام منه ومن غيره من المماليك، فقاموا بقتله انتقاماً لأفعاله التي ارتكبتها ضدهم سابقاً<sup>(٣)</sup>.

وفي أواخر عهد بني رسول أصبح المماليك هم المتنفذون في السلطة وخاصة في فترة حكم السلطان الأشرف<sup>(الثالث)</sup> الذي واجهت دولته الكثير من المشاكل، فوجدها المماليك فرصة سانحة لهم للتدخل في شئون الملك فخلعوه<sup>(٤)</sup> وطغوا وبغوا وزعموا أنهم يقيمون من يشاؤون ويخلعون من يشاؤون، وهذا الأمر كان له أثره في نفس السلطان الظاهر الذي تولى بعد خلع الأشرف، فأخذ في تمكين سلطته في البلاد، وأقر الأوضاع فيها حتى شعر بقدرته في القضاء عليهم، وذلك بعد عامين من حكمه فقام بالتكيد بهم وأبادهم بطريقة وحشية أظهرت مدى حقه لهؤلاء المماليك والعبيد<sup>(٥)</sup> الذين زاد عصيانهم ضد بني رسول ورعيتهم. وفي سنة ٨٣٤هـ خالف على الظاهر مجموعة كبيرة من العبيد واتجهوا إلى المحالب مستنجدين بقبائل الواعظات وببني نشر<sup>(٦)</sup>، مما أدى إلى اضطراب المنطقة وتفاقم عصيان القبائل فيها<sup>(٧)</sup>.

وفضلاً عن ذلك فقد لعب المماليك دوراً كبيراً في تولية عدداً من سلاطين بني رسول في وقت واحد منذ عهد السلطان المظفر<sup>(الثاني)</sup><sup>(٨)</sup>، وكأنهم يريدون إضعاف هذه الدولة والقضاء عليها، ويبدو أيضاً أن هدفهم من وراء تولية هؤلاء السلاطين هو إظهار جميلهم لهذا السلطان الذي أقاموه أو ذاك، وبالتالي يقف صامتاً حرجاً أمام تصرفاتهم وأعمالهم خوفاً من

(٢) جاحف: وادٍ شمال السخنة وينزل من جبال بلاد الطعاع الغربية وجنوب برع. الويسي، اليمن الكبرى، ص ٢٠.

(٣) الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٨٣ - ٥٨٤؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٢٢ - ٢٣.

(٤) الخزرجي، لعسجد لمسبوك، ق ٢٥٦ أ.

(٥) لعبد: عبوداً وعبودية، ملك هو ولأواه من قبل. إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج ١، ص ٦٠٨. والعبيد المقصود بهم هنا هم الجنس الأسود المجلوب من إفريقيا للعمل في أراضي كبار الإقطاعيين. شائف عبده سعيد، "الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين"، مجلة سبأ، العدد السابع، دار جامعة عدن، عدن، ١٩٩٨ م، ص ١١٠ - ١١١.

(٦) بنو نشر: من قبائل تهامة من ناحية عيس بن ثوب. الحجري، مجموع، مج ٢، ج ٤، ص ٧٤٢.

(٧) الخزرجي، لعسجد لمسبوك، ق ٢٥٦ ب؛ ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

(٨) لنظر أعلاه: ص ٥٥ - ٥٧.

أن يخلعوه أو يقتلوه أو يتمردون ضده ، لأنهم أصحاب فضل عليه ، لذلك أخذوا يعملون تحت اسم السلطان الرسولي أقبح الأفعال دون رادع ، حتى أن سلاطين بني رسول الثلاثة الذين حكموا في فترة زمنية متقاربة وهم : المظفر والمسعود والمؤيد كلهم كانوا أسرى لحكم هؤلاء المماليك ، وإن كانوا غير راضين عنهم وعن أعمالهم ، حيث أثاروا القبائل ضدهم لتعسفهم واضطهادهم ، مما أدى إلى تدهور العلاقة بين القبائل وسلاطين بني رسول ، فقد نظرت القبائل إلى السلاطين وقلة حيلتهم أمام المماليك وعدم قيامهم بردهم بنوع من عدم الرضا عن هذه الأعمال التي تسببت منها القبائل وغيرها من الفئات الاجتماعية الأخرى ، وإن حاول البعض إخمادهم ، إلا أن شوكة هؤلاء المماليك كانت قد تقوت في أواخر دولة بني رسول ، حتى أن العبيد في أواخر هذه الدولة أخذوا زبيد بالقوة وحكموها ، وظلت في أيديهم حتى بعد قيام دولة بني طاهر <sup>(١)</sup> .

## ٢ - الأسباب الاقتصادية لمنع الحقوق محفوظة

### أ ( إرهاب الناس بالضرائب كعبة الجامعة الأردنية

كانت الضرائب من الأسباب التي أدت إلى خروج الناس عن الطاعة ، خاصة وأن بني رسول قد أرهبوا الناس بالضرائب الجائرة لحاجتهم الماسة إلى الأموال في أمور شتى منها تجهيز الجيوش بصورة مستمرة لمواجهة حركات التمرد التي كانت تقودها القبائل في مناطق مختلفة من اليمن ، وقد واجه بعض سلاطين بني رسول معارضة شديدة من عدد من الشخصيات الاجتماعية ذات النفل القبلي مقابل ما فرضوه على الناس من ضرائب . ففي سنة ٦٤٥ هـ أحدث المنصور نور الدين عمر في صبر ونخر وغيرها من البلاد أحداثاً لم تكن معروفة في اليمن قبل هذا التاريخ منها خرص <sup>(٢)</sup> الثمار ، وطالب الرعية بزيادة على ما جرت به العادة ، وواجه المنصور معارضة شديدة من بعض المشائخ مثل الشيخ القطب أحمد ابن علوان <sup>(٣)</sup> الذي وجه إليه رسالة بليغة زجره فيها على ما أحدث من هذه الضرائب <sup>(٤)</sup> .

<sup>(١)</sup> بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٨ أ .

<sup>(٢)</sup> خرص : كذب - الشيء حرزه وقدره - في الأمر : ظن . جبران مسعود ، لولند ، مج ١ ، ص ٦١٩ .

<sup>(٣)</sup> هو الشيخ الصالح أبو العباس أحمد بن علوان الصوفي ، ولد في قرية عقلة من قرى جبل صبر ونشأ في قرية ذي الجنان من جبل ذخ . كان أبوه كاتباً للملك المسعود بن الكامل الأيوبي ، ونشأ على طريقة أبيه من الاشتغال بالكتابة وكان يقال له جوزي اليمن لأنه نحى منحى ابن الجوزي ، توفي في قرية يفرس في شهر رجب سنة ٦٦٥ هـ . لشرجي ، طبقات الخواص ، ص ٦٩ - ٧١ .

<sup>(٤)</sup> يحيى بن الحسين ، غية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٢٧ .



وقد نتج عن ثقل تلك الضرائب هروب الرعية من أهل زبيد من أراضيهم في سنة ٧٣٧ هـ ، مما اضطر السلطان المجاهد إلى الاتجاه إلى هناك للتعرف على الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك ، لما نتج عن هجرتهم من خراب للتهائم <sup>(١)</sup> .

وفي عهد السلطان الأفضل ساءت أحوال الرعية بسبب ضريبة مصالحة العطب <sup>(٢)</sup> التي أحدثها بعض نواب بني رسول ، لذلك سعى السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل في سنة ٧٨٣ هـ إلى إبطال هذه الضريبة ، إضافة إلى إعفائهم من ضريبة قبالة النخل <sup>(٣)</sup> التي أرهقت الناس ودهورت حياتهم في قرى وادي زبيد ، وتعد ضريبة قبالة النخل للأُملاك السلطانية من البدع التي أحدثها نواب بني رسول فأرهقت الرعية <sup>(٤)</sup> .

وقد أنقل كاهل الناس الزيادة التي حدثت في الزبيدي السنقري وهو مكيال ينسب إلى الأتابك سنقر منذ عهد بني أيوب ، حيث أن معيار هذا المكيال في الأصل مائتين وأربعين درهماً ، ثم استقر في نهاية عهد المجاهد على ثلاثمائة وعشرين درهماً ، وأخذ في التزايد وزاد فيه أربعين درهماً ، وأخذ المحتسبون <sup>(٥)</sup> في زبيد يزيدون فيه زيادة فاحشة أرهقت الناس وأتعبتهم <sup>(٦)</sup> .

ومن ناحية أخرى ، تعرض أصحاب النخل في وادي زبيد لكثير من الجور والقهر ، حتى وصلت الأمور بأن الرجل الذي ليس له نخل إذا تزوج امرأة لا نخل لها يقال عند عقد الزواج بينهما : " ومن سعادتهما أنه لا نخل لأحد منهما " ، فكان كل ذلك الظلم والجور الشديدين بسبب غفلة الملوك ، واستمر ذلك حتى عهد السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل الذي شعر بما يعانيه الناس فأزال الظلم عنهم <sup>(٧)</sup> ، ويبدو أن المعارضة الشديدة من القبائل وغيرهم هي التي دفعته إلى اتخاذ هذا الإجراء .

وفضلاً عن ذلك فقد اختلفت أساليب القبائل حول التعامل مع ما فرضه بنو رسول أو عمالهم من ضرائب ، فمنهم من تقدم بشكواه إلى السلطان على أمل أن يجد عنده الإنصاف

(١) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٢) مصالحة العطب (القطن) : ضريبة وجدت في عهد السلطان الأفضل بن المجاهد ، وتقوم على أساس اتفاق بين عمال الخراج ومزارعو العطب ، ويقع هذا الاتفاق على أساس أمرين : إما قبول المزارعين بدفع ضريبة عن العطب مع كونه معفي من الضرائب أصلاً لقلة ما كان يزرع منه وقتذاك لتشجيع زراعته ، وإما قبولهم دفع أكثر مما كان مقرراً عليهم من قبل من العطب نفسه . عليان ، الحياة السياسية ، ص ١٠٧ .

(٣) قبل النخل : وهي مبالغ من المال يجبر المزارعون على دفعها سنوياً ، كضمان أو إيجار عن بساتين النخل المجاور للأراضي المملوكة للسلطان ، وهذه من أغرب الضرائب التي جاء بها نواب بني رسول . عليان ، الحياة السياسية ، ص ١٧١ .

(٤) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ؛ المسجد المسيوك ، ق ٢٢٠ أ .

(٥) المحتسب : هو العامل الذي يقوم بمراقبة الأسواق والأوزان والمكاييل . انظر : الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٠-٢٥٨ .

(٦) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٨٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ؛ ج ٢ ، ص ١٦٤ .

والعدل ، مثلما فعلت قبائل بلاد الزيدية عندما اتجهت إلى السلطان الظاهر في المهجم سنة ٨٣٦ هـ يشكون إليه ما يعانون من جور الخراج<sup>(١)</sup> ، ومنهم من نزع يده عن الطاعة مثل أهل بلاد الزواقر<sup>(٢)</sup> الذين رفضوا دفع ما عليهم من الواجبات السلطانية في شهر ذي القعدة سنة ٨٣٧ هـ ، كما رفض بنو حفيص الزيديين دفع ما عليهم للدولة من ضرائب وواجبات ، الأمر الذي جعلهم يدخلون في صراع مع بني رسول في جمادى الآخرة سنة ٨٣٨ هـ<sup>(٣)</sup>.

خلاصة القول أن القبائل أعلنت رفضها للضرائب والواجبات السلطانية الأخرى التي فرضتها عليهم الدولة ، وأعلنوا تمردهم الذي ارتبط بتمرد الفلاحين لوجود المصلحة المشتركة والمعاناة الواحدة ، لهذا سعى بعض سلاطين بني رسول إلى تخفيف ما على الرعية من ضرائب ، واتجه البعض الآخر إلى إلغائها لتخفيف حدة غضب الرعية من القبائل .

#### ب ( تدهور أوضاع الرعية المعيشية : ملاحظة

كثيراً ما تذكر المصادر التي أرخت للدولة الرسولية عن سوء الأوضاع وتدهورها ؛ بسبب ارتفاع الأسعار أو انتشار المجاعة أو القحط ، دون أن تشير إلى أي إجراء من قبل سلاطين بني رسول لانتشال الناس من هذا الوضع المتردي عدا بعض السلاطين ، ويبدو أن الفترات هذه التي مرت بها دولتهم في ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية دفعت الكثير من القبائل وغيرها من الفئات إلى الخروج عن الطاعة ، والقيام بأعمال السلب والنهب وقطع الطريق ومهاجمة أملاك الدولة لسد رمق أسر هذه القبائل ، حيث ساءت حياة الناس المعيشية في سنة ٦٥٥ هـ بسبب ما تعرضت له اليمن من قحط عظيم أدى أيضاً إلى ارتفاع في الأسعار ارتفاعاً كلياً وخاصة في صنعاء وصعدة والظاهر ، ونتج عنه انتشار حالات الوفاة بسبب الجوع ، ووصلت الأمور بالناس إلى أكل الكلاب والسباع<sup>(٤)</sup> .

ولهذا خرجت كثير من القبائل عن الطاعة نتيجة لما تعرضت له البلاد من كوارث ، فقد كان لقحط سنة ٦٧٣ هـ أثراً كبيراً على حياة الناس فبسببه ماتت أعداد كبيرة منهم ، ووصل بهم الحال إلى درجة أكلهم الميتة ، وفي الفترة نفسها من هذا القحط هاج الناس وخرجوا عن الطاعة وخالفوا في كل البلاد ، حتى أن بعض حصون الدولة سقطت في أيدي بعض

(١) يحيى بن الحسين ، غية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٧٠ .

(٢) الزواقر : من قبائل الركب من الأشاعر . الجندي ، سلوك ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .

(٣) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢٨١ ، ٢٨٨ .

(٤) لخزرجي ، المسجد لمسبوك ، ق ١١٠ ب .

القبائل مثل كوكبان الذي سيطر عليه مجموعة من الحواليين<sup>(٥)</sup>، ويبدو أن ما قام به الحواليون هو رد فعل طبيعي لهذه الأوضاع المتدهورة والمتردية .

وفي هذا الصدد ، تشير المصادر إلى تعرض حضرموت إلى مجاعة عظيمة وقحط شمل كل بلاد حضرموت ، وأمام عدم تحرك الدولة لمعالجة هذا الوضع المتردي وتخفيف المعاناة التي يعيشها الناس ؛ لجأت قبائل حضرموت إلى السلطان سالم بن إدريس الحبوضي صاحب إمارة ظفار الحبوضي طالبين منه ما يدفعون به معاناتهم مقابل الولاء له وتسليمه كافة حصونهم ومعقلهم ، عدا تريم التي أرسل إليها السلطان المظفر (الأول) كل ما تحتاجه من مادة ومال ، وبهذا أخذوا من السلطان الحبوضي كل ما يحتاجون إليه لإنقاذ أنفسهم من هذه الحالة وإن خالفوا عليه فيما بعد<sup>(١)</sup> ، وأمام هذا الوضع تخلت القبائل عن الدولة وخرجت عن الطاعة معلنة ولائها لابن الحبوضي ، لعدم تحرك بني رسول لمعالجة أوضاعهم .

وشهد عهد السلطان المجاهد ارتفاعاً كبيراً في الأسعار في سنة ٧٣٦ هـ — نتيجة ظهور الدرهم الرياحي<sup>(٢)</sup> ، حيث أمر السلطان أن لا يؤخذ من الرعية والتجار في جميع أموال الخراج إلا منه ، فتضررت به الرعية وهو ما لم يعتادوه فيمن سبق من سلاطين بني رسول ، وكان يطلب منهم ما يتوجب عليهم من الخراج في الغلة على حكم السعر في ذي الحجة الماضي ، فكان السعر في تلك السنة قد ارتفع في ذي الحجة ارتفاعاً عظيماً وانحط في أيام الصراب انحطاطاً كلياً مع ظهور هذا الدرهم الجديد ، وساعت حالتهم وهرب الكثير منهم ، وبانقضاء السنة تركت الرعية حرثها في وادي زبيد وتفرقوا في البلاد ، مما أدى إلى تدهور الزراعة ، لقلة من بقي من الفلاحين الذين عجزوا عن الزراعة بمفردهم<sup>(٣)</sup> . وفي سنة ٨٠١ هـ شهدت عدن وزبيد ارتفاعاً عظيماً في الأسعار ، لا سيما في السلع الغذائية الأساسية ، فزاد ذلك من تدهور حياة الناس<sup>(٤)</sup> .

ومن هنا نجد أن اليمن في عهد بني رسول مرت بالعديد من الفترات العصيبة ، بسبب حدوث القحط والجذب الذي على أثره ارتفعت الأسعار وتدهورت أوضاع الناس المعيشية دون أن يكون للحكومة دور في حل هذه المعضلة التي كثيراً ما تتعرض لها البلاد ،

(٥) لخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٨٨ .

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥٠٥ — ٥٠٦ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٠٧ — ٢٠٨ ؛ ابن الديبع ، قرعة لعيون ، ص ٣٢٨ .

(٢) نسبة إلى إحدى دور لضرب الموجودة في تعز ، والذي يعرف صاحبها بابن الرياحي وهو من أشهر نقاشي السكة في تلك الفترة . الخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ .

(٣) لمصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(٤) لخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ١٢٥٠ .

على الرغم من المحاولات التي قام بها بعض سلاطين بني رسول الذين حاولوا معالجة هذه المشكلة بتخفيف الضرائب أو إعفاء الأهالي منها أو غيرها من الإجراءات تفادياً لأي رد فعل قد تقوم به القبائل أو غيرها من الرعية .

### ج ( ترف السلاطين وتبذيرهم للأموال :

قد نجد التناقض واضح بين الحياة التي عاشها الناس في بعض الفترات العصبية بسبب تدهور الأوضاع التي أشرنا إليها سابقاً ، وبين حياة الترف والنعيم التي عاشها سلاطين بني رسول والمقربين لهم من أصحاب الوظائف المختلفة التي اقتصرت أوقاتهم على الميزات وكثرة الخلو مع خاصتهم من الندماء والفنانين والمطربين ، بل أن كثرة ارتباط السلطان بخاصته تصل إلى درجة انقطاع أخباره عن الناس لفترات طويلة<sup>(١)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد بالغ سلاطين بني رسول كثيراً في صرف الأموال لبناء القصور والمعازل والحصون دافعين في ذلك مبالغ طائلة هي أصلاً من الضرائب والخراج الذي كان يؤخذ من الرعية ويصرف في غير صالحهم ، ونلاحظ هذا في الأموال التي صرفها السلطان المؤيد في سنة ٧٠٨ هـ عند بنائه قصر المعقلي في ثعبات<sup>(٢)</sup> ، والذي قيل بأنه لا مثيل له في الشام أو العراق ، ووصل بذخ السلطان المؤيد وولعه في بناء القصور وتبذيره إلى أنه بمجرد الانتهاء من بناء قصر المعقلي أصدر أوامره ببناء قصر آخر في تعز سماه قصر صالة أو البستان<sup>(٣)</sup> أو المنتخب<sup>(٤)</sup> ، في الوقت الذي كان له قصر آخر في تعز اسمه قصر الشجرة<sup>(٥)</sup> ، كما كان من أشهر القصور التي بناها المؤيد في زبيد قصر الحائط المعروف بحائط لُبَيْق وهو أيضاً من القصور الفخمة<sup>(٦)</sup> . وفي سنة ٧٢١ هـ أصدر المؤيد أوامره ببناء قصر آخر في زبيد سماه ظاهر الشبارق نسبة إلى البستان الذي بُني فيه<sup>(٧)</sup> ، ويدل وصف المصادر له على مدى التكلفة المالية التي تعبر عن حالة الترف والنعيم والبذخ التي عاشها هؤلاء السلاطين ، وتصف المصادر جمال أحد البساتين التي أنشأها

(١) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٣ ؛ العمري ، حسين عبد الله وآخرون ، في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع الميلادي ، ط ١ ، دار لفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ٢٠٥ ؛ باوزير ، معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ص ٢٠٠ .

(٢) ثَعْبَات :منطقة أعلى تعز من الناحية الشرقية في جبل صبر وتبعد عن تعز بـ : (٣ كيلومتر) . الويسي ، اليمن الكبرى ، ص ٣٩ .

(٣) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٨ ؛ الخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .

(٤) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١١٨ — ١١٩ .

(٥) لمصدر نفسه ، ص ١٢٨ .

(٦) الخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤١٩ .

(٧) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٢٤ .

المجاهد والذي جمع فيه من فواكه الشام والهند ، وجمع فيه أيضاً كل ما يسر الناظر ويدل على عظمة الملوك <sup>(٨)</sup> .

وتظهر لنا صورة أخرى تدل على عظمة الترف والتبذير للأموال في عهد السلطان الناصر الذي بالغ كثيراً في بناء حصن قوارير ، حتى أنه أصبح شغله الشاغل ، فأخذ يجمع لبنائه الأموال ويشحنه بما يحتاج إليه من المؤن ، كما بنى له هناك دوراً كثيرة وأحاطها بالبساتين ومدّها بالمياه من أماكن بعيدة ، وقد صرف في ذلك أموالاً كثيرة <sup>(٩)</sup> .

ولم يكن هؤلاء السلاطين من بني رسول إلا مثلاً لبقية السلاطين الذين إذا أردوا النزول إلى أي مكان أثناء أسفارهم داخل حدود دولتهم لا ينزلون إلا في قصور مبنية لهم ومنازلهم أقاموها ، لكثرة ما بنوه من قصور وبساتين ومعاقل <sup>(١٠)</sup> ، بل وصلت بهم حياة الترف من كثرة أموال الضرائب والخراج وغيرها إلى أن ترصع ملابسهم بالجواهر المختلفة ، كما كان يفعل المؤيد <sup>(١١)</sup> .

وفي الوقت نفسه كان سلاطين بني رسول كثيري البذخ في الأعياد والمناسبات والمواسم والاحتفالات ، ولا يترجعون في تقديم الهدايا الغالية والنادرة للمقربين منهم من الأمراء والشخصيات المهمة في الدولة <sup>(١٢)</sup> ، وإن كان ذلك في أوضاع حرجية تعيشها البلاد ، بسبب مجاعة أو قحط أو غلاء ، وهنا نجد أن بني رسول بالغوا في التبذير للأموال دون التفكير بما يعانيه العامة ، علماً بأن تلك الأموال التي تصرف يمكن أن تسخر في صالح الناس عن طريق استصلاح الأراضي وحفر الترعة وتأمين الطرقات وغيرها من الأعمال التي من الممكن أن يستفيد منها الناس ، ونظراً لتلك الأوضاع كان من الطبيعي أن تنمرّد القبائل وتخرج عن الطاعة .

#### د ( حرمان القبائل حقها من العطاء :

من الطبيعي جداً أن تساند القبيلة الدولة وتدعمها بالرجال والعتاد أملين من ذلك كسب ود ورضا السلطان الرسولي ، والحصول على جامكية تستلمها القبيلة بشكل شهري أو سنوي ، وما وقوف القبائل إلى جانب السلطان المظفر يوسف ( الأول ) في أثناء صراعه مع أخويه وأبناء عمومته إلا دليل واضح على ذلك <sup>(١٣)</sup> .

(٨) الخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٢٥

(٩) ابن لبيد ، قرّة لعين ، ص ٣٩١ .

(١٠) الققشندي ، صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٤ .

(١١) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

(١٢) الخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ — ٢٣٨ .

(١٣) ابن حاتم ، السمت لغاللي لثمن ، ص ٢٥٦ .

ولكن ما يغضب هذه القبائل ويثيرها هو قطع الجوامك والعطايا ، ولهذا السبب يتجهون إلى التمرد والعصيان ضد الدولة ، ففي أثناء الصراع بين السلطان الأشرف وأخيه المؤيد وقفت قبائل الجحافل إلى جانب المؤيد ، وعند تولي المؤيد الحكم قام بمكافأة الجحافل بأن صرف لهم جامكية ، إلا أن سوء العلاقة بينهما جعلت المؤيد يوقف صرف هذه الجامكية ، الأمر الذي أثار هذه القبائل فشقوا عصا الطاعة وتمردوا ضده<sup>(١)</sup> . ومن هنا نصل إلى أن قطع العطاء أو الجوامك عن القبائل كان سبباً في تدهور حياتهم المعيشية ، لذلك بمجرد إيقافها يعلن الجميع التمرد مثلما لاحظنا .

### ٣ - الأسباب الإجتماعية :

#### أ ( عدم تقبل القبائل فكرة نسب بني رسول :

لم تشر المصادر إلى ذلك بصورة واضحة ، ولم يعبر عن هذا في المؤلفات التي كتبت في تلك الفترة أو التي بعدها ، ويمكن أن نستنتج أن صراعاً اجتماعياً كان قائماً بين بني رسول والقبائل حول صحة نسبهم أو عدم صحته ، وبالتالي أحقيتهم في حكم اليمن أو عدمه ، لاسيما وأن كثرة المؤلفات التي تتحدث عن نسبهم والإصرار على يمينتهم وتكرر ذلك في غيرها من المؤلفات التي كتبت من قبل سلاطين بني رسول أنفسهم تدل دلالة واضحة على أن هناك مشكلة دعت إلى كتابة كل هذه المؤلفات في نسبهم ، فكثيراً ما تذكر المصادر تمرّدات مختلفة دون أن تشير إلى الأسباب والتي قد تكون هي رفض القبائل لهذا الدخيل الذي يحكم دون أي وجه حق ، فاشتدت تلك التمردات الراضية لحكم هذه الأسرة التي هي امتداد للأسرة الأيوبية التي حكمت اليمن سابقاً ، كما زاد من حقد الناس لهم كثرة تفاخرهم بهذا النسب ، وهذا ما لاحظناه من خلال المؤلفات المختلفة التي تتحدث عن نسبهم<sup>(٢)</sup> .

#### ب ( إضرار بعض بني رسول بمصالح الناس :

على الرغم من اندماج بني رسول بين العامة من الناس وانتقالهم إلى مناطق مختلفة لليمن للعيش هناك<sup>(٣)</sup> ، إلا أن البعض منهم ظلوا يستغلون صلة القرابة التي تربطهم بالسلطان ويقومون بأعمال تخريبية منافية للشرع والعادات والتقاليد تحت غطاء انتمائهم إلى بني رسول وصلتهم بالسلطان ، وقد تحدث مثل هذه المواقف في الأماكن التي تكثر فيها ذرية بني رسول

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٥٤ ب .

(٢) حول الخلاف عن نسب بني رسول انظر أعلاه : ص ٣٠ - ٣٥ .

(٣) هناك إشارة إلى اندماج بعض بني رسول داخل المجتمع اليمني والاشتغال بما اشتغل به الناس من الأعمال ، كما كان يفعل رجل من ذرية المجاهد ، حيث عمل جمالاً لتوفير لقمة العيش له ولأسرته . عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٦ .

مثل قرية عكار<sup>(٤)</sup> وغيرها والتي تجمعت فيها ذريتهم ، وكان فيهم من كان يسطو على أملاك الناس وينهبها دون خوف أو رهبة وهو على ثقة أن صلته بالسلطان ستجنيه من العقاب ، الأمر الذي وجد فيه الناس فارقاً طبقياً واضحاً ، مما أثار غضبهم وسخطهم ، ولمنع تمردهم وامتصاص غضبهم ضد الدولة كتب والي المخلاف إلى السلطان المظفر ( الأول ) يشرح له الموقف على أمل أن يجد عنده الناس ما يبحثون عنه من العدل المساواة ، ولكن رد السلطان زاد من خيبة أملهم حيث رد :

وإن كنت أكالاً لحوم بني أبي فلست بمهديها إلى كل جازر<sup>(١)</sup>

وقد عدت أسرة بني رسول من الطبقات المميزة في المجتمع اليمني حتى عند السلطان نفسه بحكم انتمائهم الأسرى ، بعكس ما كان يطبق من نظام وتعسف ضد الطبقات الأخرى لأي خطأ يقومون به ، فقد حدث في عهد السلطان المجاهد أن الأمير شرف الدين محمد بن الأمير صلاح الدين أبي بكر بن السلطان الأشرف عمر بن يوسف بن عمر بن علي ابن رسول قد استوطن قرية النويدرة<sup>(٢)</sup> وكان رجل على مستوى من العقل والدهاء والأدب وكثيراً ما كان محباً للنفقات البسيطة شديداً مع من لا أخلاق لهم ولا إنسانية ، وكان لا يتوانى في البطش والجبروت بمثل هؤلاء الناس من المجرمين والفسقة ، وبحكم صلته بالسلطان وانتمائه يقوم بمثل هذه الأعمال دون الرجوع إلى والي أو غيره ، مما أغضب أكثر الناس ، خاصة المتضررين من أفعاله ، فأخذوا يكتبون ويشكون إلى والي بزبيد الذي عجز عن مقاضاته ، وفي الوقت نفسه حدث أن غلاماً للأمير شرف الدين يجلب الحناء من وادي زبيد ويبيعه تحت بيت سيده في النويدرة فشكاه ضامن<sup>(٣)</sup> الحناء إلى والي في زبيد والذي فاض صبره به لكثرة أعماله وتجنب محاسبته ، فكتب والي إلى السلطان المجاهد يشكو ما به من الأمير شرف الدين وكان رد المجاهد : " أما رضيتم ببيع بني رسول أن يبيع عندكم الحناء فلا وسعه الموضع ، إذا قدرت أن تقصره فأقصره ، وأما نحن فلا نمنعه عن شيء من ذلك " <sup>(٤)</sup> ، فجعلت هذه الإجابة من السلطان المجاهد والي يتمتع عن محاسبته ، كما امتنع الجميع عن معارضته . ومن هنا نلاحظ التمايز الطبقي الواضح الذي فرضه بنو رسول على طبقات معينة دون غيرها ، مما أثار الطبقات الأخرى ضد السلطة الرسولية .

(٤) عكار : بلدة جميلة شمال ذي جبلة بعزلة وراف بينها وبين ذي جبلة نحو ميل . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٢٦ ، حاشية رقم (٥) .

(١) الخزرجي ، المسجد لمسبوك ، ق ١١٨ ب .

(٢) لنويدرة : قرية خارج مدينة زبيد من الشمال الغربي تسمى الآن بالسطور . لمقهي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٧٧٩ — ١٧٨٠ .

(٣) الضامن : محصل ضرائب أو خراج منطقة أو بلد أو أرض لقاء مبلغ معلوم يضمن دفعه لخزينة الدولة . ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٣٨٩ .

(٤) الخزرجي ، المسجد لمسبوك ، ق ١١٩ أ .

### ج ( احتقار بعض بني رسول للرعية :

نظرت الأسرة الرسولية إلى الناس نظرة تدل على اعتزازهم بأنفسهم وبنسبهم دون سائر الطبقات والفئات الأخرى التي نظروا إليها نظرة احتقار ، ويظهر احتقار بعض بني رسول للناس من خلال ما فرضوه عليهم من شروط مختلفة ، حيث منعوهم من حمل السلاح والخروج به بين الناس وفرضوا عليهم بيع الفواكه والخضار والأقشام<sup>(١)</sup> وغيرها في أسواق مدينة تعز كنوع من الاستهزاء والنقص الذي أرادوا زرعه في المجتمع اليمني ، مع التحليل لأنفسهم وحاشيتهم وقادتهم وجنودهم كل ما حرموه على الرعية ، وحمل الناس هذا الإذلال والاحتقار في قلوبهم حتى تحين لهم الفرصة للتعبير عن هذا الواقع المرير ، لذلك بمجرد ضعف دولة بني رسول ، لاسيما في عهد السلطان المظفر ( الثاني ) وصراعه مع السلطان المسعود وجدها الناس فرصة مناسبة للخروج عن هذا الواقع ، فخالقوا في الحصون وتمردوا في جبل صبر وغيره<sup>(٢)</sup> ، لانتشال أنفسهم من احتقار واضطهاد بني رسول ، ومن هنا نجد أن بعض بني رسول شددوا في بعض الفترات على إذلال واضطهاد واحتقار الناس مع إظهار مكانتهم الأسرية التي حاولوا مراراً أن يبرزوها بينهم ، باعتبارهم الأسرة الحاكمة التي أقامت لها في ربوع اليمن إقطاعات وأملاك وعبيد وخدم وحشم لرفع شأنها بين كافة الفئات الأخرى .

### ٤ — الأسباب الدينية :

#### أ ( الصراع المذهبي :

كانت الدولة الرسولية دولة سنية المذهب<sup>(٣)</sup> ، وظلت على خلاف دائم مع دولة الأئمة الزيدية في المناطق الشمالية من اليمن ، وقد أدى ذلك الخلاف في كثير من الفترات التاريخية إلى ظهور تحالفات قبلية إما مع بني رسول أو مع الأشراف الزيديين ، وكثيراً ما تتنمرد القبائل وتعلن خروجها عن طاعة الدولة عند دخول بني رسول في حرب مع الزيدية ، وكذا

(١) الأقشام : هي الخضروات ويخص بها الفجل والكرث وغيرها . قائد حميد ، أحوال اليمن لسياسية والاجتماعية والإقتصادية في ظل دولة بني رسول ، ص ١٢٧ ؛ الشرجبي ، قائد ، القرية والدولة في المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار التضامن ، بيروت ، ١٩٩٠ م ، ص ١٩٩ .

(٢) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٨ .

(٣) كان السلطان المنصور نور الدين عمر حنفي المذهب ثم انتقل إلى المذهب الشافعي وذلك برؤيا النبي ( ﷺ ) في منامه يقول : " يا عمر صر إلى المذهب لشافعي " . لجندي ، لسلوك ، ج ١ ، ص ٤٠٠ ؛ الأهدل ، تحفة الزمن ، ص ٣٦١ . ويبدو أن هذه الرواية من تأليف بني رسول أنفسهم .



تنضم القبائل السنية في مثل هذه المواقف إلى جانب بني رسول مؤيدين ومناصرين إخوانهم في المذهب السني ، وقد تشدد بني رسول في صراعهم مع القبائل الزيدية مستخدمين معهم كل أنواع العنف والقوة لإخضاعهم ، إلا أن العصية في هذا المذهب تحول دون تخليهم عن مذهبهم<sup>(٤)</sup> ، كما كان الأئمة الزيديون شديدين مع القبائل السنية أو مع القبائل التي تحاول ترك مذهبها ، ففي شهر رجب سنة ٧٩٣ هـ هجم الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين على بلد بني شاور وقصد الفقيه العلامة أبا العباس شهاب الدين أحمد بن زيد الشاوري فقتله هو وإخوته وعدد من الفقهاء الشافعية وجماعة من أهل البلاد ، ونهب بيت الفقيه الذي كان فيه جملة من الأموال المودعة عنده للناس<sup>(١)</sup>؛ وكان السبب في قتل الفقيه أن بني شاور كانوا على المذهب الشافعي ثم انتقلوا إلى مذهب الهاديوية ، الأمر الذي جعل الفقيه أحمد بن زيد ينهاهم عن ترك مذهبهم الشافعي ، ففعل به الإمام ما فعل ، وتبرر بعض المصادر هذا الموقف للإمام<sup>(٢)</sup> ، ومن هنا نجد أن الصراع المذهبي كان من الأسباب التي أدت إلى تمرد القبائل على الدولة أو الأئمة ، وبالتالي استخدام سلاح العنف والقتل والتكيل ضد هذه القبائل ، ومتى قامت الحرب بين بني رسول والإمامة الزيدية تمردت القبائل مع أنصارهم في المذهب

#### ب ( إنتشار المفاصد :

شجع بنو رسول على نشر العديد من المفاصد والفواحش والعادات اللا أخلاقية التي أصبحت عادات متوارثة تتابعت مع حكم سلاطين هذه الدولة ، ومنها عادة السبوت التي ظهرت في عهد السلطان المظفر يوسف ( الأول ) وكان ابنه السلطان الأشرف أول من خرج من سلاطين بني رسول إلى النخل في موسم السبوت<sup>(٣)</sup> ، وشهدت هذه المواسم في نخل وادي زبيد توافد الناس إليها من كل مكان رجالاً ونساء وقيّمون في النخل في لعب ولهو وضحك وشرب ورقص وغناء وطرب ، ويأخذون في صنع الخمر من التمر الذي يشرب منه النساء والرجال دون تمييز ، فتحدثت المفاصد والمنكرات<sup>(٤)</sup> .

وقد كان السلطان المؤيد يخرج بعسكره إلى النخل في مثل هذه الأيام ويأمر أهل زبيد بالخروج معه بنسائهم ، فيشتد الفساد بالاختلاط الفاحش<sup>(٥)</sup>، ونتيجة لذلك أخذ علماء الدين

(٤) عن صراع بني رسول مع القبائل المناصرة للزيدية انظر أعلاه : ص ٦٠ - ٧٢ .

(١) لخزرجي ، لعقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ ؛ لصجد لمسيوك ، ق ٢٣٣ أ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ،

ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) انظر أعلاه : ص ٩٨ .

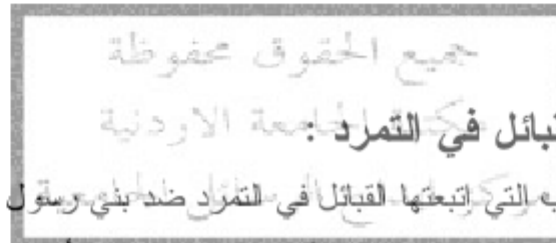
(٣) لخزرجي ، لعقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ١١٩ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٨٢ .

(٤) ابن لجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ١ ، ص ٧١ ، ٧٩ .

(٥) يحيى بن الحسين ، غية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٥ .

وغيرهم من الفئات على السلطان الظاهر اهتمامه بإحياء السبوت في أيام النخيل بزبيد والذي يحدث فيها ما لا يرضي الله ولا رسوله<sup>(٦)</sup> ، وأنكر هذه الأمور الخاصة والعامة من الناس ، مما أدى إلى رحيل قدر سبعمائة بيت من الفقهاء عن زبيد وغيرهم من أهل النجدة والحمية ، ومنهم من أوا إلى الجبال، وأنكروا على الكثيرين الذين تخلفوا عن الخروج بسبب ما كانوا يشاهدونه ويسمعونه من منكرات في تلك الأيام<sup>(٧)</sup> ، لذلك واجهت الدولة مقاومة وتمرداً شديداً بسبب تشجيعها لهذه المفاصد والمنكرات التي أثارت علماء الدين والقبائل ضد سلاطين بني رسول .

ونصل في الأخير إلى أن جملة الأسباب التي تم استعراضها كانت دافعاً قوياً أجبر القبائل على إنكار ذلك الواقع ودفعها إلى الخروج عن الطاعة والتمرد للذين عانت منهما دولة بني رسول دون أن تحاول معالجته إلا بالطرق التي كانت ترى بأنها مناسبة ، مما زاد في عصيان هذه القبائل .



اختلفت الأساليب التي اتبعتها القبائل في التمرد ضد بني رسول وتعددت أنواعها التي قد تكون لها صلة مباشرة بالواقع الذي تعيشه البلاد ، لذلك يمكن أن نحصر أهم هذه الأساليب في النقاط الآتية :

#### ١ - مهاجمة معاقل بني رسول ومحاطهم :

كانت الحصون من أهم معاقل بني رسول التي بها استطاعوا ضبط الأمور وإخماد التمردات لإشرافها على مساكن القبائل وقراها ، والتي في حالة تمردها تخضع عن طريق حامية الدولة المتمركزة في هذه الحصون ، واتجهت بعض القبائل إلى إسقاط تلك الحصون مما يضمن إحكام قبضة القبيلة على المنطقة ، فكان بنو حوال من تلك القبائل التي اتبعت في تمرداها أسلوب أخذ الحصون والسيطرة عليها ، كما فعلت في حصن كوكبان في سنة ٦٧٤ هـ<sup>(١)</sup> ، وشهد عهد السلطان المؤيد سقوط عدد من الحصون في أيدي بعض القبائل حيث سيطر بنو الحارث على حصن أود في سنة ٦٩٦ هـ<sup>(٢)</sup> ، وأخذ ابن أصهـب حصن

(٦) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

(٧) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٩٤ - ٤٩٥ .

(١) ابن حاتم ، لسمط لغلي لثمن ، ص ٤٦٣ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١١٠ - ١١١ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ،

ج ١ ، ص ١٨٨ .

(٢) الخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ١٤٣ ؛ يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .

النشابة في وصاب سنة ٧٠٦ هـ ، ولأهمية هذه الحصون بالنسبة لبني رسول ثار المؤيد واستعادها بسرعة فائقة<sup>(٣)</sup> ، لأن ما قاموا به كان سبباً في تمرد مناطقهم كلها ضد الدولة لفقدانها أهم معاقلها .

ومن هنا نجد أن القبائل عند تمردها تؤمن نفسها أولاً بأخذ الحصون والاحتواء بها و الشيء نفسه بالنسبة للدولة ، فعند مهاجمة قبيلة أو غيرها تتجه إلى حصونها لإسقاطها ، وبالتالي إنهاء حصانة المدينة وخضوع القبيلة ، فعندما خالف أهل ريمة في جمادى الأولى سنة ٧٩٣ هـ اتجهوا إلى الحصون وتمركزوا فيها وبهذا سيطروا على المنطقة<sup>(١)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فقد اتجهت بعض القبائل في تمرداتها إلى ضرب مصالح بني رسول ومحاطهم ، كما فعل عرب الخبثاء في حرص عندما قاموا بمهاجمة محطة السلطان هناك في سنة ٧٩٧ هـ وقتلوا واليها وعدداً كبيراً من العساكر<sup>(٢)</sup> .

وتظهر أهمية الحصون بالنسبة لبني رسول من خلال موقف ابن الحسام الزاهر عندما أراد أن يخالف على الدولة ، حيث اتجه إلى السيطرة على الحصون ، فسيطر على حصون الشوافي وغيرها ، مما جعل السلطان الناصر يسرع إلى هناك عند وصول الخبر إليه<sup>(٣)</sup> ، كما أحكمت بعض القبائل قبضتها على عدد من الحصون مما أزعج السلطان الناصر<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ٨٣٥ هـ خلع الشيخ عبيد بن هاشم شيخ حازة<sup>(٥)</sup> يده عن الطاعة ، وسيطر على حصن عزّان نخر في جبل حبشي وزاد من قوته تحالفه مع مجموعة من القبائل المتمردة على الدولة ، وبذلك تمكن من مواجهة بني رسول<sup>(٦)</sup> . ومن هنا نلاحظ أن القبيلة إذا أرادت أن تتمرد على الدولة وتحكم قبضتها على منطقة ما تتجه إلى السيطرة على الحصون وتحكم قبضتها عليها ، مما يؤدي إلى أن تقل هيمنة الدولة على القبيلة والمنطقة .

## ٢ - التعدي على أفراد الأسرة الرسولية وولاتها :

عبرت بعض القبائل عن تمرداتها بمهاجمة أفراد البيت الرسولي ، وما حدث للأمير المنصور عبد الله بن العباس أخ السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل سنة ٧٨٨ هـ خير دليل على ذلك ، ففي أثناء سيره إلى فُشال هجم عليه جماعة من العرب المتمردين واشتبك

(٣) لحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٦ ؛ لوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ١٤١ .

(١) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٢ - ١٨٤ .

(٤) عن تلك القبائل وأهم الحصون التي وقعت في أيديها انظر : مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٢٩ .

(٥) الحازة : هي المكان المتصل بسفوح الجبال . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية ، ص ٨٧ .

(٦) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢٥٠ .

معهم ، لكنهم تمكنوا من قتله والتخلص منه <sup>(٧)</sup> ، وإن كان ما حدث بينهم من باب الصدفة ، لكن هذا الأمر كان في وجدان تلك القبائل ، وهو تعبير عن رغبتهم في قهر بني رسول بقتل رجال هذه الأسرة . ولم تتراجع القبائل أيضاً عن مهاجمة رجال الدولة البارزين من الولاة والقادة وغيرهم ، أمثال والي مدينة القحمة الأمير سيف الدين بشتك الذي استدرج إلى كمين نصبته له قبيلة المعازبة قتل على أثره مع عدد من رجال الدولة سنة ٧٨١ هـ <sup>(٨)</sup> ، كما حدث الشيء نفسه للأمير سيف الدين قرابغا قرشي في سنة ٨٣٥ هـ عندما غدرت به قبائل الحجة ، ومات متأثر بجراحه بعد هذا الاعتداء <sup>(٩)</sup> ، وكانت هذه الأعمال من قبل القبائل من الأمور التي قهرت سلاطين بني رسول وأثارتهم ضد هذه القبائل .

### ٣ - قطع الطريق :

اتجهت بعض القبائل في تمرداها إلى مهاجمة القوافل ، فأخذت تراقب الطرق التي تمر فيها تلك القوافل التجارية أو القوافل التي تحمل الخزائن التي ترسل من وإلى السلطان ، وبهذا شكلت القبائل مصدر قلق بالنسبة لدولة بني رسول ، خاصة على الحركة التجارية التي تأثرت وانقطعت بسبب قطع الطريق الذي قامت به القبائل القريبة من خطوط التجارة ، ونلاحظ ذلك في سنة ٦٤٦ هـ عندما قامت قبيلة سحان بمساعدة عسكري الإمام أحمد بن الحسين بقطع الطريق على قافلة مرسله من السلطان نور الدين عمر إلى ابن عمه الأمير أسد الدين محمداً بالخرائن <sup>(١٠)</sup> .

وفي هذا الصدد ، تذكر المصادر تمرد قبائل آل سالم <sup>(١١)</sup> الذين يقومون بمهاجمة حدود أبين ، وينهبون زراعتها ويتلفون عطبها ، ويهاجمون القوافل الخارجة من عدن إلى أبين ويأخذونها <sup>(١٢)</sup> .

وقد شهدت سنة ٧٢٩ هـ تمرد أهل الهجر <sup>(١٣)</sup> الذين قاموا بمهاجمة قافلة تجارية خارجة من عدن ، الأمر الذي لم يتهاون فيه السلطان المجاهد فغزاهم بنفسه وقتل جماعة

(٧) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(٨) لمصدر نفسه ، ص ١٦٩ .

(٩) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(١٠) ابن حاتم ، السط الغالي لثمن ، ص ٤١٨ ؛ لخزرجي ، لعسجد المسبوك ، ق ١٠٣ ب .

(١١) آل سالم : من آل يحيى بن علي من الجحافل . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(١٣) الهجر : من أحدث مدن يافع من حيث العمارة والنشاط التجاري وأهل الهجر فرع من يافع بن مالك . لقيطي ، زين محمد ،

يافع صفحات من لتاريخ اليمن ، ط ١ ، مطابع الآفاق ، صنعاء ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٦٦ ، ٩٤ .

منهم تأديباً لهم<sup>(٦)</sup> ، وكانت الطرق المؤدية إلى عدن أكثر تعرضاً لقطاع الطرق في تلك الفترة لكثرة القوافل التجارية الخارجة والوافدة إليها ، ففي شهر شوال سنة ٧٩٧ هـ خرج الجحافل على قافلة متجهة إلى عدن ونهبوها ، مما أغضب السلطان الأشرف (الثاني) إسماعيل بن عباس ، فأرسل إليهم قوة عسكرية تمكنت من قتل وأسر جماعة منهم<sup>(٧)</sup> .

وظلت عدن هدفاً للقبايل المتمردة ، خاصة القبائل المحيطة بها والقريبة منها ، ففي سنة ٧٩٩ هـ قامت قبيلة الأحويق<sup>(٨)</sup> بنهب قافلة تجارية من قوافل عدن كانت تحتوي حمولتها على ثمانين جملاً عليها من الذهب والفضة أكثر من عشرة لكوك<sup>(٩)</sup> ، دون أن يكون للدولة دوراً يذكر في هذا الأمر<sup>(١٠)</sup> ، ويبدو أن انشغال الدولة عن تأمين هذه الطرق ووضع حاميات للدفاع عنها هو الذي شجع تلك القبائل على فعل ذلك . وفي حضرموت سيطرت القبائل على جميع مداخل ومخارج الشحر في أواخر عهد هذه الدولة وقاموا بمهاجمة القوافل التجارية ، فكان ذلك عاملاً معطلاً للحياة التجارية في المدينة<sup>(١١)</sup> .

ولقد كانت تهامة أيضاً من المناطق التي تعرضت لقطع الطريق من قبل قبائل المعازبة ، فدخلت الدولة معهم في صلح لحفظ الطريق في ذي القعدة سنة ٨٠٢ هـ وبموجبه سار الناس آمنين على أنفسهم وأموالهم<sup>(١٢)</sup> ، إلا أن تهامة عادت إلى الاضطراب والخوف مرة أخرى سنة ٨٣٣ هـ ، بسبب قيام أحد مشائخها بقطع الطريق على المسافرين وجبايتهم بعنف ، وأصبح بذلك يشكل مصدر قلق للدولة وللمسافرين ، مما دفع الدولة إلى إرسال قوة لتأديبه والقضاء عليه . وفي السنة المذكورة قام جماعة من بني سيف بإثارة الرعب في المنطقة حيث قطعوا الطريق على الناس وأخافوهم<sup>(١٣)</sup> ، ويظهر موقف الظاهر أمام هذه الأعمال عندما أرسل قوة عسكرية إلى بلد الزراريين<sup>(١٤)</sup> الذين اشتد عصيانهم في قطع الطريق ، ونتيجة خوفهم من عقاب الظاهر تعهدوا بعدم تكرار ذلك والتزموا بحفظ جهاتهم وطرقهم في سنة ٨٣٥ هـ<sup>(١٥)</sup> .

(٦) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦١٦ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٤٣ أ .

(٨) الأحويق : من آل يحيى بن علي من الجحافل . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٣٧ .

(٩) لُكْ : يقول محمد بن علي الأكوغ أنها كلمة هندية مازالت تستعمل حتى يومنا هذا ، تعبر عن قدر معروف من الذهب والفضة ويعطي معناه لكثرة . ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٨٤ ، حاشية رقم ( ٦ ) . ويقول يوسف شلحد محقق كتاب الفضل

المزيد أنها قطعة من ذهب وزنها عشرة آلاف دينار . ابن الديبع ، الفضل لمزيد ، ص ٣٩٠ .

(١٠) لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٤٦ أ ؛ ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٨٤ .

(١١) باكريت ، علي سعيد ، المهرة الأرض والسكان ، ط ١ ، دار جامعته عدن ، عدن ، ١٩٩٩ م ، ص ١٨ .

(١٢) لخزرجي ، لعسجد المسبوك ، ق ٢٥٢ أ .

(١٣) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

(١٤) زركر : قرية من بلاد قيقة في جهة رداع . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٩٣ .

(١٥) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٤٦ .

وقد أدى انتشار الفوضى في البلاد إلى تشجيع الأشاعر على مهاجمة قافلة تجارية لمجموعة من تجار الخيل بعد دخولهم إلى فسال في طريقهم إلى عدن ، مما أدى إلى زيادة التمرد في المنطقة<sup>(٨)</sup>. ومن هنا نلاحظ أن القبائل القريبة من مراكز الثقل التجاري أو الزراعي كانت أكثر تمرداً وقطعاً للطريق ، ويبدو أن التصرف بالأموال التي تجبي من ضرائب هذه المناطق من قبل بني رسول في ترفهم وتعميرهم القصور والبساتين وتجهيز الحملات لضرب القبائل هي التي أثارت القبائل التي لم تكن مستفيدة من ذلك ، لاسيما وأن تلك الأموال كانت لا بد أن تصرف في صالح هذه القبائل ، لهذا قامت بقطع الطريق واغتنام كل ما تحمله هذه القوافل ، من أجل لفت نظر الدولة ولاعتبار نفسها صاحبة حق في تلك الأموال والضرائب التي تجبي .

#### ٤ - الإنضمام إلى القوى المناوئة لبني رسول :

وقفت القبائل إلى جانب القوى المناوئة لبني رسول تعبيراً عن رفضها لسياستهم ، وشكلت الزيدية أكبر قوة معارضة لبني رسول ، إضافة إلى المنشقين من البيت الرسولي وغيرهم من الأطراف التي وقفت في وجه حكم بني رسول<sup>(٩)</sup> ، لذلك بمجرد خلاف القبائل مع بني رسول تتحاز تلك القبائل إلى تلك القوة المعارضة التي يسعدها هذا ، فتبدأ باحتضان القبائل ومساندتها ، فرأت بعض القبائل أن هذا الأسلوب هو الأفضل لقهر سلاطين بني رسول وولاتهم .

#### ٥ - رفض القبائل دفع ما عليها من الحقوق :

نهجت بعض القبائل في تمرداها أسلوب العصيان ، إما عن طريق رفضها تنفيذ أوامر الدولة أو مراسيمها أو عن طريق رفضها تسليم ما عليها من ضرائب وواجبات ، لذلك أثارت بعض القبائل المتمردة سلاطين بني رسول ، وبمجرد رفض تلك القبائل تسليم الواجبات المفروضة عليها كانت قوات السلطان تهاجم هذه القبائل حتى تخضعها ، ففي سنة ٧٦٢ هـ هاجمت القوات السلطانية قبائل سررد<sup>(١٠)</sup> في أبيات حسين وقتلت منهم الكثير بسبب رفضهم تسليم ما عليهم من الواجبات ، فاضطروهم هذا إلى تقديم الولاء والطاعة وتسليم كل ما عليهم من الواجبات<sup>(١١)</sup> .

(٨) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٩) انظر أعلاه : ص ٣٩ - ٥٧ ، ٦٠ - ٧٢ .

(١٠) قبائل سررد هي : لهزمة والحرة والهيللة وكلها من عك . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٨٣ - ٨٤ .

(١١) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١١٥ .

وقد عبر الرماة عن تمردهم بامتناعهم عن تسليم ما عليهم من الواجبات والحقوق الديوانية في سنة ٧٩٧ هـ ، وذلك عندما أرسل السلطان أحد أمرائه إلى الجهات الشامية<sup>(٤)</sup> لجباية الأموال بها ، فرفض الرماة ذلك ، مما أغضب السلطان الأشرف إسماعيل الذي أرسل إليهم قوة تمكنت من إخضاعهم بقوة السيف<sup>(٥)</sup> .

وفي عهد السلطان الظاهر تمرد مشائخ عرج<sup>(٦)</sup> ورفضوا تسليم ما عليهم من واجبات ديوانية وساندوا القبائل ودعموها في التمرد ، وكثر معهم الخيل وزاد هذا من عصيانهم ، فأثاروا غضب السلطان الذي غزاها حتى عادوا إلى طاعته ، وسلموا ما عليهم من الواجبات السلطانية وغيرها ، وشهد عهد الظاهر أيضاً رفض الزواقر دفع ما عليهم من الواجبات ونزعوا أيديهم عن الطاعة في شهر ذي القعدة سنة ٨٣٧ هـ<sup>(٧)</sup> ، وفي السنة التي تليها عبر بنو حفيص عن تمردهم بعدم الحضور إلى مدينة المهجم لتسليم ما عليهم من الأموال ، فاضطرت الدولة إلى استخدام القوة معهم<sup>(٨)</sup> ، وأظهر في السنة المذكورة أهل الجبيل<sup>(٩)</sup> تمردهم بأسلوبهم الخاص ، حيث قاطعوا الدولة ولم يصلوا إلى الباب الشريف أسوة ببقية القبائل الأخرى<sup>(١٠)</sup> . ونجد هنا أن ما فرضته الدولة على الرعية من القبائل ، قد يواجه بالرفض فيكون امتناع القبائل عن دفع ما فرضته الدواوين عليهم أسلوب تتبعه القبائل مع الدولة ، مما يثير غضب الحكام ويضطرهم إلى استخدام القوة مع القبائل أو معالجة تلك المشكلة بالطرق التي يرونها مناسبة.

## ٦ - الاتجاه إلى العنف :

كان العنف بأنواعه من الأساليب التي اتجهت إليه بعض القبائل تعبيراً عن رفضها لسياسة بني رسول أو لغيرها من الأسباب ، لهذا ظلت قبائل المعازبة و القرشيين والأشاعر والجحافل من أشد القبائل ضراوة وتخريباً خلال حكم بني رسول ، حيث أخذوا في مهاجمة المدن والقرى وإحراقها وتدميرها ، لاسيما المدن التي اشتهرت في تلك الفترة مثل الكدراء

(٤) لجهات شامية هي : سَهَام و سُرُود و مَسُور و رَحْبان و بَشْرِك و نُوَال و رَمْع . لخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٥) لخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ٢٤١ ب - ٢٤٢ أ .

(٦) عُرْج : قرية على ساحل البحر الأحمر شمال الحديدة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٥٩٨ .

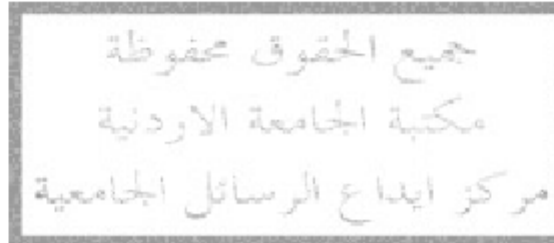
(٧) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٣٤ ، ٢٨١ .

(٨) لمصدر نفسه ، ص ٢٨٨ .

(٩) الجبيل : منطقة تقع في قاع جبأ ، وتعد منازل آل الكرندي ملوك المعافر . لهدماني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٩٥ .

(١٠) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

والقحمة وفشال وأبيات حسين وزبيد ولحج وغيرها من المدن التي خربت أمام هجمات القبائل الهمجية<sup>(٥)</sup> .



<sup>(٥)</sup> عن تلك التمردات انظر أناه : ص ١٠٧ - ١٠٩ .



جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

## الفصل الثالث

أهم القبائل المتمردة

## أولاً : قبائل عك<sup>(١)</sup> : جميع الحقوق محفوظة مكتبة الجامعة الاردنية

### ١ - المعازبة :

تُعد المعازبة من أشهر القبائل التهامية التي لعبت دوراً كبيراً عبر التاريخ اليمني عامة وتاريخ الدولة الرسولية خاصة ، وتمتد مساكنهم ما بين وادي رمع ووادي ذوال وما بين البحر الأحمر وجبال ريمه الأشباط وأهم قراهم بيت الفقيه ابن عجيل<sup>(٢)</sup> ، وقد عانت دولة بني رسول طوال فترة حكمها لليمن من قبائل المعازبة لكثرة تمرداتها وقوة مراسها وعنادها ، حتى أن بعض المصادر التاريخية تصفهم بأنهم عصاة طغاة لكثرة أعمالهم التمردية والتخريبية<sup>(٣)</sup> .

لقد قام أول تمرد للمعازبة في عهد بني رسول في سنة ٦٤٥هـ أيام السلطان المنصور نور الدين عمر ، ولأجل إخضاعهم سار السلطان بنفسه إليهم ، ولم يعد إلى الأبواب السلطانية إلا بعد أن أعادهم إلى طاعته بالقوة<sup>(٤)</sup> ، فاستمر المعازبة على هدوءهم إلى عهد السلطان المؤيد بن مظفر ، حيث أعلنوا الخلاف عليه في جمادى الآخرة سنة ٧٠٠هـ

(١) تختلف المصادر حول نسب عك بن عدنان ، حيث أن بعض هذه المصادر تعيدهم إلى قبائل شمال جزيرة العرب من العدنانية باعتبار أنهم هاجروا إلى تهامة في اليمن وتزوجوا منهم واختلطوا بهم . ابن هشام ، سيرة ابن هشام ، مج ١ ، ص ٢٦ - ٢٧ ؛ ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب ، جمهرة النسب ، ط ١ ، تح: ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ١٨ - ١٩ . وتعدهم مصادر أخرى إلى مالك بن زيد بن كهلان . اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، مج ١ ، ص ٢٠٢ ؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٢٨ ؛ الحكمي اليمني ، المفيد ، ص ٥٠ ؛ الحموري ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٤٢ - ١٤٣ . وعن ذلك الاختلاف انظر : الحميري ، منتخبات ، ص ٧٤ ؛ السمعاني ، الأنساب ، ج ٤ ، ص ٢٢٥ .

(٢) بيت الفقيه ابن عجيل : من مدن تهامة ما بين زبيد والحديدة . الحميري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٦٣٦ .

(٣) ابن المجاور ، تاريخ المستنصر ، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٤) ابن حاتم ، السط الغالي الثمن ، ص ٢٢٤ .

فوجه إليهم قوة تمكنت من قتل عدد كبير منهم ونهب أموالهم وفرضت عليهم تسليم رهائن لضمان عدم تمردهم مرة أخرى<sup>(٥)</sup>.

ومما هو جدير بالذكر أن قبائل المعازبة تعد من أكثر قبائل تهامة تخريباً للمدن والقرى، ويبدو أن هذا هو أسلوب تخاطبهم مع بني رسول، ففي عهد السلطان المجاهد دمرت مدينة القحمة من قبل المعازبة في سنة ٧٢٤ هـ، حيث انتهزوا فرصة غياب واليها الأمير داود بن إدريس بن علي الحمزي الذي عند وصول الخبر إليه سار على رأس قوة من المماليك وهاجم المعازبة وقتل جماعة منهم وتمكن من إخضاع المنطقة، وأمر الناس بإعادة بناء دورهم التي تم تخريبها<sup>(٦)</sup>، ويبدو أن هذه الأعمال التخريبية التي قام بها المعازبة، جاءت نتيجة لحالة الفوضى التي تعيشها البلاد بسبب الصراع بين المجاهد وابن عمه الظاهر، لذلك ظلت هذه الأعمال مكبوتة في نفس المجاهد، وفي شوال سنة ٧٢٥ هـ خرج إلى بلدهم وأخربها وأحكم قبضته عليها وسمح للعسكر بنهبها وأمرهم بقطع المدي<sup>(٧)</sup> رداً على عنادهم<sup>(٨)</sup> ولتدميرهم إقتصادياً.

ومن هنا أخذ المعازبة يترقبون الفرص المناسبة لمهاجمة مصالح بني رسول والانتقام منهم، حتى جاءتهم تلك الفرصة في صفر سنة ٧٢٨ هـ فقاموا بمهاجمة حافة الودن خارج باب القرتب<sup>(٩)</sup> وقتلوا مجموعة من حامية الدولة، وقد أغضب هذا الخبر السلطان المجاهد وأثاره، فقرر الانتقام منهم بتوسيط<sup>(١٠)</sup> ولد الحسن المعزبي وهو أحد مشائخهم الذي كان رهينة لديه في تعز<sup>(١١)</sup>.

ومع ذلك، فقد ظل المعازبة مصدر قلق بالنسبة للمجاهد، لهذا سار إليهم بنفسه سنة ٧٤٠ هـ وأصدر أوامره بقطع المدي من أصوله تاديباً لهم وقتل الكثير منهم وقبض على آخرين، وأذاقهم صنوف العذاب، وأصبح الخراب يعم قراهم ومدنهم. وكرغبة من المجاهد لإذلالهم وكسر شوكتهم بين القبائل الأخرى شيخ عليهم امرأة منهم يقال لها بنت العاطف ومدّها بالهدايا والكسوات، فكانت تتركب حملاً أو جملاً وتقود

(٥) الحمزي، كنز الأخبار، ص ١٢٦؛ الخزرجي، العسجد المسبوك، ق ١٤٧ ب.

(٦) الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٥٨٢؛ الخزرجي، العقود للولوية، ج ٢، ص ٢١ - ٢٢؛ ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٣٥٣.

(٧) المنبّي: هو نخل المعازبة. لجندي، سلوك، ج ٢، ص ٥٩٨.

(٨) الخزرجي، العقود للولوية، ج ٢، ص ٣٥؛ مجهول، تاريخ الدولة الرسولية، ص ٥٧.

(٩) القُرتب: أحد أبواب مدينة زبيد وينسب إلى قرية القُرتب في وادي زبيد. الحجري، مجموع، مج ٢، ج ٤، ص ٦٤٨.

(١٠) التوسيط: هو شكل من أشكال الإعدام وطريقته بأن يضرب الشخص بالسيف تحت صرته بقوة تقسم جسمه نصفين فتتهلر

لمعاذه إلى الأرض. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ٤٨.

(١١) الجندي، السلوك، ج ٢، ص ٦٠٦؛ ابن الديبع، قرّة العيون، ص ٣٥٨.

المعازبة بأسرهم كنوع من الالهانة والاحتقار بعد العزة والطغيان<sup>(٦)</sup>، وكالعادة كان طريق المعازبة للانتقام من بني رسول هو مهاجمة مصالحهم ورجالهم في تهامة كلما حانت لهم الفرصة .

وفي شوال سنة ٧٥٢ هـ قاموا بقتل والي زبيد إضافة إلى مقدم العسكر وغيرهم من رجال الدولة فيما بين القرشية<sup>(٧)</sup> وزبيد<sup>(٨)</sup>، كما استغل المعازبة غياب السلطان المجاهد في مصر، ومن ثم صراعه مع ابن السيري في بعدان سنة ٧٤٥ هـ وأشعلوا نار الفتنة بمساعدة قبائل المنطقة، واشتد شرهم وأخذوا في نهب مدن تهامة وحرقتها، فنهبوا المهجم وأحرقوه، وفعلوا ذلك في القحمة والكدراء والتريبة، وأصبحت تلك المدن تحت سيطرتهم بعد زوال سلطة بني رسول منها، ولم يعد في يد بني رسول إلا حرص وزبيد فقط، ومادونها أصبحت في يد المعازبة ومن ساندتها من القبائل<sup>(٩)</sup>.

وفضلاً عن ذلك، فقد اشتد تمرد المعازبة في السنة المذكورة وساندتهم في ذلك القرشيون، هذا بعد أن خرج منافسهم الأشاعر من المنطقة، علماً بأن الأشاعر كانوا هم المسيطرون على الواديين : زبيد ورمع، ونتيجة لصراعهم مع بني رسول وخروجهم عن البلاد تغلبت المعازبة وسيطروا على أطراف البلاد وأصبحوا هم المتحكمين في المنطقة<sup>(١٠)</sup>، وبتفاهم أمر المعازبة أرسل السلطان المجاهد في ربيع الآخر سنة ٧٥٥ هـ مائتي فارس من الغز لغزوهم وكانت مساكنهم في أطراف وادي رمع في عز قوتهم وقد كثرت خيلهم، غير أنهم تراجعوا واختفوا عند مهاجمة عسكر الدولة لهم، ويبدو أنها خطة كانوا قد وضعوها وأرادوا بها إدخال الطمأنينة إلى قلوب هؤلاء العسكر الذين اعتقدوا بأن اختفاء المعازبة وهروبهم دليل على هزيمتهم وضعفهم أمام قوات السلطان، فانتظر المعازبة حتى انشغل العسكر في أخذ الأموال والغنائم التي تركوها، واجتمعت خيلهم بأسرها وهاجموهم على حين غفلة وقد افترقوا، فعجز مقدم العسكر عن إعادة جمعهم مرة أخرى، فهزموا شر هزيمة وقتل مقدم العسكر وعدد كبير من عسكره، واغتنت المعازبة خيل وأموال الدولة<sup>(١١)</sup>.

(٦) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ٦٩؛ العسجد المسبوك، ق ١٨١؛ يحيى بن الحسين، غلبة الأماني، ج ٢، ص ٥١٣.

(٧) القرشية : هي بلدة ومسكن قبيلة القرشيين لآل البيت حية عامرة . ابن لذيبي، قرة العيون، ص ٣٦٦، حاشية رقم (٤) .

(٨) الخزرجي، العسجد المسبوك، ق ١٩٥ ب .

(٩) يحيى بن الحسين، غلبة الأماني، ج ٢، ص ٥١٧ .

(١٠) عن سبب خروج الأشاعر وتغلب المعازبة في المنطقة لظفر أذناه : ص ١٣٨ - ١٤٠ .

(١١) الخزرجي، العقود اللؤلؤية، ج ٢، ص ١٠٠ - ١٠١ .

وقد زاد هذا الانتصار من قوة وعزيمة المعازبة ، واشتد طغيانهم وتمردهم في التهائم ، ولمقاومة أي خطر يهددهم أقاموا لهم في سنة ٧٥٦ هـ حلف ضم عدة قبائل ، وتمكنوا بهذا الحلف من الانتصار على أعدائهم من القبائل الأخرى خاصة الأشاعر<sup>(٤)</sup> ، وذلك عندما أحاط المعازبة وأنصارهم من القرشيين والرماة والقحراء وغيرهم بالمخيريف<sup>(٥)</sup> قرية الأشاعر ودخلوا معهم في قتال أدى إلى مقتل شيخهم أحمد بن عمر بن عبد الله الأشعري هو وجماعة من قومه ، وعلى أثر هذه الهزيمة التي تعرض لها الأشاعر خربت عدد من قرى وادي رمع ، وخرج الأشاعر عن المخيريف بعد خرابها ، وكذا خربت بعض قرى وادي زبيد وظلت على خرابها إلى عهد الخزرجي ، ويبدو أن ضعف رجال السلطان في تهامة هو الذي شجع المعازبة على التجرد على بني رسول ، لذلك أقام السلطان القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير<sup>(١)</sup> ، فزاد ذلك من عناد وتمرد المعازبة ضد بني رسول في التهائم سنة ٧٥٧ هـ ، لاسيما بعد أن ضاعفت من قوتها وأكثرت من خيلها ، وأخذوا في إخراج مدن تهامة وقراها وقطعوا الطريق على الناس مما أثار الرعب بينهم ، كما جدد المعازبة تحالفهم مع القرشيين ، فشجعهم هذا على أن يغيروا على أطراف البلاد للتخريب<sup>(٢)</sup> ، ولهذا السبب أقطع المجاهد ولده الملك الصالح القحمة ، على أمل أن يجد حلاً لهذه الفوضى ، إلا أنه فشل في إخضاعهم لشدة قوة هذه القبائل ، فأسرع القاضي جمال الدين محمد بن حسان بجمع العسكر من فثال والقحمة إضافة إلى عدد كبير من القبائل المعادية للمعازبة وأحلافهم وقام بمهاجمة القرشيين ، فثار المعازبة وتحركوا برجالهم وخيلهم لنجدة القرشيين ودخلوا في قتال مع عسكر بني رسول الذين هزموا أمام قوة المعازبة في ٢٨ ذي الحجة من السنة المذكورة ، وخسرت الدولة في هذه الحرب أشد رجالها وأشجعهم من العرب والغز ، وعلى إثر هذه الواقعة أقطع السلطان المجاهد ولده الملك الصالح فثال ، وفصل الأمير جمال الدين عنها في بداية سنة ٧٥٨ هـ<sup>(٣)</sup> .

وفي شوال من السنة نفسها نزل الملك الصالح إلى إقطاعه ونزل بعده القاضي جمال الدين في عسكر لمساندته ، في الوقت الذي هاجم المعازبة القحمة ونهبوا أهلها ودمروها وهرب أميرها إلى بيت الفقيه ابن عجيل خوفاً منهم<sup>(٤)</sup> ، وقد شجع هروب الأشاعر من فثال

(٤) كان هناك خلاف قديم بين المعازبة والأشاعر أدى في سنة ٧٤٨ هـ إلى مقتل الشيخ يعقوب بن طويق المعزبي على باب سهام من مدينة زبيد من قبل رجل من الأشاعر ، وما كانت محاولة المعازبة بقتل أحد مشايخ الأشاعر إلا رغبة في الانتقام منهم على ما فعلوه . الخزرجي ، العسجد لمسيوك ، ق ١٩٢ ب .

(٥) المخيريف : قرية عامرة من وادي رمع . ابن لديع ، قرعة لعيون ، ص ٣٦٥ ، حاشية رقم ( ٣ ) .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ ؛ العسجد لمسيوك ، ق ١٩٩ أ ؛ ابن لديع ، قرعة لعيون ، ص ٣٦٥ .

(٢) بلمخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

إلى قرية الغزالين في أعلى وادي رمع خوفاً من قدوم الملك الصالح المعازبة على مهاجمة وادي زبيد وتكرارهم ذلك أمام أعين أعدائهم من بني رسول والأشاعر ، مما جعل جماعة من خيالة الأشاعر يتبعونهم ويقتلون ثلاثة من أشجع فرسانهم ، وهنا ثار المعازبة وأرسلوا إلى سائر القبائل الخارجة عن طاعة بني رسول والمعادية للأشاعر والموالية لهم كالقحراء والرماء والمقاصرة والعامريين<sup>(٥)</sup> وقبائل ذوال<sup>(٦)</sup> والقرشيين الذين خرجوا برجالهم وخييلهم وعتادهم إلى الأشاعر المقيمين في الغزالين ، فقتلوا الكثيرين من فرسان الأشاعر الأشداء بعد استدراجهم إلى خارج القرية وكانت تلك الواقعة في ذي القعدة من السنة المذكورة<sup>(٧)</sup>.

أما بالنسبة لموقف بني رسول من ذلك كله فهو مراقبة الوضع من بعيد لأن الملك الصالح بن المجاهد كان المستفيد الوحيد من هذا التناحر القبلي ، وعلى الرغم مما تعرضت له التهائم من خراب ودمار ، إلا أن الدولة لم تحرك ساكناً رغبة منها في استمرار ذلك الصراع لإضعاف قوة هذه القبائل ، وقد حدث العكس ، حيث هاجم المعازبة فثال على حين غفلة في الشهر المذكور ، وهرب الملك الصالح بعسكره إلى مدينة زبيد ، وعاث المعازبة في فثال خراباً ، وفقدت دولة بني رسول بهذا سيطرتها على وادي رمع بأسره الذي أصبح بيد هذه القبائل<sup>(٨)</sup>. ومن أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذه القبائل نزل السلطان المجاهد بنفسه إلى زبيد على رأس قوة في سنة ٧٥٩ هـ ، وأرسل إلى والي حرض محمد بن ميكائيل الذي وصل إليه بعسكر من الغز لشد عضد المجاهد ، وسار الجميع لمحاربة المعازبة وأنصارهم ، ولكنهم انسحبوا من بلادهم ، فأمر المجاهد بأن تحرق بلادهم ، وترك ابن ميكائيل والياً على بعض البلاد الشامية<sup>(٩)</sup> ، وعندما اطمأن المعازبة إلى عودة المجاهد إلى تعز نزلوا هم وسائر القبائل المتمردة إلى بلادهم مرة أخرى ، وبعد استقرارهم فيها أعادوا جمع قواتهم واتجهوا نحو الكدراء ودمروها في آخر شهر صفر ، وفقدت الدولة الرسولية سيطرتها على وادي سهام<sup>(١٠)</sup> ، وكان لذلك أثره على المنطقة ، حيث انتشر الخوف والفرع بين الناس وزاد العصيان وانقطع الطريق بين المدن والقرى في وادي زبيد وأصبح من الصعب الاتصال بين المدن<sup>(١١)</sup> ، بل وصلت

(٥) العامريون : من قبائل تهامة وبلادهم قريبة من بلاد المعازبة " ويبدو أنهم من عك " . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤١٤ .

(٦) ذوال : ولد يأتي من بلاد ريمة ويقع ما بين وادي سهام شمالاً ووادي رمع جنوباً ويمر بجوار بيت لقيه والمنصورية .

الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية ، ص ١٢٤ .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ؛ المسجد المسبوك ، ق ١٩٩ ب — ٢٠٠ أ .

(٨) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٥ — ١٠٦ ؛ المسجد المسبوك ، ق ٢٠٠ أ .

(٩) بلمخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(١٠) سهام : ولد مشهور يقع وسطاً بين وادي سررد شمالاً ووادي رمع جنوباً. الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمانية ، ص ١٥٦ .

(١١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٧ .

قوة وجرت قبائل المعازبة وأنصارهم إلى الاتجاه إلى نخل وادي زبيد ونهب أهله ، وطرد حامية الدولة المتمركزة هناك ، وبالتالي انقطع حكم بني رسول عن زبيد ، وخرج أهل النخل لعدم وجود سلطة تحميهم وتحمي مصالحهم وهم لا يملكون قوت يومهم ، ووجدها المعازبة فرصة لاقتسام النخل مع القرشيين ، وبهذا فقد أهل النخل أملاكهم التي أصبحت للقبائل من العرب<sup>(٥)</sup>.

وهكذا أصبح المعازبة هم المتحكمون في أمور الرعية في منطقة تهامة ، فأخذوا يخربون المناطق الواحدة تلو الأخرى ، وفي شوال سنة ٧٥٩هـ هاجموا الجئة<sup>(٦)</sup> وكان واليها في تلك الأثناء الأمير بهاء الدين السنبلي ، حيث خرج إليهم بمن معه من قوة وهم محاصرون للقرية ودخل معهم في قتال عنيف قتل على أثره معظم عسكره وقادته فانسحب إلى المهجم<sup>(٧)</sup>.

وفي شهر ذي الحجة من السنة المذكورة قرر المعازبة مهاجمة المهجم بعد أن استشاروا أنصارهم من قبائل سررد بني عبيدة وبني حفيص وبموجب اتفاق بينهم تحرك المعازبة إلى المهجم وتأخرت قبائل سررد ، وكان ذلك سبباً في هزيمة المعازبة من قبل السنبلي وقواته وقتل أكثر من مئة رجل منهم ، وفي الوقت الذي وصلت فيه قبائل سررد من الزيديين بني حفيص وبني عبيدة ولكن بعد فوات الأوان ، لهذا عادوا أدارجهم من حيث جاءوا ، ورغم هذه الهزيمة فقد ظلت خيول المعازبة وغيرهم من القبائل تدور حول مدينة زبيد ولم تأت سنة ٧٦١هـ إلا والخراب قد عم معظم تهامة ولم يبق في وادي زبيد إلا ثلاث أو أربع قرى ظلت خيل القبائل تحوم من حولها<sup>(٨)</sup>.

ولهذا السبب فقد استمر تمرد المعازبة في المنطقة حتى أنهم دخلوا في صراع مع الشريف علي بن محمد المعروف بابن الجارية الذي اختلف مع قادة السلطان المجاهد وانتصر عليهم وسيطر على المحالب والمهجم ، وعلى أثر ذلك خرج هؤلاء القادة إلى قبائل العرب يطلبون النصر ضد الشريف المذكور ، فكانت المعازبة من أوائل القبائل المناصرة لهم ، إلا أنهم هزموا فأعادوا الكرة مرة أخرى فهزمهم إلى أطراف مدينة المهجم وتفرقوا ، وأمام عناد المعازبة أعادوا الكرة مرة ثالثة وأحاطوا بالمدينة ، مما أتعب الشريف وأخذ في محاورتهم ثم طلب الذمة منهم فاستنموه ، وفي الليل هرب من المدينة ودخلها المعازبة صباحاً ونهبوها وأحرقوها واغتتموا أموالها ، وبهذا عم الخراب التهاثم كلها ولم يبق إلا زبيد

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

(٦) الجئة : إحدى مدن تهامة التي ما زالت عامرة وهي من أعمال المهجم من شماله . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٨) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، ١١٢ .

وحرص اللتان كانتا تحت قبضت بني رسول ، ولم تعد هناك قرى مسكونة إلا قرى المتمردين<sup>(٢)</sup> .

لقد وصل المعازبة وأنصارهم القرشيين إلى مرحلة من القوة مكنتهم من اغتنام العديد من الأموال والخيول التي ساعدتهم على مواجهة عسكر بني رسول ، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان حيث دب الخلاف بين المعازبة والقرشيين في سابع رمضان سنة ٧٦٢ هـ في أثناء وجودهم في نخل وادي زبيد ، وبمجرد انقضاء موسم النخل هاجم المعازبة القرشيين ، وبعد عدة جولات تمكنوا من الانتصار عليهم بقتل عدد من رجالهم ، لذلك لجأ القرشيون إلى السلطان المجاهد وطلبوا منه النصرة ضد المعازبة ، وهو ما كان يبحث عنه المجاهد لإخماد تمرد هذه القبائل وتمزيق وحدتها ، فأمر السلطان بمناصرتهم ، ومن هنا دخل عسكر السلطان والقرشيون من جانب والمعاذبة من جانب آخر في صراع أدى إلى مقتل تسعة رجال من المعازبة وإحراق قراهم وتدميرها بعد إخراجهم منها<sup>(٣)</sup> .

وأدت تلك الأعمال من قبل عسكر بني رسول والقرشيين إلى ثورة المعازبة الذين جمعوا رجالهم في الشهر المذكور وهاجموا أهل القرشية ، فخرجوا إليهم واشتبكوا معهم في قتال عنيف نتج عنه مقتل أربعين رجلاً من القرشيين مقابل رجل واحد من المعازبة ، وعلى أثر ذلك أغار القرشيون في ذي القعدة على المعازبة وقتلوا منهم خمسة . ومن عجيب ما نلاحظ في المعازبة هو عدم قبول الهزيمة بسهولة وسرعة رد الفعل لديهم أمام أي هزيمة ، فبعد أن قتل القرشيون من المعازبة خمسة أشعل المعازبة نار الحرب وجمعوا القبائل وقصدوا القرشيين في آخر يوم من ذي القعدة من السنة المذكورة<sup>(١)</sup> ، وعند وصولهم إلى أطراف قرية القرشية فأجأهم القرشيون بالهجوم ، فهزم المعازبة وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل ، ولم يكتفِ القرشيون بذلك بل احتزوا من رؤوس القتلى في هذه الواقعة المشهورة أكثر من مائة رأس أرسل بها إلى السلطان المجاهد في تعز الذي سره ذلك وأنعم على الواصلين بالرؤوس وكساهم<sup>(٢)</sup> .

ويبدو أن المعازبة قد استغلوا الخلاف الذي حدث بين السلطان المجاهد وابنه المظفر في محرم سنة ٧٦٣ هـ وانضموا إلى المظفر ، فحاربهم المجاهد حتى ولوا هاربين مهزومين أمام قوات بني رسول<sup>(٣)</sup> .

ولم تلبث الهزائم أن تكررت على المعازبة بعد ذلك ، ففي الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٧٦٣ هـ قاموا بمهاجمة القرشية على حين غفلة من أهلها إلا أنهم هزموا

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٣ - ١١٤ .

(٣) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٠٢ أ ؛ ابن النديم ، فرة العيون ، ص ٣٦٦ .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٦٢ .



وقتل عدد كبير منهم ، وأمام هذه الهزيمة تحركت قوات من بني رسول ومن ساندتهم من رجال القرشيين في التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة وقتلوا عدداً من المعازبة وأحرقوا أرضهم ، وعندما لاحظ المعازبة ضعف قوتهم وتكاتف الكل عليهم دعوا إلى الصلح مع السلطان المجاهد في سنة ٧٦٤ هـ ، وتعهد السلطان لشيخهم العكور بإعادة إصلاح ما دمرته الحرب في التهائم ، وأرسل قوة من العسكر الغز إلى زبيد لإعادة تنظيم المناطق التي دمرت حتى يعود أهلها ويستقروا فيها<sup>(٤)</sup> ، إلا أن هذا الاتفاق أغضب القرشيين الذين اتفقوا مع عسكر السلطان على الغدر بالمعازبة بحجة أنهم مفسدون ، وتم تنفيذ الخطة في العاشر من ربيع الأول وغدر بالمعازبة وقتل منهم أربعين رجلاً من أشد فرسانهم بما فيهم الشيخ العكور شيخ المعازبة<sup>(٥)</sup> ، وقد يكون ذلك كله تم بالاتفاق مع السلطان المجاهد ، خاصة وأن المصادر لم تشر إلى موقف بني رسول من هذه المجزرة التي ارتكبتها عسكر السلطان من الغز .

وقد ترتب على هذه المجزرة هدوء المعازبة وسكنتهم إلى عهد السلطان الأفضل عباس بن علي ، حيث عادوا إلى الخلاف مرة أخرى في شعبان سنة ٧٦٦ هـ — فهاجمهم عسكر بني رسول وقطعوا نخلهم المدي وقبضوا خيلهم وخيل من ساندتهم<sup>(٦)</sup> ، فزاد ذلك من عصيان القبائل بما فيها المعازبة ، خاصة أثناء ولاية الأمير بهاء الدين بهادر المجاهدي لزبيد سنة ٧٦٩ هـ ، بسبب عجز هذا الوالي أمام تصرفات هذه القبائل ، وولى الأفضل بدلاً منه الأمير علاء الدين شنحل الذي كان شديداً مع المعازبة ، وقتل الكثير منهم ، وأخذ خيلهم وعتادهم لضمان عدم عودتهم إلى العصيان<sup>(٧)</sup> .

وإضافة إلى ذلك كان السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل بن عباس شديداً في تعامله مع المعازبة ونلاحظ ذلك في الحملة العسكرية التي أرسلها إلى بلادهم في سنة ٧٨٠ هـ — وقتلت الكثير وشتت من بقي منهم في البلاد<sup>(٨)</sup> ، لهذا زادوا في العناد وأخذوا في التردد على نخل وادي زبيد في سنة ٧٨١ هـ ، مما اضطر الأشرف إلى إرسال حملة أخرى إليهم بقيادة الأمير سيف الدين بشتك وبمساعدة والي فحال ووالي القحمة، ولم يكن أمام المعازبة إلا البحر للهروب من هذه القوة ، فغرق الكثير منهم وسلم البعض وفضل البعض الذمة ووقع البعض في الأسر<sup>(٩)</sup> ، ونتيجة لما حققه الأمير بشتك أضاف إليه السلطان ولاية وادي رمع ، فاستتاب هناك الفقيه رضي الدين أبا بكر أحمد بن عبد الواحد الذي جعل السيف والسهم هو اللغة التي

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٢٠ — ١٢٢ .

(٥) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٠٣ ب — ٢٠٤ ب .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٩) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢١٩ أ ؛ ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٧٧ .

يتعامل بها مع المعازبة ، فشنتهم في مناطق مختلفة من اليمن بعد أن قتل منهم الكثير، ورأى المعازبة ضرورة التخلص من الأمير بشتك ، لاسيما بعد أن أضاف له السلطان أمر القحمة ، فتمكنوا من قتله بعد أن أعدوا له المكامن في شوال سنة ٧٨١ هـ<sup>(٥)</sup>.

وفي هذا الصدد ، فقد قاد السلطان الأشرف بعض الحملات إلى المعازبة بنفسه لإرهابهم وإخافتهم ، ومنها تلك الحملة التي قادها في شوال سنة ٧٨٢ هـ إلى بلادهم ، ولكن المعازبة كانوا أشد حذراً عندما وصل إليهم خبر قيادة السلطان لهذه الحملة ، حيث أخذوا مايمكن أخذه من الأموال وفروا بها إلى رؤوس الجبال، فوجدها العسكر فرصة للقيام بأعمال السلب والنهب والحرق والتدمير لجميع قرى المعازبة وأراضيهم<sup>(٦)</sup>، وقد كرر السلطان الأشرف هذه المحاولة في سنة ٧٨٣ هـ عندما دخل نخل المدبي بنفسه وهاجم المعازبة وقتل منهم الكثير وأخذ في قطع النخل تأديباً لهم. وفي سنة ٧٨٥ هـ أرسل إلى المعازبة القاضي وجيه الدين عبدالرحمن ابن العلوي فدخل معهم في معركة شديدة في فحال هزم على أثرها المعازبة وقتل منهم الكثير، إلا أن فرس القاضي وجيه الدين كبا به فأسره المعازبة وظل لديهم أسيراً لفترة من الزمن<sup>(٧)</sup>.

وفي جمادى الآخرة من السنة المذكورة انضم إلى صفوف المعازبة شخص يسمى عمران السبخي<sup>(٨)</sup> ، وأيدهم على التمرد والخروج عن الطاعة وأغار بهم فنهبوا عدداً من المواشي ، فخرج العسكر في أثرهم وتمكنوا من اللحاق بهم ، والتفت عليهم جموع المعازبة وقتلوا عدداً من رجال السلطان وعبيده ، ورفع ذلك من معنوية المعازبة وشجعهم على مواصلة التمرد والعصيان في المنطقة وعاثوا فيها خراباً<sup>(٩)</sup> ، ولهذا اتجه السلطان إلى زبيد وأقام فيها لإقرار الأوضاع هناك في أول محرم سنة ٧٨٦ هـ ، وتقدم إليه القاضي وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن يوسف العلوي من الجهات الشامية على رأس عدد من العسكر وكان طريقه بلاد المعازبة ، وعند وصوله إلى حدهم فوجيء بخيولهم وعلى رأسها موسى بن الشيخ العكور رئيس بني يعقوب ، وتهياً العسكر للحرب ، ودارت معركة بينهم هزم على أثرها المعازبة وقتل رئيسهم ابن العكور واحتز رأسه وأرسل به إلى السلطان في زبيد في آخر محرم من السنة نفسها<sup>(١٠)</sup>.

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٤ .

(٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٠٢ أ .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٥ ، ٨٧ .

(٨) عمران السبخي : رجل من أهل البلاد العليا قدم إلى سلطان فقربه منه حتى أصبح أحد جلسائه وأفضل خواصه ، فكان خبيث الأصل حيث أيد المعازبة على العصيان وسار إلى بلادهم وشاركهم في ذلك . الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٢٢ أ .

(٩) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٧ .

ومن زبيد أصبح السلطان الأشرف يحارب المعازبة ، خاصة وأنهم أصبحوا يخرجون بأعداد كبيرة لتهديد نخل الوادي الذي كان السلطان مقيماً فيه ، وأمر السلطان عسكره في جمادى الأولى من السنة المذكورة بالخروج إليهم ومحاربتهم ، وتمكن العسكر من إلحاق الهزيمة بهم وقتل أقوى فرسانهم وأشجعهم ، وأسر الوشاح ولد عمران السبخي وأرسل به إلى السلطان الذي قابله مقابلة تدل على مافي قلبه له ولوالده وأمر بقتله مباشرة ، فوسط وقطع رأسه<sup>(٥)</sup> ، وذلك انتقاماً لما قام به المعازبة في ربيع الأول من السنة نفسها عندما هاجموا القاضي رشيد الدين الشيتري وهو في مهمة كلفه بها السلطان ضد المعازبة<sup>(٦)</sup> .

وقد شجعت الهزيمة التي تعرض لها المعازبة في جمادى الأولى السلطان الأشرف على إرسال حملة عسكرية في آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة إلى بلاد المعازبة وأحاطت العساكر بهم من كل الجوانب ، ولم يكن أمام المعازبة بعد هزيمتهم إلا الاتجاه إلى البحر بعد أن شعروا بكثرة القتل فيهم . وتشير المصادر إلى أن هناك أسراً باكملها من المعازبة غرقت في البحر ولم يبق منها أحد في هذه المعركة<sup>(٧)</sup> ، وبسبب ذلك سار مشائخ المعازبة بنو بشير إلى أمير زبيد الطواشي جمال الدين مرجان الذي كان على خلاف دائم معهم طالبين منه اصطحابهم إلى السلطان الأشرف ليدم عليهم ، فسار بهم في أواخر رمضان إلى السلطان الذي أذن عليهم ذمة شاملة<sup>(٨)</sup> ، وبهذه الذمة أرسل السلطان الأشرف في شوال سيد الوزراء نور الدين بن معيبد إلى البلاد الشامية ليتسلم خيل العرب ، وتمكن من تسلم ثلاثين حصاناً من خيول المعازبة وصل بها إلى السلطان<sup>(٩)</sup> .

وفي سنة ٧٨٧هـ أرسل السلطان الأشرف قوات عسكرية لمهاجمة المعازبة بنى يعقوب ، فسارت تلك القوات إلى القاهرة وأحرقوها ونهبوا ما وجدوه من أموال المعازبة بعد تفريق جمعهم ، وكعادة المعازبة وغيرها من القبائل في لحظات الضعف طلبوا الأمان على أنفسهم وتعهدوا بتسليم خيلهم إلى باب السلطان ، بل وتحرك مشائخ بني يعقوب بأنفسهم إلى السلطان الذي رحب بهم وأنعم عليهم وكساهم<sup>(١٠)</sup> ، إلا أن مقتل الملك المنصور أخي السلطان الأشرف في مكان يقال له الخزيمي من بلاد المعازبة ، جعل السلطان يرسل إليهم قوة في سنة ٧٨٨هـ للتكامل بهم ، فعند وصول خبر مسير تلك القوة إليهم هربوا من قراهم ، فلم يجد عسكر السلطان أحداً منهم ، وأخذ العسكر كل ما وجدوه من أموالهم ثم قاموا بتخريب قراهم

(٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٢٢ أ .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٩ .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٧٩ ؛ يحيى بن الحسين ، غية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ .

(٨) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٢٢ ب .

(٩) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٩١ .

(١٠) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٨١ .

وإحراقها ، في الوقت الذي وصل إلى باب السلطان عدد كبير من الخيول التي اغتتمها الطواشي مرجان من المعازبة إثر هذه الحملة<sup>(٥)</sup> . وبهذا أخمدت نار المعازبة وكسرت شوكتهم إلى أن عادوا إلى التمرد مرة أخرى في ربيع الأول سنة ٧٩٥ هـ ، فاقطع الأشرف الطواشي جمال الدين مرجان القحمة لإقرار الأوضاع فيها ، وفي طريقه إليها صادف رجل من أعيانهم يسمى محمد بن علي بن حشبير بصحبة رجل آخر فقتلها ، لزرع الخوف في قلوب بقية المعازبة<sup>(٦)</sup> ، وفي الثاني عشر من الشهر المذكور تحرك الطواشي جمال الدين مرجان بقواته التي جاء بها إلى المعازبة فقتل منهم رجلين بينما هرب من تبقى منهم في اتجاهات مختلفة ، وعندما لاحظ العسكر بشائر النصر قد هلت عليهم تفرقوا في عدة نواحي للقيام بأعمال النهب وهم لا يعلمون أن هروب المعازبة ماهو إلا خطة كانوا قد أعدوها مسبقاً لمعاودة الهجوم على عسكر الطواشي على حين غفلة ، لهذا بمجرد تفرق العسكر أعاد المعازبة جمع قوتهم ورجعوا على الطواشي ومن معه وقد تفرق عسكره ، فهزم الطواشي وقتل عدد كبير من عسكره ، وعند وصول هذا الخبر إلى الأشرف أسرع في إرسال العساكر لمساندة الطواشي ، لكن المعازبة هربوا بعد أن نجحوا في تنفيذ مخططهم إلى الجبال ودخل البعض منهم البحر ، واتجه البعض الآخر إلى المناطق الوعرة ، وفي ظل هذه الفوضى وصل شيخ بني بشير تحت حماية الصالحين والفقهاء إلى السلطان طالباً منه الذمة له ولبني بشير فقبل السلطان وأذن عليهم<sup>(٧)</sup> .

ولم تمر فترة طويلة حتى عاد المعازبة إلى تمردهم وخلافهم على بني رسول ، بعدما أصبحت أراضيهم ملجأ للمجرمين والقتلة والخارجين على الدولة ، خاصة بعد مقتل الشيخ محمد بن عبد الله بن فخر الدين البجلي الذي قتل على يدرجل من المناسكة<sup>(٨)</sup> وهرب إلى بلد المعازبة ليكون تحت حمايتهم متحدين بذلك الدولة<sup>(٩)</sup> ، كما ظهر تحديدهم أيضاً عندما أغاروا نحو الأوشج<sup>(١٠)</sup> في الخامس من شهر محرم سنة ٧٩٦ هـ ، وفي أثناء عودتهم ترصد لهم أهل وادي زبيد الذين سئموا أفعالهم وخرابهم ونهبهم وسلبهم ، وعند وصولهم إلى حد أهل الهرمة<sup>(١١)</sup> انقضوا عليهم وقتلوا منهم فارساً من رؤسائهم وأخذوا رأسه ونهبوا فرسه وفرساً آخر دخلوا

(٥) المصدر نفسه ، ١٨٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤١ .

(١) لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ .

(٢) بُجَيْلَة ومَنَسَك من قبائل عك بن عدنان . لملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ ، ٨٣ .

(٣) لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٣٨ أ .

(٤) الأوشج : قرية سحلية ذات نخل في حيس جنوب الخوخة . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٨٥ .

(٥) لهرمة : قرية من قرى زبيد . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٨٢ — ٣٨٣ ؛ الأهل ، تحفة الزمن ، ص ٢٧٥ .

بها زبيد فكافأهم مشدها على هذا العمل وكساهم وأنعم عليهم بالأموال تشجيعاً لما فعلوه<sup>(٦)</sup> ، ولكن ذلك لم يؤثر شيئاً مع المعازبة ، فغزاهم السلطان في النصف من ربيع الآخر من السنة المذكورة ، إلا أن جواسيسهم الذين لا يبرحون المدينة جاءوا بالخبر ، فهربوا قبل وصول السلطان ، ولم يبقَ إلا من لم يصله خبر هذه الحملة أو من لم تكن لديه القدرة على الهرب ، وهنا تمكن السلطان من قتل عدد منهم بينما استنم البقية ، ونهب العسكر قراهم وأقاموا فيها يوماً واحداً ترقباً لأي شيء ومن ثم عادوا جميعاً إلى زبيد<sup>(٧)</sup> .

ولذلك أقام السلطان الأشرف في زبيد ثلاثة أيام وهو يعد آلات الحرب ويجهزها ، كما شرع أيضاً في جمع الرجال والخيول بهدف تجهيز جيش قوي يتمكن من خلاله من القضاء على تمرد هذه القبائل التي جعلت دولة بني رسول في حالة حرب مستمرة ، حيث كانت هذه القبائل من المعازبة وغيرها لا تكل الحرب ولا تملها ، وأصبح العصيان صفة اتصفت بها ، ففي العشرين من ربيع الآخر من السنة المذكورة تحرك السلطان بجيشه الذي أعده وحط في قرية بيت الفقيه ابن عجيل ، ومن هنا أخذ في إخضاع المناطق التي مر بها ، وأمام قوة هذا الجيش توافدت جموع المشائخ إلى السلطان مؤيدين ومساندين له مثل مشائخ الرماة ، ومع أن السلطان أعد هذا الجيش لحرب المعازبة إلا أن المصادر لا تشير إلى تنفيذ المهمة التي خرج لأجلها<sup>(٨)</sup> .

وفي جمادى الأولى سنة ٧٩٦ هـ عادت المشاكل مرة أخرى بين المعازبة والقرشيين ، ويبدو أن الدولة هي التي كانت تغذي هذا الصراع وتدعمه بهدف ضرب قبيلة بأخرى ، وبالتالي إضعاف كلا القوتين ، ولكن النصر كان حليف المعازبة الذين غنموا أفراس ورواحل القرشيين بعد قتل العديد منهم . ومن الملاحظ أن أعمال المعازبة التخريبية ضد بني رسول ورعيته أدت إلى وجود تحالفات في المنطقة لضرب هذه القبيلة وإخماد نيرانها ، لاسيما وأن هزيمة المعازبة للقرشيين شجعتهم على الاستمرار في التمرد والتخريب في المنطقة ، ففي الشهر المذكور قاموا بمهاجمة فشال ، ورغم قوة جمعهم وكثرة عددهم وعدتهم ، إلا أن أهل فشال تمكنوا بتحالفهم من قهر المعازبة وطردهم بعد أن كثرت الجراح فيهم ، كما أقام القرشيون تحالفاً جديداً هم والأشاعر بوادي رمع بتأييد من بني رسول لضرب المعازبة ، وقد نجحوا في غزوهم وقتل عدد كبير منهم ، مما أسعد السلطان فأخذ في دعمهم بالمال تشجيعاً لهم<sup>(٩)</sup> .

(٦) لخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٧) لخزرجي ، العسجد لمسيوك ، ق ٢٣٩ أ .

(٨) الخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٦ .

ولقد تحمست القبائل لحرب المعازبة بعد الدعم الذي تحصلوا عليه من السلطان ، خاصة وأن هذه القبائل قد سئمت أعمال المعازبة ، لذلك عندما أغار المعازبة في ذي الحجة سنة ٧٩٦ هـ على أموال أهل وادي زبيد في ناحية الحازة قامت الدولة بالتحرك السريع ، ودعمت الأشاعر بالمال والرجال والعتاد ، فتمكنوا من نهب أموال لا تحصى للمعازبة الذين عجزوا عن استعادة تلك الأموال من الأشاعر<sup>(٣)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فقد أعلن السلطان الأشرف الحرب ضد المعازبة في شهر صفر سنة ٧٩٧ هـ عندما لاحظ تكرار أعمالهم التخريبية على مدن وقرى وادي زبيد دون خوف أو رهبة من رد فعل الدولة ، وأخذ السلطان يعد العسكر ويهيئهم لمهاجمة بلد المعازبة الذين كانوا يعيشون حالة من الخوف والهلع جعلتهم ينتقلون من مكان إلى آخر خوفاً من انتقام السلطان منهم ، فهربوا إلى بلاد الكعبيين<sup>(٤)</sup> وتحالفوا مع عدد من قبائل العرب بما فيهم قبائل المعازبة بنى يعقوب وبيت الأكيد<sup>(٥)</sup> والحجبية المحامشة وبنى عباس ، إلا أن السلطان بقواته تمكن من هزيمتهم بعد اشتداد المعركة<sup>(٦)</sup> ، وقتل الكثير منهم بما فيهم النساء والأطفال وكثر الجرحى بينهم ، وتعد هذه الواقعة التي فقد فيها المعازبة العديد من رجالهم وأموالهم ومواشيهم من أكبر النكسات التي تعرضوا لها في تاريخ بني رسول<sup>(٧)</sup> .

وما كاد المعازبة يستردون أنفُسهم حتى عاد السلطان إليهم مرة أخرى ، وقتل الكثير منهم ، ومن نجا منهم ركب البحر إلى جزيرة هناك في وسطه ، وركب عسكر السلطان خلفهم في جلاب<sup>(٨)</sup> ، وقاموا بتخريب الجزيرة وإحراقها وقتل من فيها ، بينما أذم السلطان على الضعفاء منهم مقابل رهائن قاموا بتسليمهم إليه وتعهدوا بعدم إيواء العصاة والمتمردين<sup>(٩)</sup> . وعلى الرغم من ذلك فقد عاد إليهم السلطان في الشهر المذكور وغزاهم وقتل جماعة منهم وسمح للعسكر بنهب أموالهم وأقام في بلدهم إلى شهر ربيع الأول . ونلاحظ إصرار السلطان الأشرف للقضاء على تمرد المعازبة من خلال إرساله للأمير سيف الدين سنجر لغزوهم في غرة ربيع الآخر سنة ٧٩٧ هـ ، فقتل جماعة من أشد رجالهم ، كما أمر السلطان الأشرف الأمير بدر الدين محمد بن علي بن الشمس بغزو المعازبة مرة أخرى في الرابع من

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٤) الكعبيون : من قبائل عك بن عدنان في تهامة . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٨٤ .

(٥) بيت الأكيد : من نواحي المعازبة . مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٩٠ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٢٥ .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ؛ المسجد لمسيوك ، ق ٢٤٢ أ .

(٨) الجلاب تجمع جلبية وهي نوع من السفن الكبيرة التي صنعت خصيصاً للإبحار إلى البحر الأحمر وتسير بالمجانيف أو بالشرع وتستعمل لنقل البضائع والركاب إضافة إلى نقل الجمال ، وقد استخدمها بنو رسول كثيراً في تنقلاتهم عبر البحر . شهاب ،

حسن صالح ، تاريخ اليمن البحري ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧م ، ص ٢٦٩ ؛ عليان ، الحياة السياسية ، ص ٢٠١ .

(٩) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٢٦ .

ربيع الآخر ، فهرب المعازبة وأخذ العسكر في نهب بلدهم وعادوا محملين بأموال كثيرة<sup>(٤)</sup> ، وترتب على ذلك أن صمم المعازبة على الرد على كل العمليات التي قام بها بنو رسول ، فأعادوا تنظيم صفوفهم وخرجوا في أثر العسكر الذين كانوا قد افترقوا ، فتمكنوا من إدراك الأمير بدر الدين في جماعة من الرجال و الخيل وأحاطوا بهم من كل مكان ، وبعد قتال عنيف تمكن المعازبة من قتل الأمير بدر الدين بعد أن أرهق فرسه ووقف به عن القتال ، وقتل معه عدد من أبرز رجال السلطان وأشجعهم ، وقد أغضب ذلك الخبر السلطان وأثار حنقه ، وسير لنجدتهم الأمير بدر الدين محمد بن بهادر اللطيفي على رأس قوة من العسكر ، لكنهم جاءوا بعد فوات الأوان فأقام الأمير المذكور في فशल ، وفي جمادى الأولى أغار على بلاد المعازبة وتمكن من قتل جماعة منهم<sup>(٥)</sup> .

و الحق أن هذه الهزائم المتكررة قد أدت إلى خضوع المعازبة للصلح مع بني رسول في رجب سنة ٧٩٧هـ و الذي بموجبه رد المعازبة كل ما عندهم من خيل إلى والي القحمة الذي اتجه بها إلى باب السلطان . وظلت سيوف بني رسول على أعناق المعازبة ، ولم يتساهلوا معهم ، فعندما تمرد أحد أعيان المعازبة وهو إبراهيم بن كليب مع جماعة من أصحابه قبض عليهم والي القحمة وأرسل بهم في شهر صفر سنة ٧٩٩هـ إلى السلطان الذي أمر بضرب أعناقهم دون أن تأخذه بهم رحمة أو شفقة<sup>(٦)</sup> .

ومن هنا فقد أخذ السلطان الأشرف بين الحين والآخر يتفقد التهائم لإرهاب القبائل التي قد يكون في نفسها شيئاً ، وهي السياسة التي كلفته الكثير ولكنها كانت ناجحة بعض الشيء لإشعار القبائل أن رقابة الدولة مستمرة وأنها مستعدة لإخماد أي تمرد تقوم به ، ويمكن أن نلاحظ ذلك عند خروجه من زبيد إلى الجهات الشامية في شهر ربيع الأول سنة ٨٠٠هـ لتفقد تلك الجهات وإصلاحها وخاصة المناطق كثيرة التمرد والخارجة عن الطاعة ، فكان المعازبة من هذه القبائل ، فعند وصوله إلى المحالب قدمت إليه كافة القبائل بما فيها المعازبة مقدمين له فروض الطاعة والولاء وأخذ السلطان الرهائن منهم لتأكيد ذلك الولاء وإخلاقه<sup>(٧)</sup> .

لم يكن المعازبة من العرب الذين يخضعون بهذه السهولة لاسيما لبني رسول على اعتبار أن كل ما قام به بنو رسول من أعمال ضد المعازبة هو ثأر في أعناقهم لا بد وأن يردوه وإن قدموا الولاء للسلطان ، إلا أن في أنفسهم ما فيها ضد الدولة الرسولية ، فمجرد عودة السلطان إلى زبيد أغاروا على قرية فशल في أوائل سنة ٨٠١هـ وتصدى لهم الشريف داود

(٤) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٤٢ أ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٤٢ ب ، ٢٤٧ ب .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٣٠ .

ابن مطهر وقتل أحد قادتهم ، لهذا السبب قام الشريف المذكور بجمع القرشيين أعداء المعازبة وأغار بهم على بلد المعازبة في ذي الحجة وتمكنوا من قتل خمسة منهم ، ودفع ذلك بالمعازبة إلى إعادة جمع صفوفهم وهاجموا المخيريف التي تمكن أهلها من قتل عدد منهم ، وقد أثارت هذه النتيجة المعازبة ضد أهل المخيريف وقاموا بجمع قوتهم وساروا إليها للانتقام من أهلها يوم العاشر من صفر ، وكانت الدائرة على المعازبة مرة أخرى (٣) .

ومن غريب ما نلاحظه في هذه القبيلة هو العناد وعدم الاستسلام ، فعلى الرغم من كثرة القتل فيهم إلا أن ذلك زادهم ثورةً وعناداً وتمرداً فحولوا اتجاه غاراتهم هذه المرة إلى التريبة وقتل عليهم رئيسهم عمر بن سهل بن الأقر وأصبحوا كمن فقد عقله ، وأخذوا يهاجمون في اتجاهات مختلفة دون تمييز ، حتى أنهم قتلوا من أهل بيدحة (٤) ما يقارب من عشرين رجلاً ، فتحرك السلطان الأشرف بنفسه إليهم في جمادى الأولى سنة ٨٠٢ هـ — وهاجم عسكره المديني وقتلوا منهم اثنين وعشرين رجلاً ، وفي رجب عادت قوات السلطان إلى مهاجمتهم فهرب المعازبة قبل وصول هذه القوات التي لم تجد إلا المواشي وعدد من الرجال ، ونهب العسكر المواشي وكل ما وجدوه وقتلوا عدداً منهم ثم غادروا إلى زبيد ، مما اضطرتهم في شهر ذي القعدة إلى العودة إلى طاعة السلطان الأشرف والتزموا بتسليم الخيل التي معهم ، وبذلك عم الأمان في أقاليمهم ، وأخذ الناس في التنقل آمنين على أموالهم وأنفسهم (٥) .

كان السلطان الأشرف أكثر سلاطين بني رسول معاناة من المعازبة ، وقد بالغ المعازبة في عهده بالعصيان والتمرد والخروج عن الطاعة ، فنشأ بينهم وبينه عداً شخصي لقوة رد الفعل التي تعامل بها معهم ، وهو عداً استمر إلى نهاية عهده وبعد وفاته وتنصيب ابنه الناصر سلطاناً ، وورث الأخير ذلك الصراع وكان أول أعماله هو الخروج إلى المعازبة لكنهم تجنبوا الدخول معه في صدام وطلبوا الذمة منه فأذن عليهم ، إلا أنهم عادوا إلى التحرش بجيرانهم عندما أخذوا إيلاً للمناقرة (٦) ، مما اضطرت السلطان الناصر إلى استخدام سياسة العنف التي اتبعتها والده معهم ، فغزاهم في شعبان وكان أشد من والده في التتكيل والقتل ، فقتل منهم أعداداً لا تحصى ، وكان ذلك العنف سبباً في ترك المعازبة الخلاف مؤقتاً خوفاً من العقاب ، وزاد الناصر في إذلالهم عندما اتبع معهم سياسة جده المجاهد وولى عليهم امرأة منهم ، واستقرت الأمور وهذأت (٣) حتى سنة ٨٠٦ هـ ، حيث ظهر تمردهم في نواحي زبيد

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ — ٣٠٠ : العسجد المسبوك ، ق ٢٤٨ ب .

(٤) بيّنة : عزلة من ناحية مغنية وأعمال المخا . لمحقفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٢٠٩ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٩ — ٣١٠ ، ٣١٣ : العسجد المسبوك ، ق ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(٦) المناقرة أو المناقرة: وهي من قبائل تهامة وأعمال بيت الفقيه . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٢ ، ص ٧٢٠ .

(٣) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٤ ب ؛ ابن لبيب ، قرة العيون ، ص ٣٨٧ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٠٢ .



وقطعوا الاتصال بين المناطق وأخافوا الناس وعاثوا خراباً في المنطقة<sup>(٤)</sup>، فأمر الناصر بخروج الأمراء إلى بلادهم لحربهم في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، فخاف المعازبة ودخلوا في طاعة الناصر ، ولإثبات حسن النية سلموا مامعهم من الخيل ، وجددوا هذه الذمة في جمادى الأولى سنة ٨٠٩ هـ ، وبهذا شهدت المنطقة هدوءاً واستقراراً تاماً من جانب المعازبة . ومع ذلك ، فقد كانت الدولة في يقظة دائمة واستعداد متواصل لضربهم وبب يد من حديد ، لهذا عندما حاولوا التمرد في سنة ٨١٧ هـ هاجمهم عسكر السلطان وهزمهم في شهر ربيع الآخر ، وقتلوا منهم ببيت الأكيد فوق المائتين رجل<sup>(٥)</sup> .

وفي عهد السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل أعلن المعازبة الخلاف ودخلوا القاهرة ، فخرج إليهم الأمير سيف الدين برقوق الخازندار<sup>(٦)</sup> في رمضان سنة ٨٣٢ هـ ودخل القاهرة بقوة السيف وشرد المعازبة في الجبال والصحاري ، وفي ذي الحجة من السنة المذكورة اتفق المعازبة بنو يعقوب وبيت الأكيد على الخروج عن الطاعة ، وعندما وصل خبرهم إلى السلطان الظاهر أصدر أوامره بغزو أراضيهم ، كما أصدر أوامره بأن تجمع قبائل وادي زبيد ورمع وتوزع الأموال فيهم ، فجمع قدر ألفين رجل ساروا جميعاً بأمر السلطان إلى المدبي لقطعه ، وعند وصول هذا الخبر إلى المعازبة الفارين في الجبال والبراري أرسلوا إلى الفقهاء ومشائخ الصوفية للتوسط بينهم وبين السلطان ، فأسرع الفقهاء إلى السلطان قبل أن يتعمق العسكر في قطع النخل ، وقبل السلطان وساطتهم مقابل عودتهم إلى طاعته وتسليم ما عليهم من الواجبات السلطانية وما يملكون من خيل ، وسلموا المتفق عليه وكف عسكر السلطان عن قطع المدبي<sup>(٧)</sup> .

إلا أن المعازبة عادوا مرة أخرى إلى التمرد في سنة ٨٣٣ هـ رغم الوعود التي قدموها ، فخرج الظاهر بنفسه إليهم في ذي القعدة وقتل جماعة منهم وهرب من هرب وظفر بما يقارب من ثلاثمائة رأس من الأبل كانوا قد عجزوا عن الهروب بها ، وعاود السلطان الهجوم عليهم مرة أخرى في ذي الحجة ، وتمكن هذه المرة من مواجهتهم وقتل الكثير منهم ، كما تمكن العسكر من نهب بلادهم نهباً عظيماً ، وأمام ما تعرضت له قبائل المعازبة من ضعف قرروا التحالف مع بعض القبائل المعادية لبني رسول مثل الرماة ، ومن ثم مهاجمة الكدراء التي عند وصولهم إليها هاجمهم واليها الأمير سيف الدين برقوق فهزمهم وقتل منهم الكثير<sup>(٨)</sup> .

(٤) يحيى بن الحسين ، غلبه الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٦١ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٦٩ - ١٧٠ .

(٦) الخازندار : هو المسؤول الأول عن خزائن وأموال السلطان من نقد وقماش وغيرهما . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢١ .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

وفي ربيع الآخر سنة ٨٣٤ هـ شعر الظاهر أن المعازبة يريدون العودة إلى عصيانهم، لذلك تحرك على رأس قوة من العسكر إلى القاهرة ، وحاربهم هناك حتى هزمهم ، وكانت هذه الهزيمة سبباً في دخول الخوف إلى قلوب القبائل الأخرى المناوئة لبني رسول بعد أن رأوا ما حل بالمعازبة على يد السلطان وعسكره . وعلى أثر هذه الهزيمة سار السلطان الظاهر إلى الجهات الشامية لاقرار الأوضاع هناك بعد أن اطمأن إلى خضوع جميع المعازبة ودخلهم تحت طاعته ، وانتشر الأمان في جميع الجهات من الكدراء وسهام ، وعمت الفرحة أيضاً بوصول خبر انتصار عسكر السلطان على من تبقى من القبائل المتمردة في الكدراء<sup>(٣)</sup> .

وتلا ذلك أن عاد السلطان الظاهر مرة أخرى إلى زبيد في شعبان سنة ٨٣٥ هـ لغزو المعازبة وقتل الكثير منهم ومن القبائل الخارجة عن الطاعة كالكعبيين وبني عباس ، ونهبت عسكره قراهم التي دخلوها ، فكان إصرار السلطان الظاهر وحماسته وحمته في كسر هذه القبائل سبباً في دخول الخوف إلى قلوبهم ، حيث أن سرعة تحركه لإخماد هذه التمردات لم يمهل تلك القبائل ليستعدوا للمواجهة ، فكثر عليهم الهزائم وكثر فيهم القتل ، ولم يعد السلطان بقواته من هذه الغزوات إلا غانماً منصوراً<sup>(٤)</sup> .

وما كادت الأمور تستقر حتى رفض المعازبة في ربيع الآخر سنة ٨٣٦ هـ تسليم ما عليهم من الخيل والإبل ، في الوقت الذي كان فيه السلطان الظاهر حاطاً على القرشية ، فأصدر أوامره بالتحرك إلى المدبي لضرب تجمعات المعازبة الذين رفضوا تسليم الواجبات ، فالتزموا لعسكر السلطان بتسليم ما عليهم ، وما رجع السلطان إلى زبيد إلا وقد قبض خيولهم إضافة إلى العديد من الإبل والبقر التي اشترت بها القبائل دمائها من السلطان<sup>(٥)</sup> .

ولم يمر وقت طويل بعد هذه الحادثة حتى انطلق السلطان الظاهر إلى شجينة<sup>(٦)</sup> في شهر رجب وأحرق موقع تجمع القبائل المتمردة واشتبك معهم ، وقتل في هذا الاشتباك أحد نقباء السلطان الذي عاد إليهم وتمكن من قتل عدد منهم وعلى رأسهم الشيخ الأخدع شيخ الرماة ، ومن ثم عاد السلطان إلى محطته في شجينة . وبعد خمسة أيام في التاسع من رجب غزا تلك القبائل ، وعندما اشتدت المعركة أدرك المتمردون ضعف قوتهم أمام جيش السلطان، وأعلنوا عن رغبتهم في تسليم ما عندهم من خيل دليل الاستسلام ، ولولا هذه الخطوة التي قاموا بها لهلكوا جميعاً بسيف عسكر السلطان . وتشير المصادر إلى أن السلطان عندما شاهد الحالة

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٤) بلمخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥١ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٥٦ .

(٦) شُجِينَة : قرية في بلاد لرامية من بلاد تهامة قريبة من المراوعة . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ٤٤٦ .

التي صاروا إليها أشفق عليهم وأخذته بهم الرأفة والرحمة واستجاب لدعوة الفقهاء والصالحين وأذن عليهم وتسلم على يد الفقهاء رجالهم وخيولهم وعاد إلى محطته في شجينة (٣) .

ولاستكمال ما قام به السلطان ورجاله من إقرار للأوضاع تقدم عسكره إلى القنبور (٤) وتمكنوا من دخولها بعد أن استخدموا القوة ضد رجال القبائل الذين أعلنوا دخولهم تحت طاعة السلطان ، وكان المعازبة ضمن تلك القبائل التي دخلت تحت ذمة السلطان والتزموا بتسليم ما عليهم من الواجبات (٥) .

ولكن سرعان ما عاد المعازبة إلى الخلاف في رجب سنة ٨٣٧هـ فغزاهم عسكر السلطان الظاهر وقتلوا جماعة منهم وهرب من تبقى منهم إلى الجبال وغنم العسكر العديد من دوابهم ، ونتيجة لهذه الانتصارات سار السلطان الظاهر إلى فثال لغزوهم فاستقر هناك . وفي شعبان صدرت أوامره إلى الأمراء والمقدمين بالتوجه إلى بيت الفقيه ابن عجيل لحرب المعازبة الذين اشتد تمردهم هناك ، ويبدو أنهم تمكنوا من الهرب قبل وصول العسكر فلم يجدوا أحداً هناك ، وأخذوا ينهبون طعامهم وتمرهم ودوابهم . وفي شوال فاجأهم الأمير سيف الدين برقوق بقواته وقتل وأسر منهم الكثير ، إضافة إلى اغتنامه عدد من دوابهم من الإبل والخيول ، وكانت سعادة السلطان الظاهر لاتوصف بهذا النصر ، وبذلك دخل جميع المعازبة تحت طاعة السلطان الظاهر في ذي القعدة ، بعد أن تسلم خيولهم (٦) .

كانت سياسة السلطان الظاهر الحازمة مع المعازبة سياسة ناجحة بعض الشيء ، فقد خضعوا له وقدموا ما معهم من خيل ، وبدأت العلاقة تتوطد بينهم في سنة ٨٣٧هـ بوصول المعازبة بني يعقوب ينقدمهم شيخهم أبو بكر بن حسين بن وهبان إلى الباب الشريف بفثال ، فأكرمهم السلطان الظاهر وكساهم ، وأمر أن يكون الشيخ بن وهبان شيخاً على بني عمه من المعازبة ، ولهذا أرسل السلطان في سنة ٨٣٨هـ جريدة من العسكر إلى المدبي لتفقد أوضاع المعازبة ، ولتسلم ما شرط عليهم من خيل وضرائب (٧) .

لم تكن عيون السلطان بعيدة عن المعازبة ، فكانت تصله أخبارهم أولاً بأول ، ومن ذلك إغارتهم على إيل للقرشيين في ربيع الأول سنة ٨٣٨هـ ، الأمر الذي أثار غضب السلطان لمخالفتهم ما اتفق عليه من عدم إثارة الشغب مع جيرانهم ، وسار العسكر إلى بلادهم وقاموا بنهبها ، مما أدى إلى الاشتباك معهم وحربهم ، وقتل منهم اثني عشر رجلاً من زعمائهم وسادتهم وبلغ عدد من جرح منهم مئتي رجل ، فهذه الهزيمة جعلتهم يتجهون

(٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

(٤) القنبور : من قرى التهام القريبة من الكدراء . الخزرجي ، العقود اللؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٢٩٥ — ٢٩٦ .

(٥) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢٥٨ ، ٢٦١ .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٧٦ — ٢٧٨ ، ٢٨٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٨٨ ، ٢٩٥ — ٢٩٦ .

كعادتهم إلى علماء الدين والصالحين للتشفع لهم عند السلطان ، و تعهدوا بإعادة الإبل التي نهبوا وتسليم الخيل التي معهم ، وأنهم سيكونون تحت طاعة السلطان ، فقبل السلطان شفاعة الصالحين وقاموا بتسليم الإبل في ربيع الآخر سنة ٨٣٩ هـ وأعيدت إلى القرشية ، وفي صفر سنة ٨٤٠ هـ تسلم السلطان خيل المعازبة بعد عودته من القرشية إلى زبيد<sup>(٣)</sup> .

وعلى الرغم من شدة وعنف حركة المعازبة في التهاشم إلا أن السلطان الظاهر كان من سلاطين بني رسول الذين أخضعوا هذه القبائل وأخمدوها ، لذلك عندما تولى ابنه إسماعيل الملقب بالأشرف ( الرابع ) في سنة ٨٤٢ هـ اختلف معهم ، خاصة وأنهم عادوا إلى تحالفهم مع القرشيين وزاد هذا في تعميق الخلاف وتعاضمه بين السلطان وبينهم ، لهذا دخل معهم في حروب متقطعة ، ولكنها تعد من أشهر المعارك التي ذاع صيتها بين القبائل في منطقة تهامة ومنها :

١ - يوم العذيب<sup>(٤)</sup> : وهو من الأيام التي شهدت فيها زبيد معركة طاحنة بين حلف المعازبة والقرشيين من جانب وعسكر السلطان الأشرف من جانب آخر في الثامن من صفر سنة ٨٤٣ هـ ، حيث هاجم المعازبة والقرشيون السلطان في دار العذيب ، فتمكن السلطان بقواته من كسرهم وقتل خمسة وثلاثين رجلاً منهم .

٢ - يوم الفص : وفيه قتل عسكر السلطان من القرشيين والمعاذبة في هذه المعركة ثلاثة وثلاثين رجلاً .

٣ - وقعة القاهرة : قامت بين السلطان الأشرف والمعاذبة في ٢٩ ذي القعدة سنة ٨٤٣ هـ وكانت الدائرة على عسكر السلطان حيث قتل عدد كبير من قادته وعسكره<sup>(٥)</sup> .

٤ - وقعة السماط : وهي من أشهر الوقعات التي قامت بين الأشرف والمعاذبة ، وقد خطط لها الأشرف عندما شعر باشتداد تمرد المعازبة وإصرارهم على العصيان ، لذلك دعا السلطان الأشرف مشاهير المعازبة وزعمائهم ومشائخهم إلى سماط أقامه ببيت الفقيه ابن عجيل في جمادى الأولى سنة ٨٤٥ هـ ، وأظهر لهم حسن نيته وبمجرد قعودهم للأكل أمر السلطان عسكره بضرب رؤوسهم على حين غفلة منهم فكان شديداً معهم ، حيث ضربت أربعين رأس منهم ولم ينج إلا القليل منهم<sup>(٦)</sup> .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٩٧ ، ٣٠٤ .

(٤) العذيب : بلدة في رمع من أعمال مدينة زبيد . لهداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٦٢ ، حاشية رقم ( ٢ )

(٥) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٨ ب ؛ ابن الديبع ، قرة لعيون ، ص ٤٠٠ ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٧ .

(٦) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٣ ب .

وتوترت العلاقة بين السلطان الأشرف والمعاذبة وسائر القبائل الأخرى لما قام به في هذه الواقعة ، لدرجة أنهم قاموا بإحراق المهجم بعد قتل واليه ، وبذلك فقد سيطرته على التهام لاشتداد شوكة القبائل النائرة فيها<sup>(٣)</sup> ، وظلت الأمور على توترها إلى أن توفي الأشرف . لقد استغل المعاذبة فترة الصراع بين السلطان المظفر يوسف (الثاني) ومنافسه المفضل أسد الدين محمد بن إسماعيل الذي أقامه المماليك سلطاناً بعد خروجهم على المظفر ، وتقربوا له عند دخوله إلى زبيد ، فوزع عليهم الأموال ، كما أعطاهم الكثير من الخيل والسلاح ، وهذا أعاد للمعاذبة وغيرهم من القبائل ثقتهم بأنفسهم بعد الذل الذي عانوه من سلاطين بني رسول ، ولهذا أخذوا نخل وادي زبيد من أصحابه واقتسموه مع القرشيين فيما بينهم ، ولكن الخلاف سرعان ما ظهر بينهم ، واقتتلوا وكانت الغلبة للقرشيين الذين وضعوا أيديهم عليه ومنعوا أهله منه إلى عهد بني طاهر<sup>(٤)</sup> .

وفي عهد السلطان المسعود شهدت العلاقة بين المعاذبة ومقدم السلطان المسعود على زبيد الأمير زين الدين جيش السنبلي تطوراً كبيراً ، وذلك عندما أعلن الصلح بينهم في سنة ٨٤٩ هـ ، ويبدو أن هدف الدولة من هذا الصلح هو كسر شوكة القرشيين والأشاعر الذين ساءت العلاقة بينهم وبين الدولة ، وظل المعاذبة إلى جانب الأمير زين الدين في صراعه مع القرشيين في نخل الوادي إلى أن هجم عليهم القرشيون في ربيع الآخر سنة ٨٥٠ هـ ، فهزم الأمير زين الدين وأنصاره المعاذبة وغيرهم في معركة شهيرة أطلق عليها اسم عذيب جيش ، وهرب الكثير إثر هذه الهزيمة ، كما قتل عدد كبير من رجال السلطان<sup>(٥)</sup> ، ولم تشر المصادر التي بين أيدينا إلى أي دور للمعاذبة بعد هذه الهزيمة .

خلاصةً فإن المعاذبة كانوا من أشد القبائل تمرداً وعصياناً ضد بني رسول الذين استخدموا معهم كافة الأساليب لإخمادهم وكسر شوكتهم ، ولكنهم كانوا من القبائل التي لا تقهر بسهولة رغم شدة الأساليب التي استخدمت لقمعهم وإخمادهم .

## ٢ - المقاصرة :

المقاصرة هم من قبائل عك التي ساندت السلطان المظفر يوسف (الأول) بن عمر في أثناء صراعه مع إخوته وأبناء عمومته بعد مقتل والده نور الدين عمر ، ويعد المقاصرة من أوائل الوفود التي قدمت إلى السلطان المظفر في أثناء وجوده بتعز سنة ٦٤٨ هـ ، وقد

(٣) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٦ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ .

(٤) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٩ أ - ب ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٢ .

(٥) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ أ - ب ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٤ ؛ بغية المستفيد ، ص ١١٨ .

أنعم عليهم المظفر بالكسوات والصدقات ، لذلك ظلوا من ضمن القوات التي أخضع بها العديد من المناطق<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهر المقاصرة على مسرح الأحداث كقوة معارضة في سنة ٧٦٣ هـ عندما قاموا في شهر محرم بقتل أخ الأمير الشهاب أحمد بن علي بن سمير والذي كان أحد قادة الأمير محمد بن ميكائيل المنشق عن السلطان المجاهد ، ولهذا السبب سار إليهم ابن سمير ونهب بلدهم وأحرقها<sup>(٣)</sup> ، علماً بأن المقاصرة كانوا على خلاف دائم مع ابن سمير ، واعتبروا من أشد القبائل والقوى المعارضة لولايته مع بداية حركة ابن ميكائيل .

وفي سنة ٧٨٨ هـ ظهر أول تمرد للمقاصرة ضد بني رسول ، حيث تصدى لهم الأمير بهاء الدين بهادر الشمسي وقتل عدداً منهم ، وبذلك خضعت جميع القبائل بما فيها المقاصرة للأمير بهاء الدين وسلموا ما معهم من خيل في صفر من السنة المذكورة بعد أن عانوا من التشرد عن أوطانهم وقتل فرسانهم<sup>(٤)</sup> .

واشتد خلاف المقاصرة في عهد السلطان الأشرف ( الثاني ) في الوقت الذي كان الأمير بهاء الدين الشمسي متولياً للأمور القجرية والمقصرية<sup>(٥)</sup> في زبيد ، وكان خارج هذه الجهات وقت خروجهم لذلك عاد إليهم في ذي القعدة سنة ٧٩٥ هـ وأوقع بهم ونهب من أموالهم الكثير ، إلا أن ذلك لم يخضع المقاصرة ، فهاجمهم الأمير المذكور مرة أخرى في ربيع الآخر سنة ٧٩٦ هـ وقتل عدد كبير منهم<sup>(٦)</sup> .

وقد زاد خطر المقاصرة في وادي سهام سنة ٧٩٧ هـ نتيجة لانتشارهم هناك ، فوصل خبرهم إلى الأمير شهاب الدين الوزير الذي خرج من الكدراء إلى وادي سهام ، وكانت وجهته إليهم حيث تمكن من أسر جماعة منهم دخل بهم الكدراء ، وبعد أن ثبت له عصيانهم أمر بقتل ستة عشر رجلاً منهم ، وأرسل برؤوسهم وبقية الأسرى إلى السلطان الأشرف في زبيد<sup>(٧)</sup> .

لقد كان السلطان الأشرف شديداً جداً مع المقاصرة لكثرة عصيانهم ، ففي شوال سنة ٧٩٩ هـ قبض على خمسة منهم وأمر مباشرة بشنقهم<sup>(٨)</sup> لإدخال الرعب والخوف في قلوب من تبقى منهم ، أما في عهد السلطان الناصر فقد خرج المقاصرة أيضاً عن الطاعة ، لذلك اشتبكت

(٢) ابن حاتم ، لمط لغلبي لثمن ، ص ٢٧٥ .

(٣) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٤) لمصدر نفسه ، ص ١٨٦ .

(٥) لقجرية والمقصرية : هي قرى قبائل لقجاء والمقاصرة في تهامة . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٨٣ .

(٦) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، ٢٥٨ .

(٧) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٤٢ أ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٢٥ .

(٨) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ .

عساكره معهم في سنة ٨٠٤هـ وقتل جمعاً كثيراً منهم وأباح نهب بلادهم ثم أمر بإخراجهما<sup>(٤)</sup>، وأعاد الكرة عليهم مرة أخرى في جمادى الأولى سنة ٨٠٨ هـ بسبب عنادهم وإصرارهم على التمرد ، فقتل منهم الكثير ، وسمح لعساكره بنهب بلادهم وتدميرها تاديباً لهم<sup>(٥)</sup> ، وفي عهد السلطان الظاهر عانت قبائل المقاصرة من الخلافات القبلية وتكبّدوا خسائر فادحة في سنة ٨٣٨ هـ ، إلا أن العلاقة بينهم وبين بني رسول شهدت نوعاً من الهدوء والاستقرار<sup>(٦)</sup> ويبدو أن مرحلة الهدوء هذه استمرت إلى انتهاء دولة بني رسول لعدم إشارة المصادر التي بين أيدينا إلى أي دور لهم بعد ذلك .

### ٣ - الأهمول<sup>(٧)</sup> :

شهدت الدولة الرسولية أول تمرد للأهمول في سنة ٧٢٨ هـ على إثر الفوضى التي عاشتها البلاد في عهد السلطان المجاهد ، حيث ساروا إلى موزع للقيام بنهبها فتصدى لهم الملك المفضل بن المجاهد ودخل معهم في معركة شديدة هزموا على إثرها في ٢٥ رمضان

مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز أبحاث الرسائل الجامعية

وقتل منهم مئة رجل ، كما أسر منهم الكثير<sup>(١)</sup> ، ومع أن هذا التمرد هو الأول لهم إلا أن بني رسول لم يتهاونوا معهم فكان الملك المفضل شديداً معهم ، فأخذ في إذلالهم لعدم تكرار ما فعلوه ، وظلوا على هدوءهم إلى أن أظهروا العصيان في موزع ونواحيها في شهر رجب سنة ٧٧١ هـ ، وكان السلطان الأفضل لهم بالمرصاد حيث سير عسكره إليهم فتمكنوا من قتل العديد منهم<sup>(٢)</sup> .

وقد اتبع السلطان الأشرف ( الثاني ) سياسة تختلف عن السياسة التي اتبعها سلفه في التعامل معهم ، حيث أرسل قوة من العسكر إلى بلادهم في شهر ربيع الأول سنة ٧٩٣ هـ لتفقد أوضاعهم ، وتمكنت هذه القوة من دخول إحدى قراهم دون مهمة محددة<sup>(٣)</sup> ، ويبدو أن السياسة السلمية التي اتبعها الأشرف كانت صائبة معهم فلم يظهروا أي نوع من الخلاف ،

(٤) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٤ ب ؛ ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١٠٢ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٤٢ .

(٦) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٧ .

(٧) الأهمول : بطن من الشاهل بن عك بن عدنان . لملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٢ ، ٨٣ . ومساكنهم في تهامة بين

موزع وحيس . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٩٨ .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥٠ ؛ العسجد لمسيوك ، ق ١٨٣ ب .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٧١ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

ولكن سياسة ولاية وعمال بني رسول كانت سبباً في تمردهم في أول أيام رمضان سنة ٧٩٨ هـ ، وقاموا بقتل أمير الجهات الموزعية بسبب سجنه رجلاً منهم حتى مات ، الأمر الذي أدى إلى إثارتهم ضد بني رسول ، وظل الحال على ذلك إلى أن تمكن رجال السلطان من القبض على أحد رجالهم اتهم بقتل الأمير المذكور ، ولهذا أمر السلطان بقتله في صفر سنة ٨٠٠ هـ (٤) .

وبعد ذلك عاد الأهمول إلى التمرد في عهد السلطان الناصر عندما رفضوا دفع ما عليهم من الواجبات السلطانية أسوة ببقية القبائل ، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بقتل القاضي شمس الدين علي ، ويبدو أنه من العمال المكلفين بجمع الواجبات السلطانية ، مما أثار السلطان الناصر الذي أمر الأمير صارم الدين الأنف في شعبان سنة ٨١٨ هـ بالاتجاه إلى بلدهم وتأديبهم ، وكان أول ما قام به عندما دخل بلدهم أن أباح نهبها وتدميرها ، وجعل السيف هو لغة تفاهمه مع أهلها الذين تركوا أرضهم بقوة السيف ، ووصل الأمير صارم الدين بقواته إلى نهاية أطراف بلدهم ، ولهذا السبب سعى صوفية تلك الجهة بينهم وبين السلطان عندما لاحظوا الحالة التي وصلوا إليها ، واتفقوا على الصلح بشرط تسليم ما عليهم من واجبات لبني رسول ، ودفع دية القاضي شمس الدين الذي قتلوه ، وأن تكون هذه الذمة خمسة أشهر حتى يتم التأكد من ولائهم وطاعتهم للسلطان بدفع ما عليهم دون أن يعودوا إلى الخلاف (٥) ، وقد أراد الأهمول من وراء ذلك الصلح تأمين أنفسهم وإيجاد من يتحالف معهم لمواجهة بني رسول ، ولم يمر على ذلك الصلح الذي عقد بينهم إلا شهراً حتى تحالفوا مع الأخدوع (١) ، وحاصروا جميعاً حصن الغرة بشمير (٢) ، وتصدت لهم عساكر السلطان المرتبة في الحصن واشتبكوا معهم وقتلوا عشرة من خيرة رجالهم ، وزاد ذلك في عنادهم ، فانتشروا في جهات متفرقة من موزع ، فغزاهم الأمير صارم الدين الأنف وأمعن في مطاردتهم حتى توغل في بلادهم ، ويبدو أن تلك خطة وضعها الأهمول لتوريطهم وإيقاعهم في المصيدة التي أعدوها لهم ، وكمنا لهم في مضائق الطرق ، وعندما حانت الفرصة هجموا عليهم ، مما أدى إلى مقتل الأمير صارم الدين بالإضافة إلى جماعة من عسكره ، بينما سلم الباقيون أنفسهم خوفاً من القتل بعدما شاهدوا ما حل برفاقهم الآخرين من العسكر (٣) .

ويمكن القول أن صعوبة الوصول إلى القبائل المتمردة من الأهمول وغيرهم جعلت بني رسول يصرفون النظر عن متابعتهم إلى أن صدر أمر السلطان الناصر في رجب سنة

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ ، ٢٩٥ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٧٦ .

(١) الأخدوع : عزلة ناحية مقبنة وأعمال المخا ، والأخدوع أيضاً ناحية الأشاعر في زبيد . لمقحفي ، معجم ، ج ١ ، ص ٤١ .

(٢) شمير : مخلاف من ناحية مقبنة من أعمال تعز . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ٤٥٧ ، حاشية رقم ( ٣ ) .

(٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٧٧ — ١٧٨ .



٨٢١ هـ إلى الأمراء والعسكر بالغارة على بلادهم وتم تحقيق النصر عليهم وقتل عدد منهم وقام العسكر بنهب أموالهم بينما طلب الذمة من نجا منهم ، وظل السلطان الناصر طوال فترة حكمه في صراع مع الأهمول ، حتى أنه أخذ في تشجيع قادته كلما حققوا انتصاراً ضد هذه القبيلة . وفي سنة ٨٢٥ هـ تمكن الشيخ جعفر الهمداني من الدخول إلى بلاد الأهمول على رأس قوة من الخيل والرجال حيث شاعت الصدفه أن يلتقي بجماعة منهم كان قد اشتد تمردهم فقاتلهم وقتل عدداً منهم ، فأكرمه السلطان الناصر وكافأه على ما حققه <sup>(٤)</sup> ، وهذه سياسة أراد بها الناصر رفع معنوية قادته وعسكره ، ولم تشر المصادر بعد ذلك إلى أي دور لهذه القبيلة حتى انتهاء دولة بني رسول .

#### ٤ - الواعظات :

تُعد الواعظات من القبائل العكية <sup>(٥)</sup> التي لعبت دوراً على مسرح الأحداث السياسية في فترة متأخرة من عهد دولة بني رسول في داخل تهامة ، لهذا شهد عهد السلطان الأشرف (الثاني) إسماعيل بن العباس أول تمرد لهم سنة ٧٨٨ هـ ، وقد تصدى لهم الأمير بهاء الدين الشمسي في شهر رجب وقتل الكثير منهم ووقع البعض منهم في الأسر ، ومع ما قاموا به من عصيان وقطع للطريق وغيرها من الأعمال التي تدل على قوتهم وعنادهم لبني رسول ، إلا أن مافعله الأمير بهاء الدين أدى إلى ردعهم وقمعهم وهم في عز قوتهم . وفي سنة ٧٩٠ هـ عاد الواعظات إلى التمرد مرة أخرى ، فأرسل إليهم السلطان الأشرف أحد أمرائه ويسمى ابن العلوي فأوقع بهم في محرم من السنة المذكورة ، ووصل برؤوس القتلى منهم إلى السلطان الأشرف الذي أخذ يترقب نتائج تلك الحملة ضد الواعظات <sup>(٦)</sup> ، فانصاعت له الواعظات وخضعت لبني رسول حتى أنه بمجرد صدور أمر السلطان إلى القبائل بتسليم خيولهم في سنة ٧٩٦ هـ كان مشايخ الواعظات من أوائل المشايخ الذين أجابوا دعوة السلطان الأشرف وسلموا إليه ستة عشر رأساً من الخيل دليلاً للولاء والطاعة <sup>(٧)</sup> .

وقد حدث الخلاف بين الواعظات وبني رسول في جمادى الأولى سنة ٨٣٤ هـ لامتناعهم عن دفع ما عليهم من الواجبات السلطانية ، لذلك تحرك السلطان الظاهر بنفسه إلى بلادهم فهربوا عند سماعهم بوصوله ، وبهذا تعمق السلطان في بلادهم وقام العسكر بنهب ما وجدوه من الطعام وغيره من الأشياء التي عجزوا عن حملها أثناء هروبهم من بلادهم ،

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٨٧ ، ٢٠٠ .

(٥) الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٥٣ ، ٨٤ .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ، ١٩٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ .

فعندما وجد الواعظات أنهم سيفقدون كل شيء خاصة طعامهم الذي هم في أمس الحاجة إليه ، لجأوا إلى الصالحين ومشائخ الصوفية للتوسط بينهم وبين السلطان الذي أذم عليهم بشرط عودتهم إلى طاعته وتسليم ما عليهم من الواجبات السلطانية وتقديم ما معهم من خيل إليه ، فقبلت الواعظات ذلك وسارت تحت ركبه بعد أن نفذوا ما تم الاتفاق عليه ، وللتأكد من حسن سيرتهم سار السلطان في الشهر المذكور إلى الجزر<sup>(٣)</sup> في وسط بلادهم<sup>(٤)</sup> .

ولم يهنأ السلطان الظاهر بما حققه مع الواعظات إذ تمرد أربعمئة عبد وخرجوا إلى المحالب وسكنوا بلاد الواعظات وبلاد بني نشر ، مما شجع الواعظات على العصيان بمساعدة العبيد ، وأغاروا على تهامة وأخذوا في نهبها ، حتى أن الناس تركوا المحالب نتيجة لأعمالهم التي أثارت السلطان الظاهر الذي كان مشغولاً بخلافه مع المعازبة وبعض قبائل العرب في هذه الفترة ، فاضطر إلى مرأضة المعازبة ، وأقام صلحاً معهم للتفرغ للواعظات والعبيد ، وبمجرد تنظيم أمورهم سار إلى المحالب وخيم بقواته فيها وفي المهجم وأبيات حسين<sup>(٥)</sup> ، ووصلت خيول الواعظات ومن ساندتهم إلى قرب محطة السلطان دون أن يهاجموها ، ولكن السلطان فاجأهم في مقر إقامتهم وقتل جماعة من العبيد ، كما جرح الكثير منهم ، وعند عودته أمر مرة أخرى بشن غارات على بلاد الواعظات ، وهناك قام العسكر بالسلب والنهب والقتل لمن وجد منهم<sup>(٦)</sup> ، حتى أن بعض الأسرى من الواعظات مثل : بنو دحين وبنو الجمل وبنو حميد قد سئمو الحرب والتشرد في أطراف البلاد فجمعوا عوائلهم وقرروا العودة إلى طاعة السلطان الذي شرط عليهم أن يسلموا رهائن له لإثبات صدق نيتهم ، وهذا ما أثار العبيد الخارجون عن الطاعة ، وقاموا بملاحقتهم وتمكنوا من نهب بعض أمتعتهم من الأطراف ، فقامت الحرب بينهم في أواخر شهر جمادى الآخرة ، ومع ذلك فقد تمكن الواعظات من الوصول إلى الباب الشريف والسلطان في المحالب ، فسلموا ما شرط عليهم من الرهائن والواجبات السلطانية<sup>(٧)</sup> .

لم ينقطع التواصل بين الواعظات والعبيد مع أنهم دخلوا تحت طاعة السلطان ، ورغم العداوة التي كانت بينهم ، لذلك أغار عليهم القاضي شهاب الدين أحمد بن الصباحي في رجب من السنة المذكورة وقتل منهم الكثير ووصل بالأسرى إلى المحالب ، فاجتمعت القبائل المتمردة من الواعظات وغيرهم وهاجموا المحالب من جهاتها الأربع ، في الوقت الذي لم يكن القاضي شهاب الدين مستعداً لحربهم ، لهذا جمع من معه من العسكر وترك لهم

(٣) الجزر : قرية من ناحية حيس عزلة ربع السوق . مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٣٧ ، حاشية رقم (٥٥) .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .

(٥) ابن الديبع ، قره لعيون ، ص ٣٩٥ : الكبسي ، اللطائف السنوية ، ص ١٠٧ .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٣٧ .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

المحالب وخرج إلى إحدى قرى وادي سردد ، ودخلت القبائل والعبيد المحالب وأقاموا فيها بعض الوقت ثم خرجوا عنها ، فأرسل السلطان جماعة من المقدمين والأمراء حال خروجهم ودخلوها في نفس الشهر المذكور<sup>(٢)</sup> .

وأخذ السلطان الظاهر في الوقت نفسه يوطد علاقته مع بعض مشائخ القبائل لضرب الواعظات وغيرهم من قبائل العرب ، فأنعم على الشيخ حسام الدين عيسى بن جعفر شيخ عبس<sup>(٣)</sup> بالمال والكسوات في رمضان سنة ٨٣٦ هـ ، فتعهد بإخراج الواعظات وغيرهم من بلاده ، وكانت الواعظات كغيرها من القبائل فعندما شعروا بعجزهم أمام ما يقوم به السلطان اتجهوا إلى الصالحين والفقهاء والسادة ، فقبل السلطان وساطتهم على أن يسلموا ما معهم من خيل ، فالتزموا بذلك وتم تسليم خيلهم في ٢٣ رمضان من السنة المذكورة<sup>(٤)</sup> .

لم يقتنع السلطان بما قدمته الواعظات من خيل ، ونلاحظ ذلك من خلال المرسوم الذي أصدره إلى أمرائه ومقدميه للعودة إلى محطتهم على الواعظات في شوال ، وخرجت قواته بقيادة الأمير شمس الدين علي بن موسى النميري يساندتهم مشائخ بني نشر ، فقاموا بمحاصرة الواعظات من جهة الجبل ، لهذا جئنا مشائخهم إلى السلم ، وعاد الأمراء من المحطة يتقدمهم مشائخ الواعظات وهم : شيخ بني حميد وشيخ بني دحين وشيخ الماهرة ، إضافة إلى عدد من الجبل ، فرحب بهم السلطان وأذن عليهم لقبولهم الدخول تحت طاعته والتزامهم بدفع ما عليهم من الواجبات السلطانية<sup>(١)</sup> ، ويبدو أن ما قدموه من ولاء وطاعة ما هو إلا حيلة لتهدئة الموقف ولكسب وقت كافٍ يستطيعون من خلاله إعادة تنظيم صفوفهم ، حيث أنهم سرعان ما نكثوا العهد وساروا إلى المحالب في ذي الحجة سنة ٨٣٦ هـ حيث الأمير شمس الدين علي بن موسى الذي خرج لمواجهةهم وتمكن من قتل عدد منهم بينما فر الباقون عندما شاهدوا ما حل برفاقهم ، وأخذ الأمير في مطاردتهم وظفر بعدد منهم وتمكن من قتلهم وجرح آخرين منهم في حين هرب من نجا منهم إلى بيت أحد الفقهاء الصالحين وهو الشريف حسن الرديني الذي تصدى للأمير شمس الدين عندما لاحظ إصراره على قتلهم أو أسرهم<sup>(٢)</sup> ، وواجه الشريف المذكور انتقاداً شديداً لحمايته لهم لما وصفوا به من عصيان وتمرد وعدم أمان. وتقديراً للشريف الرديني عاد الأمير شمس الدين إلى زبيد برؤوس القتلى ، ووجدها الواعظات ومن معهم من القبائل فرصة لمعاودة الكرة مرة أخرى بالرغم من الانكسار

(٢) لمصدر نفسه ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) عبس : مدينة بالشمال الغربي من حجة بمسافة ( ١١٣ كيلو متر ) . ويقال لها عبس بن ثواب . المقحفي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٠٠٩ .

(٤) مجهول ، تاريخ لنولة لرسولية ، ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(١) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٦٦ .

(٢) لمصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

الذي تعرضوا له ، لهذا جمعوا عدداً كبيراً من الرجال ودخلوا بهم المحالب مستغلين تفرغ العسكر عن الأمير شمس الدين ، وقد أثار هذا الخبر غضب السلطان فأمر الأمير فخر الدين بأبكر بن سليمان السنبلي بالسير إلى المحالب للبقاء فيها والتعرف على الأوضاع هناك<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من خروج الواعظات وبقية المتمردين من المحالب واستقرار الأمير فخر الدين فيها إلا أنهم ظلوا يترقبون الفرص المناسبة لمهاجمة مصالح الدولة ، حتى سمعوا بقدم الأمير شرف الدين أبو القاسم السنبلي من حرض إلى المحالب فجمعوا الرجال والخيل لقطع الطريق عليه ، وفي الوقت نفسه أرسل الأمير فخر الدين جماعة من العسكر والخيل لحمايته ، وشاعت الصدف أن تكون المواجهة بين الفريقين ، وقامت الحرب بينهم وقتل رجالان من الغز ، وعند وصول هذا الخبر إلى الأمير فخر الدين أغار برجاله عليهم ولم يجد أحداً منهم<sup>(٤)</sup> ، ووصلت الأخبار إلى الأمير فخر الدين أن الواعظات ومن ساندنهم يعدون العدة لمعاودة الهجوم مرة أخرى على المحالب ، فقرر الأمير فخر الدين ومن معه من الأمراء مهاجمتهم في عقر دارهم في قرية الرغد<sup>(٥)</sup> ، وكان النقاء الجمعان في محرم من السنة المذكورة ، وكانت الدائرة على الواعظات وأنصارهم ، وهرب عدد كبير منهم إلى الشريف حسن الرديني الذي خرج إلى الأمراء معلناً أنهم تحت حمايته ، وأدى تكرار هذا الموقف من قبل الواعظات والشريف الرديني إلى اتفاق بعض الأمراء على إحراق القرية بمن فيها في محرم سنة ٨٣٧ هـ ، فأحاطت العساكر بالقرية<sup>(٦)</sup> من جميع الجهات لمنع خروج الواعظات وأحرق كل من في القرية من القبائل وغيرهم ، وراح ضحية ذلك ما يقارب من ثلاثمئة من أشجع مقاتلي الواعظات ، إضافة إلى عدد من المتمردين المحتمين بالشريف الرديني ، وكذا النساء والأطفال<sup>(٧)</sup> ، ورغم وحشية الطريقة التي عوقب بها الواعظات ، إلا أنها تعد من الانتصارات التي حققها بنو رسول ضد هذه القبائل الخارجة عن الطاعة .

ومن ناحية أخرى فقد أمر السلطان الظاهر ببناء سور حول المحالب لحمايتها من أي هجمات قد تقوم بها قبائل الواعظات وغيرها من القبائل ، ومن ثم سار بنفسه إلى المحالب ، وهناك اصطالح مع الصميين وأخضع الواعظات الذين استغلوا عودته إلى زبيد وهاجموا المحالب وطردهوا الغز عنها وأحرقوها وتحصنوا بالدرب والأبواب الذي أمر ببنائها السلطان

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ — ٢٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ .

(٥) الرغد : من قرى وادي مور في تهامة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

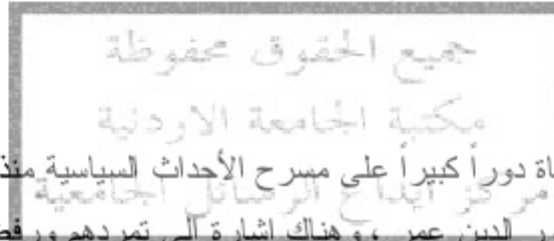
(٦) يشير ابن الديبع إلى قصة تختلف عن التي أوردها صاحب كتاب " تاريخ الدولة الرسولية " ، فيقول أن الواعظات وغيرهم هم

الذين أحرقوا قرية الأشرف بني الرديني بمن فيها . قرّة لعين ، ص ٣٩٦ .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٧١ — ٢٧٢ ؛ الكسبي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٧ .

قبل اكتمالها<sup>(٣)</sup> ، وإخضاعهم أرسل الظاهر جماعة من العسكر إلى بلدهم وفرضوا عليهم تسليم ما معهم من الخيل ، الأمر الذي دفع بمشائخهم إلى القدوم إلى الباب السلطاني بالمحالب تعبيراً عن ولائهم وطاعتهم للسلطان الذي أنعم عليهم بالمال والكسوات<sup>(٤)</sup> .

ولقد أدى خروج الملك العباس بن الأشرف على أخيه السلطان الظاهر إلى عودة الواعظات إلى الخلاف ، عندما لجأ الملك العباس إلى الواعظات والعبيد الخارجين على بني رسول ، وتحالف الجميع وقاموا بمهاجمة المحالب في صفر سنة ٨٣٩ هـ ، ولكن عسكر السلطان وأمراءه ومن ساندتهم من قبائل العرب كبني حفيظ وغيرهم تمكنوا من هزيمتهم ، وقتل من الواعظات وغيرهم أكثر من مئة رجل ، فأنعم السلطان على بني حفيظ بالكسوات والأموال لموقفهم ضد القوى المتمردة<sup>(٥)</sup> . ومن هنا نجد أن الواعظات من القبائل العكية التي امتازت بالعناد وعدم الخضوع ، رغم الأساليب المختلفة التي اتبعها بنو رسول لإخضاعهم ، إلا أنهم ظلوا معول هدم لهذه الدولة .



## ٥ - الرماة :

أدت قبائل الرماة دوراً كبيراً على مسرح الأحداث السياسية منذ عهد أول سلاطين بني رسول المنصور نور الدين عمر ، وهناك إشارة إلى تمردهم ورفضهم دفع ما عليهم من مال لعمال بني رسول في سنة ٦٤٧ هـ ، أي في السنة التي قتل فيها السلطان المنصور فوصل خبر مقتله إلى الأمراء والعسكر وهم في طريقهم إلى بلاد الرماة لاستخراج تلك الأموال منهم بالقوة<sup>(١)</sup> ، ومع ذلك كان الرماة من أوائل القبائل المساندة لابنه المظفر يوسف (الأول) في أثناء صراعه مع منافسيه ، وقد استخدم المظفر سياسة تمكن بها من كسب القبائل التي وقفت إلى جانبه وكان الرماة من تلك القبائل . وتشير المصادر إلى قضية أظهرت سبب ووقوف الرماة إلى جانب المظفر بكل صدق وإخلاص ، ذلك عندما اكتشف قيام بعض الرماة بسرقة صندوق مليء بالذهب من خزنة المظفر ، وقد قام شيخهم يحيى بن العمك بتسليم السارق الذي عفا عنه المظفر مباشرة ووهب له شيئاً مما سرق ، إضافة إلى جامكية وضمه إلى قواته ، مما زاد من محبة وتأييد الرماة للمظفر فيما بعد<sup>(٢)</sup> .

(٣) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٩٢ .

(٥) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٧ ؛ الكبيسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٧ .

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٤٨ .

(٢) لمصدر نفسه ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

ومن الملاحظ أن العلاقة بين الرماة وبين السلطان المظفر ومن بعده الأشرف والمؤيد اتسمت بالهدوء التام إلى أن اختلفوا مع السلطان المجاهد في سنة ٧٥٩هـ ، وانضموا إلى القوة القبلية المتمردة ضد المجاهد في التهائم<sup>(٣)</sup> ، وفي سنة ٧٦٢ هـ استغلوا مرور عسكر السلطان المجاهد بقيادة القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب والأمير بهاء الدين السنبل وقاموا بمهاجمتهم في ذي الحجة بعد أن توسطوا بلادهم ، وتمكن الرماة ومن ساندتهم من القبائل من هزيمة عسكر السلطان وقتل ابن قبيب ، بينما تمكن السنبل من الهروب رغم مطاردتهم له من منطقة إلى أخرى<sup>(٤)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد زاد عصيان الرماة وتمردهم خلال حكم السلطان الأشرف (الثاني) إسماعيل فهاجموا قرية الكدراء هم وأحلافهم في ذي الحجة سنة ٧٨٤هـ وقتلوا بعض أمراء بني رسول<sup>(٥)</sup> . ومن غريب ما نلاحظه هو عدم وجود رد فعل من قبل بني رسول خلال تلك الفترة ، لذلك ظل الرماة على تمردهم وتأبيدهم للقبائل المتمردة الأخرى ، ووصل بهم العناد إلى درجة رفضهم تسليم ما عليهم من الحقوق الديوانية لعمال الديوان ، بل حاولوا البطش بهم ، لهذا تم إرسال جماعة من العسكر فغزوهم وقتلوا ثلاثين رجلاً من أشهر فرسانهم وأسروا أربعة من ساداتهم ، وأخذ العسكر في نهب بلادهم ، لهذا طلب الرماة العودة إلى طاعة السلطان وتعهدوا بتسليم ما عليهم من الواجبات السلطانية للديوان ، وتم العفو عنهم وأطلق سراح الأسارى بعد أن تم إكرامهم وبعد أن حلفوا لبني رسول<sup>(٦)</sup> .

وفي سنة ٨٠٠ هـ نكثوا العهد وتمردوا في الجهات الشامية ، فتحرك السلطان الأشرف إليهم في ربيع الاول من السنة المذكورة ، وعند بلوغه المحالب خافت قبائل الرماة والمعاذبة وغيرهم وقدموا على السلطان في المحالب مقدمين له فروض الولاء والطاعة ، فقبض منهم الرهائن للتأكد من حسن نيتهم<sup>(٧)</sup> .

أصبح الرماة من القبائل التي شكلت خطراً على أمن الدولة الرسولية ، وقد ركز سلاطين بني رسول منذ توليهم الحكم على إخضاع هذه القبائل مثلما فعل السلطان الناصر سنة ٨٠٣ هـ عندما استولى على جبلهم<sup>(٨)</sup> في السنة الأولى من قيام دولته ، كما تمكن الناصر

(٣) عن تمرد الرماة والمعاذبة انظر أعلاه : ص ١٠٩ - ١١٢ .

(٤) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٦ .

(٦) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ؛ لعسجد المسبوك ، ق ٢٤٢ أ .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٣٠ .

(٨) جبل الرماة : في الشرق الشمالي من مدينة زبيد . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٨٧ ، حاشية رقم ( ٥ ) .

من إخماد تمردهم فسيطر على أهم معاقلهم وهو حصن المهور<sup>(٣)</sup> في السنة المذكورة ، والذي به انحسرت مادة الخلاف في وادي سهام والمناطق المجاورة له<sup>(٤)</sup> .

وعلاوة على ذلك ، فقد عانت دولة السلطان الظاهر كثيراً من هزلاء الرماة ، وظل السلطان في حرب دائمة معهم خلال فترة حكمه لكثرة أعمال السلب والنهب وقطع الطريق التي كانوا يقومون بها ، لهذا خرج إليهم على رأس قوة من العسكر في شعبان سنة ٨٣٣ هـ وتمكن من قتل عدد منهم ، وأظهر في حربه معهم الإصرار الكامل على ضرورة القضاء عليهم وإخماد تمردهم ، وأمام ذلك عجزوا عن مقاومته واتجهوا إلى المشائخ والصالحين وتعهدوا لهم بتسليم مانهبوه من الخيل والدواب والإبل وغيرها إن عفا السلطان عنهم ، فاتجه المشائخ إلى السلطان وأخذوا في ملاطفته وإقناعه بالعفو عنهم حتى قبل شفاعتهم ، فجاؤا إليه مسلمين ما وعدوا به إضافة إلى الرهائن ، وعاد السلطان إلى زبيد تتقدمه خيول ودواب وإبل ورهائن الرماة وغيرهم من القبائل<sup>(٥)</sup> .

وقد جدد الرماة تحالفهم مع المعازبة وغيرهم من طوائف التمرد وهاجموا الكدراء ، وتمكن أميرها سيف الدين برقوق من التصدي لهم<sup>(٦)</sup> ، كما هاجموا الأمير فخر الدين أبا بكر بن سليمان السبلي في شوال سنة ٨٣٥ هـ فطلبوا الصلح منه وسلموا ما معهم من خيل ، وعاد الأمير فخر الدين إلى زبيد وقد أمن جهة الرماة لدخولهم تحت طاعة السلطان<sup>(٧)</sup> .

إلا أن جور عمال بني رسول وتماديهم في ظلم الناس أدى إلى خروجهم عن الطاعة وقيامهم بمهاجمة بعض المدن التهامية مثل الكدراء والقحمة وفشال وإحراقها<sup>(٨)</sup> ، وبسبب عملهم هذا قام السلطان الظاهر بالتجهيز لحربهم ، خاصة بعد تحالفهم مع المعازبة وغيرها من القبائل ، وقد أدى تمردهم هذا إلى مقتل شيخهم الشيخ الأخدع إضافة إلى عدد كبير منهم<sup>(٩)</sup> . ومما هو جدير بالذكر أن استمرار الصراع بين الرماة وبني رسول أدى في الأخير إلى إرهاب الرماة وفشلهم أمام قوات الدولة ، لهذا اصطلحوا مع ولاية السلطان في البلاد الشامية ، ودفعوا ما عليهم من الأموال وما هو مقرر من خيل وإبل ، وساروا في جمادى الآخرة سنة

(٣) المهور : معقل عظيم أعلى وادي سهام من لشرق في الشمال الشرقي من زبيد ، وهو من مناطق الرامية ويسمى اليوم جبل

المهور . ابن النبيع ، قرّة العيون ، ص ٣٨٨ ، حاشية رقم (١)

(٤) ابن النبيع ، بغية المستفيد ، ص ١٠٢ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٢٦ .

(٦) عن أسباب هجوم الرماة على الكدراء لنظر أعلاه : ص ١٢٢ .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٥٠ .

(٨) يحيى بن الحسين ، غية الأملاني ، ج ٢ ، ص ٥٦٩ .

(٩) عن تحالف الرماة مع المعازبة ومقتل شيخهم لنظر أعلاه : ص ١٢٣ .

٨٣٧ هـ جميعاً إلى الظاهر الذي سعد بذلك ، لا سيما بقدوم شيخهم ولد الشجابه<sup>(٣)</sup> ، ومن هنا ظلت العلاقة بين الرماة وبني رسول ودية إلى أن انتهت دولتهم في سنة ٨٥٨ هـ .

## ٦ - القحراء :

كانت القحراء من قبائل تهامة التي انضمت إلى المعازبة في أثناء صراعهم مع الأشاعر في الفترة من سنة ٧٥٦ إلى سنة ٧٥٧ هـ ، وقد قاموا بدورٍ في نشر القلاقل والفتن في المناطق التهامية مستغلين الفوضى التي عاشتها البلاد في عهد السلطان المجاهد ، ويعد تمردهم وانضمامهم إلى قبائل تهامة من الأمور التي أرهقت المجاهد ، فظل في صراع معهم طوال فترة حكمه<sup>(٤)</sup> .

وقد تمردت قبائل القحراء بصورة انفرادية في عهد السلطان الظاهر ، وأخذوا في إثارة الشغب ونهبوا حقوق الرعية ، الأمر الذي أدى إلى خروج الأمير سيف الدين برقوق الخازندار إليهم في جمادى الآخرة سنة ٨٣٢ هـ ، وأخذ في مطاردتهم حتى تمكن من تشريدهم عن موطنهم وقتل عدداً منهم ، فأعادوا ما أخذوه من أموال الناس وأعلنوا عن توبتهم ، فأنعم عليهم الأمير سيف الدين وكساهم<sup>(٥)</sup> . وظلت العلاقة ودية بينهم وبين سلاطين بني رسول وعمالهم ، وزاد في توطيد هذه العلاقة قدوم مشايخ القحراء إلى السلطان الظاهر بقيادة الشيخ يونس القحري في صفر سنة ٨٣٦ هـ ومعه جماعة من نفس القبيلة وطلبوا الذمة من السلطان وأبدوا استعدادهم بتسليم ما معهم من خيل وبادروا بتسليم ستة منها أثناء وصولهم ، وتعهدوا بتسليم ما تبقى بعد ذلك ، مما أسعد السلطان فأكرمهم وأنعم عليهم<sup>(٦)</sup> .

## ٧ - الصميون :

يعد الصميون من قبائل عك التي انصاعت لسلاطين بني رسول ، وقد استجابوا لدعوة السلطان الأشرف ( الثاني ) عندما دعا القبائل إلى تسليم خيولهم وكانوا من أوائل القبائل التي بادرت إلى ذلك في سنة ٧٩٦ هـ ، وسلموا إليه تسعة وعشرين رأساً دليلاً للطاعة والولاء<sup>(١)</sup> ، ولكنهم اختلفوا مع السلطان الأشرف في سنة ٧٩٧ هـ عندما رفضوا تسليم ما عليهم من الأموال ، فأرسل إليهم القاضي شهاب الدين الوزير في محاولة لاستخراج تلك الأموال منهم ، فهرب الصميون إلى بلاد القائد أبي بكر بن أحمد بن علي ، وكتب إليه

(٣) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢٧٥ .

(٤) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ؛ لعسجد لمسبوك ، ق ٢٠٠ أ - ب .

(٥) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢١٢ - ٢١٣ .

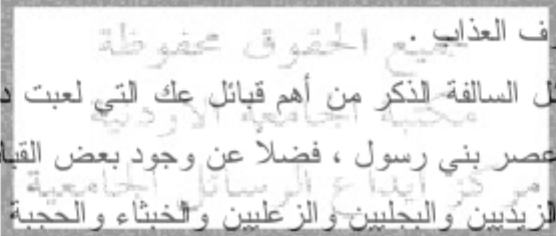
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

(١) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ؛ لعسجد لمسبوك ، ق ٢٤١ أ .



الوزير يخبره بعدم استقبالهم في بلده ، ودخل القائد في خلاف مع أخيه حول ذلك ، مما أدى إلى اجتياح عسكر السلطان لبلاد القائد<sup>(٢)</sup> ، ويبدو أن السلطان الأشرف تمكن من قبض مشائخ الصميين وظلوا في سجنه في المهجم حتى أطلق سراحهم في جمادى الأولى سنة ٧٩٩ هـ — بعد أن رهنوا أولادهم ليضمن عدم عودتهم إلى التمرد مرة أخرى<sup>(٣)</sup> .

ولهذا فقد استمر الصميون على ولايتهم لسلطين بني رسول وسلموا ما فرض عليهم من الواجبات السلطانية في شهر جمادى الأولى سنة ٨٣٤ هـ<sup>(٤)</sup> ، كما جددوا ذلك الولاء في الخامس من رمضان سنة ٨٣٦ هـ عندما قدم مشائخهم إلى الباب الشريف فقابلهم السلطان الظاهر وأنعم عليهم ، لا سيما وأنهم قد دفعوا له ما هو مفروض عليهم من مال وخيل ، وفي آخر أيام شهر رمضان وصل من تبقى من مشائخ الصميين ومعهم خيل بعض أصحابهم وتعهدوا بإحضار خيل من تبقى من الغائبين بسبب تفرقهم في البلاد<sup>(٥)</sup> ، ومن هنا نجد أن قبائل الصميين من أكثر قبائل عك مسالمة لبني رسول على نقيض غيرهم من قبائل عك التي

أذاقت بني رسول صنوف العذاب .  وتعد تلك القبائل السالفة الذكر من أهم قبائل عك التي لعبت دوراً كبيراً على مسرح الأحداث السياسية في عصر بني رسول ، فضلاً عن وجود بعض القبائل العكية التي كان لها دورٌ مثل بنو حفيص الزبيديين والجليليين والزعلين والخبثاء والحجبة وغيرهم ، ولكنهم لم يصلوا إلى مرحلة من العصيان كالتّي وصل إليها بقية قبائل عك التي تم ذكرها . ويمكن القول أن قبائل عك في تهامة كانت من أشد القبائل التي عانت منها الدولة الرسولية لعنادها وإصرارها على إقلاق أمن هذه الدولة .

## ثانياً : قبائل الأشاعر :

### ١ — الأشاعر :

يُعد الأشاعر من أهم قبائل تهامة وأشهر سكانها ، حيث لعبوا دوراً كبيراً عبر تاريخ اليمن الإسلامي عامة وتاريخ بني رسول خاصة ، وقد ظهر أول تمرد لهم خلال فترة حكم بني رسول في عهد المجاهد في سنة ٧٥٤ هـ عندما اختلفوا مع القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب لميلهم إلى القاضي جمال الدين محمد بن حسان الوزير<sup>(١)</sup> ، فعن طريق ابن

(٢) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأحداث انظر : الخزرجي ، عقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ — ٢٧٧ .

(٣) لمصدر نفسه ، ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٣٥ .

(٥) ابن النبيع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٦ .

(١) يعود نسب القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب إلى غسان وقد شغل في فترة حكم السلطان للمجاهد منصب مشد وناظر زبيد ، أما القاضي جمال الدين محمد بن حسان لوزير فكان من أهم رجال الدولة المجاهدية وأحتكم . الخزرجي ،

قريب تم إقطاع الأمير شجاع الدين عمر بن العماد فशल بعد تخلي المظفر بن المجاهد عنها في شهر صفر سنة ٧٥٤هـ ، وكانت ولاية ابن العماد سبباً في خراب التهائم وتدهور أوضاعها ، ففي جمادى الأولى من السنة المذكورة دخل ابن العماد إلى إقطاعه فशल وفي نفسه ما فيها على الأشاعر لكثرة تحريض ابن قريب له ، لذلك أخذ يتحرش بالشيخ أحمد بن عمر الأشعري واتهمه بأنه رفض تسليم ما عليه للديوان السعيد<sup>(٢)</sup> ، وهنا استغل ابن قريب صلاته بالسلطان المجاهد وكتب إليه يطلب منه أن يكون الأمير حسام الدين لاجين مقدماً في فशल لمساندة ابن العماد ضد الأشاعر ، وصدر أمر السلطان بذلك للمقدم لاجين الذي تحرك إلى فशल<sup>(٣)</sup> ، في الوقت الذي سار ابن العماد إلى المخيريف على رأس قوة من العسكر والخيل لجباية الأموال في ذي القعدة من السنة المذكورة ، مما أدى إلى زيادة التوتر بين الشيخ أحمد وبين ابن العماد الذي هدد بأنه لن يخرج من المخيريف إلا برأس الشيخ أحمد ، لهذا لجأ الشيخ أحمد إلى ابنه علي بن أحمد ، وكان من فرسان الأشاعر الشجعان ، وأخبره بما يتعرض له وطلب منه التصرف مع ابن العماد ، فاتجه علي بن أحمد إلى دار ابن العماد وأخذ معه رجلين من قرابتهما فهاجموا ابن العماد وقتلوه وأعلنوا الأمان لمن معه من العسكر<sup>(٤)</sup> .

وقد ترتب على ذلك ثورة ابن قريب بسبب مقتل ابن العماد على يد ابن شيخ الأشاعر علي بن أحمد ، لهذا اتجه إلى السلطان المجاهد الذي أصدر أمراً إلى والي فशल الجديد الذي تولى بعد مقتل ابن العماد وهو القاضي عثمان بن سليمان بن طلحة بالتوجه إلى الأشاعر ومهاجمتهم على رأس قوة من العسكر وبمساعدة قبيلة القرشيين وذلك في سنة ٧٥٥هـ ، وكتب ابن طلحة إلى القرشيين يخبرهم بأمر السلطان ، خاصة وأنهم في تلك الفترة كانوا حلفاء للسلطان المجاهد ، في حين صدر أمر السلطان إلى المقدم حسام الدين لاجين بالتحرك بالعسكر السلطاني من فशल إلى الأشاعر ، وكان خروجهم قبل خروج القرشيين ، والتقى الجمعان ودارت بينهم معركة هزم على إثرها عسكر السلطان<sup>(٥)</sup> ، في اللحظة نفسها التي وصل فيها القرشيون بعد تلك الهزيمة مباشرة ، فاشتبكوا مع الأشاعر في معركة شديدة قتل فيها من قتل من الجانبين وعند افتراقهم أخبر الشيخ أحمد بن علي الأشعري أصحابه أنهم لا يستطيعون المواصلة لقوة

للعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٧٤ ، ٩٤ . ويبدو أن ابن قريب استغل نسبه لتولية ابن العماد وإثارة الفتنة .

(٢) الديوان السعيد : هو المسؤول عن جميع الأموال المقررة للدولة خاصة المهم منها كخراج الأراضي الزراعية ورسوم النخل والعشور والجزية والمكوس وتوريدها إلى بيت المال . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٣) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٩٤ - ٩٥ ؛ ابن النبيع ، قرعة لعيون ، ص ٣٦٥ .

(٤) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٩٨ أ .

(٥) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٩٩ ؛ ابن النبيع ، قرعة لعيون ، ص ٣٦٥ .

عسكر السلطان وأمرهم بترك المنطقة فتركوها وتفرقوا في وادي زبيد ، ولهذا السبب خربت التهائم<sup>(٢)</sup> لبروز القرشيين والمعاذبة على إثر غياب الأشاعر<sup>(٣)</sup> .

إلا أنه سرعان ما عاد الأشاعر إلى قرية المخيريف بعد خرابها في الوقت الذي ظهر فيه تحالف قبلي جديد ، ففي آخر شهر محرم سنة ٧٥٦ هـ تعرض الأشاعر في المخيريف لهجوم من قبل ذلك التحالف المكون من المعاذبة والقرشيين والرماة والقراء وغيرهم من القبائل فتصدت لهم جموع الأشاعر الذين خرجوا من القرية لقتالهم ، وقتل على إثر ذلك الشيخ أحمد بن علي الأشعري هو وجماعة من قومه وانتقل من تبقى منهم عن المخيريف بعد خرابها ، كما خربت بخراب المخيريف عددٌ من قرى وادي رمع ووادي زبيد التي كلما دبت فيها الحياة عادت إلى الخراب لقوة شوكة القبائل المتحالفة ضد أهالي هذه القرى<sup>(٤)</sup> .

وقد استغل الأشاعر حالة الفوضى التي تعيشها البلاد في عهد السلطان المجاهد وقاموا بمهاجمة قافلة تجارية تحمل عدداً من الخيل ، قادمة من الجهات الشامية ومتجهة إلى عدن ، وعند دخولها إلى فحال هاجمها الأشاعر وأخذوا ما فيها من خيل . وتشير المصادر إلى أن الذي شجع الأشاعر على هذا العمل هو والي المنطقة الأمير بدر الدين حسن بن بأساك ، وأدى امتلاك الأشاعر لهذه الخيل إلى إعادة مكانتهم في المنطقة وامتناع المعاذبة عن وادي رمع خوفاً منهم ، مما أغضب السلطان المجاهد الذي أصدر أوامره إلى الأمير جاندار<sup>(٥)</sup> بهادر المجاهدي بالقبض على الأمير بدر الدين وإرساله إليه ، وعند وصوله أمر السلطان بشنقه ، فشنق في أواخر رمضان من السنة المذكورة لتشجيعه القبائل على التمرد<sup>(٦)</sup> .

وعلى إثر ما حدث أقطع السلطان المجاهد ابنه الملك الصالح فحال في شوال ، وكان وصوله إليها سبباً في انتقال الأشاعر إلى قرية الغزاليين أعلى وادي رمع ودخولهم في حرب مع المعاذبة ومن ناصرهم من القبائل ومن ثم هزيمة الأشاعر وقتل عدد كبير من أفضل فرسانهم<sup>(٧)</sup> . ولقد نتج عن هزيمة الأشاعر من قبل تلك القبائل خضوعهم وهدوئهم وعودتهم إلى طاعة السلطان الأشرف بن الأفضل الذي أخذ في إخضاع بعض القبائل في سنة ٧٨٢ هـ —

(٢) كان الأشاعر يمثلون ترساً على الواديين زبيد ورمع وبهم كانت تصد هجمات المعاذبة على المنطقة وعند خروجهم من البلاد تحالف المعاذبة والقرشيين وانتفروا على التمرد وأخربوا وادي زبيد ورمع وارتفعت راية المعاذبة في المنطقة بعد سقوط راية الأشاعر وتفرقهم . لخرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٣) لخرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٩٨ ب ؛ ابن الديبع ، قرعة لعيون ، ص ٣٦٥ .

(٤) لخرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٥) الجاندار : فئة من المماليك تتبع لسلطان ، أهم مهامها تنظيم دخول الأمراء على السلطان وتقديم البريد له مع الدويار وكتاب السر ، ثم أصبح صاحب هذه الوظيفة كالمتمسلم للباب وإذا أراد السلطان التعزيز بأحد أو قتله كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة . القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠ — ٢١ ؛ الخطيب ، معجم المصطلحات ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(٦) لخرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٩٩ ب .

(٧) حول تلك الأحداث وتحالف المعاذبة مع القبائل الأخرى ضد الأشاعر انظر أعلاه : ص ١١٠ — ١١١ .

و ٧٨٣ هـ ، وكانت بلاد بني ثابت وبلاد الركب<sup>(٢)</sup> من ضمن تلك البلاد التي دخلها وأقر الأوضاع فيها بعد أن استولى عليها<sup>(٣)</sup> .

كان الصراع في إطار القبيلة من أشد الأمور التي تؤدي إلى إضعاف القبائل ، وهذا ماحدث مع الأشاعر في سنة ٧٩١ هـ عندما وقع الخلاف بين أشاعر وادي زبيد وبين الفرس<sup>(٤)</sup> في رجب وقتل من الأشاعر اثنان ومن الفرس واحد ، مما أخاف الفرس من الأشاعر ، فانطلقوا إلى قرية أخرى وأخذوا يكثرون من الكلام على الأشاعر ، ونطقت ألسنتهم بما لا يقال ، الأمر الذي أثار الحرب بينهم مرة أخرى في سنة ٧٩٤ هـ<sup>(٥)</sup> .

وثارت الفتنة مرة أخرى بين الأشاعر في سنة ٧٩٢ هـ على إثر مقتل الشيخ علي ابن محمد العجمي شيخ الأشاعر في فثال على يد جماعة من بني الدريهم الأشاعر الذين هربوا إلى الجبل بعد قتله وهناك ازداد تمردهم ضد الناس ، فتقدم السلطان الأشرف إلى فثال على رأس قوة من العسكر وأصدر أوامره بمحاصرتهم ، الأمر الذي أخافهم فطلبوا الذمة من السلطان ، وتعهدوا بأنهم سيكونون تحت طاعته ، وبأنهم سيسلمون ماعليهم ، ووافق السلطان على طلبهم وأذن عليهم وفك الحصار عنهم سنة ٧٩٣ هـ<sup>(٦)</sup> .

لم تنته الخلافات الداخلية بين الأشاعر عند هذا الحد ، بل ازدادت دموية ، ففي جمادى الآخرة سنة ٧٩٦ هـ تمكن أولاد الشيخ علي بن محمد العجمي من قتل شيخ بني الدريهم الشيخ النهاري بن عيسى الأشعري إنتقاماً لأبيهم المقتول من قبل بني الدريهم سنة ٧٩٢ هـ<sup>(٧)</sup> .

وبحلول سنة ٧٩٤ هـ عادت الفتنة مرة أخرى بين الأشاعر والفرس بسبب سب الفرس للأشاعر بكلام قبيح وبذيء في ربيع الأول ، لذلك عاد الوضع إلى الإضطراب في وادي زبيد بعد مقتل خمسة من رجال الفرس ونهب دوابهم وحرق بعضها . وأمام هذا الوضع المتردي دعت الحاجة إلى ضرورة تدخل الدولة لحسم الأمور وإطفاء نار الفتنة ، فقام القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سالم مشد زبيد بالقبض على مشائخ الأشاعر الموجودين في زبيد للضغط على بقية الأشاعر ، وتأديباً لهم فرض عليهم دفع خمسة عشر ألف دينار دية الخمسة المقتولين من الفرس ليكون ذلك عبرة لغيرهم<sup>(٨)</sup> ، ومع ذلك تمرد الركب من الأشاعر

(٢) الركب : قبيلة من الأشاعر . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ٤٩ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٧٠ - ١٧٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٢٠ أ ؛ ابن الديبع ، قرعة لعيون ، ص ٣٧٧ .

(٤) الفرس : يبدو أنهم فرع من الأشاعر لارتباطهم ومجاورتهم لهم بالسكن والحرث وتحالفهم ضد أعدائهم من القبائل الأخرى .

الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ ، ٢١٩ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٤١ أ .

(٨) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٣٤ ب .

والأخذود<sup>(٢)</sup> في محرم سنة ٧٩٦ هـ وقتلوا الأمير جمال الدين مئقال في المغاليس<sup>(٣)</sup> فهاجمهم عسكر السلطان وأحرقوا بلادهم بعد نهبها ، كما قبضوا مشائخهم وأخذوهم إلى حصن الدملوة وسجنوا فيه وفرض عليهم دفع مبالغ مالية ، ثم تم مضاعفتها تأديباً لما فعلوه<sup>(٤)</sup> .

وفي الوقت نفسه حدث الخلاف بين المعازبة والأشاعر في ذي القعدة من السنة المذكورة وتحالف الأشاعر مع القرشيين ضد المعازبة بوادي رمع بتأييد من بني رسول الذين أخذوا في انتظار نتيجة ذلك الصراع والذي أخذ سلاطين بني رسول يعملون على تأجيجه مراراً وتكراراً لإضعاف تلك القبائل ، فقتل في ذلك الصراع ثلاثون رجلاً من المعازبة ، مما أسعد السلطان الأشرف ( الثاني ) . وقد ولد موقف الأشاعر هذا إلى جانب بني رسول الحقد في قلوب المعازبة ، وأخذوا في مهاجمة أهل وادي زبيد ونهبوا أموالهم ، وفي الحادي عشر من ذي الحجة سنة ٧٩٦ هـ استغل المعازبة إنشغال الناس بالعيد ونهبوا أموالهم من البقر والغنم والإبل وغيرها من المواشي ، إلا أن تحالف الأشاعر مع الدولة كان أقوى أمام هجمات المعازبة ، لذلك أخذت العديد من أموال المعازبة وردت إلى أهلها<sup>(٥)</sup> .

لقد شهدت العلاقة بين الأشاعر وبني رسول تطوراً كبيراً خلال تلك الفترة ، وأخذ سلاطين بني رسول يولون اهتمامهم الكبير بهذه القبيلة ويتفقدون أحوالها ، حيث أنه في رجب سنة ٧٩٩ هـ أعاد السلطان الأشرف تنظيم إدارة مسجد الأشاعر ، وأخذ في صرف الأموال لبعض القبائل بما فيها الأشاعر ووزع فيهم الخيول في ربيع الآخر سنة ٨٠٠ هـ لصد أي هجمات قد تقوم بها القبائل المعادية للدولة<sup>(٦)</sup> ، كما حاول بنو رسول حل المشاكل الواقعة بين الأشاعر أنفسهم ، فقام الأمير فخر الدين أبوبكر بهادر السنبلي بقتل الجماعة التي قتلت بني الدريهم ودخل برؤوس القتلى وبخيلهم إلى باب السلطان بزبيد<sup>(٧)</sup> .

وفي بداية عهد السلطان الناصر حاول الأشاعر إقامة ملك لهم في زبيد بواسطة رجل منهم يسمى محمد بن أبي القاسم بن نجاح الأشعري ، حيث جمع من الأموال الكثير وزين له من هم حوله استغلال تلك الأموال في إقامة ملك ونزع فروض الطاعة والولاء عن بني رسول فقصد زبيد وحاول ذلك فلم يستطيع ، ويبدو أن عدم وجود التنظيم والتخطيط والترتيب في حركته ، إضافة إلى عدم تسخير الأموال الطائلة التي يملكها في شراء القبائل مسبقاً أدى إلى فشل حركته بسرعة لم يسبق لها مثيل ، ومع تمكنه دخول زبيد في ٩ ربيع الأول سنة ٨٠٦ هـ

(٢) الأخذود : من قبائل مخلاف خنير من لسكاسك وهو ملاصق لأعمال تغزل بن لبيع ، قرء لعيون ، ص ٤٤٢ ، حاشية رقم (٥)

(٣) المغاليس : من قرى الحجرية في بلد الأتاور . الحجري ، مجموع ، مج ٢ ، ج ٤ ، ص ٧١٥ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

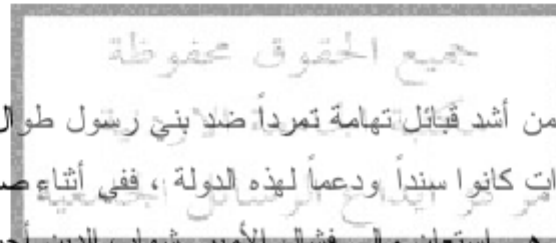
(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٦ .

(٧) الخزرجي ، المسجد لمسبوك ، ق ٢٤٩ أ

لكنه لم يظهر بين الناس إلا مقتولاً في نفس اليوم هو وأتباعه وأشياعه ، وأصبح العامة يضربون به المثل ويقولون : " ملك نجاح ساعة وراح " (١) .

وقد أظهر الركب الأشاعر تمردهم في ذي القعدة سنة ٨٢١ هـ وأمر السلطان بتحريك العسكر إليهم لغزوهم وإخماد تمردهم ، لذلك خربت بلادهم بعد قتل وأسر عدد منهم (٢) . وفي عهد السلطان المسعود تعرضت المخيريف قرية الأشاعر لغزو من قبل قوات السلطان بقيادة مقدم زبيد الأمير زين الدين جياش السنبل في سنة ٨٤٩ هـ والذي تحالف مع المعازبة ضد الأشاعر والقرشيين لهذا خربت المخيريف من قبل قوات الدولة والمعاذبة (٣) ، ويبدو أن العلاقة بين الأشاعر وبني رسول لم تشهد تطور بعد هذه السنة لعدم إشارة المصادر إلى أي دور للأشاعر ، فبعد خراب المخيريف في سنة ٨٤٩ هـ هدأت حركتهم وخمدت ، ولم يعد لهم ذكر خلال الفترة المتبقية من حكم بني رسول .



## ٢ - القرشيون :

كان القرشيون من أشد قبائل تهامة تمرداً ضد بني رسول طوال فترة حكمهم لليمن مع أنهم في بعض الفترات كانوا سندا ودعماً لهذه الدولة ، ففي أثناء صراع بني رسول مع الأشاعر في سنة ٧٥٥ هـ استعان والي فحال الأمير شهاب الدين أحمد بن قبيب بالقرشيين بموجب أمر السلطان المجاهد ، ورغم هزيمة عسكر السلطان أمام الأشاعر إلا أن اشتباك القرشيين معهم نتج عنه انتصارهم على الأشاعر ، مما شجع القرشيين على التمرد فتحالفوا هم والمعاذبة ، وأخذوا يعيشون في الأرض فساداً وأخربوا وادي زبيد ووادي رمع ، وفي سنة ٧٥٦ هـ أوجد القرشيون تحالفاً لهم مع عدد من القبائل ضد الأشاعر ، وأدى ذلك التحالف إلى مهاجمة المخيريف وقتل شيخ الأشاعر (٤) .

وقد تفاقم أمر القرشيين بتحالفهم مع المعازبة في التهائم سنة ٧٥٧ هـ ، وأخذوا يقومون بأعمال السلب والنهب والحرق ، ونتيجة لهذه الأعمال أقطع السلطان المجاهد ولده الملك الصالح فحال للقضاء على تمردهم ، ولكنه فشل أمام قوة هذه القبائل فحاربهم القاضي جمال الدين محمد بن حسان واتجه إلى القرشية قرية القرشيين ، فنار المعازبة أنصار القرشيين وخرجوا لنجدتهم ، وقامت بين القرشيين والمعاذبة من جانب والدولة من جانب آخر معركة

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٥ ب ؛ ابن النديم ، فرة العيون ، ص ٣٩١ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٠٥ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٨٨ .

(٣) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ أ ؛ ابن النديم ، فرة العيون ، ص ٤٠٤ .

(٤) عن تلك الأحداث انظر أعلاه : ص ١٠٩ .

في الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٧٥٧ هـ هزم على أثرها عسكر السلطان وقتل الكثير من رجاله وخيله<sup>(١)</sup> ، كما ثار القرشيون كافة برجالهم وخيلهم مع المعازبة وغيرهم من القبائل على أثر الصراع بين المعازبة والأشاعر ، وكانت المصلحة هي التي فرضت على تلك القبائل الوقوف مع المعازبة ضد أعدائهم الأشاعر ، وأدى ذلك في الأخير إلى انتصارهم عليهم في ذي القعدة سنة ٧٥٨ هـ<sup>(٢)</sup> .

وفي سنة ٧٥٩ هـ سار السلطان المجاهد إلى زبيد على رأس قوة كبيرة من العسكر العرب والغز نتيجة لاستمرار فوضى القرشيين والمعاذبة الذين ارتفعوا عن بلادهم عند سماعهم بقدومه وأخربت بلادهم ودمرت . وبمجرد عودة السلطان عادت القبائل إلى تمرداها ، وأخربوا الكدراء وقطعوا الطريق وساعت الأمور وانقطع الاتصال بين قرى ومدن وادي زبيد ، ووصلت الجرأة بالقرشيين هم والمعاذبة إلى أخذ أموال الناس واقتسام النخل فيما بينهم ، لدرجة أن أصحاب النخل أصبحوا لا يملكون قوت يومهم<sup>(٣)</sup> .

وظل القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن قبيب في حرب دائمة مع القرشيين وغيرهم من القبائل ، وأخذ يكيد لهم ويدبر المؤامرات للتخلص من زعمائهم وكبار مشائخهم ، كما فعل مع الشيخ أبي بكر بن غراب القرشي المعروف بالهيل في النصف من شهر ربيع الآخر سنة ٧٠٦ هـ والذي قتل بواسطة إحدى تلك المؤامرات ، مما أثار أهل القرشية ضد بني رسول<sup>(٤)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد نشب الخلاف بين القرشيين والمعاذبة في أثناء إقامتهم في نخل الوادي سنة ٧٦٢ هـ بعد طرد أهله عنه ، وقامت بينهم عدد من المعارك المشهورة ، والتي بسببها تحالف القرشيون مع عسكر بني رسول من الغز وغيرهم لضرب المعازبة<sup>(٥)</sup> . وفي بداية عهد السلطان الأفضل بن المجاهد زاد تمرد القرشيين واشتد عصيانهم يوماً بعد يوم وامتد تمردهم إلى أملاك بني رسول في نخل وادي زبيد ، ففي شوال سنة ٧٦٥ هـ جمع القرشيون الرجال والخيل وهجموا على النخل واغتتموا منه الكثير . وقد وضع القرشيون خطة عقب هربهم من النخل ، حيث أمر مشد النخل القاضي برهان الدين إبراهيم بن يوسف الجلال العسكر باقتفاء أثر القرشيين الفارين عقب نهب النخل ، في الوقت الذي كان القرشيون قد خططوا لهذه المرحلة وجعلوا هناك عدة مكامن ، وبمجرد توسط العسكر لتلك المكامن

(١) لخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ١٩٩ أ - ب .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٣) لمصدر نفسه ، ص ١٠٧ .

(٤) كان الشيخ أبو بكر بن غراب القرشي داهية زمانه وقد قتل بالسهم نتيجة لمؤامرة دبرها له ابن قبيب بالتآمر مع بني رسول ، لمزيد من التفاصيل عن طريقة قتل الشيخ المذكور انظر : لخزرجي ، لعقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٠٢ أ - ب ، ق ٢٠٣ ب - ٢٠٤ ب .

خرج عليهم القرشيون من كل ناحية ، وأدى ذلك إلى هزيمة العسكر لعجزهم عن المقاومة ، بسبب هول المفاجأة وسرعة الحدث ، فقتل عدد من الرجال والخيل ، وعند وصول خبر هذه المعركة إلى الأمير بهاء الدين السنبلي في قرية النويدرة سار من فوره إلى النخل ووصل إليه في النصف الأخير من الليل ، واجتمع مع من تبقى من المتقدمين ، ولحماية النخل ومن فيه أقام هناك خمسة عشر يوماً<sup>(١)</sup> إلى أن وصل الطواشي صفى الدين أبو ملحق في أول شهر ذي القعدة من السنة المذكورة مرسلاً من السلطان الأفضل على رأس قوة من العسكر والقادة والأمرأ . ولرفع معنوية من في النخل من المتقدمين وغيرهم أخذ الطواشي في صرف الأموال من الخزانة التي جاء بها من السلطان وكسا المتقدمين وأنعم على العسكر ، وأخذ في إعادة تنظيمهم لتأديب القرشيين وكسر شوكتهم ، لهذا سار بهم نحو القرشية في السابع من ذي القعدة وهاجم أهلها وقتل ما يقارب من مائة فارس من خيرة رجالهم وأشهرهم . وكانت هذه الأحداث من أكبر النكسات التي تعرض لها القرشيون<sup>(٢)</sup> ، وانتهاز العسكر هذه الفرصة وأخذوا في نهب قرية القرشية ، وهذا ما جعل أهلها يخرجون منها إلى العرمة<sup>(٣)</sup> ، وعاد عسكر السلطان إلى زبيد منصورين ، وظلوا هناك إلى أن جاء أمر السلطان بخروجهم مع الأمير بهاء الدين بهادر السنبلي إلى القرشية فوجدوها خاربة مهجورة ، أما أهلها فعندما طال بهم البقاء في العرمة أعلنوا ولائهم للسلطان وطلبوا منه الثمة وعبروا عن صدق ولائهم بتسليم نصف الخيل التي معهم ، بالإضافة إلى رهن أولادهم ، وسمح السلطان في سنة ٧٦٦ هـ — بعودتهم إلى قريتهم بعد أن أذم عليهم وعفا عنهم تقديراً لوضعهم<sup>(٤)</sup> .

وما كادت الأمور تستقر حتى عاد القرشيون للخلاف في أواخر شعبان سنة ٧٧١ هـ ، فغزاهم الطواشي أمين الدين أهيف والي زبيد ، ولكنه فوجئ بهروبهم إلى العرمة قبل وصوله وتبعهم إلى هناك ، ويبدو أنه لم يجد أي مقاومة من قبلهم فقتل منهم جماعة<sup>(٥)</sup> ، وعندما لاحظ القرشيون ضعفهم أمام الطواشي وعسكره استعانوا بالأشراف الزيديين وهم في الكدراء ، لاسيما وأن الأشراف هم أعداء بني رسول التقليديين ، كما استعانوا بالعوارين<sup>(٦)</sup> في الجبال ، فوجدها الأشراف والعوارون فرصة للانضمام إلى القرشيين ؛ بسبب خلافهم الدائم مع سلاطين

(١) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٠٧ أ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٦٩ .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٦٦ .

(٣) العرمة : بلدة من القرشيين . ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٧٣ ، حاشية رقم (١) .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣٣ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٠٧ ب .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٧٢ .

(٦) العوارون : هم جماعة من الفناكين واللصوص والأوباش الذين يظهرون في أدوار الفوضى ويتسلحون بالحجارة والعصي

ويرمون بالحجارة فيعورون الناس وقد يقتلهم ونحو ذلك ، انظر : ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٥٣ ، حاشية رقم (٤) ؛

أبو طالب ، محمد نجيب ، الصراع الاجتماعي في دولة عباسية ، دار المعارف ، تونس ، د . ت ، ص ٢١٣ — ٢٣١ .



بني رسول ، وعند اكتمال جمعهم قرروا الاتجاه إلى زبيد ، في الوقت الذي كان فيه الطواشي أمين الدين مقيماً في القوز<sup>(٢)</sup> وكان يرسل عسكره لإخضاع المناطق البعيدة . وفي السابع عشر من رمضان من السنة المذكورة أمر عسكره بالاتجاه إلى وادي رمع ، وفي أثناء مسيرهم واجهوا تلك الأعداد الكبيرة من القرشيين وأحلافهم الأشراف والعواريين ، فأرسل مقدمهم إلى الطواشي يخبره بما هم فيه ويطلب منه النجدة ، والتقى الجمعان ودارت الحرب بينهم ووصل بقية عسكر السلطان إليهم ، مما أدى إلى هزيمة القرشيين ومن معهم هزيمة لم يتعرض لها القرشيون من قبل وقتل منهم ما يقارب من خمسين رجلاً كان أكثرهم من مشائخ العواريين ، بينما البقية من القرشيين والأشراف<sup>(٣)</sup> .

وفي هذا الصدد ، أخذ السلطان الأفضل في تتبع القرشيين بعد تلك الأحداث ، وأصدر أوامره في سنة ٧٧٢هـ إلى والي فحال الأمير فخر الدين أبي بكر بن المفضل الحرازي بالقبض على مشائخهم ، وأخذ في تدبير حيلة للإيقاع بهم لكنه فشل في إقناعهم بالوصول إليه ، ثم لجأ إلى استخدام الحل العسكري فأرسل قوة عسكرية بقيادة الأمير فخر الدين أبي بكر السنبللي إلى قرية القرشية ولقيه من فحال الأمير فخر الدين بن الحرازي ، وأمروا بجمع المشائخ حال دخولهم القرشية ، ولئى البعض الدعوة وتخلف البعض الآخر ، ولم يمهلهم ابن السنبللي حتى يكتمل جمعهم ، حيث قبض على من حضر منهم وكانوا ستة عشر رجلاً<sup>(٤)</sup> تم تقييدهم ونقلهم إلى السلطان في السادس عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وأمر السلطان بقتل الجميع فوسط منهم خمسة وسمر ثلاثة وشنق من بقي منهم ، ولم يكتف بذلك بل أباح للقبائل والعسكر نهب قرية القرشية وطرد أهلها عنها وأمر أن يسكنها قوماً آخرين ، فتشرد القرشيون وأصبحوا دون مأوى يسكنون إليه ، وجاء ذلك بنتائج عكسية ، حيث أن تشتت القرشيين في البلاد أدى إلى انضمامهم إلى القوى القبلية المناوئة لبني رسول وصاروا من أشد طوائف التمرد<sup>(٥)</sup> .

وعلى الرغم من ذلك فإن شتاتهم وتفرقهم أدى إلى ضعفهم ، وبالتالي عودتهم إلى الطاعة في عهد السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل بن عباس ، ويبدو أن السلطان قد سمح لهم بالعودة إلى قريتهم ، لذلك كان القرشيون وغيرهم من القبائل خير معينين للأمير بهاء الدين الشمسي في حربه مع الإمام صلاح الدين ، كما كانت قرية القرشية في جمادى

(٢) القوز : بلدة في ظاهر زبيد . ابن النديم ، قرعة العيون ، ص ٢٨٦ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٧٢ .

الآخرة سنة ٧٩١ هـ قاعدة عسكرية لقوات السلطان ، ومنها أخذ عسكر السلطان في محاربة الإمام حتى تم طرده <sup>(١)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد دخل القرشيون في صراع مع المعازبة في سنة ٧٩٦ هـ أدى إلى هزيمتهم ، مما جعلهم يتحالفون مع الأشاعر في ذي القعدة من السنة المذكورة ويحققون انتصارات متوالية على المعازبة، وأخذ السلطان الأشرف ينعم عليهم كلما حققوا انتصاراً <sup>(٢)</sup> . ولضرب القبائل المناوئة ببعضها وزع السلطان في القرشيين والأشاعر الخيول ، حتى وصل عددها إلى مئة رأس <sup>(٣)</sup> ، وهي سياسة أراد الأشرف من ورائها تحطيم قوة تلك القبائل .

ومن هنا نجد أن العلاقة بين القرشيين وبني رسول ظلت ودية إلى آخر عهد السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل ، إلى أن غزا القرشيون مدينة فحال ودمروها في ربيع الأول سنة ٨٤٢ هـ وقتلوا أميرها وجماعة من أهلها <sup>(٤)</sup> .

لقد كانت سياسة السلطان الأشرف ( الرابع ) إسماعيل بن يحيى الظاهر الدموية ، الذي تولى بعد وفاة والده سنة ٨٤٢ هـ سبباً في زيادة غضب القبائل بما فيهم القرشيون الذين قاموا في صفر سنة ٨٤٣ هـ بمهاجمة قرية الملاح <sup>(٥)</sup> ونهب القيسارية <sup>(٦)</sup> والحاق الدمار بها <sup>(٧)</sup> ، فحاربهم السلطان الأشرف في عدة مواقع منها يوم العنّيب ويوم الفص الذي قتل فيه من القرشيين والمعازبة ما يزيد على ستين رجلاً <sup>(٨)</sup> ، ويوم العرمة الذي كانت الدائرة فيه على عسكر السلطان ، وقتل الكثير منهم ، وتم ملاحقتهم من قبل القرشيين إلى قرية التحيّا <sup>(٩)</sup> ، وهناك قتل وأسر الكثير . وشهدت السنة نفسها معركة تعد من أشهر ما ذكر في تلك الفترة وهي وقعة المشياق بين القرشيين والسلطان الأشرف ، هزم فيها السلطان وقتل عدد كبير من عسكره ، ولم يسلم منهم إلا عدد يسير ،

ولكن السلطان تمكن من النجاة بنفسه بعد أن فقد كل شيء سوى دبوس <sup>(١)</sup> في يده ظل يقاتل به حتى نجا من الموت <sup>(٢)</sup> .

(١) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٩٩ - ١٠١ .

(٢) لخزرجي ، لعقد للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، ٢٦٦ .

(٣) لخزرجي ، لعقد لمسبوك ، ق ٢٤٧ ب ، ٢٤٨ ب .

(٤) ابن لديبع ، بغية المستفيد ، ص ١١٢ .

(٥) لملاح : قرية تقع بظاهر زبيد . الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٧٨ ب .

(٦) قيسارية : الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار . دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ١٢٦ .

(٧) لخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ٢٥٨ ب ؛ با مخزمة ، قلادة لنحر ، ج ٣ ، ق ١٥٣ أ - ب .

(٨) عن يوم العنّيب ويوم الفص انظر أعلاه : ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٩) لتحيّا : قرية من تهامة قرب زبيد . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(١) الدبوس : عصا من الخشب أو الحديد في رأسها شيء كالكرة . دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص ٧٣ .

وفي سنة ٨٤٦هـ استغل القرشيون فترة الصراع بين السلطان المظفر يوسف ( الثاني ) والملك المفضل أسد الدين محمد بن إسماعيل وتحالفوا مع الملك المفضل الذي لم يبخل عليهم بالمال والخيل والسلاح حتى قويت شوكتهم وأخذوا نخل وادي زبيد على أهله بقوة السلاح ، ونتيجة لظهور الفتنة بين القرشيين والمعاذبة وانتصار القرشيين بقي أمر النخل في أيدي القرشيين إلى ما بعد انتهاء الدولة الرسولية<sup>(٣)</sup> ، وفي الوقت نفسه أصبحت قرية القرشية مأوى للمتمردين أمثال بشتك الخاصكي<sup>(٤)</sup> . وظل القرشيون على عدائهم لبني رسول إلى أن أرسل السلطان المسعود الأمير زين جياش بن سليمان السنبلي لغزوهم ، واصطاح هذا الأمير مع المعاذبة ، وأخذ في التحرش بالقرشيين حتى غزاها في سنة ٨٤٩ هـ ، ونزل إلى النخل أيام حلوله هو والمعاذبة وجماعة من العبيد والعسكر ، مما أثار القرشيين فقاموا بمهاجمته في النخل في ربيع الآخر سنة ٨٥٠هـ ، وهزم الأمير وهرب من معه من العبيد والقواد وقتل العديد من قادة بني رسول في تلك المعركة المشهورة التي عرفت باسم عذيب جياش<sup>(٥)</sup> ، ولم تشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلى أي دور للقرشيين بعد هذا الانتصار الذي حققوه إلى أن انتهت دولة بني رسول .

### ٣ - بنو سليمان :

قبيلة من الأشاعر تقع مساكنهم ما بين شمير مقبنة وشرعب وحيس<sup>(٦)</sup> ، وهم من القبائل التي عانت منها دولة بني رسول ، خاصة في الفترة المتأخرة من عمرها ، وقد ظهر أول تمرد لهم في عهد السلطان الناصر ، ونتيجة لاشتداد عصيانهم خرج إليهم بنفسه في شوال سنة ٨١٢ هـ ، وتمكن من إخراجهم من بلدهم وسمح للعسكر بنهب أموالهم ودوابهم بعد أن شنتهم في البلاد ، ولهذا دخل بنو سليمان جميعاً تحت طاعته<sup>(٧)</sup> ، إلا أنهم عادوا إلى التمرد مرة أخرى في طرف منطقة وصاب ، وتكفل بمواجهتهم أحد مشائخ المنطقة ويسمى الشيخ الشعوم ، فتمكن من القبض على أربعين رجلاً منهم سار بهم جميعاً إلى السلطان الناصر وهو مقيم في النخل بوادي زبيد ، وصدر أمر السلطان بحجزهم في سجن زبيد . وهذا العمل من قبل السلطان أثار غضب بني سليمان الذين استغلوا فترة الفوضى التي أحدثتها بعض القبائل ضد بني رسول فانضموا إليهم في صفر سنة ٨١٣ هـ ، وبسبب

(٢) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٨ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٧٨ - ٥٧٩ .

(٣) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٢ ؛ بغية المستفيد ، ص ١١٥ .

(٤) عن تمرد لممالك بقيادة بشتك الخاصكي انظر أعلاه : ص ١٦٦ .

(٥) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ أ - ب ؛ ابن الديبع ، بغية المستفيد ، ص ١١٨ .

(٦) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤١٧ ، حاشية رقم (١) .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٥٧ .

خوفهم من السلطان الناصر نزحت كل القوى المتمردة بما فيها بنو سليمان إلى جبل قور<sup>(١)</sup> وتحصن الجميع هناك ، لذلك أرسل السلطان خلفهم عدداً من الأمراء والمقدمين الذين دخلوا إلى هناك وأخربوا ما وجدوه من القرى ، وتمكن جماعة من العسكر من اقتحام الجبل رغم وعورته ، ودارت معركة بينهم وبين من في الجبل الذين تمكنوا من قتل ثلاثة من العسكر ؛ هذا الأمر جعل السلطان الناصر يخرج إليهم بنفسه في ربيع الأول من السنة المذكورة ويحاصر بلاد بني سليمان<sup>(٢)</sup> الذين أرهقهم الحصار وأخذوا بالتفاوض مع السلطان الناصر الذي قبل عودتهم إلى طاعته بشرط تسليم رهائن ليضمن عدم عودتهم إلى الخلاف ، ولتأمين المنطقة بعث السلطان الناصر الأمير بدر الدين محمد بن بهاء الشمسي إلى المناطق المجاورة لبلاد بني سليمان ، وأخذ في إخضاع الحصون والمناطق القريبة من بلادهم<sup>(٣)</sup> ، وبهذا ضمن السلطان الناصر جهة بلاد بني سليمان ، حيث لم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

#### ٤ - بنو ثابت :

برز دور بني ثابت على المسرح السياسي من خلال وقوفهم إلى جانب الأمير فخر الدين ابن الحسن بن رسول أثنا معارضته لابن عمه السلطان المظفر يوسف ( الأول ) بن عمر في سنة ٦٤٧ هـ ، وظل بنو ثابت محاصرين لزييد إلى جانب المماليك المؤيدين للأمير فخر الدين إلى أن وصلهم خبر تحرك المظفر يوسف إليهم على رأس قوة قبلية عظيمة ، فسار وفد من بني ثابت إلى المظفر طالبين منه العفو والذمة والدخول تحت الطاعة ، وأخذ المظفر في تأنيبهم ومعاتبتهم وقبح موقفهم إلى جانب فخر الدين ، ويظهر من خلال حديث السلطان المظفر أن العلاقة بين والده المنصور نور الدين عمر وبين بني ثابت كانت ودية وطيبة ، حتى إنه كثيراً ما كان ينعم عليهم بالمال ، لهذا رفض المظفر العفو عنهم إلا بشرط أن يمنعوا فخر الدين من الهرب إلى صنعاء لالتجاء بأخيه الأمير أسد الدين ، فقبل بنو ثابت الشرط ، وتمكنوا من قطع الطريق على فخر الدين والقبض عليه وتقييده وإرساله إلى السلطان المظفر الذي عفا عنهم وشكر لهم صنيعهم هذا وأنم عليهم<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن بني ثابت ظلوا على ولائهم لبني رسول إلى عهد السلطان الأشرف (الثاني) إسماعيل بن العباس ، حيث كانت بلادهم من ضمن المناطق التي أخضعها السلطان الأشرف في سنة ٧٨٢ هـ<sup>(١)</sup> ، عندما قام بالسيطرة على أهم حصونها<sup>(٢)</sup> . ونتيجة لشدة تمرد قبائل

(١) قور : موضع في منطقة المعافر . لهدداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٤١ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٠ ، ١٦٢ .

(٤) ابن حاتم ، لمط لغلبي لثن ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(١) لخزرجي ، لعود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٧٠ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢١٩ ب .

الأشاعر في هذه الفترة سار السلطان بنفسه في شوال سنة ٧٨٣ هـ لإقرار الأوضاع في بلدهم ، وكانت بلاد بني ثابت من ضمن تلك البلاد التي استولى عليها ، إضافة إلى تسلمه بلاد الركب ، كما قصد حصن بني علي الذي يسمى حصن رأس<sup>(٣)</sup> ، لاتجاه قبائله إلى العصيان ، فقبضه بعد هروب أهله عنه لخوفهم من بطش السلطان ، فسيطر عليه الأشعر فوضع فيه حامية لتنظيم أمور المنطقة وحمايتها<sup>(٤)</sup> .

وفي شهر رجب سنة ٨٠٨ هـ ساءت العلاقة بين السلطان الناصر وبني ثابت ، وقام الناصر بمحاصرة بلدهم في السابع عشر من رجب ، وفي الثامن والعشرين من الشهر المذكور زحفت قوات السلطان من جميع الجهات على بلدهم ، ورغم مقاومة بني ثابت لهذه القوات إلا أنها تمكنت من دخول بلدهم بقوة السيف ، وأحكم السلطان قبضته على أهم حصونهم بعد أسر وقتل الكثير منهم ، كما نهب العسكر ما وجدوه هناك ، وللحفاظ على هذه الحصون وضع السلطان حامية تحت قيادة الأمير شجاع الدين عمر بن حسين الدمرداشي ، وكانت سياسة الأمير شجاع الدين الصائبة سبباً في عودة بني ثابت إلى طاعة السلطان الناصر في صفر سنة ٨٠٩ هـ ، لهذا رفع السلطان الناصر الحصار عن بلدهم بمجرد إعلان ولائهم له<sup>(٥)</sup> ، وبذلك هدأت الأمور وتحسنت العلاقة بين الجانبين ، ولم تشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلى أي دور لهذه القبيلة إلى انتهاء الدولة الرسولية .

## ثالثاً : قبائل مذحج :

### ١ - الجحافل والعجالم :

يعد الجحافل من أكثر قبائل اليمن تمرداً في عهد بني رسول بعد المعازبة والأشاعر والقرشيين في تهامة ، ويبدو أن سكن هذه القبيلة بالقرب من عدن سواء في لحج وأبين ووقوعها على خطوط التجارة ، بالإضافة إلى قربها من مسرح الأحداث التي شهدتها عدن هو الذي أدى إلى تمردها أو انضمامها إلى هذا الحاكم أو ذاك .

وقد ظهر أول تمرد لهذا القبيلة المذحجية في عهد السلطان المظفر يوسف ( الأول ) بن عمر ، حينما اشتد عصيانهم في دثينة وما جاورها ، فسار إليهم السلطان المظفر بنفسه سنة ٦٦٥ هـ ، ودخل بلدهم دثينة<sup>(١)</sup> وقتل جماعة منهم ، بينما سلم الباقون أنفسهم ونزلوا

(٢) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٨٤ .

(٣) حصن رأس : ويسمى اليوم جبل رأس وهو يشكل ناحية شرق جنوب زبيد ، ويعتبر بالإضافة إلى بلاد الركب وبلد بني ثابت

ضمن بلاد الأشاعر . ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٧٧ ، حاشية رقم ( ٢ ، ٣ ) .

(٤) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٢٠ أ - ب .

(٥) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٤٢ ، ١٤٥ .

(١) دثينة : صقع معروف شمال شرق مخلاف أبين ومركزها مودية . الأكوخ ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ١١٦ .

عن خيلهم مظهرين حسن طاعتهم ، ولمكانة هذه القبيلة ورهبتها في ذلك الحين عد انتصار المظفر عليهم شيئاً عظيماً تناقلته الألسن ، وأخذ الشعراء يمدحون السلطان ويهنئونه بما حققه من نصر على هذه القبائل التي لا تقهر<sup>(٢)</sup> .

وكذا اشتد عصيان العجالم<sup>(٣)</sup> وطغيانهم في عهد السلطان المظفر يوسف (الأول) في لحج ، وأخذوا في مهاجمة قرى لحج ونهبها ، وبلغت بهم الجرأة إلى قتل الفقهاء والصالحين هناك<sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ٦٩٤ هـ وقف الجحافل إلى جانب الملك المؤيد في أثناء صراعه مع أخيه السلطان الأشرف وسار المؤيد بهم إلى عدن ، وتمكن من الاستيلاء عليها وأزم على من فيها من عسكر السلطان والأهالي ، ثم تقدم إلى لحج وأبين واستولى عليهما ، وبدأ المؤيد بكسب تأييد الناس هناك مما أزعج السلطان الأشرف الذي جهز ولده الناصر على رأس قوة قوامها ثلاثمائة فارس ، ولم تتوقف حشود الأشرف التي كان يرسلها إلى ابنه الناصر حتى كثر الرجال والخيل مع الناصر ، بينما لم يكن مع المؤيد إلا عددًا من العسكر الذين وصل بهم من الشحر والجحافل الذين انضموا إليه عند وصوله إلى أبين ، وكان مقدمهم عمر بن سهل ، والتقى الجمعان في الدعيس<sup>(٥)</sup> ، وهناك دارت المعركة في محرم سنة ٦٩٥ هـ ، وهزم فيها المؤيد ونهبت محطته وخزائنه ، ويعود سبب تلك الهزيمة إلى خذلان الجحافل وهروبهم ، لاسيما وأنهم كانوا يشكلون معظم عسكره ، فقبض على المؤيد ثم قيد وأرسل به إلى حصن تعز<sup>(٦)</sup> .

والجدير بالذكر أنه بعد وفاة السلطان الأشرف في سنة ٦٩٦ هـ اتفق رجال الدولة على تولية أخيه المؤيد ، وكان من الأعمال التي قام بها عند توليه كرسي العرش أن أمر الأمير سيف الدين طغرل بن عبد الله المؤيد والي لحج بغزو الجحافل والعجالم ، نتيجة لاشتداد عصيانهم ، فأوقع بهم في جمادى الآخرة سنة ٧٠١ هـ وقتل منهم ما يقارب من أربعين رجلاً ، فكفوا عن التمرد ، وساعدت الظروف الأمير سيف الدين على مهاجمتهم مرة

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، ١٦٠ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٢١ أ .

(٣) العجالم : من آل أيوب من الجحافل أصحاب دثينة . الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٤٠ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

(٥) الدعيس : موضع بناحية أبين . بالمخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ٧٣ .

(٦) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٢١ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٩٩ - ١٠٠ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ،

ص ٢٨٤ - ٢٨٦ ، ٢٨٩ .

أخرى في الفترة نفسها في ناحية الدعيس وقتل منهم نحو سبعين رجلاً<sup>(١)</sup> ، وتادياً لهم أصدر السلطان أوامره بإيقاف الجوامك التي تصرف لهم من الخزانة السلطانية<sup>(٢)</sup> .

وأقام الأمير سيف الدين في لحج إلى أن فصله السلطان عنها في شهر صفر سنة ٧٠٢ هـ وأقطعها إلى الشريف عماد الدين إدريس بن علي في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وكان وصوله إليها في الوقت الذي بدأ فيه الجحافل يجمعون رجالهم للتمرد بعد فصل الأمير سيف الدين ، حيث حطت تلك الجموع في الصعيد<sup>(٣)</sup> ، إلا أنهم ارتفعوا عنها عند وصول الأمير عماد الدين إلى الدعيس ، وأمر العسكر بالهجوم عليهم فتمكنوا من إدراك جماعة منهم وقتلهم<sup>(٤)</sup> ، وخوفاً من الأمير عماد الدين أقام الجحافل في صهيب<sup>(٥)</sup> ومن هناك بدأوا يغيرون على الساحل وغيره من المناطق ، وانتشر الخوف والفرع بين الناس ، فقصدهم الأمير عماد الدين وتحالف مع مقطع أبين الأمير بدر الدين محمد بن الحسن بن نور ، ودخلوا هم ومن معهم من عسكر على الجحافل وبلغوا أماكن من بلادهم لم يبلغها أحد من أمراء بني رسول قبل ذلك . وبعد عودة الأمير عماد الدين أرسل عسكراً إلى الساحل لتأمينه وهناك ظفروا بأحد فرسان الجحافل وقتلوه ، كما تمكنوا من العثور على خمسة من العجالم فقتلهم<sup>(٦)</sup> .

وفي سنة ٧٠٣ هـ أعاد الجحافل تنظيم صفوفهم وجمعوا أربعين فارساً وألف ومائتين رجل لمهاجمة عسكر بني رسول ، وعلى الرغم من كثرة رجالهم إلا أن حنكة الشريف عماد الدين إدريس العسكرية والتنظيمية التي تفتقدها القبائل مكنته من حصد رؤوس الجحافل ، فقواته التي يملكها عند الاشتباك معهم لا تتعدى مائتي رجل وأربعين فارس ، لم يفقد منهم بعد انتهاء المعركة إلا رجلين فقط<sup>(٧)</sup> .

وقد أراد السلطان المؤيد تعديل سياسته مع الجحافل بهدف إعادتهم إلى طاعته من ناحية وكسب ودهم من ناحية أخرى ، فصدر أوامره في رمضان سنة ٧٠٥ هـ بإقطاع الأمير عماد الدين إدريس بن علي أبين لإقرار الأمور هناك وتنظيمها ، كما أمر في النصف

(١) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٢٧ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١١٠ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٨٠ .

(٢) يبدو أن السلطان المؤيد قام بصرف هذه المرتبات للجحافل عرفاناً بالجميل لوقوفهم إلى جانبه في أثناء صراعه مع أخيه لسلطان الأشرف . الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٥٤ ب .

(٣) الصَّعِيد : منطقة يطلق عليها صعيد لحج ومن أهم قرأها الدائرة . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

(٤) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٠ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٠٥ ب .

(٥) صُهَيْب : مقاطعة تقع في الجنوب الغربي من أبين . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٧٤ ، حاشية رقم (٣) .

(٦) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٠ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٥٣ أ .

من شوال باعادة الجوامك إلى الجحافل والتي قطعها عنهم منذ خمس سنوات لزرع الثقة به وتحسين العلاقة بينهم بدخولهم تحت طاعته (١) .

ويبدو أن ذلك كله تم بموجب اتفاقية صلح عقدت بين الجانبين ، وهناك إشارة إلى نقض الجحافل للصلح الذي بينهم وبين السلطان المؤيد في شوال سنة ٧٠٦ هـ ، وذلك عندما خالفوا أحد شروط الصلح وأغاروا على لحج فقتل منهم رجل من أشهر فرسانهم ، ثم هاجموا في المرة الثانية لخبه (٢) وقتل منهم أيضاً رجل أكثر شهرة من سابقه ، ولم يأت شهر ذي القعدة حتى تمكنوا من جمع عدد كبير من رجالهم وساروا بهم نحو لخبه مرة أخرى ولكنهم لم يبقوا هناك بل عادوا عن طريق الرعارع (٣) ، وعندما علم العسكر بتحركهم هذا أخذوا في متابعتهم وتمكنوا من إدراكهم ، وقد أخذ الإرهاق والتعب منهم نصيباً فهاجمهم عسكر السلطان بعد أن تفرقوا ، ونالوا منهم وقتلوا ما يقارب من أربعين رجلاً ، ووضعت هذه الواقعة حداً لتمرّد الجحافل وأجبرتهم على السكينة والهدوء (٤) ، وظلوا على ذلك إلى أن صدر مرسوم السلطان المؤيد في سنة ٧١٣ هـ إلى الشريف عماد الدين إدريس بالتوجه إلى بعض المناطق لإعادة إخضاعها وتأديبها ، فكانت بلاد الجحافل من ضمن تلك البلاد ، وأخذ الشريف عماد الدين يعدّ العدة ، وجهاز الجيوش والخيول ، وكانت صهييب أول المناطق التي دخلوها ، ومن ثم دخلوا بلاد الأساودة وأقاموا فيها ولم يخرجوا منها حتى قدموا الرهائن ، ثم وجهوا سيرهم صوب مقمح (٥) وهناك عاث العسكر خراباً بكل ما وجدوه بما فيه طعامهم ، وأمر الشريف بقهر الجحافل عن طريق إتلاف زرعهم وغيره من الأشياء التي قد يجدونها (٦) .

لقد كانت فترة الخلاف بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر عبد الله بن أيوب من أكثر الفترات التي استغلها الجحافل لإعلان خلافهم وعصيانهم ، وقد عانت لحج وأبين كثيراً من أفعالهم ، بسبب الفوضى التي عاشتها البلاد ، مع أن الجحافل كانوا من القوى المساندة والمؤيدة للسلطان المجاهد في بداية حكمه ، وظلوا على ذلك إلى سنة ٧٢٣ هـ ، حيث بدأ الخلاف يظهر بين السلطان المجاهد والأمير شجاع الدين عمر بن بالبال العلمي الدويدار أمير لحج ، لميل الأمير المذكور إلى الظاهر ، وكان موقف الجحافل إلى جانب الأمير المذكور ،

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ؛ المسجد لمسيوك ، ق ١٥٤ ب .

(٢) لخبّة : قرية كانت على طريق القوافل إلى عدن وهي قريبة من ساحل أبين وعلى بعد ( ٩ كيلومتر ) من عدن . ابن لمجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ؛ الثمري ، محمد كريم إبراهيم ، عدن دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية ( ٤٧٦ - ٦٢٦ هـ / ١٠٨٣ - ١٢٢٨ م ) ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ م ، ص ٦٣ ؛ شهاب ، حسن صالح ، عدن فرضة اليمن ، ط ٢ ، مركز لشريعي ، صنعاء ، ١٩٨٩ م ، ص ١٤٢ .

(٣) الرعارع : من قرى وادي لحج . بالمخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ٨٨ ؛ الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ٣١٦ .

(٤) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٣٧ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٧٢ ؛ المسجد لمسيوك ، ق ١٥٥ ب .

(٥) مقمح : بلد قرب صهييب . يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٩١ ، حاشية رقم ( ١ ) .

(٦) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٤٧ .



ويعود السبب في ذلك إلى أنه عندما اتجه الأمير شجاع الدين وبرفقتة عدد من الجحافل إلى السلطان المجاهد لم يقابلهم بما جرت به العادة ، وكان جافاً في تعامله معهم ، الأمر الذي أغضب الأمير شجاع الدين وأغضب الجحافل معه<sup>(١)</sup> .

ومن هنا بدأت العداوة بين الجحافل والمجاهد ، وكانوا من ضمن القوات التي دخلت مع ابن دويدار إلى عدن في شعبان من السنة المذكورة ، ووجدها الجحافل فرصة للقيام بأعمال السلب والنهب والتخريب ، ولم تسلم منهم بيوت العامة والخاصة من الناس<sup>(٢)</sup> .

وهكذا أصبحت عدن تحكم من قبل الظاهر ، وكان واليهارجل يسمى الأمير نجم الدين يوسف بن علي الصليحي ، ويبدو أن ابن الصليحي أحس بأن ابن الدويدار يريد الانفراد بحكم عدن والسيطرة عليها لنفسه ، فأغلق أبواب عدن في وجهه ، لذلك فرض ابن الدويدار الحصار على عدن في سنة ٧٢٥هـ إلى أن وقع الصلح بينهم بعد الحصار الشديد ، وكان أهم شروط الصلح أن يدخل ابن الدويدار عدن بجماعة من عقلاء القوم ، على أن يظل عسكره خارج أبواب عدن ، وكانت هذه مكيدة أراد بها ابن الصليحي فك الحصار عن عدن ، بالاتفاق مع الظاهر للقضاء على ابن الدويدار ، وفي داخل عدن تم قتل ابن الدويدار ، وهرب أخوه علي بن الدويدار عند وصول الخبر إليه وهو خارج باب عدن ، لذلك أرسل ابن الصليحي قوة تمكنت من أخذ لحج على ابن الدويدار للظاهر<sup>(٣)</sup> ، وأرسل ابن الدويدار إلى المجاهد يطلب العون منه فمده بقوة سار بها إلى الرعارع رغبة منه في الانتقام لأخيه ، فخرج لهم عسكر ابن الصليحي بقيادة ربيع ابن الصليحي وكان الجحافل من ضمن هؤلاء العسكر ، ويبدو أن موقفهم إلى جانب ابن الصليحي لم يكن صادقاً ، حيث أنه بمجرد اشتباك القوتين امتنع الجحافل عن المواصلات وانسحبوا ، فقاتل ابن الصليحي بمن معه من العسكر حتى هزموا ، ويؤكد خيانة الجحافل لهم من خلال موقفهم من ربيع ابن الصليحي الذي انسحب عندما شعر بالهزيمة ، فلقية جماعة من الجحافل وهو على فرسه الذي رفض النزول عنها فقاموا بقتله<sup>(٤)</sup> .

وفضلاً عن ذلك فقد خرج السلطان المجاهد في السنة المذكورة حتى بلغ لحج ، ثم تقدم إلى الرعارع ، وهناك جاءه علي بن الدويدار بمائتي فارس ومئة رجل ، مقدمين له فروض الطاعة والولاء فأذن السلطان عليه وعلى من معه ، كما أذن على الجحافل أنصار ابن الدويدار الذين استغلوا وجوده في الرعارع وقدموا إليه<sup>(٥)</sup> .

(١) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٦ ؛ بالمخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٨٦ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٥٩٦ .

لقد ظلت العلاقة بين الجحافل وبني رسول ودية فترة من الزمن وظل مشائخ الجحافل على صلة بالسلطين ، كما تشير المصادر التاريخية ، ففي سنة ٧٨٧ هـ قدم إلى السلطان الأشرف سلام الجحفي فقابل به بما يليق به وأنعم عليه<sup>(١)</sup> .

وفي سنة ٧٩٤ هـ حدث ما عكر صفو تلك العلاقة وذلك عندما سار الجحافل في شوال إلى لحج وأخذوا ينهبون ويسلبون ويخربون مستغلين علاقتهم بالسلطان الأشرف ، وكرروا تلك العملية في سنة ٧٩٦ هـ وقاموا بمهاجمة لحج ، ووصلت الجراة بأحد مشائخهم وهو الشيخ جعفر الجحفي في ذي القعدة إلى مهاجمة الزوايا<sup>(٢)</sup> والجل<sup>(٣)</sup> ونهبها ، وأخذ دواب الناس من بقر وإبل وغيرها ، ونهبت لحج نهباً عظيماً لم تشهد له مثيل ، ويبدو أن القاضي شجاع الدين العلوي والي لحج كان على صلة بالشيخ جعفر الجحفي ، وعندما لاحظ أعمال السلب والنهب التي قام بها هو وقومه الجحافل أغضبه ذلك فخرج إليه ليقاقله ، وتجنب الشيخ جعفر المواجهة وهرب هو ومن معه من الجحافل تفادياً لأي اشتباك<sup>(٤)</sup> .

وهكذا اشتد تمرد الجحافل في سنة ٧٩٧ هـ عندما قاموا في شوال بغزو قافلة في طريقها إلى عدن ، وأسرع إليهم الأمير بدر الدين محمد بن زياد على رأس قوة من العسكر السلطاني ، وتمكنوا من إلحاق بهم وقتل جماعة منهم واعتنام عدد من خيلهم<sup>(٥)</sup> . عادت العلاقة إلى التوتر بين الجحافل وبني رسول في عهد السلطان الناصر ، حيث أخذوا في التمادي بالتمرد في عدد من الأمور منها نهبهم وقف الزوايا ، فضلاً عن قطعهم الطريق ، فتوقفت الحركة التجارية الواردة إلى عدن خوفاً منهم ، وانتشر الخوف بين الناس وضائق أحوالهم في صفر سنة ٨٠٨ هـ ، في الوقت الذي كان الجحافل على أتم استعدادهم لأي رد فعل قد يقوم به بنو رسول ضدهم ، فأخذوا يعدون الخطط ويحكون المؤامرات تهيئة لأي جديد ، وبسبب ذلك خرج القاضي عفيف الدين بن العلوي وأخوه القاضي شجاع الدين إلى الجحافل على رأس قوة من العسكر ومجموعة من يافع وبتكليف من السلطان الناصر ، وفي أثناء سيرهم خرجت مكامن الجحافل التي كانوا قد أعدوها مسبقاً ، فقتل القاضي عفيف الدين وأخوه وعدد كبير من العسكر ومن يافع<sup>(٦)</sup> ، وخرج السلطان بنفسه إلى دثينة في ربيع الأول

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٨١ ؛ العسجد لمسيوك ، ق ٢٢٣ أ .

(٢) الزوايا : جمع زاوية وهي أربطة الصوفية وأماكن عبادتهم . مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٢٤ ، حاشية رقم (١٤٧) .

(٣) الجلل : جليل من جله وجلال : عظم ، وهي الأماكن المحترمة لمكانة الساكنين بها . الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ،

مادة جلل ؛ الباشا ، محمد خليل ، الكافي معجم عربي حديث ، ط ١ ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٣٨ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١١٤ ، ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ ؛ العسجد لمسيوك ، ق ٢٤٣ أ .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٤١ .

من السنة المذكورة ، وبرغم المقاومة العنيفة التي واجهها من قبائلها إلا أنه تمكن في الأخير من دخولها بقوة السيف ، وأمر بنهب أموال أهلها تأديباً لهم بعد قتل عدد منهم <sup>(١)</sup> .

ومما هو جدير بالذكر أن الجحافل عندما لاحظوا ضعفهم أمام قوة السلطان الناصر وعسكره ، أخذوا يبحثون لهم عن حليف ، وكان الإمام الزيدي المنصور علي بن صلاح بن المهدي هو حليفهم الجديد ، ويبدو أن اتفاقاً قد تم بين الإمام والشيخ جعفر الجحفلي على حرب بني رسول ، فأرسل الإمام مع الشيخ جعفر أحد قادته وعدد كبير من العسكر ، ونزلوا جميعهم إلى دثينة في رجب سنة ٨٠٨ هـ ولكنهم لم يجدوا أحداً هناك ، وفي شهر شعبان من السنة المذكورة جرت مواجهات بينهم وبين عسكر بني رسول هزم على إثرها جعفر الجحفلي وعسكر الإمام وخرجوا من دثينة مكسورين خائبين بعد أن قتل منهم الكثير ، لهذا سار الجحافل في رمضان إلى الأمير بهاء الدين الشمسي والي أبين طالبين منه التوجه معهم إلى السلطان ، فخرج بخمسين فارساً منهم إلى زييد للقاء السلطان الناصر <sup>(٢)</sup> .

وفي جمادى الأولى سنة ٨١٠ هـ تقدم الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكامل إلى دثينة بأمر من السلطان ، إلا أنه فوجيء بمهاجمة الجحافل له في جمادى الآخرة وقتل من أصحابه الكثير ، وكان ذلك اليوم من أعظم أيام دثينة ، لا سيما بعد أن انقلبت موازين المعركة لصالح الأمير بدر الدين الذي تمكن من قتل عدد كبير من الجحافل وغنم الكثير من خيلهم ، وعقب ذلك زادت الفجوة بين الجحافل وبني رسول وتعمدت الأمور بينهما ، فأرسل السلطان الناصر الطواشي جمال الدين مفتاح في شوال سنة ٨١٤ هـ إلى بلدهم ، ودخل أحور <sup>(٣)</sup> وخربها ونهب ما فيها من أموال ، كما قتل خمسين رجلاً منهم وقطع رؤوسهم وجرح الكثير منهم وتشتت الجحافل في البلاد بعد كسرهم ، وطاب خاطر السلطان عند وصول هذا الخبر إليه ، وأصدر أوامره أن تضرب الطبلخانة <sup>(٤)</sup> لمدة سبعة أيام تعبيراً عن فرحتهم <sup>(٥)</sup> .

وعلى إثر ذلك فقد سافر السلطان الناصر في زيارة إلى دثينة وعدن في محرم سنة ٨١٨ هـ ، واستغل بعض رجال الدولة هذه الزيارة لعقد صلح بينه وبين الشيخ جعفر الجحفلي الذي وصل إلى الباب الشريف في عدن فأحسن السلطان استقباله <sup>(٦)</sup> ، وكان ذلك

(١) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٤ ب ؛ ابن الديبع ، قرّة لعيون ، ص ٣٨٨ .

(٢) مجهول ، تاريخ لدولة الرسولية ، ص ١٤٣ .

(٣) أخور : مخلاف ساحلي واسع في منتهى الجزء الجنوبي من اليمن ويقع شرقي أبين . الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ،

ص ٣١٢ ؛ الأكوخ ، محمد بن علي ، اليمن الخضراء ، ص ٣٨ .

(٤) الطبلخانة : معناها بيت الطبل وتشتمل على الطبول والأبواق وتوليعها من الآلات ويشرف عليها أمير يعرف بأمر علم ويقف

عليها عند ضربها في كل ليلة ، كما يتولى أمرها في السفر . لقلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٣ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٦٤ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

بداية طيبة نحو العلاقات الودية بين بني رسول والجحافل ، حيث سار السلطان في سنة ٨٢٠ هـ إلى بلاد العجالم لتفقد أحوالهم ، ثم زار أبين ودثينة ، وقدم الشيخ جعفر الجحفلي إلى السلطان في رمضان سنة ٨٢١ هـ فأنعم عليه بالهدايا<sup>(١)</sup> ، وظلت العلاقة بينهم في تقدم مستمر إلى عهد السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل ، فحدث ما عكر صفو هذه العلاقة ، عندما قام الجحافل بقيادة جعفر الهيتمي بالاتجاه إلى لحج لنهبها بحجة أن لهم ثمن خيل لم تسلم لهم فأرادوا تسلمها بالقوة فنهبوا لحج لهذا السبب ، ولم يدم بقاؤهم في لحج طويلاً وارتفعوا عنها في الشهر المذكور<sup>(٢)</sup> .

ولم يقف الجحافل عند هذا الحد بل أخذوا يجمعون الرجال والخيل لمهاجمة أبين وما جاورها لهذا طلب الأمير سيف الدين برقوق من السلطان الظاهر المدد لصددهم عن ذلك ، وأرسل إليه السلطان في ربيع الأول سنة ٨٣٦ هـ مجموعة كبيرة من الخيل والفرسان من الترك وغيرهم ، إضافة إلى ما يقارب من ثلاثمائة رجل قياس<sup>(٣)</sup> وغيرهم<sup>(٤)</sup> ، الأمر الذي أربى الجحافل فعدلوا عن فكرتهم ولم ينفذوا ما اتفقوا عليه من مهاجمة أبين ونواحيها ، ويبدو أن تلك القوة ظلت في أبين ، خاصة وأنه لم تعد هناك إشارات لأي تمرد للجحافل والعجالم ، ولكن على العكس من ذلك فقد ترسخت العلاقة بينهم ، ففي شهر رمضان من السنة المذكورة وصل إلى الباب الشريف مشائخ العجالم ، وأبدى الجحافل استعدادهم وشاركوا مع الأمير سيف الدين برقوق في حرب مشائخ الحديد في ذي القعدة ، كما عقدوا صلحاً مع والي أبين الأمير إختيار الدين محسن في جمادى الآخرة سنة ٨٣٧ هـ<sup>(٥)</sup> .

وأمام سخاء السلطان الظاهر وكرمه أخذ مشائخ الجحافل والعجالم يتوافدون إليه ، ففي رمضان من سنة ٨٣٧ هـ قدم إلى السلطان الشيخ حيدرة بن مسعود الجحفلي إضافة إلى مجموعة من مشائخ الجحافل يتقدمهم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن إسحاق من الأعمال اللحجية ومعهم خزانة كبيرة من المال ، وقدم أيضاً في شوال إلى زبيد الشيخ الهجام الجحفلي ومعه جماعة من أصحابه الجحافل ، مما أسعد السلطان فقابلهم مقابلة تليق بهم وكساهم جميعاً وأنعم عليهم ، وقد عادوا إلى لحج وأبين في ذي القعدة فرحين بما وهبهم السلطان الظاهر من مال وكسوات<sup>(٦)</sup> .

(١) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٥ أ ؛ ابن النبيع ، قرة لعين ، ص ٣٨٩ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) يطلق على رماة السهام وحاملين السيف اسم رجال قيلس . مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ٢٥٥ ، حاشية رقم (٩٥) .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

وهكذا شاع كرم السلطان في بلاد الجحافل والعجالم وبدأت الوفود تتقدم إليه مظهرين له الطاعة والولاء آملين في جوده وكرمه ، فوصل إليه في شعبان سنة ٨٣٨ هـ الأمير إختيار الدين محسن الخازندار إلى الباب الشريف يتقدمه مشائخ الجحافل وبصحبتهم مئة وستون فارساً من الجحافل ومعهم خزانة جيدة من المال النقد والحرير وتحف ، وعشرون رأساً من الخيل هدية من الجحافل إلى السلطان الذي قابلهم بكل خير وتقدير وأنعم عليهم ، كما قدم إلى المهجم في السنة المذكورة الشيخ الهجام الجحفلي وبصحبتة أربعة رؤوس من الخيل الجيد أراد بها كسب ثقة السلطان ووده ، وكان السلطان في استقباله وأنعم عليه ، وعاد إلى بلاده هو والأمير إختيار الدين والسعادة تملأ قلوبهما بما وهبهم السلطان من ود ومال<sup>(١)</sup>. ومن الملاحظ أن سياسة مقطع لحج وأبين الأمير إختيار الدين الخازنداري كانت هي الناجحة مع الجحافل ، حيث اتبع معهم سياسة اللين والكرم ، لهذا اتقى بنو رسول شر الجحافل والعجالم طوال فترة ولايته . ومن هنا نصل إلى أن قبائل دثينة من القبائل التي كانت في حاجة إلى عناية واهتمام بني رسول ، إضافة إلى إكرامهم بالمال والهدايا ، ويبدو أن تلك السياسة هي التي أخضعت ترمذ الجحافل والعجالم إلى نهاية عصر هذه الدولة لعدم ذكر المصادر التي تم العودة إليها لأي تمرد لهم بعد ذلك .

## ٢ - عنس :

لقد كانت قبيلة عنس المذحجية من القبائل التي ارتبطت بعلاقة طيبة وودية مع السلطان المنصور نور الدين عمر ، لمصاهرة قديمة ربطت الأسرة الرسولية مع هذه القبيلة ، حيث يعتبر السلطان المنصور نور الدين عمر ابن عمه الشيخ شمس الدين علي بن يحيى العنسي وقيل غير ذلك<sup>(٢)</sup> . وعلى الرغم من محاولة هذا الشيخ إثارة الفتنة ضد المظفر يوسف (الأول) عند توليه السلطة لميله إلى أسد الدين بن الحسن وأخيه فخر الدين إلا أن المظفر أبقاها على ما هو عليه في عهد والده<sup>(٣)</sup> ، ويبدو أن المظفر أراد بهذا عدم إثارة قبائل عنس ضده في وقت هو في أمس الحاجة إلى التأييد القبلي ، ونتيجة لإصرار ابن العنسي على تأييد أسد الدين قام المظفر بالقبض عليه في سنة ٦٥٨ هـ وأودعه السجن إلى أن مات فيه<sup>(٤)</sup> . ولم تشر المصادر التاريخية التي بين أيدينا إلى أي تمرد قامت به قبائل عنس ضد بني رسول إلا في عهد السلطان الأفضل عباس بن علي المجاهد ، عندما قاموا بالسيطرة

(١) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٩٢ - ٢٩٤ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٧٢ ؛ الأهل ، تحفة الزمن ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٩١ - ٩٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٥ .

على حصن القاهرة وحصن بشار ، وتمكن السلطان الأفضل من دخول القاهرة في سنة ٧٧٠ هـ ، وقبض على من فيه من المشايخ العنسيين وكانوا نحو ثمانية عشر شيخاً ، وتأديباً لهم أمر الأفضل بقتلهم جميعاً<sup>(١)</sup> ليكونوا عبرة لغيرهم ، وفي رجب من السنة المذكورة قبض عسكره حصن بشار بمن فيه من العنسيين المتحصنين ، وهذا الأمر أضعف موقف عنس ، فتحركت قوات السلطان إلى بلدهم وقامت بإحراق قراها وقتل مشايخها وقبض خيلها<sup>(٢)</sup> ، مما أدى إلى خضوعهم أمام قوات السلطان الأفضل .

وفي سنة ٧٩٤ هـ أصبحت بلد عنس مسرح صراع بين الإمامة الزيدية والعنسيين ، فانشغلوا بذلك الصراع مع الزيدية<sup>(٣)</sup> ، ويبدو أن علاقتهم ظلت ودية بيني رسول إلى أن أظهروا الخلاف في عهد السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل ، حيث غزوا أكمة العنز<sup>(٤)</sup> في محرم سنة ٨٢٠ هـ في محاولة للسيطرة عليها ، وحدثت المواجهة بينهم وبين المرتبين فيها ، ونتج عن تلك المعركة هزيمة العنسيين وقتل جماعة منهم وقطعت رؤوسهم وأرسل بها إلى السلطان الناصر ، وفي الفترة نفسها خرجت جماعة أخرى من عنس وحطوا على جبل نامة<sup>(٥)</sup> ، فأرسل إليهم السلطان الناصر الأمير بدر الدين محمد بن زيادة الكاملي ، وهاجم محطتهم وتمكن من كسر شوكتهم ، وقتل منهم الكثير ووقع في الأسر ما يقارب من ثمانين رجل ، وأرسل بالأسرى ورؤوس القتلى إلى الباب الشريف ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك<sup>(٦)</sup> ، لا سيما وأن المصادر لم تشر إلى أي دور لهم حتى نهاية دولة بني رسول .

## رابعاً : قبائل حمير :

### ١ - الأشعوب :

يُعد الأشعوب من القبائل الحميرية التي كان لها دورٌ كبيرٌ في عدم استقرار الأوضاع السياسية في عهد بني رسول<sup>(٧)</sup> ، فقد استغلوا فترة الفوضى التي تعيشها البلاد بسبب الصراع بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر وانظموا إلى السلطان المجاهد ، مع ميلهم إلى ابن عمه الظاهر عبد الله بن أيوب ، فكان الأشعوب هم دليل قوات المجاهد التي أرسلها إلى ابن

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٣٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٠٩ أ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٧٠ .

(٣) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ - ٥٤١ .

(٤) أكمة العنز : معشار بعزلة الثوابي . البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٢٩ .

(٥) نامة : بلدة في خولان بن عامر بصعدة . لمقهي ، معجم ، ج ٢ ، ص ١٧١٣ .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٨٣ - ١٨٥ .

(٧) يصف ابن المجاور الأشعوب بلهم عصاة طغاة . تاريخ المستبصر ، ج ١ ، ص ٦٢ .

عمه الظاهر في الدملوة في سنة ٧٢٢ هـ<sup>(٨)</sup> ، ونلاحظ عدم نصح الأشعوب لقوات السلطان المجاهد ، خاصةً وأنهم قد سلخوا بهم طريقاً استغرق منهم مسير ما يقارب من شهرين ، وأدى ذلك إلى هزيمتهم ؛ بسبب الإرهاق الشديد الذي تعرضوا له في الطريق .

ويظهر عدم إخلاص الأشعوب للسلطان المجاهد في صفر سنة ٧٢٩ هـ — عندما دخلوا إلى منصورة الدملوة بمساعدة بعض من أهلها ، وقاموا بأعمال السلب والنهب لبيوت أهل المنصورة الذين لم يؤيدوهم على ذلك العصيان ، في الوقت الذي أرسلوا إلى الظاهر يخبرونه بأنهم فرضوا سيطرتهم على المنصورة ويطلبون منه الدعم بالمال والرجال ، ونتيجة لخوف الظاهر من رد فعل المجاهد استنكر أعمال الأشعوب هذه ، ورد عليهم أن لا مال له ولا رجال ليدعمهم به<sup>(١)</sup> ، مما أثار الأشعوب وزاد من عصيانهم وتمردهم ، وهاجموا بيوت المنصورة وأخربوها ، فغضب السلطان المجاهد عند وصول هذا الخبر إليه ، لذلك أرسل إليهم الطواشي صفي الدين جوهر الظفاري على رأس قوة مكونة من مئة وثلاثين فارس ، فهرب الأشعوب من المنصورة عند سماعهم بمسيره هذه القوة التي دخلت المنصورة وأحكمت قبضتها عليها<sup>(٢)</sup>.

وفضلاً عن ذلك فقد أخذ السلطان المجاهد يتحين الفرصة المناسبة لتأديبهم ، فوجدها في منتصف شهر ذي الحجة من السنة المذكورة ، حيث قام بمهاجمتهم ، ويبدو أنهم كانوا على أتم الاستعداد لمواجهته ، فاشتد القتال بين عسكر السلطان وبينهم واستمر ذلك أياماً وكانت الدائرة على عسكر السلطان ، حيث قتل جماعة منهم بما فيهم أهم قادته وهو الحسام ابن طاهر<sup>(٣)</sup> . وتكريماً لهذا الرجل قام السلطان المجاهد بتولية حصن السامع لابنه طاهر بن الحسام طاهر الذي سارع إلى الانتقام من الأشعوب قتل أبيه ، فغزاهم وقتل عدداً كبيراً منهم<sup>(٤)</sup> ، ومن المؤكد أن ذلك قد تم بتأييد السلطان المجاهد ودعمه.

وفي شهر رمضان سنة ٧٥٢ هـ عاد الأشعوب إلى التمرد مرة أخرى مستغلين غياب السلطان المجاهد في مصر ، فسيطروا على حصن سامع وقتلوا من حاميته خمسة عشر رجلاً بالإضافة إلى عبيد للطواشي نظام الدين البياض والي الحصن ، كما هاجموا جباً وقاموا بنهبها ، ودعت الحاجة هنا إلى تدخل الدولة ، فأرسل السلطان المجاهد بعد عودته من

(٨) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٣ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦.

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥١ — ٥٢ .

(٢) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٨٤ أ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦١٦ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥٥ .

مصر قوة من العسكر لقتالهم ، وتمكنوا من قهر الأشعوب وتشيت شملهم<sup>(٥)</sup> ، وإسكات صوتهم إلى أن انتهت الدولة الرسولية .

## ٢ - بنو سيف :

كانت بلد بني سيف من المناطق التي أخضعت قبل قيام دولة بني رسول من قبل الملك المسعود بن الكامل الأيوبي سنة ٦٢٤ هـ ، وقد أحكم قبضته عليها وأقر الأوضاع فيها<sup>(١)</sup> ، ويبدو أن بلاد بني سيف ظلت خاضعة لحكم سلاطين بني رسول فيما بعد إلى عهد السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل بن العباس ، حيث خالفوا في شهر شعبان سنة ٧٩٤ هـ ، فأصدر السلطان أوامره إلى قاداته للاتجاه إلى بلاد بني سيف ، فخرجوا على رأس قوة عظيمة من العسكر والخيل واشتبكوا معهم وقتلوا الكثير من بني سيف ، وأخربوا بلدهم ثم قاموا بإحراقها تأديباً لهم على ما فعلوه<sup>(٢)</sup> .

ومع ذلك ، فقد تمرد بنو سيف مرة أخرى في سنة ٧٩٦ هـ فخرج إليهم الأمير بدر الدين محمد بن زياد الكامل ، وغزا بلادهم وقتل منهم شيخاً كبير القدر يقال له الصنديد ، فتاروا لذلك الأمر وجمعوا رجالهم في محاولة للظفر بالأمير بدر الدين فلم يستطيعوا ذلك<sup>(٣)</sup> . لقد كان من أول الأمور التي قام بها السلطان الناصر عند توليه العرش في سنة ٨٠٣ هـ أن توجه إلى بني سيف في جمادى الأولى لشدة تمردهم وتماديهم في ذلك ، فقتل جمعاً منهم وأسر عدداً من أعيانهم ومشائخهم<sup>(٤)</sup> ، وفي آخر محرم سنة ٨١٠ هـ سار السلطان الناصر إليهم وأباح للعسكر نهب بلادهم وأمر بضرب عنق شيخهم ، فكسروا ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك إلى أن زارهم السلطان الظاهر في شهر جمادى الأولى سنة ٨٣٣ هـ ، ودخل واديهم المعروف بوادي بني سيف ، وارتاب من تصرفات بعض مشائخهم ، فأخذ الظاهر في خاطره وأمر بضرب رأسي رجلين منهم بعد أن ثبت له عصيانهم وتضرر الناس منهم لقطعهم الطريق ، ودخل الخوف إلى قلوب بني سيف ، وظلوا على هدوئهم إلى أن دخلوا تحت طاعة الظاهر في صفر سنة ٨٣٧ هـ ، وسلموا الرهائن لإثبات حسن النية ، فعفا عنهم الظاهر<sup>(٥)</sup> ، وبقي بنو سيف على ولائهم لبني رسول خلال الفترة المتبقية من عمر هذه الدولة .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٩ .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١١٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٤) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٤ ب ؛ ابن الدبيع ، قرعة لعيون ، ص ٣٨٧ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٠١ .

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٤٨ ، ٢٢١ ، ٢٧٢ - ٢٧٣ .



### ٣ - يافع :

لم تشر المصادر التاريخية إلى أي دور لقبائل يافع في بداية قيام الدولة الرسولية ، وقد برز دورهم بشكل واضح في أثناء الأزمة التي ظهرت بين السلطان المجاهد وابن عمه الظاهر ، وذلك عندما خالف الأمير شجاع الدين عمر بن بالبال العلمي الدويدار غلام الظاهر على السلطان المجاهد في لحج وأبين ، وسار إلى عدن في شهر شعبان سنة ٧٢٣ هـ ، وفرض الحصار عليها مدة عشرين يوماً ، وفي الأخير تمكن من دخولها والسيطرة عليها بمساعدة جنود من يافع وضعهم السلطان لحماية المدينة وحصونها ، وخطب فيها للظاهر بدلاً من المجاهد<sup>(١)</sup> ، وكانت تلك الخيانة من يافع سبباً في نهب المدينة وخرابها<sup>(٢)</sup> .

وأخذ السلطان المجاهد في إجراء محاولاته لإعادة السيطرة على عدن سنة ٧٢٨ هـ ، حيث سار إليها وأقام في الأخبة ، وكان عسكر عدن الموالي للظاهر يخرجون لقتال السلطان المجاهد ، واستمرت الحرب سجلاً بينهم إلى آخر صفر من السنة المذكورة ، وفي الوقت نفسه خرج جماعة من رتبة عدن من يافع للقاء المجاهد والاتفاق معه على دخول عدن ، واصطحبوا معهم جماعة من شفاليت المجاهد وصعدوا بهم من جهة جبل التعكر ليلاً<sup>(٣)</sup> . وفي ٢٣ صفر زحف المجاهد على عدن وخرج أهلها لحربه على عاداتهم ، وظهر العسكر الذين صعدوا مع رجال يافع التعكر من فوقهم وصاحوا باسم المجاهد ، فانشغلت عساكر عدن بهم وتركوا الباب مفتوحاً ودخل الملك المفضل بن المجاهد إليها وتبعه السلطان ليلاً<sup>(٤)</sup> ، ويبدو أن ازدواجية ولاء يافع لكل من المجاهد والظاهر قد كان للمال دوراً كبيراً فيه ، فنزولهم واتفاقهم مع المجاهد دون أي سبب قد يكون محاولة منهم للحصول على بعض المال من السلطان ، كما أن اتفاقهم السابق مع ابن الدويدار غلام الظاهر كان للغرض نفسه .

وقد لعبت قبائل يافع دوراً كبيراً في عهد السلطان الناصر سنة ٨٠٨ هـ حيث كانوا من ضمن القبائل المؤيدة له ، وساروا مع قواته التي أرسلها لإخضاع بعض القبائل المتمردة ، ويعدون من أوائل القوات التي انضمت إلى عسكر الناصر التي سار بها لحرب الجحافل ، وقد خسرت هذه القبيلة عدداً كبيراً من رجالها ، عندما انبعثت عليهم مكامن الجحافل في أثناء

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٣ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأملاني ، ج ١ ، ص ٤٩٩ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٦١ ، ٥٧٨ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١٣٧ .

(٣) التّعكر : جبل وحصن يشرف على باب عدن . محيرز ، العقبة ، ص ٣٥ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٤٧ - ٤٨ ؛ العبدلي ، هدية الزمن ، ص ٨٣ .

سيرهم إليهم ، كما برزت بعض الشخصيات من هذه القبيلة ، كالنقيب مسعود اليافعي الذي عمل في خدمة السلطان الناصر هو وجماعة من أصحابه<sup>(٥)</sup> .

إلا أن بعض قبائل لحج أظهرت الخلاف ضد السلطان في سنة ٨١٢ هـ ، مثل الشعاف<sup>(٦)</sup> الذين تمردوا على الناصر ، فسار إليهم في رمضان وقتل الكثير منهم ، كما أسر عدداً آخر ، وأخذ خيلهم وشردهم عن بلادهم بعد أن تسلمها<sup>(٧)</sup> . ولتجنب أي تمرد من قبائل يافع أرسل الناصر الطواشي نظام الدين خضير إلى بلادهم في رمضان سنة ٨١٨ هـ ، فقبض حصونهم ولم يأت شهر شوال إلا وقد أخضعت بلادهم كلها للسلطان الناصر<sup>(٨)</sup> .

وفي ذي القعدة سنة ٨٢١ هـ غدرت قبيلة يافع بالقاضي شهاب الدين العلوي والأمير فخر الدين أبي بكر السنبل ، وقبضوا عليهم وقتلوا جماعة من أصحابهم في أثناء وجودهم في بلادهم ، لهذا أقطع السلطان بلد يافع إلى القاضي شرف الدين حسين بن علي الخراج ، ولكن رجال قبيلة يافع المقيمين في عدن خالفوا على الوالي ، وحدث القتال بينهم وبين عسكره حيث قتل جماعة منهم ، فغضب السلطان الناصر وأرسل الأمير نظام الدين خضير لينظر في أمرهم ويعيد الأوضاع إلى طبيعتها<sup>(٩)</sup> .

وقد زاد عصيان قبائل يافع في عهد السلطان المسعود صلاح الدين بن الأشرف بعدما أصبحوا هم المتحكمون في أمور عدن ، فنشروا الفوضى والاضطراب فيها نتيجة للصراع الذي قام بين فرعين من هذه القبيلة أحدهم يعرف بـ : آل أحمد والآخر آل كلد ، فكان آل أحمد يحرسون أسوار المدينة وحصونها على الجبال ، بينما آل كلد وهم الأكثر عدداً يقومون بدور الشرطة في المدينة على المتاجر والأسواق والشوارع ، وجميعهم يعملون بتكليف من السلطان المسعود ، ويتمكن هاتين القبيلتين وقوة نفوذهما ضعفت هيبة الملك المسعود وسلبت السلطة من تحت يده ، وأصبح لا كلمة له ولا طاعة ، وكل ما يثبت ملكه هي السكة والخطبة فقط<sup>(١٠)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد زاد التنافس بين القبيلتين ، مما أدى إلى قيام الحرب بينهما في الشوارع ، ففقدت المدينة أمنها عندما أخذوا في ابتزاز أهلها وتجارها إلا من دخل في حماية إحدى هاتين القبيلتين ، لذلك فقد المسعود السيطرة عليهم وعجز عن ضبطهم ، كما فشل في الصلح بينهما ، ووصلت سخرية رجال يافع بالمسعود أن رماه أحدهم بحجر شج بها رأسه

(٥) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٤١ ، ١٤٨ .

(٦) الشعاف : من قبائل لحج وعدن ( ويبدو أنهم من يافع ) . مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٥٧ ، حاشية رقم (٤٤) .

(٧) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٥٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ - ١٩٠ ، ١٩٧ .

(١٠) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٧ أ .

بعدما حاول يوماً منع شجار بينهم ، بل أنهم قتلوا أحد رجاله ودفنوه مقلوباً على رأسه كنوع من الاستفزاز له . وعندما رأى المسعود عصيانهم له قرر التنازل عن الملك ، خاصة وأن بني طاهر كانوا محاصرين لعدن وخاف أن تسلمه قبائل يافع للطاهريين ، فخلع نفسه وغادر عدن إلى العارة<sup>(٥)</sup> ، ثم إلى الهقرة<sup>(٦)</sup> في جمادى الآخرة سنة ٨٥٨ هـ ، واستجار عند أحد مشائخها هناك ، وعند وصول هذا الخبر إلى المؤيد حسين بن الظاهر وهو في زبيد سار إلى عدن طامعاً في ملكها ، في الوقت الذي تفاقم فيها الأمر وسقطت هيبة بني رسول . وبتنازل المسعود زادت الأمور توتراً في عدن بالنسبة لموقف آل أحمد الذين كانوا أقرب إلى المسعود من آل كلد ، وخافوا على أنفسهم من غدر آل كلد خاصة بوجود المؤيد<sup>(٧)</sup> ، فأرسلوا وفداً منهم للتفاوض مع مشائخ بني طاهر لمساعدتهم على الدخول إلى عدن بشروط وضعوها أهمها : دفع مال معين لهم مقابل مساعدتهم ، وأن يبقى بني طاهر آل أحمد على نقابتهم لعدن ، وأن يطرد آل كلد من عدن ، فوافق بنو طاهر على تلك الشروط ، ونزل آل أحمد إلى عدن ثم تبعهم مشائخ بني طاهر على رأس جيش عظيم وحطوا في المباءة<sup>(٨)</sup> ، ووقف الشيخان عامر وعبد الوهاب وعدد من جنودهم تحت سفح التلحرج خارج المدينة على يمين باب عدن ، وبدأ آل أحمد بتنفيذ الخطة المتفق عليها ، فأدلو بالحبال وتسلق الشيخان وجندهما إلى القمة مساءً ، وباتوا في حصن التلحرج ، وفي الصباح ضربت الطبول بعد أن فتح باب عدن ودخل الجيش ، وعند سماع آل كلد ذلك دخل الرعب إلى قلوبهم وأيقنوا أنها النهاية وخرجوا من بيوتهم واختبأوا في الحوط والمساجد والمقابر ، وباستقرار الأمور في عدن لمشاخ بني طاهرناد مناد في المدينة بالأمان لكافة الناس ، إلا آل كلد فلهم مهلة ثلاثة أيام للخروج من عدن ، ومن وجد منهم بعدها قدمه هدر ، فتشتت آل كلد في الأرض فممنهم من هرب إلى زيلع وإلى بربرة وإلى غيرها من البلاد ، وخرج أغلبهم إلى الشحر ، ومن بقي منهم تم تقييده<sup>(٩)</sup> .

ونصل في الأخير إلى أن التحالفات القبلية التي تعرضت لها دولة بني رسول من قبائل يافع آل أحمد وبني طاهر أدت إلى سقوط هذه الدولة وزوال ملكها في رجب سنة ٨٥٨ هـ .

#### ٤- بنو طاهر :

(٥) العارة : قرية على ساحل البحر بين عدن وموزع . لشرجي ، طبقات الخواص ، ص ٢٤ .

(٦) الهقرة : بلدة تقع في جنوب موزع . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٩٨ ، حاشية رقم (١) .

(٧) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٧ أ .

(٨) المباءة : قرية صغيرة تحت عدن . ابن المجاور ، تاريخ المستبصر ، ج ١ ، ص ١٤٨ .

(٩) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٧ أ - ب .

عمل بنو طاهر في بداية أمرهم نواباً لبني رسول في منطقة رداع ، ونتيجة لأهمية هذه المنطقة التي كانت تعد خط الدفاع الأمامي ضد التوسع الزيدي لجنوب دمار<sup>(٤)</sup> برزت أهمية هذه الأسرة ، وذلك في بداية عهد السلطان الناصر عندما سار الإمام علي بن صلاح الدين إلى رداع في سنة ٨٠٣هـ . بهدف إخضاع المناطق التابعة لبني رسول ، وطلب من والي بني رسول عليها الشيخ علي بن طاهر بن عامر إحدى القلاع المهمة هناك ، وبسبب ضعف حامية بني رسول هناك تنازل الشيخ علي عن هذه القلعة على كره منه مقابل تسليمه مبلغ من المال وفرساً جواداً أهدي له من الإمام ، وقد استغل مشائخ بني طاهر عودة الإمام إلى دمار وأعلنوا الخلاف ، مما أثار الإمام الذي عاود المسير إلى رداع ، وقام بمهاجمة بلادهم وإخرباها ، وأخذ بنو طاهر يتوافدون عليه معتذرين عما بدر منهم حتى قبل عذرهم<sup>(١)</sup> .

وقد ارتبط السلطان الناصر بعلاقات طيبة مع الشيخ معوضة بن تاج الدين جد بني طاهر ، فسافر إليه في شوال سنة ٨٠٩هـ ، كما سار إليه سيد الوزراء شهاب الدين أحمد ابن عمر بن معيب في العاشر من شوال ، ويبدو أنه قد ظهر من الشيخ معوضة ما يمس بني رسول في أثناء وجود الوزير ، فقام بقتل جماعة من أصحاب الشيخ معوضة ، وأمر بإخرب بلاده وتهديم أهم المواقع فيها من حصون وغيرها<sup>(٢)</sup> .

ومما لاشك فيه أن بني طاهر ظلوا على ولائهم لبني رسول رغم ما حدث ، كما ظلوا عائناً أمام محاولات الزحف الزيدي على أراضي بني رسول ، واستمرت جهود الشيخ معوضة الرامية إلى صد الهجمات التي قام بها الإمام الزيدي في ذي القعدة سنة ٨١١هـ<sup>(٣)</sup> إلى أن وافته المنية في جمادى الآخرة سنة ٨١٢هـ<sup>(٤)</sup> ، وظل أبناءه من بعده على اتصال دائم ببني رسول ، واستمرت علاقات التعاون فيما بينهم كما كانت ، وهناك إشارة إلى قدوم الشيخ طاهر بن معوضة إلى الباب الشريف في جمادى الآخرة سنة ٨١٧هـ ، فقابلته السلطان مقابلة تليق به وأنعم عليه وعلى من رافقه ، وزادت ثقة السلطان بهم حتى أنهم أصبحوا أمناء لسلطين بني رسول على مناطقهم<sup>(٥)</sup> ، وقد عاود الشيخ طاهر بن معوضة الزيارة مرة أخرى في محرم سنة ٨١٨هـ ، وخرج لاستقباله الملك المنصور عبدالله بن السلطان الناصر وبعض أمراء بني رسول ، وأصدر السلطان الناصر أوامره إلى جميع الأمراء والعسكر بالتحرك لاستقباله ،

(٤) محمد عبد لعل ، بنو رسول وبني طاهر ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ؛ الحداد ، التاريخ العام لليمن ، ج ٣ ، ص ٢١٥ .

(١) يحيى بن الحسين ، غية الأملاني ، ج ٢ ، ص ٥٥٨ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٤ .

(٤) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٥ أ ؛ ابن النبيع ، قرعة العيون ، ص ٣٨٩ ؛ لكهسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٥ .

(٥) بامخرمه ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٤٦ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غية الأملاني ، ج ٢ ، ص ٥٦٣ - ٥٦٤ .

وعمل له استقبالاً حافلاً كبيراً بالسلاح والآلات الموسيقية ، وسار الجميع إلى أن دخلوا على السلطان الذي أحسن استقباله وأكرمه غاية الإكرام<sup>(٦)</sup> ، وعند عودته أمر الناصر أن ييني للشيخ طاهر داراً في المقرانة<sup>(٧)</sup>، أطلق عليها دار النعيم<sup>(٨)</sup>. ونصل هنا إلى حقيقة مفادها أن بني طاهر كسبوا ثقة الناصر، فاعتمد عليهم في إقرار الأوضاع بمخلاف رداع ، وأصبحت مهمتهم الأساسية هناك هي صد هجمات القوات الزيدية المتكررة على جنوبي نمار .

وفي سنة ٨٢٠هـ قام الإمام علي بن صلاح بمهاجمة بلاد بني طاهر في المقرانة ، وأخضع مواضع في أطرافها ، وأرسل بنو طاهر إلى السلطان الناصر يطلبون منه العون عندما شعروا بعجزهم عن مقاومة الإمام ، وأسرع الناصر إليهم على رأس جيش قوي تمكن به من هزيمة عسكر الإمام وقتل عدد كبير منهم ، وانسحب الإمام عائداً إلى صنعاء وطارده السلطان ، وعندما اطمأن إلى طرده عاد إلى المقرانة<sup>(٩)</sup> .

وقد تكررت محاولات الإمام على بلاد بني طاهر، وظلت حامية الناصر مقيمة بها ، وظل الدعم مستمر لتقوية هذه الحامية التي دخلت في معارك عديدة مع الإمام وعسكره وأمرائه ، ونجم عن تلك المعارك فقدان السلطان لبعض أمرائه ، وقتل عدد كبير من عسكر الإمام وهزيمتهم ، وتعد الفترة من سنة ٨٢٠هـ إلى سنة ٨٢٥هـ من الفترات التي لم تستقر بها بلاد بني طاهر، لاسيما وأنها أصبحت ميدان معارك بين قوات الإمام وعسكر السلطان<sup>(١٠)</sup> . ولهذا السبب فقد توطدت العلاقات بين بني رسول وبني طاهر في عهد السلطان الظاهر واستمرت السفارات بينهما ، في الوقت الذي ظل الإمام الزيدي مصدر قلق لكثرة غزوه لمنطقته ، وكان رد الفعل من قبل الظاهر هو تجهيز سيد الوزراء جمال الدين محمد بن أبي بكر بن إسحاق على رأس قوة كبيرة إلى بلاد بني طاهر في ذي الحجة سنة ٨٣١هـ ، وتمكن من كسر شوكة الإمام وقواته بعد أن قتل عدد من عسكره بما فيهم أكبر قادته الشيخ يحيى بن أحمد صاحب دمت<sup>(١١)</sup> في سنة ٨٣٢هـ والذي بقتله اضطربت أحوال الإمام ولم تستقر ، لهذا عاد إلى صنعاء مكسوراً لقتله<sup>(١٢)</sup> .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٧٤ .

(٧) المقرانة : حصن وبلد في عزلة حجاج من ناحية جبن وأعمال رداع . الأكوع ، إسماعيل بن علي ، البلدان اليمنية ، ص ٢٧٢ .

(٨) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٦٤ .

(٩) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٥ أ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٨٩ ؛ بلخرمه ، قلادة النحر ، ق ١٤٦ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٦٤ .

(١٠) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٨٣ — ١٨٤ ، ١٨٨ ، ٢٠٢ .

(١١) دمت : جبل يقع في عزلة الأهوش من لكلاخ . الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، حاشية رقم (٢) .

(١٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢١٢ .

وفضلاً عن ذلك ، فقد شجع هذا الانتصار الشيخ طاهر على مهاجمة حصون الإمام وإخضاعها لبني رسول ، وكان أهم تلك الحصون حصن يتحكم على بلاد الأعشور<sup>(٥)</sup>، خاصة وأن الشيخ طاهر قد سئم من الحصول عليه حتى حانت له هذه الفرصة في سنة ٨٣٣ هـ ، وقد سر السلطان الظاهر بهذه الخبر<sup>(٦)</sup> ، فحظي الشيخ علي بن طاهر باستقبال كبير وبهيج عند قدومه إلى باب السلطان في تعز سنة ٨٣٥ هـ تقديراً لوالده الشيخ طاهر ، وزاد في قوة الروابط بين الأسرتين زواج الظاهر من ابنة الشيخ طاهر بن معوضة في سنة ٨٣٦ هـ<sup>(٧)</sup> ، ويبدو أن هذه الزواج من أهم العوامل التي ساعدت بني طاهر على ترسيخ وجودهم وتوسيع نفوذهم في اليمن .

وقد ظهر أول تمرد لبني طاهر في سنة ٨٤٠ هـ عندما خالف أحد أبناء عامر بن طاهر في المقرنة ، وأحكم قبضته على حصنها وساعده على ذلك جماعة من المرتبين في الحصن ، ولم يكتفوا بهذا بل أخذوا في إظهار العصيان في المنطقة واشتد خطرهم ، مما أغضب السلطان الظاهر و الشيخ علي بن طاهر الذي دخل في صراع مع ابن أخيه إلى أن تمكن في ربيع الأول من السنة المذكورة من قبض حصن المقرنة وإعادته إلى أملاك بني رسول ، وفرح الظاهر بهذا الخير وارتفعت مكانة الشيخ علي بن طاهر بن معوضة عنده<sup>(٨)</sup> .

ويظهر دور بني طاهر مرة أخرى من خلال وقوفهم إلى جانب السلطان المظفر يوسف (الثاني) بن الملك المنصور عبد الله بعد توليه الحكم في سنة ٨٤٥ هـ ، حيث نقض المماليك بيعته وتمردوا عليه وساروا إلى زبيد بقيادة بشتك الخاصكي في السنة المذكورة ، ونصبوا هناك أسد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الملك الأفضل ولقبوه بالمفضل ، وقد استعان السلطان المظفر ببني طاهر ، وكان الشيخ علي بن طاهر على رأس القوة التي وجهت لحرب الملك المفضل ومن معه من المماليك في سنة ٨٤٦ هـ ، وتمكنت هذه القوة من أسر المفضل وتسليمه إلى السلطان المظفر<sup>(٩)</sup> .

وفي سنة ٨٤٧ هـ أقام المماليك صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف بن الناصر ولقبوه بالمسعود وانتقل من زبيد إلى عدن ، وفي تلك الأثناء كان مشائخ بني طاهر يتمركزون في لحج بأمر من السلطان المظفر الذي استعان بهم حال تنصيب المماليك للمسعود<sup>(١٠)</sup> ، ويمكن أن نعتبر أن فكرة الاستيلاء على حكم اليمن من بني الرسول بدأت

(٥) الأعشور : عزلة من مخلاف العود من ناحية النادرة . الحجري ، مجموع ، مج ١ ، ج ١ ، ص ٨٥ .

(٦) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٢٧ .

(٧) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٧ أ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٩٦ .

(٨) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٩) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٩ أ - ب ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٨ .

(١٠) ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ ؛ بغية المستفيد ، ص ١١٧ - ١١٨ .

تخامر بني طاهر منذ أن كلفهم السلطان المظفر بحرب المسعود من لحج ، خاصة وأنهم قد شعروا بمدى التدهور الذي وصلت إليه دولة بني رسول والمستوى الذي بلغه حكامها من الضعف والوهن . ومن هنا يمكن القول أن بني طاهر بدأوا يعملون على إقرار الأوضاع في بعض المناطق ليس لصالح بني رسول وإنما لصالحهم الخاص وتحقيقاً لأطماعهم التي ما زالت أفكاراً فقط في طريقها إلى التنفيذ .

إلا أن المسعود تمكن من إخراج بني طاهر من لحج و أبين في سنة ٨٤٨هـ وشجعه ذلك على مواصلة الزحف إلى تعز لحرب السلطان المظفر الموجود هناك ، ففرض المسعود الحصار على حصن تعز في سنة ٨٥٠ هـ ، وعندما اشتد الحصار على السلطان المظفر أرسل إلى بني طاهر يستنجد بهم ضد المسعود ، فنزل إليه الشيخ عامر بن طاهر على رأس قوة لكنهم سرعان ما عادوا إلى بلادهم بحجة عجزهم عن مقاومة المسعود<sup>(١)</sup> . وإذا نظرنا إلى هذا الموقف من قبل بني طاهر فقد نلاحظ الهدف الخفي الذي يسعى بنو طاهر إلى تحقيقه ، وهو سعيهم إلى استمرار الصراع بين سلاطين بني رسول والذي بدوره سيؤدي إلى إضعاف سلطة الدولة وإنهاك قواتها ، فيصبح من السهل عليهم الانقضاض عليها وإسقاط نظامها ، وما كان عودة بني طاهر إلى بلادهم في ظل هذه الظروف الحالكة إلا دليلاً واضحاً على نواياهم ، حيث أنهم قرروا العودة لإعادة جمع قواتهم وتنظيمها ثم السير بها للتخلص من البقية الباقية من سلاطين بني رسول .

ومن ناحية أخرى ، فقد تمكن بنو طاهر من فك الحصار عن السلطان المظفر وإخراج المسعود من تعز إلى بلاد موزع ثم إلى هقرة ومنها إلى عدن ، فأحكم قبضته عليها ، وأسرع بنو طاهر والسلطان المظفر إلى لحج ، وتمت المواجهات بين قواتهم وقوات المسعود في ذي القعدة من سنة ٨٥٢هـ ، إلا أن هذه المواجهات لم تسفر عن نتيجة ، وعاد السلطان المظفر إلى تعز وعاد بنو طاهر إلى بلادهم عندما فشلوا في السيطرة على عدن ، ووجدها المسعود فرصة لمهاجمة تعز وإخراج السلطان المظفر منها ، وتم له ذلك في سنة ٨٥٤هـ وهرب المظفر من تعز وتركها بحصنها للمسعود<sup>(٢)</sup> .

وما كاد المسعود يتخلص من المظفر حتى ظهر له منافس جديد في زبيد وهو المؤيد حسين بن الظاهر بن الأشرف الذي نصبه المماليك سلطاناً عليهم سنة ٨٥٥ هـ ، وخرج إليهم المسعود لحربهم دون أن يظفر بشيء فسار إلى تعز ثم عاد إلى عدن عندما أحس بمكر وخداع عسكره<sup>(٣)</sup> .

(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ ب ؛ ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٤ .

(٢) بامخرمة ، قلادة لندر ، ج ٣ ، ق ١٥٦ أ - ب ؛ الكبسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٩ .

(٣) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ ب ، ٢٦١ أ ؛ ابن الدبيع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ؛ بغية المستفيد ،

أما بنو طاهر فمازالوا يقاتلون باسم المظفر ظاهراً بينما في الباطن كانت لهم نواياهم الخاصة التي أخذوا في السعي لتحقيقها لذلك ساروا إلى عدن ، فتصدى لهم المسعود وكانت الحرب سجلاً بينهم في لحج سنة ٨٥٨هـ وحدث من قبائل يقع في عدن ما جعل المسعود يسرع بالعودة إليها <sup>(٤)</sup> ، وقد تمكن بنو طاهر في الأخير من دخول عدن بمساعدة آل أحمد من يافع ، وبالتالي تنازل المسعود عن السلطة ومن ثم تم القبض على المؤيد حسين الذي دخل إلى عدن في أثناء حصارها من بني طاهر ، وظل مقيماً فيها حتى دخلها بنو طاهر فقدروا موقفه وأخذوا ما كان بحوزته من معدات و آلات حرب ، وحددوا إقامته في إحدى دور الإمارة ، كما حددت له النفقات التي قد يحتاج إليها ، وبهذا تمكن الشيخان عامر وعلي أبناء طاهر بن معوضة من الإجهاز على ما تبقى من دولة بني رسول ، وأعلننا بذلك قيام دولتهم في السنة المذكورة بعد أن صفت لهم الأمور <sup>(١)</sup> .

ومن غريب ما نلاحظ أن المصادر التاريخية لم تصف موقف بني طاهر بالتمرد كغيرهم من القبائل التي هددت وجود دولة بني رسول ، بل اعتبروا موقفهم هذا إنقاذاً للموقف الذي كانت تعيشه دولة بني رسول ، خاصة وأنهم لم يعملوا بمفردهم وإنما كانوا يتحركوا ويدبرون ويخططون تحت شعار مساندة السلطان المظفر (الثاني) ، والدليل على هذا أنه على الرغم من تخلص المسعود من المظفر إلا أن بني طاهر استمروا في تنفيذ مخططاتهم الهادفة إلى إقامة دولة لهم على أنقاض دولة بني رسول . ونصل في الأخير إلى أننا كما اعتبرنا ووصفنا موقف قبائل عك والأشاعرة ومذحج ويافع وغيرها بالتمرد نصف أيضاً موقف بني طاهر من الدولة الرسولية بالتمرد ، وإن لم يتجه بنو طاهر إلى أعمال العنف و التدمير والتخريب و القتل كغيرهم من القبائل المذكورة ، ولكن ما قام به بنو طاهر هو تمرد مخطط وناجح أزال دولة وأقام دولة جديدة على أنقاضها .

وهكذا يتضح لنا أن القبيلة كانت عاملاً أساسياً في سقوط حكم بني رسول ، وإن كانت هناك عوامل أخرى إلا أنها كانت عوامل مساعدة ، ونتيجة لاجتماع هذه العوامل سقطت هذه الدولة بعد أن دامت ٢٣٢ عاماً وهي في خلاف دائم مع القبائل ، رغم استخدام بني رسول كافة الأساليب لإخضاع هذه القبائل ، لاسيما وأنهم أضروا بأوضاع البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٤) عن وضع قبائل يافع في عدن ودورهم في مساندة بنو طاهر في إسقاط دولة بني رسول انظر أعلاه : ص ١٦٠ - ١٦٣ .  
(١) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٦٠ ب - ٢٦١ أ ؛ عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٩ - ٦٠ ؛ ابن لديع ، قرعة لعيون ، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٢٠ ؛ بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٦ ب ، ١٥٧ أ ؛ يحيى ابن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥٨٥ ؛ الكبيسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٩ ؛ محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .



جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية  
مركز أبحاث الرسائل الجامعية  
الفصل الرابع

أساليب بني رسول في إخماد التمردات  
وأثر ذلك على الحياة العامة

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

## أولاً : أساليب بني رسول في التعامل مع التمردات وإخمادها :

لم تتفق سياسة سلاطين بني رسول في التعامل مع القبائل عبر تاريخ هذه الدولة ، لتفاوت تمردات القبائل من مرحلة إلى أخرى ومن سلطان إلى آخر ولاشتدادها في فترات وهدوئها واستقرارها في فترات أخرى . ولقد كان لنفسيات وطبائع هؤلاء السلاطين أثره الواضح في التعامل مع هذه القبائل ، إضافة إلى سياسة بعضهم المتهورة التي كانت لا تخلو من بعض الأخطاء التي أدت إلى زيادة الفجوة بين الدولة والقبيلة ، لا سيما وأن بني رسول لم يدركوا التركيبة الداخلية لهذه القبيلة ونفسية أفرادها وأساليب التعامل معها لتخفيف حدة التمرد ؛ لذلك اتجه كل من هؤلاء السلاطين إلى الأسلوب الذي يرى بأنه مناسب لتأديب هذه القبائل ، وكان أهم هذه الأساليب هي كالتالي :

### ١ - اللجوء إلى القوة : جميع الحقوق محفوظة

اتجه بعض سلاطين بني رسول إلى القوة والعنف لضرب القبائل الخارجة عن الطاعة لإخضاعها وإعادتها إلى حكم السلطان ، فكان التدمير الشامل للمدن والقرى والحصون والمزارع من الأساليب العنيفة التي لم تتراجع الدولة الرسولية عن استخدامها لإخضاع رموز التمرد من القبائل .

وقد اعتمد هؤلاء السلاطين على الجيش بكافة أسلحته وعتاده خفيفة وثقيلة بريّة وبحرية في توطيد سلطتهم<sup>(١)</sup> ، وكانت أسلحة الجيش في ذلك الحين تعد من أحدث الأسلحة إذا ما قورنت مع إمكانيات القبائل المتواضعة ، ونجد أن ما تملكه الدولة الرسولية من عتاد يمثل قوة عظمى أمام ما تملكه القبائل من سلاح بسيط ومتواضع ، وبهذه الإمكانيات العظمى وجه بنو رسول جيوشهم إلى تلك القبائل ، وأخذت قواتهم تقتل وتنهب وتحرق وتدمر ، وترتكب أبشع الجرائم والمجازر دون مراعاة لأفراد القبيلة من الأطفال والنساء والشيوخ<sup>(٢)</sup> ، وأصبح لتلك القوات صدها عند القبائل المتمردة التي كانت كلما سمعت بمسير هذه القوات خافت وارتعبت وأعلنت عودتها إلى طاعة السلطان الرسولي<sup>(٣)</sup> ، لهذا كان لسياسة العنف والقوة التي نهجها بعض سلاطين بني رسول دور في عودة الكثير منها إلى الطاعة .

(١) عن إمكانيات الجيش في عهد بني رسول انظر : الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٠٩ - ٢١١ .

(٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٦ ، ١٦٤ ، ٢٥٥ .

(٣) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١١٠ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٢٠ - ١٢٢ ، ٢٥٦ - ٢٥٧ .

## ٢ - تدمير القوة العسكرية للقبيلة :

في الوقت الذي كان لدولة بني رسول قوة عسكرية كبيرة كان للقبائل أيضاً قوة عسكرية وإن كانت بسيطة ومتواضعة جداً ، ولكنها كانت تقلق سلاطين بني رسول وتثير غضبهم ، لهذا السبب سعى هؤلاء السلاطين إلى إرغام هذه القبائل المتمردة على تسليم ما معها من خيل وسلاح وعتاد<sup>(١)</sup> ، كما قاموا بإلقاء القبض على أهم فرسانهم وأشجعهم ، بل لم يتراجعوا عن قتلهم إذا دعت الحاجة إلى ذلك لتدمير قدرتهم القتالية<sup>(٢)</sup> ، خاصة وأن هذه القبائل عندما تشعر بضعف قوتها العسكرية تلجأ إلى الصلح وعقد الاتفاقيات حتى تتمكن من إعادة تنظيم صفوفها لمعاودة العصيان مرة أخرى<sup>(٣)</sup> ؛ لذلك حرص بنو رسول على تسلم خيل القبائل بعد تحديد الكمية التي يجب أن يملكوها ، والشئ نفسه بالنسبة لما تملكه القبيلة من عتاد عسكري وغيره .

## ٣ - تعطيل البنية الاقتصادية :

أخذ سلاطين بني رسول يبحثون عن أهم الأساليب التي يستطيعون بها قهر القبائل وإخضاعها ، وكان إقتصاد القبيلة هو الجانب الحساس الذي يعيدها ذليلة مكسورة إلى باب السلطان ، وهي السياسة الناجحة التي اتبعها تقريباً معظم سلاطين هذه الدولة ، لاسيما وأن عسكر بني رسول كان أكثر ما يهتمهم عند المشاركة في الحملات العسكرية المختلفة على المناطق المتمردة هو الحصول على الغنائم من المزروعات والبهائم كالأبقار والجمال والأغنام وغيرها من الأشياء التي تجبر القبيلة على الخضوع من أجل إعادتها إليهم<sup>(٤)</sup> ، ومن السلاطين من اتجه إلى طريقة حرق المزارع وتدميرها أو قطعها وتخريبها ، فعندما أراد الشريف عماد الدين إدريس قهر الجحافل في سنة ٧١٣ هـ أمر عسكره بنهب وإخرا ب كل ما يجدونه بما فيه طعامهم ، كما أمرهم بإتلاف زرعهم وغيره من الأشياء التي قد يجدونها<sup>(٥)</sup> ، ويبدو أن هذه هي السياسة التي انتهجها السلطان المؤيد داود في تعامله مع

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ، ٢٦٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ، ١٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣١٠ ، ٣١٣ .

(٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٩٧ ، ٣٠٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٠٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق ١٦٣ ب ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ، ج ١ ،

العصاة من القبائل ، ففي السنة المذكورة أيضاً عندما أراد تأديب قبائل همدان وأهل بيت أنعم بسبب عصيانهم أمر أن تخرب زروعهم مقابل ما فعلوه وحتى يعودوا إلى طاعته ، وهذا ما أربى القبائل وأخافها<sup>(١)</sup> ، لذلك فعل السلطان المجاهد معهم الشيء نفسه في سنة ٧٢٥ هـ<sup>(٢)</sup> ، كما أجبرت هذه السياسة المعازبة إلى العودة إلى طاعة السلطان الظاهر يحيى بن إسماعيل عندما أمر بتأديبهم عن طريق قطع المديني ، وعندما شعروا بنية الظاهر الهادفة إلى قتلهم جوعاً أعلنوا عن توبتهم<sup>(٣)</sup> ، لما كان يمثل النخل من مصدر عيش لهم ولأسرهم التي سيحكم عليها بالموت إذا ما طبقت عليها هذه السياسة .

#### ٤ - اتباع نظام الرهائن<sup>(٤)</sup> :

لم يكن نظام الرهائن من الأمور التي استحدثت في عهد بني رسول ؛ وإنما هو نظام قديم اتبعه العديد من حكام اليمن في فترات سابقة لذلك<sup>(٥)</sup> ، ويُعد السلطان المظفر يوسف (الأول) من أوائل سلاطين بني رسول الذين اتبعوا هذا النظام خلال فترة حكمهم<sup>(٦)</sup> ، بل أنه حارب القبائل التي رفضت تسليم ما عليها من رهائن باعتبار ذلك خروجاً عن الطاعة ، كما نظر المظفر إلى رفضهم تسليم الرهائن دليلاً واضحاً على وجود نوايا سيئة ضد الدولة فحارب القبائل المتخلفة عن ذلك<sup>(٧)</sup> .

وقد اتبع ولده السلطان المؤيد داؤد فيما بعد السياسة نفسها مع بعض القبائل<sup>(٨)</sup> ، مثل قبائل المعازبة سنة ٧٠٠ هـ الذين سلموا رهائنهم بعد أن أوشكوا على الهلاك بسبب ما قام به عسكر المؤيد من قتل وتدمير ونهب وحرق ، ولم تتوقف تلك الأعمال إلا بعد أن سلم المعازبة الرهائن ، فضمن المؤيد بذلك عدم عودتهم إلى العصيان<sup>(٩)</sup> .

وكان السلطان المجاهد ومن تبعه من سلاطين بني رسول كالأفضل العباس بن علي وولده الأشرف إسماعيل بن العباس ومن تبعهم من سلاطين هذه الدولة لا تقنعهم وعود

(١) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(٢) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٥٦ ، ٣٦١ .

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر أعلاه : ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٤) عن ظاهرة نظام الرهائن انظر : الريحاني ، ملوك العرب ، ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ ؛ سلطان ناجي ، التاريخ العسكري لليمن (١٨٣٩ - ١٩٦٧ م) ، بدون دار نشر ، ١٩٧٦ م ، ص ٨١ ؛ سيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن الحديث والإمام يحيى (١٩٠٤ - ١٩٤٨ م) ، ط ٣ ، مكتبة مديولي ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص ٤٩٠ - ٤٩٥ .

(٥) ابن حاتم ، السمط لغلي لثمن ، ص ٤٨ - ٥٠ ، ٧٨ .

(٦) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١١٣ ؛ الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٧) ابن حاتم ، السمط لغلي لثمن ، ص ٤٩٧ - ٥٠٢ .

(٨) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١١١ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١٢٣ .

(٩) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٢٦ ؛ الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٣٢٨ ، ٤٠٦ .

القبائل الكاذبة ، حيث تستمر قواتهم في القتل والتدمير وخلافه ولا يتوقفون إلا عندما تسلم إليهم الرهائن ، ويشترطون في هؤلاء الرهائن أن يكونوا من أبناء وبنات مشايخ القبائل وزعمائها حتى يضمن السلطان عدم عودتهم إلى الخلاف ، فكان ذلك سبباً في خضوع القبائل واستسلامها<sup>(١)</sup> .

والجدير بالذكر أن هؤلاء الرهائن لم يكونوا مجرد عهدة يأمر السلطان بإعادتهم أو إخلاء سبيلهم إذا ما خضعت القبيلة ، كما أنهم لم يكونوا مجرد رهائن عاديين يتم تجديد حجزهم إذا ما تمرتد القبيلة مرة ثانية ، بل كانوا ضمان لدى السلطان ويرتبط مصيرهم وحياتهم بطاعة القبيلة أو عصيانها ، فعندما تمرتد المعازبة في سنة ٧٢٨ هـ وقتلوا الزعيم بن باشاك والأمير طغش بعد مهاجمتهم لحافة الودن أمر السلطان المجاهد مباشرة بتوسيط ولد الحسن المعزي الذي كان رهينة عنده<sup>(٢)</sup> ، وذهب الرجل المذكور ضحية عصيان قبيلته ، وإلى هنا نصل إلى أن نظام الرهائن كان من الأساليب الناجحة التي اتبعها سلاطين بني

رسول لإخضاع القبائل وإخماد نيرانها . الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الأردنية  
٥ - زرع الفتنة بين القبائل<sup>(٣)</sup> :  
مرکز أبحاث الرسائل الجامعية

وهو الأسلوب الذي لم يكلف بني رسول سوى قليل من المال والعتاد والحيلة ، وقد طبق ذلك خاصة على القبائل شديدة التمرد ، والتي مل بنو رسول من استمرار عصيانهم ، فأخذوا يضربون الفتنة ويوقعون قبيلة بأختها أو يقيمون حلف قبلي مع عدد من القبائل للقضاء على قبائل أخرى فاق تمردوها الحد المعلوم ، أو قد يتكفل أحد المشايخ المتحالفين مع السلطان بالتصدي للعصاة من رجال القبائل الأخرى فيقبض على رجالهم ويرسلهم إلى السلطان بعد إخماد تمردهم<sup>(٤)</sup> ، وكان المعازبة من هذه القبائل التي لم يجد سلاطين بني رسول أسلوباً للتخاطب معهم إلا بهذه الطريقة ، ويعد السلطان المجاهد من السلاطين الذين أخذوا في تشجيع الصراع بين القبائل ، خاصة بين المعازبة والقرشيين في سنة ٧٦٢ هـ ، وأخذ في دعم القرشيين بما يحتاجونه ضد المعازبة<sup>(٥)</sup> .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، ١٣٣ ، ٢٠١ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٣٠ ، ١٦٠ ، ٢١٦ ، ٢٢٦ ، ٢٤٦ ، ٢٧٢ .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ ؛ ابن النبيع ، قرعة العيون ، ص ٣٥٨ .

(٣) وهي سياسة مبنية على قاعدة فرق تسد التي عانت منها اليمن عبر تاريخها الطويل ، ولم تكلف هذه السياسة السلطة الحاكمة لكثير سوى إشعال فتنة بين القبائل لإضعافها . عن هذا النظام انظر : الريحاني ، ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٣٩٩ ؛ جاد طه ( الدكتور ) ، سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، مصر ، د . ت ، ص ٣٥٢ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٥٩ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١١٦ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٠٢ أ ؛ ابن النبيع ، قرعة العيون ، ص ٣٦٦ .

وفضلاً عن ذلك ، فقد سار السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل في سنة ٧٩٦ هـ على نفس سياسة سلفه ، حيث تحالف مع القرشيين ضد المعازبة بهدف ضرب بعضهم ببعض ، وعندما لاحظ عدم نجاح ما خطط له أمر القرشيين بالتوسع في حلقهم فضموا إليهم الأشاعر ، وبهذا تمكنوا من قهر المعازبة وكسر شوكتهم<sup>(١)</sup> ، والجدير بالإشارة أن هدف السلطان الأشرف لم يكن كسر المعازبة فقط وإنما إضعاف قوة القبائل المتناحرة وبالتالي القضاء على تمرد كل هذه القبائل أو إضعافها ، كما اتبع السلطان الظاهر في سنة ٨٣٢ هـ السياسة المذكورة حتى أن المعازبة وغيرهم من القبائل أخذوا يسترضون الظاهر للعفو عنهم<sup>(٢)</sup> ، ويلاحظ القارئ لتاريخ بني رسول أن سلاطينهم لا يتدخلون لفض المنازعات التي تقوم بين القبائل بل يظلون في موقف المشاهد<sup>(٣)</sup> أياً كانت نتائج ذلك الصراع على أوضاع البلاد ، ويبدو أن هدفهم من ذلك القضاء على القوة القبلية التي كانت تهدد أمن وسلامة دولتهم .

زبدة القول أن بني رسول أخذوا من الفتنة أسلوباً لضرب تمرد القبائل وإضعافها ، الأمر الذي لم يكلفهم الكثير من الخسائر لا في المال ولا في الأرواح .

٦ - بذل الأموال في شراء القبائل :

اتجه بعض سلاطين الدولة الرسولية إلى المال لإخضاع القبائل وتجنب عصيانها ، وذلك من خلال شراء ذمم مشائخ القبائل وأفرادها بالأموال والهدايا والهبات والألقاب والإقطاعات ، وقد كلف ذلك بني رسول أموالاً طائلة لا تحصى ، وفي الوقت نفسه استخدم هؤلاء السلاطين المال لكسب القبائل إلى جانب عسكر الدولة في حالة الحرب<sup>(٤)</sup> ، ونتيجة لحاجة القبائل إلى هذا المال أخذت وفودها تتدفق على السلطان الرسولي ، لا سيما في أوقات الحروب التي تقوم بها الدولة ضد القوى المناوئة من الزيدية أو القبائل الأخرى ، ويعد السلطان المنصور نور الدين عمر أول من استخدم هذا الأسلوب لشراء القبائل<sup>(٥)</sup> ، وقد لاحظنا سابقاً كيف أن السلطان المظفر يوسف (الأول) بذل الأموال الطائلة لشراء القبائل ، كما وزع الإقطاعات والهبات والهدايا لكسب ود المشائخ والقبائل لتجنب أي تمرد ، ولدعم حكمه الجديد بعد مقتل والده السلطان المنصور نور الدين عمر<sup>(٦)</sup> ، وسار بقية سلاطين بني

(١) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، ٢٦٦ .

(٢) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٣) عن ذلك انظر أعلاه ، ص ١٠٩ - ١١١ .

(٤) ابن حاتم ، السمط لغلي لثمن ، ص ٤٩١ - ٥٠٢ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٣١ ب .

(٥) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٦) حول دور قبائل في مساندت المظفر يوسف (الأول) انظر أعلاه : ص ٣٩ - ٤١ .



رسول على نفس السياسة وكان السلطان الناصر من هؤلاء السلاطين الذين أدركوا ذلك في مرحلة متأخرة من حكمه<sup>(٧)</sup> ، ويبدو أن الناصر قد ورث تلك السياسة عن والده السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل الذي نهج سياسة صرف الأموال والهدايا والهبات لجذب القبائل حتى أن تلك القبائل أصبحت رهن إشارته<sup>(٨)</sup> .

إلا أن أكثر سلاطين بني رسول تطبيقاً لهذه السياسة هو السلطان الظاهر الذي كان سخياً كريماً مع بعض القبائل ، حتى أنه وصف بكرمه الذي شاع في ربوع اليمن ، فأخذت وفود القبائل تصل إليه بشكل دائم للحصول على ما تجود به نفسه ، وبذلك تمكن من إبقاء شر هذه القبائل<sup>(٩)</sup> ، كما أخذ في تقريب بعض المشائخ إليه حتى يضمن ولاء قبائلهم ، وأصدر لهم الأوامر الرسمية بالمشيخة على قبائلهم ومناطقهم أمثال الشيخ المساوي بن حسين بن وهبان الذي عينه الظاهر شيخاً على قبيلته بني يعقوب المعازبة وأخذ في إكرامه ، فدفع له من الأموال والهبات الكثير لكسب ود أفراد قبيلته ودخولهم تحت طاعته<sup>(١٠)</sup> .

ولم يكن ذلك على مستوى سلاطين هذه الدولة بل على مستوى المنشقين عنها والذين أخذوا يبذلون الأموال لكسب القبائل إلى صفهم<sup>(١١)</sup> ، وقد عمل بنو رسول على حرب هؤلاء الخارجين عن الطاعة وشجعوا ولالة وعمال المناطق على دفع الأموال لبعض القبائل ، مما أسعدها فأخذت تدافع عن مناطقها وهي مستوردة ومتفائلة بكرم هؤلاء الولاة والعمال المدعومين من السلطان الرسولي<sup>(١٢)</sup> ، بينما أخذ بعض السلاطين يدفعون الجوامك للقبائل اتقاء لشرها ولكسبها إلى صف الدولة في حالات الحروب ، مثلما فعل السلطان المؤيد داؤد مع الجحافل<sup>(١٣)</sup> ، في حين وجه بعض السلاطين اهتمامهم بمشائخ القبائل وأفرادها وأخذوا في إكرامهم بالمال والكسوات والخيول ومدوهم بامتيازات مادية ومعنوية فعرفوا بولائهم لبني رسول ، كما ضاعفوا لهم العطاء وأطلقوا عليهم الألقاب الفخرية وأصبحت تلك القبائل بمشائخها رهن إشارة السلطان الرسولي<sup>(١٤)</sup> . وإلى هنا نصل إلى أن سياسة المال كانت من أكثر السياسات الناجحة لكسب ود القبائل وضمان عدم تمرداها ، وإن كان ذلك قد كلف الدولة الكثير .

(٧) لخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ٢٥٥ أ ؛ مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٨٠ ، ١٨٧ ؛ ابن لديع ، قرّة العيون ، ص ٣٨٩ .

(٨) لخزرجي ، لعقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٩٦ .

(٩) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .

(١٠) لمصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .

(١١) ابن لديع ، قرّة العيون ، ص ٤٠٢ ؛ بغية المستفيد ، ص ١١٤ - ١١٥ ؛ بلخرمة ، قلادة لنحر ، ج ٣ ، ق ١٥٣ ب .

(١٢) لخزرجي ، لعقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(١٣) لخزرجي ، لعسجد لمسبوك ، ق ١٥٤ ب .

(١٤) لخزرجي ، لعقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، ٢٧٩ .

## ٧ - إشاعة الرعب بين القبائل :

عمل بنو رسول وولاتهم على نشر الخوف والهلع في أوساط القبائل ، كما أثاروا الرعب بين رجال هذه القبائل ، مما أدى إلى أن يتراجع الكثير منهم عن العصيان بعدما نظروا إلى ما حل بغيرهم ، وقد اختلف بنو رسول في طريقة إثارة الرعب والهلع بين القبائل ، حيث اتجه البعض منهم إلى الخراب والدمار الشامل للمناطق والقرى بصورة شنيعة ومخيفة <sup>(١)</sup> ، وقام البعض الآخر بقطع رؤوس المتمردين من رجال القبائل ، ولم يكتفوا بذلك بل أمروا بالطواف بها بين أفراد قبائلهم والقبائل الآخر ، فأصبح الكبار والصغار من مختلف المناطق يأتون لمشاهدة هذه الرؤوس وهي مرمية ، مما أثار مخاوف من في قلبه شيء للدولة للوقوع في ذلك المصير الذي وقع فيه غيره ، وقد بدأت تلك الظاهرة منذ عهد السلطان المظفر يوسف (الأول) <sup>(٢)</sup> ، وأخذت في الانتشار بين من تبعه من سلاطين هذه الدولة ، حتى أن بعضهم بالغوا كثيراً في ذلك <sup>(٣)</sup> .

وفي الوقت نفسه أخذ بعض السلاطين في إثارة الرعب عن طريق استعراض ما تملكه الدولة من آلات حرب كالمنجنقات <sup>(٤)</sup> والعرادات <sup>(٥)</sup> وغيرها من الأسلحة الثقيلة التي تعد من أحدث الأسلحة في ذلك الحين والتي يتم استخدامها في وقت الأزمات لإسقاط القلاع والحصون والمدن ذات الأسوار <sup>(٦)</sup> ، كما استخدمت الطبول لإثارة الجيوش وإخافة القبائل وإرعاها <sup>(٧)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد كانت الفيلة من وسائل الإرهاب التي استخدمت لإخافة القبائل ، ويعد السلطان المؤيد داؤد أول من تعامل معها <sup>(٨)</sup> ، وتبعه في ذلك من جاء بعده من السلاطين لمحاربة العصاة وتعذيبهم مثلما فعل السلطان المجاهد مع المعازبة في سنة ٧٤١ هـ <sup>(٩)</sup> .

ولقد كان للتعذيب والإعدام بأنواعه المختلفة ( الشنق والتوسيط والتغريق والتسمير والكحل وغيرها ) دوراً في أن تحسب القبائل حساباً لأفعالها قبل أن تقوم بها <sup>(١٠)</sup> ، لهذا اتجه

(١) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤١٨ .

(٣) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٥٩ ؛ الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٥٠ ، ٢٥٧ - ٢٥٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، ٣٠١ .

(٤) المنجنق : آلة حربية من آلات الحصار تصنع من الخشب ومؤلفة من دفتين قائمتين بينهما سهم طويل له رأس ثقيل وذنب خفيف ، بنهايته كفة تجعل فيها حجر المقنوفة بعد جذبها إلى الأسفل ثم ترسل فتطلق باتجاه هدفها . الخطيب ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص ٤١٠ .

(٥) العرادات : آلة حرب أصغر من المنجنق ترمي بالحجارة لرمي البعيد . دهمان ، معجم الألفاظ لتاريخية ، ص ١١٢ .

(٦) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٥٥١ ؛ الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١١٣ ، ١٢٨ - ١٢٩ ، ١٣٨ .

(٧) نستنتج ذلك من خلال حديث الشيخ طول الجندري لقومه منجج كلما سمعوا صوت تلك الطبول التي تهتر لها الأرض ، حيث يقول : " يا منجج لا تفزعوا فلما هي جلود بقر " . الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٨) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ١١٩ ؛ الشرجي ، القرية ولدولة ، ص ١٨٨ .

(٩) الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٨٩ أ .

بعض السلاطين إلى التتكيل بجثث رجال القبائل التي تم إعدامهم ورميها للسباع والحشرات والطيور الجارحة وغيرها<sup>(١٠)</sup> ، فوصل الأمر بالبعض من رجال القبائل المتمردة إلى رمي أنفسهم من على شواطئ الجبال على أن يقعوا في أسر بني رسول<sup>(١١)</sup> ويتعرضوا لما تعرض له غيرهم من تعذيب ثم إعدام بأبشع الطرق وأجرمها<sup>(١٢)</sup> .

والجدير بالذكر أن من الأمور التي أدخلت الرعب إلى قلوب رجال القبائل هي أن يقود السلطان الحملات العسكرية الكبيرة بنفسه ، وبمجرد وصول هذا الخبر إلى العصاة من القبائل يولون الأدبار أو يعربون عن رغبتهم في إقامة صلح معه خوفاً منه<sup>(١٣)</sup> ، ومن هذا المنطلق حرص سلاطين بني رسول على أن تحكم المناطق شديدة التمرد والعصيان من قبل شخصيات عسكرية وقبلية قوية ذات ارتباط وثيق بالسلطان . ولزيادة هيبة الدولة أخذ بعض السلاطين يولون المدن المختلفة لأبنائهم أو إخوتهم أو أحد أبناء إخوتهم لتظل هيبة السلطان في هذه المناطق ، فتصبح القبائل خائفة من أي تصرف قد يثير ابن السلطان أو أخاه وبالتالي ثورة السلطان نفسه<sup>(١٤)</sup> .

ونصل إلى أن هذه السياسة أدخلت الرعب والخوف إلى قلوب أفراد القبائل الذين كانوا على خلاف دائم مع بني رسول ، حتى أن بعض تلك القبائل سارعت إلى السلطان الرسولي طالبة منه العفو والمغفرة خوفاً من المصير الذي تعرض له غيرهم ، بينما رفض البعض الآخر تلك السياسة الإجرامية وزادوا في عنادهم وعصيانهم تعبيراً عن رفضهم لهذه الأعمال .

## ٨ - إذلال القبائل والتقليل من مكانتها :

نهج بعض سلاطين بني رسول هذه السياسة مع القبائل كثيرة التمرد والعصيان لإذلالهم والتقليل من مكانتهم بين القبائل الأخرى ، بعد تجريدهم من السلاح والخيول ومن أشد رجالهم وأشجع فرسانهم ، حيث كان ذلك العقاب من وجهة نظر هؤلاء السلاطين هو خير أسلوب لإعادة تلك القبائل إلى حظيرة الدولة ، ويعد السلطان المجاهد أول من طبق هذه السياسة على قبائل المعازبة في سنة ٧٤٠ هـ بعد أن أذاقهم صنوف العذاب وقتل الكثير

(١٠) لجندي ، لسوك ، ج ٢ ، ص ٥٥٠ ، ٥٦١ ، ٥٧٢ ؛ لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، ٨١ ، ١٤٨ ، ١٧٨ - ١٧٩ ، ٢٩٥ .

(١١) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٨٦ .

(١٢) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٧٣ .

(١٣) يصف محمد بن علي الأكوخ بعض أساليب الإعدام الذي اتبعها سلاطين بني رسول بأنها من أقبح الأعمال وأفساها انظر : ابن

لدبيع ، قرة العين ، ص ٣٥٦ ، حاشية رقم ( ٢ ) .

(١٤) لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر أعلاه : ص ١٣٥ ، ١٤٣ .

(١٥) Nutzelt , Munzen der Rasulides Nebst eüilen adriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynasti / Coins of the Rasulids , p . 9

منهم وأخرب قراهم وجردهم من سلاحهم ، وفي الأخير كسر شوكتهم بين قبائل المنطقة بأن شَيَّخ عليهم امرأة منهم أصبحت تقودهم بعد أن عادوا إلى طاعة المجاهد<sup>(٥)</sup> ، وهذه السياسة وإن كان فيها نوع من الالهانة والاحتقار بعد العزة والطغيان إلا أنها كانت ناجحة في إذلال المعازبة وكسر كبريائهم .

وعندما تولى السلطان الناصر أحمد الحكم سار على نفس السياسة في تعامله مع المعازبة ، لذلك ولَّى عليهم امرأة منهم كما فعل جده المجاهد فاستقرت الأمور وهدأت<sup>(٦)</sup> .

## ٩ - نشر العدل بين الرعية :

كان من أكثر الأسباب التي دفعت القبائل إلى التمرد غياب العدل وانتشار الظلم والجور الذي كان يقوم به ولاة بني رسول ، إضافة إلى سياسة فرض الضرائب والخراج وغيرها من الأمور الذي زادت من غليان وتمرد القبائل ضد الدولة ، لذلك أخذ بعض سلاطين بني رسول يبحثون عن طرق لإعادة القبائل إلى حظيرة الدولة فوجدوا أن إنصاف تلك القبائل والتخفيف عنها والقضاء على طوائف الفساد من الولاة وغيرهم خير وسيلة لجذب القبائل و إعادتهم إلى طاعة الدولة . ففي عهد السلطان المجاهد رفض الناس دفع ما عليهم من ضرائب وتركوا أراضيهم في زببد وهربوا إلى مناطق أخرى بسبب ارتفاع الضرائب ؛ مما أدى إلى تدهور الحياة الزراعية ، وأمام هذا الواقع المتردي والأوضاع المتدهورة رأى السلطان المجاهد ضرورة معالجة الوضع وإنصاف الرعية بعد أن تعرف على أوضاعهم ، فأمر بإعفائهم من الضرائب وإلغاء ما هو مفروضاً عليهم منها<sup>(٧)</sup> ، في محاولة لإعادة ثقتهم به ولكسب ودهم ومحبتهم ، وخوفاً من أي رد فعل قد يقومون به ضد الدولة ، ولقد سعى بعض من جاء بعده من سلاطين هذه الدولة إلى السير على نفس السياسة تفادياً لأي معارضة أو تمرد قد تقوم به القبائل ضدهم<sup>(٨)</sup> .

وفي الوقت نفسه قام بعض السلاطين بتقدير ظروف الناس المعيشية الناتجة عن القحط والغلاء وانتشار الحشرات كالجراد وغيرها ، فأخذوا في إعفاء الناس من الضرائب أو تخفيف المساومات الضريبية المفروضة عليهم خوفاً من عصيانهم ، فنظر هؤلاء الناس

(٥) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٨١ أ ؛ يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ، ج ٢ ، ص ٥١٣ .

(٦) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٥٤ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٨٧ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٠٢ .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٨١ .

إلى هذا السلطان أو ذاك نظرة اعتزاز وتقدير لموقفه ، وعبروا عن إعجابهم به بحسن سيرتهم وإخلاصهم له وعدم تمردهم<sup>(٤)</sup> .

إلا أن الرعية كانوا كثيراً ما يعانون من ظلم الولاة وجورهم<sup>(٥)</sup> ، فكان ذلك سبباً في تمرد العديد من القبائل الرافضة لسياساتهم الاستفزازية و الاضطهادية حيث أثارت تصرفات هؤلاء الولاة بعض السلاطين أنفسهم لتفريقهم الرعية وإبعادهم عن سيادة الدولة ، فاتجهوا إلى التعامل بعنف مع هؤلاء الولاة لإنصاف المظلومين ، وما والي ابن حسين إلا مثال لهؤلاء الولاة الذين تدهورت الأوضاع في فترة ولايتهم لاستغلالهم مناصبهم في إثارة الفتنة ضد بني رسول ، لذلك عندما رأى السلطان المجاهد تفاقم أعماله وتزايدها ، لاسيما بعد أن أعطاه فرصاً عديدة أمر ولده الملك المفضل بالقبض عليه وتعذيبه بما يستحق من العذاب ، ثم وسط وقطع رأسه وطيف به في أنحاء البلاد<sup>(٦)</sup> ، ولم يفعل المجاهد ذلك إلا بعد أن شعر أن تصرفات هذا والي قد فاقت الحد وأثارت القبائل ، فكان ذلك التصرف من قبل المجاهد سبباً في استقرار الأوضاع وخضوع القبائل ، كما نهج السلطان الأفضل عباس في سنة ٧٧٠ هـ الشيء نفسه مع والي ابن سمير ، خاصة بعد أن أرهقته تصرفاته وأعماله<sup>(٧)</sup> .

خلاصة القول أن بعض بني رسول سعوا في إصلاح الأوضاع بإنصاف المظلومين والقضاء على رؤوس الفساد من الولاة وغيرهم بعد أن شعروا بأنهم هم سبب إثارة القبائل ضدهم ، وكانت هذه السياسة لهؤلاء السلاطين سبباً أيضاً في عودة القبائل إلى طاعة الدولة .

## ١٠ - إقامة المحاط أو الخطاط :

كانت طريقة المحاط أو الخطاط من الطرق الأكثر انتشاراً في دولة بني رسول<sup>(٨)</sup> لنجاحها في إخضاع القبائل ووضعها تحت الرقابة المشددة المستمرة ، علماً بأن القبائل تضررت كثيراً من هذه المحاط التي أرهقتهم مادياً ومعنوياً<sup>(٩)</sup> . وقد لعبت هذه السياسة دوراً

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

(٥) لمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر أعلاه : ص ٨٣ - ٨٧ .

(٦) لجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ .

(٧) لخزرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، ١٣٩ .

(٨) لمصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٩) لمخاط أو الخطاط : هو أن يقوم السلطان بنفق قوات عسكرية أو قبلية للقضاء على تمرد قبيلة أخرى ، أو إرسال تلك القوات إلى قبيلة مسالمة مجاورة للقبيلة المتمردة كنوع من العقاب لمجاورتها للقبيلة المتمردة ، وبالتالي إخضاعها ، وتبقى هذه القوات المهاجمة مقيمة إقامة كاملة مدة معينة ، وعلى الأهالي ( المحط ) تقديم المأوى والمأكل والمشرب وغيرها من الأشياء طوال فترة الإقامة ، وقد يقوم العسكر بالسكن في منازل هذه القبيلة وبين نسلها كأحد أفرادها ، وتصل الأمور بهم إلى ممارسة الفاحشة معهم ، بهدف إلزامهم ليكونوا عبرة لغيرهم ، وبعد الخطاط من أُنشع الأساليب التي تتعرض لها القبائل المتمردة أو المجاورة لها لما فيه من اضطهاد وانتهاك للحرمة . انظر : مجهول ، صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، ص ٤٧ ، حاشية رقم ( ١٢١ ) ؛ سلطان ناجي ، التاريخ العسكري لليمن ، ص ١٢٣ ؛ لشرجي ، القرية والدولة ، ص ١٧٨ .

في حفظ الأمن في تلك المناطق ، فأصبحت القبائل بهذه المحاط تحت المجهر في تصرفاتها لسرعة رد فعل قوات الدولة المحاطة لقربها من مسرح الحدث ، لهذا استقرت أمور القبائل في العديد من المناطق لوجود مثل هذه المحاط .

## ١١ - إخضاع الحصون أو شراؤها أو تدميرها :

اهتم سلاطين بني رسول بإخضاع الحصون كخطوة أولى بعد وصولهم مباشرة إلى عرش الدولة لإقرار الأوضاع في بعض المناطق ، لاسيما وأن سقوط الحصون يعني انتهاء حصانة المنطقة . وقد لجأ السلطان المنصور نور الدين عمر إلى استخدام العنف للحصول على بعض الحصون المهمة <sup>(١)</sup> الواقعة تحت سيطرة بعض الأمراء والمشائخ ، وأخذ في خلق الأعداء للقضاء عليهم والسيطرة على حصونهم لإخضاع بلادهم <sup>(٢)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد اهتم المظفر يوسف ( الأول ) بالحصون وسعى إلى الحصول عليها لأهميتها ، وقام بصرف الأموال لذلك ، وإذا ما لاحظت ثغناً من بعض القبائل فرض الحصار عليهم أو عرض عليهم شراؤها مقابل مبلغ من المال أو حصناً آخر أقل أهمية ومالاً يشترطه عوضاً عنه <sup>(٣)</sup> ، واتباع من جاء بعده من السلاطين السياسة المذكورة ، بل أن بعضهم عمدوا إلى التخلص من تلك الحصون بعد السيطرة عليها عن طريق إخراجها أو تدميرها لتصبح المنطقة مفتوحة أمام قوات السلطان إذا ما حدث عصيان <sup>(٤)</sup> .

ويشير ابن الديبع إلى أهمية بعض الحصون باعتباره أنه بالسيطرة عليها خضعت المنطقة بأكملها مثل حصن المهور الذي بإخضاعه انتهى كل الخلاف الذي كان قد قام في وادي سهام والمناطق المجاورة له في عهد السلطان الناصر أحمد <sup>(٥)</sup> .

وقد اشتهرت بعض المناطق بكثرة حصونها ذات الأهمية الكبيرة والمواقع الاستراتيجية النادرة مثل حصون منطقة وصاب التي بلغ عددها أكثر من أربعين حصن تميزت أكثرها بميزات ذات أهمية فائقة بالنسبة لمنطقة وصاب ، وحرص بنو رسول على بذل الغالي والنفيس للحصول على هذه الحصون وتطويرها وإعادة إعمار بعضها وبذلوا الأموال لزيادة تحصينها ومدتها بكل ما تحتاجه من المؤن المختلفة <sup>(٦)</sup> لدور هذه الحصون في إخضاع مناطقها .

(١) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٦ - ٩٧ ؛ ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٨٦ - ٨٧ ؛ الخرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(٢) الهمداني ، ديوان ابن حمير ، ص ٩٣ - ٩٥ .

(٣) ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن ، ص ٩٠ ؛ الخرجي ، العقود للولوية ، ج ١ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ ، ١٤٧ ؛ المسجد لمسيوك ، ق ١٣٠ أ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١٦٥ ، ٢٤٥ .

(٥) قرة العيون ، ص ٣٨٧ - ٣٨٨ ؛ بغية المستفيد ، ص ١٠٢ .

(٦) الوصابي ، تاريخ وصاب ، ص ١٤٣ .

ولعل من أسباب ضعف دولة بني رسول وزوالها عدم اهتمام سلاطين هذه الدولة المتأخرين بالحصون التي بين أيديهم ، وسماحهم لبعض مشائخ القبائل بالحصون عليها ، مما شجع بعض مشائخ القبائل الأخرى على انتزاعها من بني رسول بالقوة ، وبالتالي استقلال تلك القبائل بما تحت يدها من الحصون ومن ثم الانفراد بحكم مناطقهم عن حكم الدولة الرسولية<sup>(٧)</sup> ، لهذا نجد أن من الأساليب التي أخضعت بها القبائل هي إسقاط الحصون والسيطرة عليها ووضع الرتب فيها لردع أي تمرد قد تقوم به القبائل ضد الدولة .

## ١٢- إذلال رؤوس التمرد من المشائخ والقضاء عليهم :

يعتبر المشائخ هم الحكام الفعليون لقبائلهم ومناطقهم من الناحية الغير رسمية<sup>(١)</sup> ، كما أنهم هم المسؤولون عن تصرفات أفراد القبيلة أمام السلطة الحاكمة ، وقد اتجه بعض سلاطين الدولة الرسولية إلى سياسة ضرب هؤلاء المشائخ لإخضاع قبائلهم وإسكاتهم وإخمادهم في حالة خروجهم عن الطاعة ، ويعد السلطان المنصور نور الدين عمر أول من استخدم هذه السياسة لأجل إخضاع منطقة المعافر مع الشيخ عمار السبائي سنة ٦٣٩ هـ<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن ولده السلطان المظفر يوسف (الأول) أقل منه قساوة في هذا الجانب فكانت سياسته في التعامل مع هؤلاء المشائخ سببا في سيطرته على حصن دروان سنة ٦٥١ هـ من الشيخ الورد محمد بن ناجي ، وأيضا إخضاع الشيخ علوان الجحدري والسيطرة على حصونه في سنة ٦٦٦ هـ خوفاً من تمرده وعصيانته واستقلاله بما تحت يده<sup>(٣)</sup> .

وقد توارث سلاطين بني رسول هذه السياسة ، حتى أن بعضهم اتجهوا إلى سياسة التحرش بالمشائخ لإخضاع قبائلهم وهو ما جاء بنتائج عكسية<sup>(٤)</sup> ، وأخذ البعض منهم يحكيون المؤامرات لإخضاع القبائل عن طريق سم مشائخها أو قتلهم<sup>(٥)</sup> .

ويصف لنا مؤلف كتاب "تاريخ الدولة الرسولية" في مواضع مختلفة من كتابه الأساليب المختلفة التي اتبعها سلاطين هذه الدولة في التعامل مع العصاة من مشائخ القبائل ، وكان القتل هو الطريقة التي لم يتوانوا عن استخدامها ، إلا أن أبشع ما يصفه لنا هو أسلوب الإذلال الذي عومل به بعض هؤلاء المشائخ لإدخال الرعب والخوف في قلوب قبائلهم

(٧) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٦ - ٢٨ .

(١) عن طبقة المشائخ ودورهم في المجتمع القبلي انظر : الشرجي ، لشرائح الإجتماعية ، ص ١٦٩ - ١٧٧ .

(٢) عن بشاعة السلطان المنصور نور الدين عمر في التعامل مع مشائخ نظر أعلاه : ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٦ ، ١٠٨ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٦٨ ؛ ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٢١ ، ٣٢٨ .

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر أعلاه : ص ١٣٨ - ١٤٠ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

والقبائل الأخرى ، وبالتالي الخوف من أي تصرف قد يوصلهم إلى ما وصل إليه من سبقهم ، وكان مشائخ الحديدية من المشائخ الذين لقوا أبشع الأساليب في الإذلال ليكونوا عبرة لغيرهم<sup>(٦)</sup>. خلاصة القول أن سياسة التعامل مع المشائخ بالقتل بأبشع صورة أو بالإذلال والسجن<sup>(٧)</sup> وغيرها كان سلاحاً استخدمه سلاطين بني رسول لإخضاع قبائلهم ، ويبدو أنه كان سلاحاً ذا حدين ، فإما أن يؤدي إلى خضوع القبيلة والمنطقة ، وإما أن يؤدي إلى ثورة القبيلة والمنطقة وتمرداها تضامناً مع مشائخها ، وهو ما لاحظناه عبر تاريخ هذه الدولة .

### ١٣- تحمل القبيلة نتائج أفعالها :

أدت هجمات القبائل المتمردة على بعض المناطق إلى حدوث خسائر في الأرواح والممتلكات الخاصة والعامة ، فنهج بنو رسول سياسة هدفوا من ورائها إلى زرع الخوف في قلوب تلك القبائل عن طريق تحديد قيمة الخسائر التي تسببوا في إحداثها وتوزيعها على كل أفراد القبيلة ، وبالتالي تحمل القبيلة فوق طاقتها وإرهاقها مادياً<sup>(٨)</sup> ، ومن الملاحظ أن تلك السياسة كانت ناجحة بعض الشيء ، لاسيما وأنها جعلت القبائل تفكر في عواقب تمرداها وعصيانها قبل قيامها به ، والشيء نفسه في حالات القتل ، فقد فرض بنو رسول الدية على بعض القبائل التي لم تتراجع عن قتل رجال الدولة أو غيرهم من العامة ، وقد تتعرض القبيلة إلى الهجوم من قبل الدولة ومن ثم القتل والتشريد إذا ما تخلفت عن دفع هذه الدية<sup>(٩)</sup> ، ويبدو أن الغرض من هذه الأعمال التي تقوم بها الدولة ليس فقط الحصول على المال ؛ ولكن لتكون تصرفات القبائل والعقوبات التي تفرض عليهم عبرة لغيرهم من القبائل الأخرى .

### ١٤- تجاهل الدولة لمصالح القبائل المتمردة :

سعت الدولة الرسولية منذ تأسيسها إلى التعامل بعنف مع القبائل الخارجة عن الطاعة ، حتى أنها قطعت علاقتها مع تلك القبائل ، وأصبحت غير مسئولة عن أي كوارث أو مصائب قد تتعرض لها هذه القبيلة أو تلك ، كورقة ضغط عليها لتعود إلى طاعة الدولة .

ويصف لنا الخزرجي الكارثة التي تعرض لها أهل ذمرمر الخارجين عن طاعة السلطان المظفر يوسف (الأول) سنة ٦٦١هـ ، وموقفه مما تعرضوا له ، حيث أنه لم يعمل شيئاً لهم ، وظل على خلافه ، بل أنه شدد في محاصرتهم في داخل الحصن ، وعندما اشتد

(٦) انظر : مجهول ، تاريخ دولة لرسولية ، ص ١٢٨ ، ١٣٨ ، ٢٠٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٧) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ؛ ابن الديبع ، قرّة العيون ، ص ٣٧٣ .

(٨) لخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٩) لخزرجي ، لعسد لمسبوك ، ق ٢٣١ أ - ب .



بهم المرض وتفشى بينهم وكثر الموت في صفوفهم رأوا ضرورة اللجوء إلى الدولة التي لم تتسامح معهم في بداية الأمر ، ولكن إصرارهم على تقديم الولاء وإعلانهم التوبة وتسليم الحصن جعل المظفر يعفو عنهم وينتشلهم مما هم فيه من محنة <sup>(٣)</sup> . ونجد هنا أن بني رسول لم يعطوا القبائل المتمردة أي اهتمام ، ونلاحظ هذا في عدم إشارة المصادر إلى أي مشاريع أو غيرها في مناطق القبائل المتمردة كرد فعل طبيعي لذلك .

## ١٥- تعمير المناطق المشبوهة :

ظهرت أهمية تعمير بعض المناطق النائية والبعيدة لسلطين بني رسول بعدما لاحظوا أنها عبارة عن وكور لبعض العصاة من القبائل وقطاع الطرق ، فسعوا لإحياء مثل هذه المناطق ، وكان السلطان المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول أول السلاطين الذين أولوا اهتمامهم بالمناطق المهجورة والبعيدة ، وسعوا في تعميرها وبنائها ، حتى أنه شجع الناس على الإقامة والاستقرار فيها ، وقدم لهم التسهيلات المختلفة ، فأعفاهم من ضرائب المزروعات كنوع من الترغيب <sup>(١)</sup> .

وفي هذا الجانب سعى السلطان المظفر يوسف (الأول) إلى إحياء مدينة صعدة برجال وأسر بعض القبائل المؤيدة له ، وصرف لهم الأموال ، وحدد لهم الجوامك لبث الحياة فيها ، وذلك بعد أن مل من إرسال الجيوش إلى هذه المنطقة البعيدة التي كانت مأوى للمتمردين من الأشراف <sup>(٢)</sup> ، الأمر الذي منع هؤلاء الأشراف من الدخول إلى المدينة ، وبالتالي عدم استقرارهم و انتشارهم في البراري والجبال التي أصبحت هدفاً لقوات بني رسول <sup>(٣)</sup> لتضييق الخناق على المتمردين وإجبارهم على العودة إلى طاعة السلطان ، كما فعل الشيء نفسه في مناطق أخرى <sup>(٤)</sup> .

وفي سنة ٧٨٦هـ عجز السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس عن صد هجمات المتمردين المتكررة في منطقة تهامة ، لهذا أمر بأن يحاربوا بواسطة القضاء على وكور تجمعهم وطرق عبورهم ، فأمر بتعمير المناطق التي يقيمون فيها والطرق التي يمرون عبرها ، وأصدر فوق ذلك منشوراً بتخفيف الضريبة عن ساكني هذه المناطق <sup>(٥)</sup> ، ويبدو أن هذا السلاح الذي استخدمه سلاطين بني رسول لضرب القبائل ساعد على عودة بعضها إلى طاعة الدولة بعدما وجدت نفسها دون مسكن تأوي إليه .

(٣) عقود للؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

(١) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٤٣ ؛ بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٣٩٧ — ٣٩٨ .

(٣) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢١٢ أ .

(٤) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٤١٩ .

(٥) الخزرجي ، العقود للؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

## ثانياً : أثر التمردات القبلية على الحياة العامة للناس :

تُعد فترة حكم الدولة الرسولية لليمن ( ٦٢٦ – ٨٥٨ هـ ) من أفضل الفترات تطوراً وأكثرها ازدهاراً وتقدماً ، لما بذله سلاطينها من جهود للنهوض بها وتطويرها حتى أن بعض المؤرخين يصفون فترة حكمهم بالمرحلة الذهبية لليمن<sup>(١)</sup> ، كما اعتبرت هذه الدولة من ألمع الدول الإسلامية المستقلة التي قامت باليمن ، لما شهدته من تطور علمي وفكري وحضاري بتشجيع من سلاطينها ، حتى أنهم سعوا بأنفسهم وبنسائهم إلى بناء المدارس والمساجد واهتموا بالعلوم المختلفة كالطب والرياضيات والتاريخ والفلك والزراعة والأنساب والتفسير والفقه وغيرها ، وشجعوا على دراستها<sup>(٢)</sup> ، وعملوا على استقبال العلماء والمفكرين والمؤرخين ، ونهضوا بالحركة التجارية والصناعية والزراعية ، واستصلحوا الأراضي وشقوا القنوات ، واهتموا بالدخل القومي الجمركي والزراعي ، وبالأنظمة السياسية والإدارية والقضائية<sup>(٣)</sup> ، وشهدت اليمن في عصر هذه الدولة فترات من التوحيد لم تشهدها خلال تاريخها السياسي ، وكان عهد السلطان المظفر يوسف ( الأول ) من عهود التوحيد النادرة التي عاشتها اليمن ، حيث شملت حضرموت وصعدة وظفار الحبوضي ومعظم بلاد الحجاز بما فيها الحرمين<sup>(٤)</sup> ، بل امتد نفوذ بعض السلاطين الذين جاءوا بعده مثل السلطان الأفضل العباس بن علي في فترات قوتهم إلى السواحل الشرقية لإفريقيا ، فضموا إليهم الجهات المواجهة لسواحل تهامة ، بما في ذلك ميناء زيلع ، وجعلوا هذه الجهات تحكم من قبل والي تهامة اليمن من الناحية الإدارية<sup>(٥)</sup> .

(٦) الحضرمي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في لتاريخ ، المركز الفرنسي ، صنعاء ، المعهد لفرنسي ، دمشق ، ٢٠٠٠ م ، ص ٤٠ .

Nutzel , *Munzen der Rasulides Nebst eitlen adriss der Geschichte Dieser Jemenischen Dynasti / Coins of the Rasulids* , p . 10 .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤة ، ج ١ ، ص ٨٤ ، ٤٤١ – ٤٤٢ ، ج ٢ ، ص ١١٨ – ١١٩ ، ١٢٥ – ١٢٦ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ٣١٧ – ٣١٨ ؛ لقمان ، حمزة علي إبراهيم ، تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر ، ١٩٦٠ م ، ص ١٠٥ ؛ لثور ، عبد الله ، هذه هي اليمن ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ص ٣٠١ – ٣٠٦ ؛ الأكرع ، إسماعيل بن علي ، المدارس الإسلامية في اليمن ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ، ص ١٥ وما بعدها ؛ الشماحي ، عبد الله عبد الوهاب المجاهد ، اليمن الإنسان والحضارة ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٤٥ ؛ فخري ، أحمد ، اليمن ماضيها وحاضرها ، ط ٢ ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٢٠٠ ؛ الزركلي ، الأعلام ، مج ٨ ، ص ٢٤٤ ؛ الأغبري ، بدر سعيد ، " أسباب ازدهار التعليم في عهد دولة بني رسول ( ٦٢٨ – ٨٥٨ هـ / ١٢٣١ م – ١٤٥٤ م ) " ، ندوة الاحتفال بالملوية الثامنة للمدرسة الياقوتية ، دار جامعة عدن ، عدن ٢٠٠١ م ، ص ٦٧ – ٧٥ .

(٢) الحضرمي ، زبيد ، ص ٤٠ .

(٣) الشماحي ، اليمن الإنسان والحضارة ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ؛ ترسيبي ، عدنان ، اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت ، ص ١٠٢ ؛ بن شيبان ، أحمد سالم ، الوجود المملوكي في اليمن ( ١٥١٥ – ١٩٣٨ م ) ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٤٢ ؛ بن بريك ، أحمد محمد ، اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ( ١٨٦٩ – ١٩١٤ م ) ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٤ .

(٤) الخزرجي ، العقود اللؤلؤة ، ج ٢ ، ص ١٤٩ ؛ العطار ، محمد سعيد ، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن ، ط ١ ،

وقد جاء هذا التطور والنهوض السياسي والإقتصادي والاجتماعي والعلمي على الرغم من الأخطار التي واجهتها هذه الدولة من قبل المناوئين لها من الأشراف الزيديين والقبائل وأفراد البيت الرسولي<sup>(٥)</sup> ، ويظهر بما لا يدع مجالاً للشك أنه لولا تلك العقوبات والأخطار التي تعرضت لها هذه الدولة لكانت وصلت إلى مرحلة أفضل من الازدهار والتطور والتوحيد لم تصلها أي دولة خلال تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، إلا أن ما قصم ظهر هذه الدولة هي تلك القبائل التي أفلقت أمنها ، وجعلتها في حالة حرب دائمة ، ويبدو أن هذه التمردات المستمرة لم تمنع سلاطين هذه الدولة من الاتجاه إلى العلم والتأليف وسن القوانين والاهتمام بحياة الناس وحمايتهم من تهديدات وأخطار هذه القبائل ، ومن الملاحظ أن أفضل الفرص التي يجد فيها هؤلاء السلاطين أنفسهم منمكنين في العلم والتأليف هي أوقات الاستقرار والهدوء التي تشهدها البلاد ، أما فترات الفوضى والاضطراب فهي من أشد المراحل التي تمر بها البلاد لشدتها ولانعكاسها على الأوضاع العامة ، وقد تركت تلك التمردات القبلية أثراً واضحاً على الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية للدولة والقبيلة وعامة الشعب على حد سواء ، كما كانت لشدة رد فعل الدولة على هذه التمردات أثرها على حياة القبيلة الداخلية ، وبالتالي عدم الاستقرار وفقدان الأمن في البلاد ، ويمكن هنا أن نستنتج أهم الآثار التي تركتها التمردات على الحياة العامة في الآتي :

## ١ - الحياة السياسية :

### أ - زعزعة الأوضاع السياسية وعدم استقرارها :

أفقدت التمردات القبلية الدولة الرسولية أمنها واستقرارها ، رغم بذل سلاطينها الغالي والنفيس لإخضاعها ، حتى أنهم ضحوا برجالهم وعتادهم وأموالهم لردع العصاة وكسر شوكتهم ، وقد أجهد السلطان المنصور نور الدين عمر نفسه وقواته لأجل إقرار الأمور في البلاد وتحديد البعيدة منها ، مما كلفه الكثير من المال والرجال ، لا سيما وأن بعض المناطق شهدت عدم استقرار في أوضاعها الداخلية لكثرة تمرد قبائلها ، وكانت حضرموت من أكثر تلك المناطق تدهوراً في أوضاعها السياسية ، لعدم تقبل قبائلها فكرة سيادة الدولة على أراضيها ، فظل نور الدين عمر في صراع دائم معهم ، وبلغ بهم الأمر إلى مهاجمة قوات السلطان نور الدين وقتل قائد تلك القوات ، ولم يكتفوا بهذا بل عاثوا في مناطق حضرموت فساداً وأخذوا في نهب خزائن حامية السلطان وجماله وأمواله ودوابه ، وأصبحت حضرموت

دار لطيفة ، بيروت ، ١٩٦٥ م ، ص ٢٨ ؛ سيد مصطفى سالم ، الفتح العثماني الأول لليمن ، ص ٤٩ .

(٥) سلطان أحمد عمر ، نظرة في تطور المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار لطيفة ، بيروت ، ١٩٧٠ م ، ص ٥٦ .

مسرحاً للصراعات القبلية التي أفقدت المنطقة أمنها واستقرارها<sup>(١)</sup> ، لذلك سعى السلطان المنصور نور الدين عمر ومن جاء بعده من سلاطين بني رسول إلى إقرار الأوضاع السياسية في البلاد من خلال ضرب القبائل وبيد من حديد والسيطرة على بلادهم وإسقاط حصونهم<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الصدد ، عانت بعض المناطق من تمردات القبائل وفقدت هدوءها ولم تنعم بالاستقرار إلا لفترات بسيطة<sup>(٣)</sup> ، وكانت منطقة تهامة من المناطق التي ظلت تعاني من هجمات هذه القبائل طوال فترة حكم بني رسول لليمن ، على الرغم من الأسلوب العنيف الذي تعاملت به الدولة معهم ، ولكنهم استمروا على عنادهم وإصرارهم ، والشيء نفسه بالنسبة لبعض المناطق والمدن مثل عدن وأبين ولحج وصنعاء وتعز وإب وغيرها<sup>(٤)</sup> ، حيث أثرت هذه التمردات على استقرار هذه المناطق وأمنها ، خاصة في فترات الضعف التي تعاني منها البلاد بسبب ضعف السلطان وقوة مراس تلك القبائل .

لقد حرص سلاطين بني رسول عند توليهم الحكم على استقرار الأوضاع السياسية في البلاد ، ولكن استمرار هذه التمردات وانتشارها شغلت حكام هذه الدولة عن أمور الرعاية الأخرى ، ولم يعد أمام هذا السلطان أو ذاك سوى التفكير في كيفية إخضاع القبائل وكسرها ، مما أدى إلى ظهور فجوات أخرى أمام السلطان في حاجة إلى من يملأها ، فظهرت المعارضة من قبل أفراد هذه الأسرة أو بعض القيادات العسكرية والقبلية ، وكل هذا نتيجة لانشغال السلطان بعصيان القبائل وتمرداتها ، وتصف لنا بعض المصادر تدهور الأوضاع في البلاد دون أن يكون للدولة أو للسلطان ردة فعل ، في الوقت الذي تشهد فيه البلاد موجه شديدة من التمرد القبلي ، حتى أن السلطان لا يكاد يقضي على تمرد ما حتى يظهر أمامه تمرد آخر ، فينشغل بإخماد نيران تلك التمردات عن الأمور الأخرى الخاصة بالرعاية .

ونجد أن تمردات القبائل في عصر بني رسول عكست نفسها على أوضاع البلاد السياسية من خلال انعدام الأمن والاستقرار ، كما أنها أدت إلى إهمال أمور الرعاية من قبل السلطان لانشغاله بها ، وبالتالي تدهور الحالة السياسية في البلاد .

## ب - فقدان سيطرة بني رسول على بعض المناطق :

(١) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ٩٧ ؛ شنبل ، تاريخ شنبل ، ص ٨٩ - ٩٠ .

(٢) ابن حاتم ، السمط الغالي لثمن ، ص ٢٢٠ - ٢٣٤ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٤) عن تلك التمردات التي عاشتها اليمن في فترة حكم بني رسول نظر أعلاه : ص ١٠٧ - ١٦٨ .

أحكمت الدولة الرسولية قبضتها على مساحة واسعة وكبيرة من أراضي اليمن ، وحرص سلاطينها على الحفاظ على هذه الأراضي ، وقاموا بإخضاع أي عصيان قد تقوم به القبائل ، إلا أن اشتداد تمرداتها وظهوره في أكثر من منطقة جعل الدولة في حالة عجز عن مواجهة جميع الجبهات ، بل أنها عبّرت عن فشلها في إخضاع كل هذه التمردات من خلال سكوتها عن أفعال هذه القبائل ، لاسيما بعد أن أصبحت هي المتحكمة في مصائر الرعية بدلاً عن الدولة ، وقد وصلت الأمور في منطقة تهامة إلى قيام المعازبة والقرشيين بطرد ملاك الأراضي عن أملاكهم في زبيد ، وسيطروا على نخلهم ، حتى أن الدولة فشلت في استعادة تلك الأراضي ، فظلت بيد هذه القبائل إلى ما بعد انتهاء الدولة الرسولية<sup>(٢)</sup> ، وقد حدث الشيء نفسه في منطقة الشحر التي خضعت لحكم قبائل حضرموت والمهرة المتناحرة بعد أن فقدت الدولة سيطرتها عليها ، ويبدو أن هذه المناطق ظلت تحكم إسمياً فقط من قبل بني رسول لإحكام القبائل قبضتها عليها<sup>(١)</sup> .

ولقد ظلت القبيلة كمجتمع صغير في ظل الدولة الرسولية تحكم من قبل أفراد القبيلة أنفسهم ، وأجهد بنو رسول أنفسهم في محاولات لتفتيت هذا المجتمع وصهره في المجتمع العام ، ونلاحظ هذا من خلال المحاولات التي قام بها سلاطين بني رسول لإخراج أفراد القبائل من مناطقهم وطردهم إلى مناطق أخرى على أمل أن ينصهروا بين القبائل الأخرى وغيرهم من الرعية ، ولم يؤد ذلك إلا إلى أن تتحد هذه القبائل مع قبائل منوئة أخرى وبالتالي زيادة واشتداد شرها<sup>(٢)</sup> وإحكام قبضتها على مناطق أخرى ، وفقدان سيطرة الدولة الرسولية على تلك المناطق .

ولم تأت سيطرة تلك القبائل لأراضي بني رسول إلا بعد أن شعروا بضعف السلطان وعجزه عن التصدي لأفعالهم ، حتى أن بعض هؤلاء السلاطين أنفسهم أعلنوا تخليهم عن بعض المناطق والحصون للقبائل ، بعد أن وجدوا أنهم يفتقدون القدرة على مقاومتهم ، ووصلت الجراءة ببعض هذه القبائل إلى أن تأخذ بعض المناطق والحصون بقوة السيف ، بعد أن رأت الحالة التي وصلت إليها أوضاع هذه الدولة من ضعف وانهايار ، فأخذت الدولة الرسولية تفقد أراضيها تدريجياً نتيجة لاشتداد حركة تمرد القبائل<sup>(٣)</sup> .

ومما لاشك فيه أن كثرة التمردات شجعت بعض الزعامات القبلية على القيام بمحاولات لإقامة دول لهم في بعض المناطق مثلما فعل محمد بن سعيد بن فارس الكندي

(٢) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ١٠٧ ؛ المسجد المسبوك ، ق ٢٥٩ أ - ب ؛ عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٧ .

(١) باكريت ، المهرة ، ص ١٨ .

(٢) الخزرجي ، العقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٣) عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٢٦ - ٢٩ .

بادجانة في الشحر سنة ٨٣٦ هـ<sup>(٤)</sup> ، وكما فعل محمد بن أبي القاسم بن نجاح الأشعري الذي حاول إقامة ملكاً في زبيد<sup>(٥)</sup> ، ورغم فشله في ذلك إلا أن محاولات بعض المشائخ في أواخر عصر بني رسول للاستقلال بما تحت يدهم كانت ناجحة ، حيث مكنهم هذا من اغتناء الأراضي والحصون وتقليص رقعة هذه الدولة التي شملت أكبر مساحة من اليمن .

### ج - القضاء على بعض الكيانات القبلية المستقلة :

قامت الدولة الرسولية باليمن في الوقت الذي كانت فيه العديد من المناطق خاضعة لحكم زعامات قبلية مستقلة بما تحت يدها من أراضٍ ، فكان الشيخ علوان بن سعيد الجحدري المذحجي يحكم شرق اليمن ( حجر ونواحيها بالإضافة إلى الحصون المنيعية مثل العروسين ووعل والبورة ونعمان شرقي الجند )<sup>(١)</sup> ، كما بسط الشيخ عمار السبائي يده على منطقة المعافر وعلى أهم حصونها ( يمين ومنيف والسمدان والسواء وغيرها )<sup>(٢)</sup> ، وفي بعدان حكم الشيخ أبو بكر بن معوضة ابن السيري<sup>(٣)</sup> ، وخضعت حصون الشوافي للشيخ الحسام الزاهر ، وحكم الشيخ الفهد بن وهبان بلاد شرعب<sup>(٤)</sup> ، والشيخ عبد الباقي الحبشي بعض أراضى منطقة الشوافي وبعض الحصون المهمة مثل دروان<sup>(٥)</sup> ، كما حكمت بلاد صهبان من قبل الشيخ الأسد الصهباني<sup>(٦)</sup> ، وكانت حضرموت خاضعة لسلطان الشحر عبد الرحمن بن راشد الكندي<sup>(٧)</sup> ، وخضعت مناطق أخرى لمشايعها ، وقد أقام السلطان المنصور نور الدين عمر ملكه واليمن مقسمة بين هؤلاء المشائخ وقبائلهم ، وظلت بعض القبائل ومشايعها يحكمون مناطقهم بعد أن قاموا بربط علاقاتهم مع بني رسول ، إلا أن ظهور الخلافات بين هؤلاء المشائخ وسلطين الدولة الرسولية ، بالإضافة إلى عدم رضى هؤلاء السلاطين عن أعمال وتصرفات بعض المشائخ لزيادة عصيانهم وتمردهم أدى إلى أن تمد الدولة الرسولية نفوذها

(٤) باكريت ، المهرة ، ص ٨١ .

(٥) ابن لديع ، قرّة لعين ، ص ٣٩١ .

(١) لخرجي ، لعقود للولوية ، ج ١ ، ص ١٣٨ .

(٢) لهداني ، ديوان ابن حمير ، ص ٩٣ - ٩٥ ؛ لخرجي ، المسجد المسبوك ، ق ١٠٠ ب ، ١٠١ أ .

(٣) لخرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، ٩٢ ، ١٠٧ .

(٤) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٥) لخرجي ، لعقود للولوية ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .

(٦) مجهول ، تاريخ لدولة لرسولية ، ص ١٦١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٤ .

(٧) إنجراس ، حضرموت ، ص ٣٠ .

إلى أراضي هذه القبائل بالقوة وتقضي على مشائخها<sup>(٨)</sup> ، وإن ظلت بعض سلالات هذه الأسر تحكم ولكن تحت تصرف السلطان الرسولي .

#### د - تشجيع التمرد والعصيان في البيت الرسولي :

لقد أدت موجة العصيان والتمرد التي تعرضت لها الدولة الرسولية من قبل القبائل إلى تشجيع بعض أفراد البيت الرسولي على الخروج عن الطاعة في محاولة للانفراد بالحكم بمساندة القبائل المعارضة للدولة في ظل فوضى عامة تعيشها البلاد ، ونلاحظ ذلك من خلال تصرفات بعض أفراد هذه الأسرة ، ولم يكن ذلك على مستوى البيت الرسولي ولكن كان ذلك أيضاً على مستوى قادة هذه الدولة البارزين الذين شجعتهم تمردات هذه القبائل على الخروج عن الطاعة<sup>(٩)</sup> ، لذلك نجد أن التمردات القبلية قد دفعت بعض أفراد الأسرة الرسولية وبعض القيادات العسكرية وبعض الولاة إلى عصيان الدولة والخروج عنها .

#### ٢ - الحياة الاقتصادية : جميع الحقوق محفوظة

##### أ - استنزاف الثروات الطائلة للدولة : معمة الأردنية

كلفت تمردات القبائل دولة بني رسول أموالاً طائلة لا تحصى لمواجهتها والقضاء عليها ، وصرفت أكثر تلك الأموال لإعداد الجيوش وتجهيزها بكل ما تحتاج إليه من سلاح ومؤن ورجال وعتاد ، ويصف لنا الخزرجي موقف السلطان المنصور نور الدين عمر من تمرد الأشراف عليه سنة ٦٣٤ هـ ، وكيف أنفق الأموال للقضاء على عصيانهم حيث يقول : " واستخدم السلطان العساكر وأنفق الخزائن وأتلف الأموال ، فكانت الأكياس تصب بين يديه صباً كما تصب أعدال الطعام " <sup>(١٠)</sup> ، وهذا دليل واضح على التكاليف والخسائر التي تحملتها هذه الدولة لإخماد مثل هذه التمردات . ويبدو أن سياسة السلطان المنصور نور الدين كانت قائمة على هذا الأساس ، حيث بذل الأموال لجذب خصومه إليه ، كما وزع الهدايا والهبات والكسوات لهم ، الأمر الذي جذب إليه الكثير منهم<sup>(١١)</sup> .

وفي بداية عهد السلطان المظفر يوسف ( الأول ) بن عمر شهدت البلاد موجة من الفوضى وعدم الاستقرار ، فاضطر المظفر إلى توزيع الأموال على رجال القبائل ، وأخذ في إقطاعهم الأراضي وتسليمهم الهدايا والهبات والكسوات ، وصرف الجوامك

(٨) لمزيد من التفاصيل عن كيفية قضاء الدولة الرسولية على هذه الكيانات ومشائخها انظر أعلاه : ص ١٧٠ - ١٨٣ .

(٩) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر أعلاه : ص ٨٠ - ٨٢ .

(١٠) عقود للولوية ، ج ١ ، ص ٥٩ - ٦٠ .

(١١) لمصدر نفسه ، ص ٦١ .

ليأمن بها شرهم وليقفوا إلى جانبه في حربه ضد أعدائه من أفراد البيت الرسولي والتمرديين من المماليك<sup>(٤)</sup> ، كما كلف شراء الحصون من القبائل السلطان المظفر يوسف ( الأول ) أموالاً كثيرة ، ولكنه لم يبذل بذلك مقابل الحصول على هذه الحصون<sup>(٥)</sup> .

لقد كان إعداد الجيوش وتمويلها من أكبر المشكلات التي كلفت دولة سلطان المظفر الأموال الباهظة ، لاسيما وأنه لم يتراجع عن دعم قواته بالخزائن والأموال والنفقات بشكل دائم لإخماد نيران هذه التمردات<sup>(٦)</sup> ، ويظهر أماناً حجم تلك التكاليف التي تحملتها دولته من خلال تجهيز الجيش الذي أعده لحرب سالم بن إدريس الحبوشي صاحب ظفار ، ومدى تكاليف المعدات والآلات الحربية والأساطيل البحرية والجنود والمؤن ، بالإضافة إلى القوات الغير نظامية من رجل القبائل وغيرهم من الرجال والمعدات التي استخدمت في هذا الجيش<sup>(٧)</sup> .

وكثيراً ما تشير المصادر إلى تعدد الحملات التي يرسلها السلطان الرسولي إلى مناطق وجبهات مختلفة من اليمن في وقت واحد لإخضاع تمردات قبائلها<sup>(٨)</sup> ، دون أن تتحدث تلك المصادر عن كيفية الإعداد لهذه الحملات ، ولكن يتضح لنا مدى حجم الخسائر المادية التي يتم استنزافها من خزانة الدولة ، حتى أن الأمور وصلت ببعض السلاطين إلى درجة إفلاس خزائهم<sup>(٩)</sup> ، بل أن بعض هؤلاء السلاطين أخذوا في استنزاف أموال خزائن دولتهم لاسترضاء مشائخ القبائل ولكسب ود القبائل وأفرادها<sup>(١٠)</sup> .

في حين قام بعض السلاطين مثل السلطان الأشرف ( الثاني ) إسماعيل بن عباس ببناء قوات عسكرية قوية ودعمها بكل ما تحتاج إليه من آلات الحرب وغيرها من الخيل والرجال ، وأخذ في استعراض قوة وكثافة وعتاد هذه القوات من خلال إرسالها إلى مناطق مختلفة من مدن تهامة لإرهاب المتمردين من القبائل ، بل أنه قاد ذلك الجيش بنفسه ، مما أدى إلى توافد رجال القبائل إليه معلنين طاعتهم وولائهم له ، كما أنه

(٤) عن سياسة السلطان المظفر يوسف ( الأول ) في التعامل مع قبائل نظر أعلاه : ص ٤١ - ٤٤ .

(٥) الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ١٤٧ .

(٦) ابن حاتم ، السمط لغالي لثمن ، ص ٤١٨ ؛ الخزرجي ، العسجد المسبوك ، ق ١٠٣ ب .

(٧) الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ١ ، ص ٢٠٧ - ٢١٣ .

(٨) الحمزي ، كنز الأخيار ، ص ١٢١ .

(٩) ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ٣٩٢ .

(١٠) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٧٢ - ٢٧٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .



أخذ في ترك قوات من جيشه في بعض المناطق التي مرّ بها<sup>(٥)</sup> . ونصل هنا إلى حقيقة مفادها أن خزينة الدولة الرسولية كانت مليئة بالأموال الكثيرة الطائلة ، ونلاحظ ذلك من خلال التكاليف التي أنفقتها جيوش هذه الدولة لصد هجمات القبائل المتمردة والتي استنزفت تلك الخزائن و أفلستها ، في الوقت الذي كان أبناء هذه الدولة ورعاياها في أمس الحاجة لتلك الأموال .

## ب - زيادة فرض الضرائب على الناس :

مما لا شك فيه أن إعداد الجيوش وتمويلها بما تحتاجه من سلاح وعتاد ورجال في حاجة ماسة إلى رأس مال كبير ، كما أن رؤوس الأموال أيضاً في حاجة إلى مصادر دخل دائمة ، لذلك أخذ سلاطين بني رسول يبحثون عن مصادر الدخل هذه ، فاتجهوا إلى فرض الضرائب على الناس لتسديد نفقات هذه القوات التي ترسل لإخماد تمردات القبائل ولحماية مصالح الناس وأموالهم ، فزاد بنو رسول من مواردهم المالية وعدادوا أنواعها ، وكان أهم هذه الموارد التي فرضت على الناس هي:

١ - الخراج : وهي ضريبة سنوية تقررها الدولة على الأراضي المزروعة وبساتين النخيل الداخلة في دائرة نفوذها<sup>(١)</sup> .

٢ - ضريبة العشور : وهي من الموارد غير الثابتة التي تؤخذ من التجار الواصلين إلى موانئ اليمن وخاصة عدن ، وقد لقي هؤلاء التجار اهتماماً كبيراً من قبل سلاطين هذه الدولة لما تدره تجارتهم من أموال ، بل أن أغلب متحصلات اليمن كانت من تجارتهم<sup>(٢)</sup> ، ويصف القلقشندي دولة بني رسول بأنها كانت أكثر مالاً من مملكة الأشراف بصنعاء وما والاها لكثرة الأموال التي كانت تدرها من هذه الضريبة ، لوقوعها على خطوط التجارة البحرية<sup>(٣)</sup> ، وقد أطلق على هذه العشور اسم مال الفُرْضة<sup>(٤)</sup> .

٣ - المكوس<sup>(٥)</sup> : فرض بنو رسول على التجار إلى جانب العشور مجموعة من المكوس ومنها: مال الشواني<sup>(٦)</sup> : وهي ضريبة تؤخذ من التجار مقابل حماية السفن التجارية من

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(١) عليان ، حياة سياسية ، ص ١٦٨ .

(٢) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٣) صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ٣٤ ؛ العمري ، في صفة بلاد اليمن عبر العصور ، ص ٢١٦ .

(٤) الفُرْضة : بمثابة صلاة الجمارك بالموالي في وقتنا الحاضر . عليان ، الحياة السياسية ، ص ١٧٩ .

(٥) المكس : جبي المال ، وفيه ظلم ، وهي دراهم تفرض كضريبة من بائعي السلع في الأسواق في الجاهلية . ابن منظور ، لسان

العرب ، ج ١٣ ، مادة مكس ؛ الفيروز آبادي ، لقاموس المحيط ، مادة مكس ؛ الباشا ، الكافي ، ص ٩٦٤ . وأصبحت

المكوس عبارة عن ضرائب سلطانية فرضت على الناس . المقرئ ، المواعظ ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ - ٣٣٠ .

الأخطار التي قد تتعرض لها أحياناً ، وقد توارث بنو رسول هذه الضريبة منذ عهد بني أيوب ، وكان مقدار هذه الضريبة يساوي عشر المتحصل من ضريبة العشور<sup>(٧)</sup> .

ومن المكوس أيضاً التي فرضت على التجار الوافدين إلى عدن ضريبتا:

( أ ) دار الوكالة : وتحسب على أساس ٤٠/١ من الثمن الذي يقدر للبضاعة الواردة .

( ب ) ضريبة دار الزكاة : وهي ضريبة لم تعف منها أية سلعة مستوردة حتى ولو كانت ضرورية للاستهلاك المحلي ، وقد استحدثت هاتان الضريبتان بعدن قبل قيام الدولة الرسولية بسنة واحدة أي سنة ٦٢٥ هـ<sup>(٨)</sup> .

وفضلاً عن ذلك ، فقد فرض السلطان المنصور نور الدين عمر أيضاً مكوساً على البضائع المعروفة في الأسواق ، وأخذ في جمع الأموال من جميع السلع التي تباع في الأسواق ، ولم يدع سلعه إلا لا وأخذ عليها ضرائب باستثناء الماء والسمك ، بل أنه أخذ في احتكار السوق عن طريق شراء جميع البضائع الواردة إليه ثم تحكم بأسعارها واحتكر تجارتها وهو ما أزعج التجار<sup>(٩)</sup> ، وقد بلغ ظلم السلطان المنصور نور الدين عمر ذروته ، حيث يصف لنا البريهي موقف الناس من ذلك الظلم ، وتوسيطهم العلماء ورجال الدين للتدخل وتخفيف ذلك الظلم عنهم ، حتى أنه بلغ الأمر بهم إلى أن يطلبوا من خطباء المساجد أن يدعوا لأبنه المظفر بدلاً عنه<sup>(١٠)</sup> .

ولقد نهج بعض سلاطين بني رسول الذين جاؤا بعد السلطان المنصور نفس الطرق للحصول على الضرائب المختلفة ، بينما عدل البعض الآخر عن ذلك<sup>(١١)</sup> ، إلا أن اشتداد تمرد القبائل فرض على هؤلاء السلاطين ضرورة الحصول على هذه الأموال لتغطية نفقات الجيوش والقوات التي يتم إرسالها لإخماد هذه التمردات بشكل متواصل ، مما أدى إلى أن يسن بنو رسول عدداً من الضرائب التي أرهقت الناس للقضاء على تمردات القبائل وكسر شوكتهم .

وفي هذه الصدد ، اتجه بعض السلاطين لأجل الحصول على الأموال إلى أسلوب المصادرة و الترسيم ، و يبدو أن أسلوب جمع الضرائب المختلفة لم تعد تكفيهم ولم تغطي نفقات جيوشهم و عسكرهم فأخذوا في جباية الناس ومصادرة أموالهم<sup>(١٢)</sup> .

(٦) الشوكلي : عبارة عن سفن حربية كبيرة . المقريري ، لمواظ ، ج ٢ ، ص ٢٩٣ .

(٧) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٦١ - ٦٢ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٦٣ - ٦٤ .

(٩) بامخرمة ، تاريخ ثغر عدن ، ج ١ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

(١٠) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٥٥ .

(١١) عن هؤلاء السلاطين وما فرضوه من ضرائب انظر أعلاه : ص ٩٠ - ٩٢ .

(١٢) ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٩٢ .

خلاصةً فإن كثرت التمردات كانت سبباً في زيادة فرض الضرائب المختلفة لحاجة الدولة لأموال هذه الضرائب في إعداد الجيوش و تمويلها بما تحتاجه ، الأمر الذي زاد في معاناة الناس وسوء حالتهم بسبب كثرة الضرائب وتنوعها.

### ج - تدهور الحركة التجارية :

أثرت تمردات القبائل بشكل كبير جداً على النشاط التجاري في دولة بني رسول ، حتى أنها أدت في بعض الفترات إلى شل خطوط التجارة وتوقفها ، بسبب هجمات القبائل التي تقوم بها على طرق القوافل التجارية ، خاصة في المناطق ذات الثقل التجاري مثل عدن . وتعد قبائل الجحافل من أكثر القبائل التي لعبت دوراً كبيراً في عرقلة خطوط التجارة ، والتي بسببها توقفت الحركة التجارية بين عدن وأبين<sup>(٥)</sup> . وغني عن القول أن عدن كانت من أنشط المدن التجارية في عهد بني رسول لاشتداد نشاط مينائها<sup>(٦)</sup> ، ولكثرة توافد السفن التجارية إليها ، ولازدهارها وانتعاش أسواقها بانتعاش حركتها التجارية . وقد أخذ سلاطين بني رسول في جمع الضرائب المختلفة من تجار هذه المدينة والتجار الوافدين إليها والخارجين منها ، فكان تجار عدن هم الذين يغذون مدن اليمن الأخرى بالبضائع الغالية عبر خطوط التجارة المارة بأبين أو لحج أو تعز<sup>(١)</sup> ، وكثيراً ما تشير المصادر إلى عظم هذه التجارة وكثرة بضائعها وتنوعها ، إلا أن عصيان القبائل وقيامها بقطع الطريق على هذه القوافل ونهبها أدى بدوره إلى توقف خروج هذه القوافل إلى خارج عدن خوفاً من مهاجمة القبائل لها ، ويبدو أن السفن التجارية الداخلة إلى ميناء عدن عند سماعها بذلك عملت على تغيير خط سيرها إلى الموانئ المجاورة لميناء عدن ، وبهذا تضررت الدولة بسبب توقف النشاط التجاري والجمركي ، وتضرر التجار والناس لعدم حصولهم على ما يحتاجون إليه من المواد الغذائية وغيرها ، كما تعرض ميناء الشحر للمشكلة نفسها من الركود والتدهور التجاري نتيجة لتناحر قبائل حضرموت والمهرة حول حكم المنطقة التي فقدت أمنها واستقرارها بعدما زادت هجمات القبائل على القوافل التجارية الداخلة والخارجة من الشحر ، فكان ذلك عاملاً معطلاً للحياة التجارية في المدينة<sup>(٢)</sup> .

(٥) الملك الأشرف ، طرفة الأصحاب ، ص ١٣٧ ؛ الجندي ، سلوك ، ج ٢ ، ص ٦١٦ ؛ الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٥٢ .

(٦) أنظر : شهاب ، حسن ، عدن فرضة اليمن ، ص ١٥٣ - ١٦٦ ؛ باوزير ، خالد سالم ، ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، لشارقة ، ٢٠٠١ م ، ص ٣٣ - ٣٧ .

(١) الخزرجي ، العقود للؤلؤة ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ؛ العسجد المسبوك ، ق ٢٤٦ أ ؛ ابن النبيع ، قرعة لعيون ، ص ٣٨٤ .

(٢) باكريت ، المهرة ، ص ١٨ .

لقد نتج عن مهاجمة القبائل للقوافل انتشار الخوف والفرع بين الناس ، لا سيما التجار الذين يملكون قوافل تجارية تعمل بين مدن اليمن المختلفة ، ونظراً لاشتداد الخوف ولفشل الدولة وضعفها في مواجهة هذه القبائل في بعض الفترات ، لجأ سلاطينها إلى التفاوض مع هذه القبائل وعقد الاتفاقيات التي تعهدت القبائل بموجبها بالحفاظ على سلامة هذه القوافل وطرقها وعدم مهاجمتها ، لتعود حركة التجارة إلى نشاطها مرة أخرى<sup>(٣)</sup> ، ولم يكن هذا على مستوى القوافل الخارجة من عدن بل أن ذلك كان على مستوى القوافل الداخلة إليها ، حيث يشير الخزرجي إلى قيام الأشاعر بمهاجمة قافلة تجارية يملكها مجموعة من تجار الخيل كانت متجهة إلى عدن<sup>(٤)</sup> ، كما عانى تجار أبيات حسين في سنة ٧٥٠ هـ من أفعال بعض مشائخ المنطقة ، مما أدى إلى تدهور الحياة التجارية فيها<sup>(٥)</sup> ، حتى أن شيخ أبيات حسين عكم بن وهبان بالغ في العصيان والتمرد ، وأخذ في استفزاز وابتزاز تجارها فعكس ذلك نفسه على الحركة التجارية فيها . وفي سنة ٨٠٦ هـ زاد تمرد المعازبة في نواحي زبيد فانتشر الخوف وتوقفت التجارة ، ويبدو أن سبب هذا التوقف في التجارة يعود إلى أعمال قرصنة<sup>(٦)</sup> كان يقوم بها المعازبة في البحر ، وانقطاع السفن التجارية الواصلة من الهند وغيرها إلى مواني اليمن<sup>(٧)</sup> .

وفي أواخر عصر الدولة الرسولية شهدت عدن تدهوراً في الحركة التجارية ، وشهد إقتصادها انهياراً واضحاً<sup>(٨)</sup> ، بسبب ما تعرضت له من تمردات وصراعات داخلية بين قبائل آل أحمد و آل كلد اليافعية ، حتى أن شوارعها أصبحت مسرحاً للتناحر بين هاتين القبيلتين ، فماتت بسبب ذلك تجارتها وفقدت أمنها و أغلقت حوانيتها و دكاكينها ، وأصبح تجارها يدفعون الأموال لهاتين القبيلتين لقاء سلامة تجارتهم و تجنباً لابتزاز رجالهم<sup>(٩)</sup> .

وكيفما كان الأمر ، فقد أنفق بنو رسول الكثير من الأموال لإخماد تمردات القبائل و التمردات التي قادها أفراد البيت الرسولي أو غيرهم ، وكانت الموارد الضخمة للدولة وخاصة عائدات ميناء عدن من الرسوم الجمركية تسمح بالإنفاق على تلك الحملات المتوالية ، ولكن تدهور أوضاع الميناء وازدياد حركة القبائل في قطع الطريق ، بالإضافة إلى ازدهار بعض الموانئ المجاورة لميناء عدن مثل ميناء جدة أضعف من شأن ميناء عدن لتحول السفن

(٣) الخزرجي ، لعسجد المسبوك ، ق ٢٥٢ أ .

(٤) العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٨٢ — ٨٣ .

(٦) Hedy, W , Histoire du commerce du levant au moyen age , tome 2 , Leipzig , 1925 , pp 34 - 36

(٧) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ — ٥٦١ .

(٨) محيرز ، عبد الله ، صيرة لأبحاث عن بعض معالم عدن ومراقفها الإقتصادية و العسكرية ، عدن ، ١٩٩٢ م ، ص ٦٤ .

(٩) بامخرمه ، قلادة النحر ، ج ٣ ، ق ١٥٧ أ .

عن الرسو فيه ، وأطاح بالمورد الرئيسي لدخل بني رسول ، الأمر الذي أضعف قوة بني رسول وأعجزهم عن الإنفاق على جيوشهم ، فوجدها بنو طاهر فرصة لاستغلال هذا العجز أحسن استغلال لإعلان قيام دولتهم<sup>(٤)</sup> .

خلاصة القول أن تكرر التمردات واستمرارها ووصولها إلى الحياة التجارية أضعف التجارة ودهورها، مما أدى إلى انهيار إقتصاد الدولة الرسولية التي عجزت عن تمويل قواتها لضرب هذه التمردات ، وبالتالي تقليص ملكهم وزواله على يد بني طاهر .

#### د - انتشار الجوع وتفشي الأمراض :

أظهرت تمردات القبائل نتائجها العكسية على الأوضاع الداخلية للبلاد ، وقد لاحظنا سابقاً أن أول ما تقوم به عساكر السلطان الرسولي عند مهاجمتها للقبائل هو إتلاف مزارعها أو إحراقها ، والبحث عن مخزون القبيلة من الحبوب وغيرها والاستحواذ عليها ، وبالتالي فقدان القبيلة لمخزونها الشهري أو السنوي من الطعام ، وانتشار الجوع وظهور المجاعة بين أوساط أفرادها . ولتدمير البنية الاقتصادية للقبيلة كاملة اتجه جنود بني رسول إلى أخذ كل ما تملكه هذه القبيلة أو تلك من مواشي ، فتصبح القبيلة لا تملك قوت يومها ، وكان السلطان المنصور نور الدين عمر هو أول من استخدم هذا الأسلوب في التعامل مع القبائل ، وتعد قبائل بني شهاب وقبائل بني الراعي وقبائل حضور من تلك القبائل التي عوقبت من قبل السلطان المنصور نور الدين بهذا الأسلوب ، فكان إتلاف زرعهم سبباً في تدهور أوضاعهم الاقتصادية وانهيارها<sup>(١)</sup> ، وقد سار السلطان المظفر يوسف ( الأول ) على نفس سياسة والده المنصور<sup>(٢)</sup> فتعامل مع تمردات القبائل بالأسلوب المذكور<sup>(٣)</sup> .

لقد كانت أكثر المناطق تعرضاً لإتلاف زراعتها هي المناطق الأكثر زراعة والأشد تمرداً مثل المناطق التهامية ، لهذا حرص سلاطين هذه الدولة على القضاء على البنية الاقتصادية الزراعية والحيوانية للقبائل ، وتعد قبائل المعازبة والقرشيين والأشاعر أكثر تلك القبائل تعرضاً لإتلاف زراعتها ، وكانت قبائل المعازبة أكثر القبائل التهامية التي اتخذت ضدها سياسة التجويع ، من خلال تدمير إقتصادها بحرق أو قطع مزارعها أو نخلها المعروف بالمديبي<sup>(٤)</sup> .

(٤) محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٥٧ ؛ بلوزير ، ميناء عدن ، ص ٣٥ .

(١) ابن حاتم ، السمط الغالي الثمن ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢٨ .

(٣) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٢٩ ، ١٣٥ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة لرسولية ، ص ١١٦ - ١١٧ ، ١٢١ ، ١٥٧ .

(٤) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٩٨ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٣٥ ، ٢٧٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ - ٣١٠ .

ولم تظهر نتائج التمردات فقط على القبائل المتمردة نفسها، بل ظهرت أيضاً على أوضاع الرعية من ملاك الأراضي الذين تضرروا من هذه التمردات ، بعد أن فقدوا أراضيهم ومزارعهم ونخلهم مصدر رزقهم الوحيد الذي سيطرت عليه قبائل المعازبة والقرشيين ، لهذا ساءت الحالة الاقتصادية للناس وتفشى الجوع بينهم لفقدانهم قوت يومهم<sup>(٥)</sup> . وفي الوقت نفسه أخذ بعض سلاطين هذه الدولة في إصدار الأوامر إلى قادتهم بتجويد هذه القبائل بالبحث عن مخزونهم من الطعام الذي تخفيه القبائل تحت الأرض أو في أماكن مخصصة للطعام لأيام الجفاف الذي قد يتعرضون لها<sup>(٦)</sup>، وكان هذا من أشد الكوارث التي كان يتعرض لها الناس من قبل الدولة ، حيث يصبح لا زرع معهم ولا مخزون ، فينتشر الجوع و المجاعة وتنفش الأمراض ، وتكون تلك هي ورقة الضغط التي تستخدمها الدولة لإخضاع القبائل وإعادتها إلى حظيرة الدولة .

وكثيراً ما تشير المصادر إلى انتشار المجاعات خلال تاريخ بني رسول ، وتعيد ذلك إلى انقطاع الأمطار والجفاف ، وقد لا تشير في بعض المرات إلى سبب محدد لهذه المجاعة<sup>(٧)</sup> التي قد يكون سببها عصفان القبائل وتدمير الدولة للاقتصاد الزراعي لهذه القبائل كرد فعل .

وفضلاً عن ذلك ، فقد نتج عن الحصار الذي فرضته الدولة على بعض القبائل تدهور في حالتها، ومن ثم تفشى الأمراض بين أفرادها ، وبسبب اشتداد الحصار وكثرة الاحتكاك بين أفراد القبيلة المحاصرة انتشرت الأمراض المعدية التي أخذت في الانتقال من شخص إلى آخر ، وزيادة عدد الوفيات بين أفرادها<sup>(٨)</sup>، وقد عانى أهالي عدن من الجوع والعطش والخوف ونقص الإمداد في فترة الصراع بين المجاهد ومناقسه الظاهر عبد الله بن أيوب ، خاصة بعد الحصار الذي كان المجاهد كثيراً ما يفرضه على أهالي هذه المدينة لميلهم إلى الظاهر ، ورغبة منه في إسقاطها<sup>(٩)</sup>. ومما لاشك فيه أن تدهور الحياة الزراعية و التجارية في بعض الفترات أدى إلى ارتفاع أسعار البضائع التي قد يعجز الناس عن شرائها ، وهناك إشارات كثيرة توردتها المصادر عن ارتفاع في الأسعار وتدهور في حالة الناس بسبب ذلك<sup>(١٠)</sup> ، كما أن عدم

(٥) الخزرجي ، المسجد المسبوك ، ق ٢٠٠ ، أ ٢٥٩ ، ب ؛ عماد الدين إدريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٧ .

(٦) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٠٦ ؛ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ٢٣٥ ، ٢٧٧ .

(٧) عن تدهور حياة الناس بسبب المجاعة ، انظر أعلاه : ص ٩٢ — ٩٣ .

(٨) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٩) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٠٠ — ٦٠١ ؛ محيرز ، عبد الله أحمد ، صهاريج عدن ، دار الهمداني ، عدن ، ١٩٨٧ م ، ص ١٥ — ١٦ .

(١٠) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٤٦١ ؛ المسجد المسبوك ، ق ١١٥ .

استقرار الأوضاع في أوقات الحروب والأزمات بين بني رسول و القبائل يؤدي إلى احتكار البضائع التجارية من قبل التجار ، و بالتالي ارتفاع أسعار البضائع وتضرر الناس<sup>(٤)</sup> .

لقد جاءت هذه التمردات القبلية بنتائج عكسية على أفراد القبائل نتيجة لرد فعل الدولة الشديد ضدها ، فكان ذلك سبباً في تدهور الحياة الزراعية لهذه القبائل ، وانتشار المجاعات التي بسببها أخذت القبائل بمهاجمة أملاك الناس للحصول على قوتها ، كما أدى انتشار المجاعات إلى تفشي الأوبئة والأمراض التي أخذت في الانتشار والانتشار بين عامة الناس لعدم تدخل الدولة للقضاء عليها .

### ٣ - الحياة الإجتماعية :

#### أ- عدم اهتمام الدولة بأوضاع القبائل المتمردة :

دخلت الدولة الرسولية في صراع دائم مع بعض القبائل المتمردة ، حتى أنهم أظهروا عداوتهم لهذه القبائل بشكل واضح من خلال تكرارهم للهجمات المختلفة على أراضيهم ، بالإضافة إلى قيامهم بأعمال السلب والنهب والحرق والتدمير ، وإهمالهم لأوضاع هذه القبائل الداخلية ، وعدم قيامهم بأي مشاريع أو أعمال يستفيد منها أفرادها ، لدرجة عدم ذكر المصادر لأي مشاريع قد قامت بها لهذه القبائل ، وقد نلاحظ قيام سلاطين بني رسول وأمرائهم وولاتهم أيضاً بنسائهم ببناء المدارس والجوامع والأربطة والسدود ودور الأيتام وخزانات المياه في مناطق محدودة مثل تعز و زبيد وعدن وحيس وظفار الحبوشي وبعض قرى ومدن التهائم ومكة أيضاً ، بينما انعدمت مثل هذه المشاريع في غيرها من المناطق التي كانت قبائلها في عداة دائم مع بني رسول إلا فيما ندر من هذه المشاريع<sup>(١)</sup> .

والجدير بالذكر أن أي تحسن في العلاقة بين بني رسول والقبائل الخارجة عن الطاعة كان سبباً في اهتمام سلاطينها بهذه القبيلة ، ونلاحظ هذا في موقف بني رسول من الأشاعر في سنة ٧٩٩ هـ ، حيث أن تحسن العلاقة بينهما جعل السلطان الأشرف إسماعيل ابن العباس يتفقد أحوالهم ، ويأمر بإعادة تنظيم إدارة مسجدهم مسجد الأشاعر ، كما صرف الأموال لأفرادها<sup>(٢)</sup> .

(٤) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٨٤ - ٨٥ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٤٤١ ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ١٥٨ - ١٥٩ ، ٣١٧ - ٣١٨ .

(٢) لمصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٦ .

ونجد أن عداء القبائل لبني رسول أدى إلى حرمان تلك القبائل من المشاريع التي قد يستفيد منها أفراد القبيلة الذين ظلوا يعيشون في حالة من التخلف والحرمان من هذه المشاريع .

### ب - انتشار الخوف في القبيلة :

ظلت القبيلة في خوف دائم من رد فعل بني رسول ضد أي تصرف قد يقوم به أحد أفرادها ، فيكون ضحية ذلك أطفال ونساء وشيوخ القبيلة الذين لا حول لهم ولا قوة ، لهذا انتشر الخوف والهلع كلما قامت معركة بين القبيلة والدولة ، ويتولد ذلك الخوف من خلال مشاهد القتل والتنكيل بالجثث وقطع الرؤوس ومشاهد الإعدام بأنواعه المختلفة التي تقام أمام الأطفال والنساء دون مراعاة لبشاعة هذا الأسلوب وتأثيره النفسي على هؤلاء الأطفال والنساء ، وقد نلاحظ أبشع تلك الصور عندما يكون المحكوم عليه أباً أو زوجاً لأحد الحاضرين ، حيث تترك تلك الأفعال لدى أحد هؤلاء الأطفال نزعة عدوانية تظل في مخيلته إلى أن يبلغ سن الشباب ، فيواصل الطريق الذي سار عليه أبوه أو عمه أو غيرهم من أفراد قبيلته ، ونجد أن الدولة الرسولية حكمت اليمن مدة ٢٣٢ سنة وهي في صراع دائم مع بعض القبائل ، حتى أنه لم يحكم أحد من سلاطينها دون أن يكون له وقعة معهم ، ولو أخذنا قبيلة المعازبة كمثال نلاحظ أن أفرادها قد توارثوا هذه الصراخ منذ طفولتهم خلفاً لأبائهم ، وتسير الأيام ويرث هؤلاء الأطفال ذلك الصراخ ، هكذا إلى ما لانهاية من الصراعات ، فتكون النزعة الانتقامية التي ورثها الأطفال هي الدافع وراء ذلك الصراخ ، كما أن الخوف من المجهول هو الذي يدفعهم إلى تلبية نداء القبيلة عند الحرب .

لقد كان لنظام المحاط الذي فرضه بني رسول دوراً في انتشار الخوف بين أوساط القبائل كافة، لما فيه من ظلم وانعدام للإنسانية وانتهاك للحرمان وتعدٍ عليها بصورة يرفضها الشرع والدين<sup>(١)</sup> ، لهذا لم تنعم معظم القبائل التي كانت على خلاف مع بني رسول بالأمن والاستقرار، وظلت تعيش حياة خوف وهلع لما رأته من سياسة سلاطين بني رسول التعسفية.

### ج - تدمير المدن أو تخريب معالمها :-

تركزت التمردات القبلية بصمات واضحة على المدن و القرى التي خربت ودمرت من جراء الفوضى التي أحدثتها القبائل في البلاد ، وكانت قبائل المعازبة أكثر قبائل اليمن التي اتبعت أسلوب التخريب للمدن و القرى دون مراعاة لسكانها ووضعهم ، وتعتبر مدينة القحمة من أوائل المدن التي تعرضت لهجمات المعازبة سنة ٧٢٤هـ ، ونتج عنها تدمير بيوتها

(١) سلطان ناجي ، التاريخ العسكري لليمن ، ص ١٢٣ .



وأسواقها وتشريد أهلها<sup>(٢)</sup>، ويبدو أن سياسة التدمير هي الطريق التي سار عليها المعازبة ، ففي سنة ٧٥٤هـ هاجموا مدن تهامة وأحرقوا بعضها مثل المهجم والقحمة والكدراء والتريبة بعد نهبها وإخرابها ، حتى أن تلك المدن أصبحت تحت سيطرة هذا القبيلة بعد زوال حكم بني رسول منها<sup>(٣)</sup> .

واستمرت قبائل المعازبة في تدمير مدن تهامة وقراها ، مما أثر على حياة الناس ووضعهم ، حيث أصبحوا يعيشون حياة خوف و عدم استقرار لابتزاز هذه القبائل لهم<sup>(٣)</sup> ، كما كانت قبائل الجحافل من القبائل التي أخذت في مهاجمة المدن وتدميرها وحرقها ، ففي سنة ٧٩٦هـ قامت هذه القبائل بمهاجمة لحج ونهبها ثم إخراجها ، وفي الوقت نفسه عانت قرى أبين ودثينة من خطر هذا القبائل لولا تصدي الدولة لهم ، وتهديدهم باستخدام العنف ، كلما شعروا بميلهم نحو العصيان<sup>(٤)</sup> .

لقد وجدت في اليمن مدن وصفتها المصادر بأنها من عجائب مدن اليمن وأحسنها ، لما احتوته من مساجد ومدارس ودور علم وطبيعة خلابة ، وكانت أبيات حسين من تلك المدن ، إلا أن هجمات قبائل الزعلين الهمجية عليها أدت إلى إخراجها ، فأصبحت من مدن وادي سررد الخربة<sup>(٥)</sup> .

وقد اتبعت الدولة الرسولية سياسة مماثلة لسياسة التدمير التي سارت عليها القبائل ، وكان السلطان المنصور نور الدين عمر أول من نهج هذه السياسة ، حيث أخذ في إخراج وإحراق وتدمير قرى العصاة من القبائل دون رحمة أو رأفة بسكانها<sup>(١)</sup> ، وكذا لم يتراجع ابنه السلطان المظفر عن التخلي عن هذه السياسة فأحدث الخراب بمدن المتمردين وقراهم ، فكان خراب صعدة وماجاورها على يد قواته سنة ٦٦٦هـ خير دليل على ذلك<sup>(٢)</sup> .

وفي هذا الصدد ، وجد بقية سلاطين هذه الدولة أن هذه السياسة هي خير وسيلة للتعامل مع العصاة من القبائل ، لهذا أحرق مدنها وقراها دون مراعاة لمصير الأطفال والنساء الذين سيكونون عرضة للتشريد والضياع<sup>(٣)</sup> .

(٢) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ ؛ الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ٢١ - ٢٢ ؛ ابن الديبع ، قرعة العيون ، ص ٣٥٣ .

(٣) يحيى بن الحسين ، غلية الأماني ، ج ٢ ، ص ٥١٧ .

(٣) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ ، ١٠٤ - ١٠٥ ، ١١١ - ١١٢ ، ١١٣ - ١١٤ ؛ بالمخرمة ، تاريخ شجر عدن ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

(٤) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١١٤ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ٢٣٢ - ٢٣٣ ، ٢٥٥ .

(٥) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، ٣٤ ، ١٣٦ ؛ عماد الدين إبريس ، روضة الأخبار ، ص ٥٧ - ٥٨ .

(١) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ، ص ٨٠ - ٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ، ص ١١٩ - ١٢٠ ، ١٢٤ - ١٢٥ ، ٢٧١ - ٢٧٢ ؛ الكبيسي ، اللطائف السنية ، ص ١٠٧ .

ويبدو أن هذه السياسة التي سارت عليها الدولة الرسولية أو المناوؤن لها من القبائل و غيرهم هي من السياسات الهمجية التي أفقدت اليمن تاريخها و أثارها و معالمها ، لا سيما عند ما تطبق على بعض المدن التاريخية و الأثرية مثل صنعاء أو زبيد وما حولها أو عدن ولحج أو غيرها من المدن التي شهدت قيام حضارات فيها ، فكان تضرر المدن في عصر بني رسول من أكبر الآثار التي تركتها التمردات القبلية .

#### د - افتقار القبيلة للاستقرار الاجتماعي والنفسي :

عاشت معظم القبائل المعادية لبني رسول حياة تشرد وعدم استقرار نتيجة لمطاردة الدولة لهم بشكل دائم ، فكانت البراري المحرقة ورؤوس الجبال العالية والجزر النائية مأوى لتلك القبائل ، وقد فضلت هذه القبائل العيش في هذه المواقع على أن تتعرض لعقاب بني رسول وإرهابهم ، إلا أن حياة التشرد و الترحال والمطاردة لم ترق لبعض هذه القبائل حيث فضلوا العودة إلى طاعة السلطان بأسرهم بعد أن ملؤوا هذه الحياة المتعبة<sup>(٤)</sup>.

إن ما يزيد الأمور سوءاً هو أن تهرب القبيلة بجميع أفرادها نساء وأطفال وشيوخ ، وتظل هذه المجاميع مطاردة في البراري دون مأوى أو مأكّل أو مشرب ، وتظهر المعاناة أكثر على النساء والأطفال والشيوخ الذين لا يقوون على مشقة البحر ووعورة الجبال وحرارة الصحاري الجافة<sup>(٥)</sup> ، ووجد بنو رسول أن تلك هي خير وسيلة لإجبار هذه القبائل على الإستسلام والإنصياع لحكمهم ، وهو ما جاء بنتائج إيجابية مع بعض القبائل التي أدركت الأضرار الاجتماعية و النفسية على أفراد عائلاتها .

وفي هذا الصدد ، فقد كان لنظام الرهائن الذي فرضه بنو رسول على القبائل أثاره النفسية على الرهائن أنفسهم من الأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد ، ومن هنا ندرك مدى المعاناة النفسية و العصبية التي تمر بها أسر هؤلاء الرهائن ، لاسيما الأبناء و الأمهات الذين يظلون في حالة اضطراب وخوف دائمين توقّعاً لأي حدث قد يؤدي للقضاء على أبنائهم الرهائن<sup>(٦)</sup> .

(٤) عن موقف بعض القبائل من هذه الحياة انظر أعلاه : ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٥) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ، ص ١٧١ ، ٢٤١ ؛ مجهول ، تاريخ لدولة الرسولية ، ص ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٥ - ١٢٦ ، ٢١٦ .

(٦) يصف أمين الريحاني نظام الرهائن بأنه حكم عسكري قلبي وشديد وفيه الكثير من الارتياب . ملوك العرب ، ج ١ ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أدى رد فعل الدولة على العصيان إلى تحطيم حياة هذه القبائل الأسرية وتشريد نسائهم وأطفالهم وسبيهم ، حتى أن أسر بعض زعماء القبائل و مشائخ المناطق وقعوا ضحية للأسر<sup>(٢)</sup> ، وعاشوا حياة بؤس وإذلال بعد حياة العزة و الجاه التي عاشوها .

ومن الأمور التي زادت الأوضاع سوءاً فيما يخص الرهائن و الأسرى أن الصراع النفسي و الخوف الذي كانوا يعانون منه ولما قد يتعرضون له من تعذيب أو أذى أو تحرش من العسكر قد يأتي بنتائج عكسية وسلبية على نفسية وعقلية هؤلاء ، كما قد تتولد نزعة عدوانية تتشأ في داخل الرهائن والأسرى من الأطفال ، وتظل في وجدانهم إلى أن يتصلب عودهم فيسيرون على نهج آبائهم وأفراد قبيلتهم من العدوانية والحقّد على بني رسول .

### و- زيادة التخلف في بعض القبائل :

لقد عكس رد فعل الدولة على عصيان القبائل نفسه على مستواهم التعليمي و الثقافي ، وأصبح من النادر أن نجد في هذه القبيلة أو تلك من القبائل المتمردة علماء بارزين أو فقهاء ، إلا فيما ندر ، ونلاحظ ذلك واضحاً على بعض القبائل شديدة العصيان مثل المعازبة أو الرماة أو الواعظات والقرشيين والجحافل أو غيرهم من القبائل التي اهتم رجالها بمخالفة الدولة والاتجاه إلى التمرد أكثر من اتجاههم إلى العلم والمعرفة ، ويبدو أن عدم انتشار العلوم الشرعية كان من الأسباب التي جعلتهم يتجهون إلى أعمال السلب والنهب والقتل والتخريب وأخذ حقوق الناس بغير حق ، وذلك لعدم وجود الوازع الديني الذي يعمل على ردعهم ومنعهم من القيام بمثل هذه الأعمال التي لا يقبلها دين ولا شرع .

(٢) الحمزي ، كنز الأخبار ، ص ١٠٢ ؛ مجهول ، تاريخ لدولة الرسولية ، ص ١٢٧ - ١٢٩ .

## الخاتمة

أدركت الأسرة الرسولية منذ دخولها إلى اليمن الأهمية التي يمثلها الانتماء القبلي إلى هذه الأرض ، وكان للمقاومة العنيفة التي واجهتها القوات الأيوبية الأجنبية من قبل القبائل اليمنية التأكيد الأكبر على أن اليمن لا تخضع لأي قوة أجنبية ، وأنها لا تحكم إلا من قبل أبنائها ، وتعد هذه الحقيقة التي استوعبها بني رسول جيداً من أهم العوامل التي ساعدتهم على إقامة ملك لهم في اليمن ، لذلك سعوا في تحسين علاقتهم مع القبائل ، ودعوا إلى الصلح مع القوى المعارضة من الزيدية .

ولترسيخ ارتباط بني رسول بهذه الأرض ادعوا النسب اليمني ، وأخذوا في بث ذلك بين العامة والخاصة من أبناء اليمن ، وبهذا زاد الارتباط بين القبائل اليمنية وبني رسول، بل أنهم مكنوا شرعية حكمهم باعتراف الخليفة العباسي في بغداد بدولتهم ، لذلك نجد أن السنوات الأولى من قيام هذه الدولة قد اشتهرت بالهدوء والسكينة وقلّت تمرّدات القبائل وغيرها . ولقد كان للوعود التي تعهد بها مؤسس هذه الدولة السلطان المنصور نور الدين عمر بعدم عودة الغزاة من الأيوبيين إلى أرض اليمن دوراً في استمرار هذا الهدوء ، حيث غمرت الفرحة اليمنيين بعد تخلصهم من السيطرة الأيوبية ، وعودة حكم اليمن إلى بني رسول الذين نجحوا في استمالة القبائل بقضية النسب التي نشروها .

ومن هنا نجد أن بني رسول كانوا قد استوعبوا واقع الحياة في اليمن ودرسوا التركيبة التي يقوم عليها المجتمع ، ويبدو أنهم أدركوا أن هذا المجتمع يقوم على النظام القبلي الذي يقدر ويحترم من هو أقوى وأصيل ، وأنه لن يكون لهم مكان على هذه الأرض إلا بذلك ، ففرضوا وجودهم بالقوة وبالحق الذي ادعوه بنسبهم المزعوم .

لقد شكلت القبيلة بالنسبة لسلطين بني رسول سلاحاً ذو حدين ، ففي الوقت الذي كانت فيه القبيلة هي القوة التي يعتمد عليها السلطان لإقرار الأوضاع وإخضاع المناطق كانت القبيلة هي نفسها التي تختلف معه ، فظلت العلاقة بين بني رسول والقبائل في مد وجزر طوال عمر هذه الدولة ، وأخذت بعض هذه القبائل في استغلال فترات الضعف التي تتعرض لها الدولة فتشعل نار الفتنة في المنطقة ، فكان رد فعل الدولة عنيفاً معها ، مما اضطرها إلى اللجوء إلى القوى المناوئة لبني رسول لموازرتها ، وتعد الزيدية والمنشقون من أمراء بني رسول وقادتهم وولاتهم والقبائل الأخرى المعادية للحكم من أفضل القوى التي تلجأ إليها القبائل وتتحالف معها معلنة بكل جرأة عصيانها ، فعانت الدولة من هذه التحالفات التي تقيمها القبائل مع القوى المعارضة لها ، وسعت الدولة لتفكيك مثل تلك التحالفات من خلال ضربها

والقضاء عليها مستخدمة مختلف أنواع العنف والإرهاب في ذلك ، ولم تكن تلك الأساليب تخيف هذه القبائل التي لم يعد عنف بني رسول يعني لها شيء فاستمرت على عصيانها وتمردتها .

وزادت الأمور توتراً في اليمن وعمت الفوضى في ربوعها بعد أن أصبح للقبائل أسبابها الخاصة التي دعتها إلى التمرد ، مع أن المصادر التاريخية لم تشر إلى تلك الأسباب بشكل واضح ، ولكننا يمكن أن نستنتج ذلك من خلال واقع الأحداث التي وصفتها تلك المصادر ، لهذا توسعت الفجوة بين سلاطين بني رسول والقبائل ومشائخها نتيجة للمحاولات المستمرة التي كان يقوم بها السلاطين لفرض سيطرتهم على القبائل .

لقد كانت سياسة التعسف والجبروت والظلم وأخذ حقوق الناس بغير حق التي تميز بها بعض السلاطين والولاة والقادة والأمراء ، بالإضافة إلى قلة كفاءتهم وضعف خبرتهم من الأمور التي ضاعفت من غضب القبائل وثورتها ، وكان للضرائب والمكوس المختلفة التي فرضتها الدولة لجمع الأموال من عامة الشعب وتسخيرها لحياة الترف والنعيم والبذخ أثره في استمرار هذه التمردات ، خاصة وأن اليمن كانت قد مرت بفترات عصيبة وحرارة من المجاعة والقفح وجب على الدولة تخفيفها بتسخير تلك الأموال لصالح الرعية ، ولكن سياسة بعض السلاطين والأمراء لم تزد الأمور إلا سوءاً وتعقيداً .

وفضلاً عن ذلك، فقد نظرت القبائل إلى طريقة التعامل التي اتبعتها سلاطين بني رسول معهم بأنها نوع من التعسف بعدما أصبحت الدولة تتدخل في أبسط الأمور كحمل السلاح وتحديد المهن التي يجب أن يقوم بها أبناء بعض المناطق وتشجيعهم على اتباع بعض الأمور المخلة بالأخلاق لتصبح عادة متبعة بينهم مثل عادة السبوت التي تتركب فيها المنكرات ، كما ثارت القبائل وتمردت ضد الدولة الرسولية كلما قامت الحرب بين بني رسول والأئمة الزيديين ، فعلى الرغم من خضوع هذه القبائل ووقوعها تحت الحكم الرسولي ، إلا أن الصراع بين الأشراف الزيديين و بني رسول السنيين يفرض عليهم تلبية نداء إخوانهم في المذهب فيعلنون خروجهم عن الطاعة ضد حكم بني رسول .

لقد عانت القبيلة كثيراً في عصر بني رسول من سياسة السلاطين والأمراء والمتنفذين في السلطة الذين لم يجدوا القوة الرادعة لهم من قبل الدولة ، مع وجود سلاطين حكموا من هذه الأسرة شهد لهم التاريخ مثل السلطان المظفر يوسف ( الأول ) وابنيه الأشراف والمؤيد وغيرهم ممن قاموا بإنصاف الرعية وتقديم العون لهم وكسب ودهم في صف الدولة .

والجدير بالذكر أن القبائل الخارجة عن طاعة الدولة نهجت أساليب مختلفة أثناء تمرداتها ، ولم تتفق تلك الأساليب بين منطقة وأخرى إلا فيما ندر ، ونلاحظ ذلك واضحاً في طريقة تمرد هذه القبائل . فالقبائل التي تعيش في بيئة زراعية تختلف في أسلوب تمرداتها عن

القبائل التي تعيش في مناطق ذات بيئة تجارية أو قريبة منها ، كما أن القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية تختلف في أسلوب تمرد لها عن القبائل التي تقيم في المناطق الساحلية . ونستنتج هنا أن البيئة التي تعيش فيها القبيلة هي التي تفرض عليها أسلوب وطريقة تمرد لها ، فمثلاً كانت طبيعة قبائل المعازبة الزراعية والساحلية سبباً في جعل هذه القبائل تتجه إلى مهاجمة الأراضي الزراعية الخاصة بالدولة وبأبناء منطقة تهامة أو مهاجمة مصالح بني رسول في المنطقة ، ولم يخرج أبناء هذه القبيلة في تمردهم عن هذا الإطار التقليدي الذي توارثوه عن آبائهم ، كما اتجهوا في بعض الفترات إلى القرصنة البحرية وقطع الطريق على القوافل والسفن التجارية بحكم موقعهم الجغرافي الواقع على البحر الأحمر ، وبحكم معرفتهم ببعض الجزر الموجودة في داخل البحر ، وهي الطريقة التي سارت عليها قبائل حضرموت والمهرة الساحلية .

واتجهت قبائل الجحافل في تمرد لها بحكم موقعها القريب من عدن إلى قطع الطريق على القوافل الخارجة والداخلية إليها ، وأصبحوا بهذه الطريقة يشكلون خطراً على خط سير القوافل التجارية ، وفي الوقت نفسه اتجهوا إلى مهاجمة أملاك الناس الزراعية بحكم سكنهم في أبين ودثينة ، وأصبح نهب أملاك الغير مصدر رزق بالنسبة لهذه القبيلة ، بينما أخذت قبائل يافع في استغلال بعض فترات الاضطراب والفوضى فأظهرت تمرد لها بمساندة السلطان أو المنافس له مقابل حفنة من المال يحصلون عليها لقاء ما يقدموه من تسهيلات لقوات السلطان أو منافسه .

أما قبائل المناطق الجبلية من الزيدية مثل بعض قبائل همدان وغيرها فقد عبرت عن تمرد لها بالانضمام إلى أنصارها في المذهب كلما اختلفوا مع بني رسول . ولم تكن تلك القبائل إلا نموذجاً لغيرها من القبائل الأخرى التي عبرت عن تمرد لها بأسلوبها الخاص بها للفت نظر الدولة الرسولية إلى مطالبها أو للحصول على المال الذي تفتقده هذه القبائل .

لقد توصلنا في هذه الدراسة إلى أن عصيان المناطق وقبائلها في عصر بني رسول لم يكن على مستوى واحد ، فالمناطق البعيدة عن عاصمة الدولة الرسولية لم تكن مستقرة كالمناطق القريبة منها ، فبعد حضرموت أو ظفار الحبوضي عن تعز جعلها تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار ، والشيء نفسه بالنسبة لمناطق تهامة وأبين وعدن وغيرها ، وكان لصعوبة وصول الجيوش والإمدادات بسبب بعد المسافة دور في تشجيع القبائل على استمرار التمرد ؛ لمعرفة تلك القبائل بمدى عجز الدولة عن إرسال الحملات العسكرية بشكل متواصل ، كما كان لطبيعة تلك المناطق الجبلية والصحراوية دور في التمرد لمعرفة قبائلها بمسالك الطرق ، ومن هنا نجد أن العامل الجغرافي هو من أهم العوامل التي شجعت القبائل

على العصيان والخروج عن الطاعة . كما نلاحظ التفاوت من قبيلة إلى أخرى في التمرد ، فقبائل عك كانت من أشد القبائل التهامية التي اختلفت مع بني رسول منذ عهد السلطان المنصور نور الدين عمر ، واستمرت في تمرداها حتى عصر آخر سلاطين هذه الدولة ، ولكن نجد أن قبائل عك نفسها كانت متفاوتة في نسبة تمرداها ، فكانت قبيلة المعازبة على رأس تلك القبائل العكية المتمردة ومن ثم الرماة وما بعدها ، حتى أن المصادر وصفت هذه القبائل بالتمرد والعصيان لكثرة مخالفتها الدولة خلال حكم الأسرة الرسولية ، وكانت قبائل القرشية من أشد قبائل الأشاعر مخالفة لبني رسول ، وكذلك بالنسبة لقبائل الجحافل المذحجية وقبائل يافع الحميرية التي شاركت بني طاهر في الإجهاز الأخير على هذه الدولة والقضاء عليها .

لقد ظلت هذه القبائل مصدراً من مصادر القلق الذي هدد أمن واستقرار الدولة الرسولية التي تضررت وأرهقت مادياً ومعنوياً ، فلم يعد أمام بعض سلاطين بني رسول إلا الاتجاه إلى استخدام سياسة العنف والإرهاب والتجوير والتخريب والقتل بأنواعه والتنكيل لتأديب القبائل ولزرع الخوف في قلوب رجالها الذين لم تعد تخيفهم مثل هذه الأعمال . ومع أننا نجد أن سلاطين بني رسول نهجوا هذه السياسة لضرب رجال القبائل إلا أنهم ظلوا على عنادهم ، بل أنهم كثفوا من هجماتهم على مصالح الدولة كرد فعل لسياستها ، كما اتجه بعض السلاطين إلى السياسة السلمية مع القبائل من خلال إنصاف أصحاب المظالم من رجال القبائل في محاولة لتحقيق العدل بين الرعية ، وفي الوقت الذي حاول بعض السلاطين محاسبة المتورطين من الولاة في اضطهاد وظلم القبائل وغيرهم من الرعية للتخفيف عنهم اتجه البعض إلى استخدام المال لشراء القبائل ومشائخها ، فكانت سياسة الجوامك والهدايا والهبات وغيرها من السياسات الناجحة بعض الشيء لأنها خففت كثيراً من غضب القبائل .

ومما لاشك فيه أن تمردات القبائل جاءت بنتائج سلبية على أوضاع البلاد الداخلية السياسية والإقتصادية والإجتماعية ، كما كان لرد فعل الدولة على هذه التمردات أثراً سلبياً على حياة القبائل نفسها ، فعلى مستوى الأوضاع السياسية استمرت حالة الفوضى وعدم الاستقرار طوال فترة حكم الأسرة الرسولية التي فقدت سيطرتها على بعض المناطق القبلية ، حتى أن بعض تلك المناطق كانت تحكم من قبل مشائخ ظلوا على خلاف دائم مع سلاطين بني رسول .

وقد شهدت الدولة الرسولية في بعض الفترات حالات عجز في سياستها مع القبائل لفشلها في سد جميع الثغرات التي فتحتها القبائل ، فلم يعد أمامها إلا التخلص من بعض المناطق والحصون بتركها للقبائل بعد عجزها عن توفير القوات العسكرية التي تمكنها من استعادة تلك المناطق .

ومن الناحية الاقتصادية فقد استنزفت أموال الدولة بسبب الإعداد المستمر للجيش والحملات التي يتم إرسالها إلى المناطق المختلفة لإخماد عصيان القبائل ، وقد شهد اقتصاد الدولة الرسولية في فترات عصيان القبائل وخاصة في أواخر عهدها ركوداً اقتصادياً بسبب هجمات رجال القبائل على القوافل والسفن التجارية ، مما أدى إلى توقف الحركة التجارية وتدهور الميزانية العامة للدولة لعدم وجود مصدر دخل ، ولفقدان أهم مصادرها وهو الضرائب ، بحيث لم يعد في استطاعة بني رسول إعداد الجيوش وتجهيزها ، فسهل ذلك على القبائل زيادة معارضتها وهجماتها وتآمرها لإسقاط هذه الدولة .

لقد كان لرد فعل الدولة على هذه التمردات آثاره الواضحة على المجتمع القبلي داخل الدولة الرسولية ، حيث انتشر الخوف والفرع والجوع والمرض بين صفوف القبائل المعاندة ، وتدهورت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية وعاشوا حياة تشرد وضياح ، وأصبحت الصحاري والجبال والجزر النائية مأوى لهم ولابنائهم بعدما نهبت مدنهم ودمرت من قبل قوات بني رسول ، كما زاد التخلف بين أبناء القبائل لحرماتهم من التعليم ، واشتد حقدهم على سلاطين بني رسول الذين أذاقوهم وأهلهم صنوف العذاب لكثرة ما طبق عليهم من عقوبات كنظام الرهائن الذي يعد من أقسى العقوبات التي طبقت عليهم .

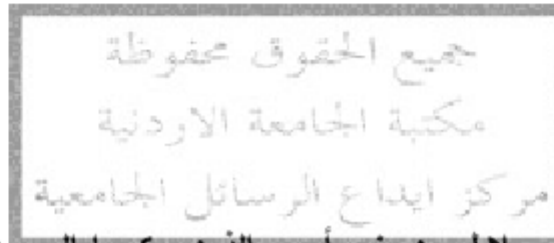
لقد استمر حكم الأسرة الرسولية لليمن فترة ٣٣٢ سنة وهي فترة زمنية طويلة لم تعشها واحدة من الدول المستقلة التي قامت في اليمن في تلك الفترة ، ولولا سياسة بعض سلاطينها لعمرت هذه الدولة أكثر من ذلك .

ويمكن القول أن سلاطين بني رسول الذين تصف المصادر عصرهم بالذهبي لما قدموه وحققوه من تطور وازدهار في جوانب الحياة المختلفة والتي ما زالت معالمها شاهدة على ذلك ، قد يكونون نجحوا في سياستهم الاقتصادية والاجتماعية والتجارية والزراعية وطوروا سياسة اليمن الخارجية مع غيرها ورفعوا من مستوى العلم والعلماء ، إلا أنهم فشلوا في سياستهم الداخلية مع القبائل والعامة الذين ذاقوا الكثير من العذاب على يد سلاطينها ، ولم يكن أمام تلك القبائل إلا مواصلة الصراع معهم والإصرار على ذلك حتى تم إسقاط هذه الدولة ، ولم يكن تمرد القبائل العامل الوحيد الذي أضعف الدولة الرسولية وأسقطها ولكنه يعد من أهم العوامل .



جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

# الملاحق



ملحق ( ١ ) :

جدول سلاطين بني أيوب الذين حكموا اليمن  
( ٥٦٩ - ٦٢٦ هـ )

- |  |                  |
|--|------------------|
| ١- المعظم توران شاه بن أيوب                          | ( ٥٦٩ - ٥٧١ هـ ) |
| ٢- العزيز طغتكين بن أيوب                             | ( ٥٧٩ - ٥٩٣ هـ ) |
| ٣- المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب                   | ( ٥٩٣ - ٥٩٨ هـ ) |
| ٤- الناصر أيوب بن طغتكين بن أيوب                     | ( ٥٩٨ - ٦١١ هـ ) |
| ٥- المعظم سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب | ( ٦١١ - ٦١٢ هـ ) |
| ٦- المسعود يوسف بن الكامل بن أيوب                    | ( ٦١٢ - ٦٢٦ هـ ) |

ملحق ( ٢ ) :

جدول سلاطين بني رسول  
( ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ )

- ١- المنصور ( الأول ) نور الدين عمر بن علي بن رسول ( ٦٢٦ - ٦٤٧هـ )
- ٢- المظفر يوسف ( الأول ) بن عمر ( ٦٤٧ - ٦٩٤هـ )
- ٣- الأشرف ( الأول ) عمر بن يوسف ( ٦٩٤ - ٦٩٦هـ )
- ٤- المؤيد داؤد بن يوسف ( ٦٩٦ - ٧٢١هـ )
- ٥- المجاهد علي بن داؤد ( ٧٢١ - ٧٦٤هـ )
- ٦- الأفضل عباس بن علي ( ٧٦٤ - ٧٧٨هـ )
- ٧- الأشرف ( الثاني ) إسماعيل بن عباس ( ٧٧٨ - ٨٠٣هـ )
- ٨- الناصر أحمد بن إسماعيل ( ٨٠٣ - ٨٢٧هـ )
- ٩- المنصور ( الثاني ) عبد الله بن الناصر أحمد ( ٨٢٧ - ٨٣٠هـ )
- ١٠- الأشرف ( الثالث ) إسماعيل بن الناصر أحمد ( ٨٣٠ - ٨٣١هـ )
- ١١- الظاهر يحيى بن إسماعيل بن الأفضل عباس ( ٨٣١ - ٨٤٢هـ )
- ١٢- الأشرف ( الرابع ) إسماعيل بن يحيى محفوظ ( ٨٤٢ - ٨٤٥هـ )
- ١٣- المظفر يوسف ( الثاني ) بن عمر ( ٨٤٥ - ٨٤٧هـ )
- ١٤- المسعود صلاح الدين بن الأشرف ( ٨٤٧ - ٨٥٨هـ )

ملحق ( ٣ ) :

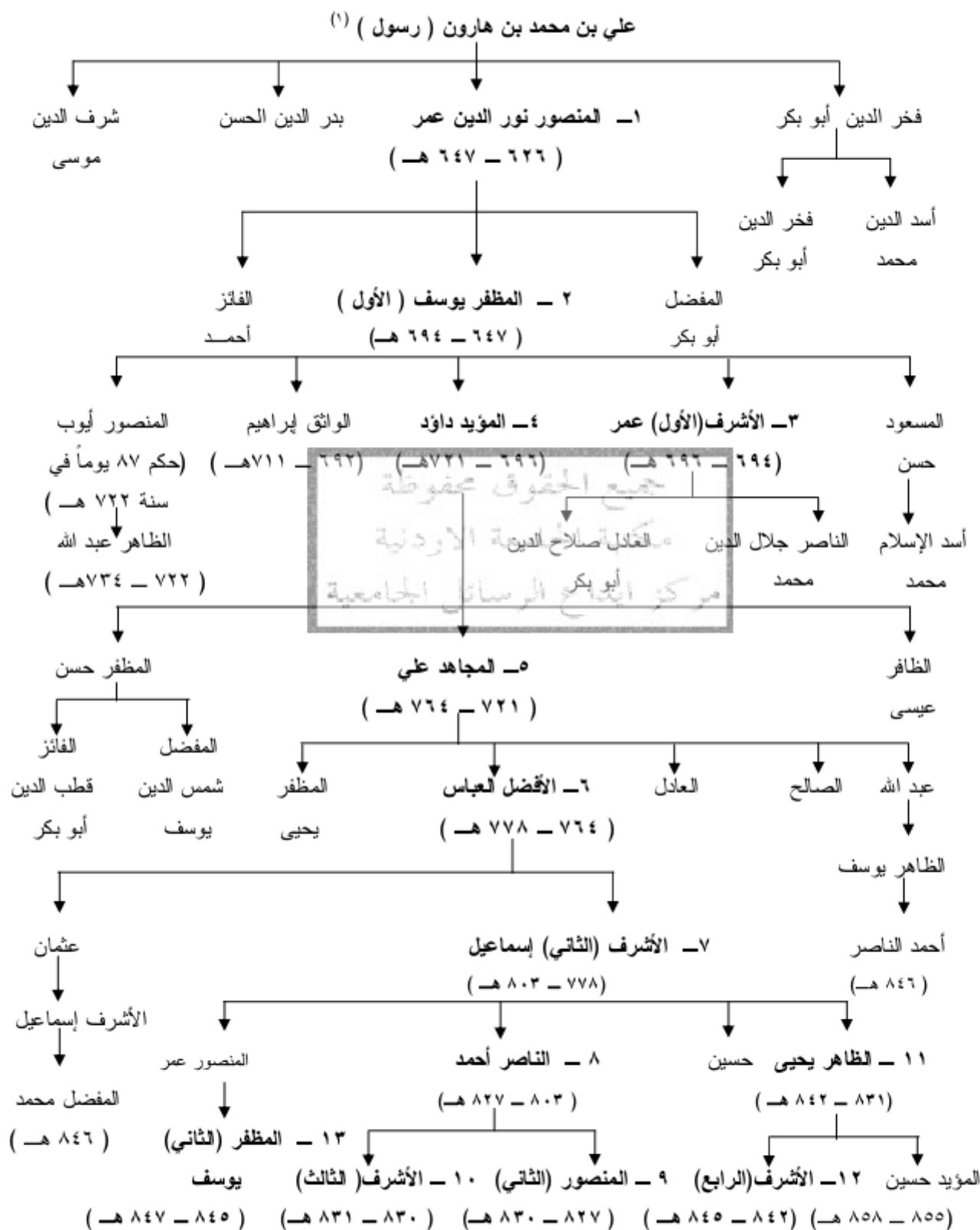
### جدول الأئمة الزيديين الذين عاصروا الدولة الرسولية<sup>(١)</sup>

١-	المعتضد بالله يحيى بن المحسن	( ٦١٤ - ٦٣٦ هـ )
٢-	المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم	( ٦٤٦ - ٦٥٦ هـ )
٣-	الداعي إلى الله يحيى بن محمد السراجي الحسني	( ٦٥٩ - ٦٦٠ هـ )
٤-	المنصور بالله الحسن بن بدر الدين محمد	( ٦٦١ - ٦٧٠ هـ )
٥-	المهدي إبراهيم بن تاج الدين أحمد الحسني	( ٦٧٠ - ٦٧٤ هـ )
٦-	المتوكل على الله المطهر بن يحيى المرتضى	( ٦٧٤ - ٦٩٧ هـ )
٧-	المهدي محمد بن المطهر بن يحيى	( ٦٩٧ - ٧٢٨ هـ )
٨-	المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي الحسني	( ٧٢٩ - ٧٤٩ هـ )
٩-	الناصر للدين علي بن صلاح بن إبراهيم	( ٧٢٩ - ٧٣٠ هـ )
١٠-	المهدي أحمد بن علي الفتحي الحسني	( ٧٣٠ - ٧٥٠ هـ )
١١-	الوائق بالله المطهر بن المهدي محمد بن يحيى	( ٧٣٠ - ٧٥٠ هـ )
١٢-	المهدي لدين الله علي بن محمد الحسني	( ٧٥٠ - ٧٧٣ هـ )
١٣-	الناصر صلاح الدين محمد بن المهدي علي بن محمد	( ٧٧٣ - ٧٩٣ هـ )
١٤-	المنصور بالله علي بن صلاح الدين محمد	( ٧٩٣ - ٨٤٠ هـ )
١٥-	المهدي أحمد بن يحيى المرتضى	( ٧٩٣ - ٨٤٠ هـ )
١٦-	الهادي لدين الله علي بن المؤيد الفللي	( ٧٩٦ - ٨٣٦ هـ )
١٧-	المهدي صلاح بن علي بن أبي القاسم	( ٨٤٠ - ٨٤٩ هـ )
١٨-	المنصور بالله الناصر بن محمد	( ٨٤٠ - ٨٦٧ هـ )
١٩-	المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي	( ٨٤٠ - ٨٧٩ هـ )

(١) نقلاً عن : يحيى بن الحسين ، غية الأمانى ، ج ١ ، ص ٤٠ - ٤١ ؛ الجرافي ، لمقتطف ، ص ١٣٢ - ١٤٤ ؛ اليمن فولاد سيد ، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ص ٤٠٦ - ٤١٠ .

ملحق ( ٣ ) :

شجرة نسب الأسرة الرسولية :



(1) نقلاً عن : زامبلور ، إدوارد فون ، معجم الأسباب والأسرار لحاكمة في لتاريخ الإسلامى ، ترجمة : محمد حسن بك وحسن أحمد

محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ م ، ص ١٨٥ ؛ لقمان ، تاريخ عدن ، ص ١٠٩ .



١٤ - المسعود

( ٨٤٧ - ٨٥٨ هـ )

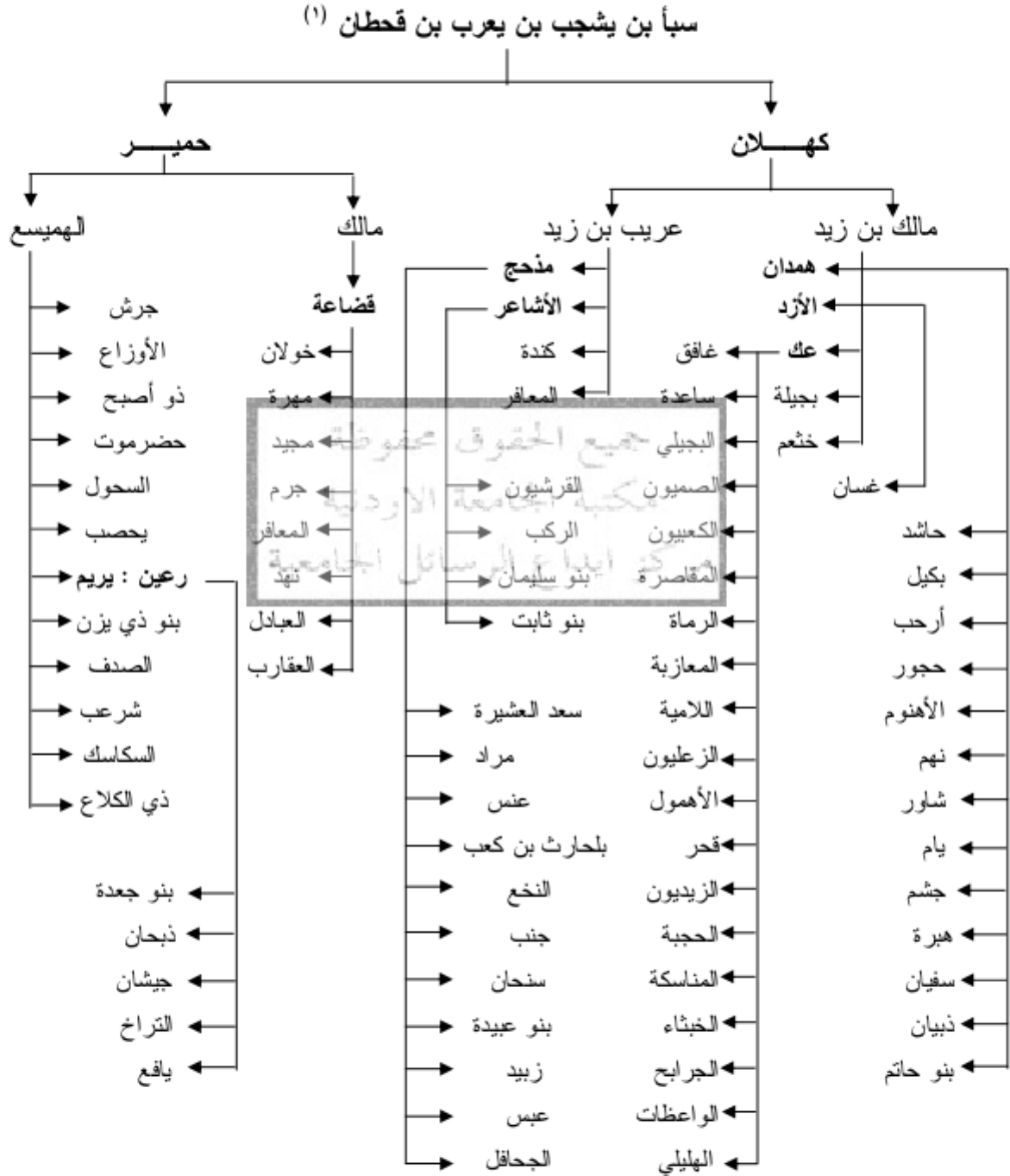


محمد

جميع الحقوق محفوظة  
مكتبة الجامعة الاردنية  
مركز ايداع الرسائل الجامعية

ملحق ( ٤ ) :

شجرة أنساب القبائل اليمنية التي تنتمي إلى كهلان وحمير ، وأهم فروع تلك القبائل التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ الدولة الرسولية :



<sup>(١)</sup> لمزيد من التفاصيل عن فروع تلك القبائل انظر: الهمداني، الإكليل، ج ١٠، ص ٣٠ - ١٩٩؛ لملك الأشرف، طرفة الأصحاب، ص ٤٦ - ٧٨؛ بيضاني، إيمان محمد عوض، صنعاء في كتابات المؤرخين الجغرافيين المسلمين في القرن الهجري الرابع من ٢٠٠ - ٤٠٠ هـ، ط ١، دار الثقافة العربية، الشارقة، دار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١ م، ص ١١١ - ١١٥؛ شمسان، إيمان أحمد، اليمن في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٠٣ هـ / ٧٥٠ - ٨١٨ م)، ط ١، دار الثقافة العربية، الشارقة، دار جامعة عدن، عدن، ٢٠٠١ م، ص ٤٧ - ٥١.

## المصادر والمراجع

### أولاً : المصادر المخطوطة :

- بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله ( ت : ٩٤٧ هـ )
- ١- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، ج ٣ ، مخطوط ميكروفيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، برقم ( ٣٠١ ) .
- الخرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن ( ت : ٨١٢ هـ )
- ٢- طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن ، ميكروفيلم ، المكتبة الوطنية بعدن ، برقم ( ٢١٠ ) .
- ٣- العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ، مخطوطة مصورة ، ط ٢ ، وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ٦ / ١ ، صنعاء ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين ( ت : ١٠٤٨ هـ )
- ٤- روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح ، مخطوطة مصورة ، ط ٢ ، وزارة الإعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ٧ / ١ ، صنعاء ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- المحلي ، الحسن حسام الدين حميد بن أحمد ( توفي بعد سنة ٦٥٢ هـ )
- ٥- الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ، مخطوطة مصورة ، ج ٢ ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٢ م .

### ثانياً : المصادر المطبوعة :

- ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الشيباني ( ت : ٦٣٠ هـ )
- ٦- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- الأهدل ، بدر الدين أبو عبد الرحمن الحسين بن عبد الرحمن ( ت : ٨٥٥ هـ )
- ٧- تحفة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، منشورات المدينة ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- بافقيه ، محمد بن عمر الطيب ( توفي بعد سنة ١٠٤٠ هـ )
- ٨- تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- بامخرمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله ( ت : ٩٤٧ هـ )
- ٩- تاريخ ثغر عدن ، ط ٢ ، تح : لؤس كر لوفجرين ، دار التنوير ، ط ٢ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .



البريهي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن ( ت : ٩٠٤ هـ )

١٠- طبقات صلحاء اليمن المعروف بـ : تاريخ البريهي ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، د . ت .

البكري ، عبد الله بن عبد العزيز ( ت : ٤٨٧ هـ )

١١- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تح : مصطفى السقا ، ط ٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ( ت : ٨٧٤ هـ )

١٢- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

ابن الجزري ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ( ت : ٧٣٩ هـ )

١٣- المختار من تاريخ ابن الجزري المسمى حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، دراسة وتح : خضير عباس محمد خليفة المنشداوي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

الجعدي ، عمر بن علي بن الحسين بن سمرة ( ت : ٥٨٦ هـ )

١٤- طبقات فقهاء اليمن ، تح : فؤاد سيد ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب ( ت : ٧٣٢ هـ )

١٥- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ٢ ، مطبعة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م .

ابن حاتم الياامي ، بدر الدين محمد بن حاتم الياامي الهمداني ( كان حياً سنة ٧٠٢ هـ )

١٦- السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن ، تح : ركس سمث ، كمبردج ، ١٩٧٤ م .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي ( ت : ٨٥٢ هـ )

١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ( ت : ٤٥٦ هـ )

١٨- جمهرة أنساب العرب ، مراجعة النسخة لجنة من العلماء وبإشراف الناشر : محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

حسين بن عبد الملك ( ت : ١٠٤٩ هـ )

١٩- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ج ٤ ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، د . ت .

- الحكمي اليمني ، نجم الدين عمارة بن علي ( ت : ٥٦٩ هـ )
- ٢٠- تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها ،  
تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ٣ ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٥ م .
- الحمزي ، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله ( ت : ٧١٤ هـ )
- ٢١- كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار ، دراسة وتح : عبد المحسن مدعج المدعج ، ط ١ ،  
مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، ١٩٩٢ م .
- الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ( ت : ٦٢٦ هـ )
- ٢٢- معجم البلدان ، تح : فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت .
- الحميري ، نشوان بن سعيد ( ت : ٥٧٣ هـ )
- ٢٣- ملوك حمير وأقيال اليمن ، تح : إسماعيل أحمد الجرافي وعلي بن إسماعيل المؤيد ، ط ٢ ،  
دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٢٤- الحور العين ، تح : كمال مصطفى ، ط ٢ ، دار أزال ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ٢٥- منتخبات في أخبار اليمن ، عني بتصحيحه : عظيم الدين أحمد ، ط ٣ ، دار التنوير ،  
بيروت ، ١٩٨٦ م .
- الخزرجي ، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن
- ٢٦- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، عني بتصحيحه : محمد بسيوني عسل ،  
مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .
- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ( ت : ٣٢١ هـ )
- ٢٧- الاشتقاق ، ط ١ ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، القاهرة ، د . ت .
- ابن دعثم ، أبو فراس بن عمر ( ت : ٦٥٤ هـ )
- ٢٨- السيرة المنصورية ، الإمام عبد الله بن حمزة ( ٥٩٣ - ٦١٤ هـ ) ، مج ١ ، ج ١ ، تح :  
عبد الغني محمود عبد العاطي ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الشيباني ( ت : ٩٤٤ هـ )
- ٢٩- بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، مركز  
الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩ م .
- ٣٠- الفضل المزيدي على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد ، تح : يوسف شلحد ، دار  
العودة ، بيروت ، ١٩٨٣ م .
- ٣١- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ٢ ، دار بساط ،  
بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ( ت : ٩٠٢ هـ )

٣٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مج ١ ، ج ١ ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ( ت : ٥٦٢ هـ )

٣٣- الأنساب ، ج ٥ ، تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي ، ط ١ ، دار الجنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

السويدي ، أبو الفوز محمد أمين العباسي البغدادي ( ت : ١٢٤٦ هـ )

٣٤- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٩ م .

السيوطي ، الحافظ جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر ( ت : ٩١١ هـ )

٣٥- تاريخ الخلفاء ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .

الشرجي ، أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف ( ت : ٨٩٣ هـ )

٣٦- طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص ، ط ١ ، دار المناهل ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

شنبل ، شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن علوي ( ت : ٩٢٠ هـ )

٣٧- تاريخ شنبل ، تح : عبد الله محمد الخيشي ، ط ١ ، بدون دار نشر ، ١٩٩٤ م .

العامري ، يحيى بن أبي بكر محمد بن يحيى ( ت : ٨٩٣ هـ )

٣٨- غربال الزمان في وفيات الأعيان ، صححه وعلق عليه : محمد ناجي زعبي العمر ، دار الخير ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ( ت : ٤٦٣ هـ )

٣٩- الأنباه على قبائل الرواة ، حققه وقدم له ووضع فهرسه : إبراهيم الإبياري ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

عبد الله بن حمزة ، الإمام المنصور بالله ( ت : ٦١٤ هـ )

٤٠- الشافي ، تقديم : مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي ، مج ١ ، ج ١ ، ط ١ ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٨٦ م .

ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي ( ت : ٧٤٤ هـ )

٤١- تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تح : مصطفى حجازي ، ط ٢ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥ م .

عماد الدين إدريس بن الحسين بن عبد الله بن علي الأنف بن حاتم القرشي ( ت : ٨٧٢ هـ )

٤٢- روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار ، تح : محمد بن علي الأكوع ، دار المعرفة ، صنعاء ، ١٩٩٥ م .

- ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي ( ت : ١٠٨٩ هـ )
- ٤٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج ٧ ، لجنة إحياء التراث ، بيروت ، د . ت .
- العبدروس ، محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله ( ت : ١٠٣٨ هـ )
- ٤٤- النور السافر في أخبار القرن العاشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- الفاشي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد ( ت : ٨٣٣ هـ )
- ٤٥- شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، ج ٢ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتب العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .
- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ( ت : ٨١٧ هـ )
- ٤٦- القاموس المحيط ، تح : مؤسسة الرسالة بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٦ ، الرسالة ، بيروت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م .
- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد ( ت : ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م )
- ٤٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م .
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ( ت : ٧٧٤ هـ )
- ٤٨- البداية والنهاية في التاريخ ، تح : أحمد عبد الوهاب فتوح ، ط ٤ ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .
- ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب ( ت : ٢٠٤ هـ )
- ٤٩- جمهرة النسب ، تح : ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٣ م .
- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب ( ت : ٤٣٠ هـ )
- ٥٠- الأحكام السلطانية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- ابن المجاور ، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن محمد ( ت : ٦٩٠ هـ )
- ٥١- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر ، اعتنى بتصحيحها : أوسكر لو فجرين ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين ( ت : ٣٤٦ هـ )
- ٥٢- مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج ٢ ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٥ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ( ت : ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م )
- ٥٣- السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه ووضع حواشيه : محمد بن مصطفى زيادة ، ط ٢ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٥٤- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تح : أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٩٩٥ م .

الملك الأشرف ، أبو العباس إسماعيل بن العباس ( ت : ٨٠٣ هـ )

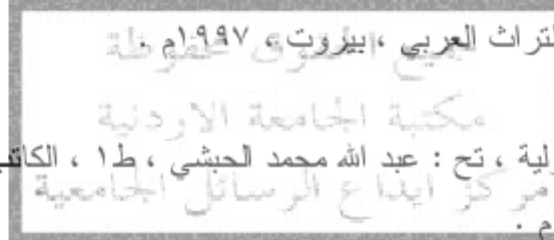
٥٥- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، ج ٢ ، تح : محمود عبد النعيم ، دار التراث الإسلامي ، بيروت ، دار البيان ، بغداد ، د . ت .

الملك الأشرف ، عمر بن يوسف ( ت : ٦٩٦ هـ )

٥٦- طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ، تح : ك . و . سترستين ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ( ت : ٧١١ هـ )

٥٧- لسان العرب ، اعتنى بتصحيحه : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصاوي العبيدي ،



مؤلف مجهول

٥٨- تاريخ الدولة الرسولية ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، ط ١ ، الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

النجدي ، محمد البسام التميمي ( ت : ١٢٤٦ هـ )

٥٩- الدرر المفخرة في أخبار العرب الأواخر ( قبائل العرب ) ، تح : سعود غانم الجمران العجمي ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

ابن هشام ، أبو محمد بن عبد الملك بن أيوب الحميري ( ت : ٢١٨ هـ )

٦٠- السيرة النبوية المعروفة بسيرة ابن هشام ، مج ١ ، تح : ثابت محمد محمود وسيد إبراهيم ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ( ت : ٣٦٠ هـ )

٦١- الإكليل ، ج ١ ، ٢ ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

٦٢- الإكليل ، ج ٨ ، حرره وعلق حواشيه : نبيه أمين فارس ، دار العودة ، بيروت ، د . ت .

٦٣- الإكليل ، ج ١٠ ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ١ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٩٠ م .

٦٤- صفة جزيرة العرب ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

الهمداني ، محمد بن حمير ( ت : ٦٩٢ هـ )

٦٥- ديوان ابن حمير ، تح : محمد بن علي الأكوخ ، دار العودة ، بيروت ، د . ت .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم ( ت : ٦٩٧ هـ )

٦٦- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، تح : جمال الدين الشيال ، دار العلم ، القاهرة ، د . ت . و ج ٤ ، تح : حسنين محمد ربيع ، وراجع له نسعيد عبد الفتاح عاشور ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

ابن الوردي ، زين الدين أبو حفص عمر بن المظفر ( ت : ٧٤٩ هـ )

٦٧- تنمة المختصر في أخبار البشر المعروف بـ : تاريخ ابن الوردي ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، د . ت .

الوصابي ، وجيه الدين عبد الرحمن بن عمر الحبشي ( ت : ٧٨٢ هـ )

٦٨- تاريخ وصاب الاعتبار في التواريخ والآثار ، تح : عبد الله محمد الحبشي ، مركز

الدراسات اليمانية ، صنعاء ، ١٩٧٩ م .  
اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي ( ت : ٧٦٨ هـ )  
٦٩- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، ط ٢ ، مؤسسة  
الأعلمي ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

يحيى بن الحسين بن القاسم ( ت : ١١٠٠ هـ )

٧٠- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، تح : عبد الفتاح عاشور ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

اليعقوبي ، أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ( ت : ٢٨٤ هـ )

٧١- تاريخ اليعقوبي ، مج ١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

### ثالثاً : المراجع الحديثة :

إبراهيم مصطفى وآخرون

٧٢- المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، د . ت .

أشواق أحمد مهدي

٧٣- التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن ، ط ١ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

الأغري ، بدر سعيد

٧٤- " أسباب ازدهار التعليم في عهد دولة بني رسول ( ٦٢٨ - ٨٥٨ هـ / ١٢٣١ - ١٤٥٤ م ) " ، ندوة الاحتفال بالموئبة الثامنة للمدرسة الياقوتية ، دار جامعة عدن ،

عدن ، ٢٠٠١ م ، ص ٦٧ - ٧٥ .

الأكوع ، إسماعيل بن علي

٧٥- المدارس الإسلامية في اليمن ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

٧٦- البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي ، ط ٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

٧٧- الدولة الرسولية في اليمن ( ٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤ م ) ، ط ١ ، دار

جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٣ م .

الأكوع ، محمد بن علي

٧٨- اليمن الخضراء مهد الحضارة ، ط ٢ ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤٠٢ هـ /

١٩٨٢ م .

إنجرامس ، دبليو إتش

٧٩- حضرموت ١٩٣٤ - ١٩٣٥ م ، تعريب : سعيد عبد الخير النوبان ، دار جامعة عدن ،

عدن ، ٢٠٠١ م .

أيمن فؤاد سيد

٨٠- مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية

بالقاهرة ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

٨١- تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن ، ط ١ ، الدار المصرية ، القاهرة ، ١٤٠٨ هـ /

١٩٨٨ م .

الباشا ، حسن ( الدكتور )

٨٢- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

الباشا ، محمد خليل

٨٣- الكافي معجم عربي حديث ، ط ١ ، شركة المطبوعات ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

بافقيه ، محمد عبد القادر ( الدكتور )

٨٤- تاريخ اليمن القديم ، المؤسسة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

٨٥- " الأقبال والأقواء ونظام الحكم في اليمن القديم " ، مجلة دراسات يمنية ،

العدد ( ٢٧ ) ، تصدر عن مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ /

١٩٨٧ م ، ص ١٤١ - ١٥٤ .

٨٦- في العربية السعيدة دراسات تاريخية قصيرة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ،

صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .

باكرت ، علي سعيد

٨٧- المهرة الأرض والسكان ، ط ١ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٩ م .

با مطرف ، محمد عبد القادر

٨٨- الجامع : جامع شمل أعلام المهاجرين المنتسبين إلى اليمن وقبائلهم ، ط ٢ ، دار الهمداني ، عدن ، ١٩٨٤ م .

باوزير ، خالد سالم

٨٩- ميناء عدن دراسة تاريخية معاصرة ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١ م .

باوزير ، سعيد عوض

٩٠- صفحات من التاريخ الحضرمي ، مكتبة الثقافة ، عدن ، د . ت .

٩١- معالم تاريخ الجزيرة العربية ، ط ٢ ، مؤسسة الصبان ، عدن ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

بن بريك ، أحمد محمد

٩٢- اليمن والتنافس الدولي في البحر الأحمر ١٨٦٩-١٩١٤ م ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠١ م .

البستاني ، بطرس

٩٣- محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

بلعفير ، محمد صالح ( الدكتور )

٩٤- " معطيات جديدة عن تاريخ اليمن الإسلامي دراسة لتاريخ الدولتين الصليحية والزيرية من خلال المسكوكات " مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، العدد الأول ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٦ م ، ص ١١ - ٣٦ .

بيضاني ، إيمان محمد عوض

٩٥- صنعاء في كتابات المؤرخين الجغرافيين المسلمين في القرن الهجري الرابع من ٢٠٠ - ٤٠٠ هـ ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م .

ترسيبي ، عدنان

٩٦- اليمن وحضارة العرب مع دراسة جغرافية كاملة ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د . ت .

الثور ، عبدالله

٩٧- هذه هي اليمن ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

جاده

٩٨- سياسة بريطانيا في جنوب الجزيرة العربية ، ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د . ت .



جبران ، مسعود

٩٩- الرائد معجم لغوي عصري ، مج ١ ، ط ٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨١ م .

الجرافي ، عبد الله عبد الكريم

١٠٠- المقتطف من تاريخ اليمن ، ط ٢ ، مؤسسة دار الكتاب الحديث ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

جميل حرب محمود

١٠١- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي ، ط ١ ، دار تهامة ، جدة ، ١٩٨٥ م .

الحامد ، صالح

١٠٢- تاريخ حضرموت ، ج ٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، د . ت .

حبثور ، ناصر صالح يسلم

١٠٣- وادي ميفعة دراسة تاريخية لأحد المراكز الحضارية في اليمن القديم ، رسالة ماجستير ،

جامعة عدن ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .

الحجري ، محمد بن أحمد

١٠٤- مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تح : اسماعيل بن علي الأكوع ، ط ٢ ، دار الحكمة ،

صنعاء ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

الحداد ، محمد يحيى

١٠٥- التاريخ العام لليمن ، ج ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

الحضرمي ، عبد الرحمن بن عبد الله

١٠٦- زبيد مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ ، المركز الفرنسي بصنعاء ، المعهد

الفرنسي بدمشق ، دمشق ، ٢٠٠٠ م .

الحمد ، جواد مطر

١٠٧- الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، ٢٠٠٢ م .

الخطيب ، مصطفى عبد الكريم

١٠٨- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

دروزة ، محمد عزة

١٠٩- تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار ، ج ٧ ، ط ١ ، المطبعة

العصرية ، صيدا - بيروت ، ١٩٦٢ م .

دهمان ، محمد أحمد

١١٠- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ،

دمشق ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

الديلمي ، محمد بن الحسن

١١١- بيان مذهب الباطنية وبطلانه منقول من كتاب قواعد عقائد آل محمد، عني بتصحيحه :  
شد وطمان ، مطبعة الدولة ، أستانبول ، ١٩٣٨ م .

الريحاني ، أمين

١١٢- ملوك العرب رحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرس أعلام ، ط ٨ ،  
دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

زامباور ، إدوارد فون

١١٣- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة : زكي محمد حسن  
بك وحسن أحمد محمود ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

الزركلي ، خير الدين

١١٤- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ،  
ط ١٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٩ م .

أبو زهرة ، محمد ( الإمام ) جميع الحقوق محفوظة  
١١٥- تاريخ المذاهب الإسلامية في سياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر  
العربي ، القاهرة ، د . ت .  
سار جنت ، آر . بي  
مركز ابداع الرسائل الجامعية

١١٦- حول مصادر التاريخ الحضرمي ، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان ، مطبعة جامعة  
الكويت ، الكويت ، د . ت .

السقاف ، عبد الرحمن بن عبيدالله

١١٧- معجم بلدان حضرموت المسمى إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، تح : إبراهيم  
أحمد المقحفي وعبد الرحمن حسن السقاف ، ط ١ ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٢٣ هـ .

سلطان أحمد عمر

١١٨- نظرة في تطور المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ م .

سلطان ناجي

١١٩- التاريخ العسكري لليمن ( ١٨٣٩ - ١٩٦٧ م ) ، بدون دار نشر ، ١٩٨٩ م .

السيد عبد العزيز سالم ( الدكتور )

١٢٠- تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٩ م .

١٢١- العصر العباسي الأول ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، د . ت .

سيد مصطفى سالم

١٢٢- الفتح العثماني الأول لليمن ( ١٥٣٨ - ١٦٣٥ م ) ، ط ٣ ، معهد البحوث والدراسات

العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

١٢٣- تكوين اليمن الحديث ، اليمن والإمام يحيى ( ١٩٠٤ - ١٩٣٨ م ) ، ط ٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

شائف عبده سعيد

١٢٤- " الصراع الاجتماعي في اليمن في عهد الأيوبيين والرسوليين " ، مجلة سبأ ، العدد السابع ، دار جامعة عدن ، عدن ، ١٩٩٨ م ، ص ٨٧ - ١٢٠ .

الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد

١٢٥- اليمن في صدر الإسلام ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٧ م .

١٢٦- النظم الإسلامية في اليمن ميلاداً ونشأة ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

الشرجبي ، قائد نعمان

١٢٧- الشرائع الاجتماعية التقليدية في المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

١٢٨- القرية والدولة في المجتمع اليمني ، ط ١ ، دار التضامن ، بيروت ، ١٩٩٠ م .

شكري ، محمد سعيد

١٢٩- الأوضاع القبلية في اليمن منذ بداية العصر الراشدي وحتى الفتنة الكبرى ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، ١٩٨٦ م .

١٣٠- " التاريخ السياسي للدولة الرسولية " ، ندوة الاحتفال بالثموية الثامنة للمدرسة الياقوتية ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م ، ص ١٣ - ٢٤ .

الشماعي ، عبد الله عبد الوهاب المجاهد

١٣١- اليمن الإنسان والحضارة ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

الشمري ، محمد كريم إبراهيم ( الدكتور )

١٣٢- عدن دراسة في أحوالها السياسية والإقتصادية ( ٤٧٦ - ٦٢٦ هـ / ١٠٨٣ - ١٢٢٨ م ) ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ م .

١٣٣- " رحلة مع أشعار : الغربية والحنين إلى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخلان في كتاب : تاريخ المستبصر لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد سنة ٦٢٦ هـ " ، مجلة التواصل ، العدد الثامن ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠٢ م ، ص ٢٠ - ٢٥ .

شمسان ، إيمان أحمد

١٣٤- اليمن في العصر العباسي الأول ( ١٣٢ - ٢٠٣ هـ / ٧٥٠ - ٨١٨ م ) ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م .

شهاب ، حسن صالح

١٣٥- تاريخ اليمن البحري ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

١٣٦- عدن فرضة اليمن ، ط ١ ، مركز الشرعي ، صنعاء ، ١٩٨٩ م .

بن شيبان ، أحمد سالم

١٣٧- الوجود المملوكي في اليمن ( ١٥١٥ - ١٩٣٨ م ) ، ط ١ ، دار الثقافة العربية ،

الشارقة ، ٢٠٠٢ م .

أبو طالب ، محمد نجيب

١٣٨- الصراع الاجتماعي في الدولة العباسية ، دار المعارف ، تونس ، د . ت .

طربوش ، قائد محمد

١٣٩- " الوحدة اليمنية في البنية السكانية لأبناء محافظة تعز " ، الندوة العلمية اليمن

وحدة الأرض والإنسان عبر التاريخ ، دار جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١ م ،

ص ١٠٧ - ١١٤ . جميع الحقوق محفوظة

مكتبة الجامعة الأردنية

١٤٠- قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ،

مركز أبحاث الرسائل الجامعية

١٩٨٨ م .

العبدلي ، أحمد بن فضل بن علي

١٤١- هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن ، ط ٢ ، دار العودة ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ /

١٩٨٠ م .

العرشي ، حسين بن أحمد

١٤٢- بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام ، تح : الأب

أنستاس ماري الكرمل ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .

العتار ، محمد سعيد ( الدكتور )

١٤٣- التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن ، ط ١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

العقيلي ، محمد بن أحمد عيسى

١٤٤- تاريخ المخلاف السليماني ، ج ١ ، مطابع الرياض ، الرياض ، ١٩٥٨ م .

عليان ، محمد عبد الفتاح

١٤٥- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول باليمن ، رسالة دكتوراه ،

القاهرة ، ١٩٧٣ م .

علي عبد الحكيم محمود

١٤٦- الغزو الصليبي والعالم الإسلامي ، ط ٢ ، دار عكاظ ، جدة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

## علي محمد زيد

١٤٧- الثأر بين الفقه الإسلامي والعرف القبلي ، مجلة دراسات يمنية ، العدد ( ٣٠ ) ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٦٠ - ١٧٧ .

العمرى ، حسين عبد الله وآخرون

١٤٨- في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .

العمرى ، حسين عبد الله ( الدكتور )

١٤٩- اليعفريون ، الموسوعة اليمنية ، ج ٤ ، ط ٢ ، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .

عواجي ، غالب بن علي ( الدكتور )

١٥٠- فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، ط ٣ ، دار لينة ،

دمهور ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٧ م .  
أبو غانم ، فضل علي أحمد ( الدكتور )  
١٥١- البنية القبلية في اليمن بين الاستقرار والتغير ، مطبعة الكاتب العربي ، دمشق ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

فخري ، أحمد ( الدكتور )

١٥٢- اليمن ماضيها وحاضرها ، ط ٢ ، منشورات المدينة ، بيروت ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .

الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ( الدكتور )

١٥٣- اليمن في ظل الإسلام منذ فجره وحتى قيام دولة بني رسول ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

فنسنك . أ . ج

١٥٤- مقال أستاذ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ٣ ، ط ١ ، مركز الشارقة للإبداع الفكري ، الشارقة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

قائد حميد عثمان غالب ( الدكتور )

١٥٥- أحوال اليمن السياسية والاجتماعية والإقتصادية في ظل دولة بني رسول ( ٦٢٦ -

٨٥٨ هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤ م ) ، رسالة دكتوراه ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠ م .

القعيطي ، زين محمد

١٥٦- يافع صفحات من التاريخ اليمني ، ط ١ ، مطابع الآفاق ، صنعاء ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٩٩ م .

الكبسي ، محمد بن إسماعيل

١٥٧- اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

**كحالة ، عمر رضاء**

١٥٨- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

**لقمان ، حمزة علي إبراهيم**

١٥٩- تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ، دار مصر ، ١٩٦٠ م .

١٦٠- معارك حاسمة من تاريخ اليمن ، ط ١ ، مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٨ م .

١٦١- تاريخ القبائل اليمنية ، ط ١ ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م .

**لويس معروف**

١٦٢- المنجد في اللغة ، ط ١٨ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، د . ت .

**لين بول ، ستانلي**

١٦٣- الدول الإسلامية يبحث عن ( ١٨١ ) دولة إسلامية ، ج ١ ، إضافات وتصحيحات :

بارتولد و خليل أدهم ، نقله من التركية إلى العربية : محمد صبحي فرزات ، أشرف

على ترجمته وعلق عليه ، محمد أحمد دهمان ، مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق ،

دمشق ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م

محمد عبد العال أحمد ( الدكتور )

١٦٤- الأيوبيون في اليمن مع مدخل في تاريخ اليمن الإسلامي إلى عصرهم ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م .

١٦٥- بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهديهما ( ٦٢٨ - ٩٢٣ هـ /

١٢١٣ - ١٥١٧ م ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م .

**محيرز ، عبد الله أحمد**

١٦٦- صهاريج عدن ، دار الهمداني ، عدن ، ١٩٨٧ م .

١٦٧- صيرة : أبحاث عن بعض معالم عدن ومرافقها الإقتصادية والعسكرية ، عدن ، ١٩٩٢ م .

١٦٨- العقبة دراسة تحليلية جغرافية وتاريخية لجانب من مدينة عدن ، مؤسسة ١٤ أكتوبر ،

عدن ، د . ت .

**المروني ، محمد بن عبد الملك**

١٦٩- الثناء الحسن على أهل اليمن ، ط ٢ ، دار الندى ، بيروت ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

**المطاع ، أحمد بن أحمد**

١٧٠- تاريخ اليمن الإسلامي من سنة ٢٠٤ - ١٠٠٦ هـ ، تح : عبد الله محمد الحبشي ،

ط ١ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

**المعاضدي ، خاشع وآخرون**

١٧١- الوطن العربي والغزو الصليبي ، دار الكتب ، الموصل ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

المقحفي ، إبراهيم بن أحمد

١٧٢- معجم البلدان والقبائل اليمنية، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.

المقرمي ، عبد الملك ( الدكتور )

١٧٣- التاريخ الإجتماعي للثورة اليمنية رؤية سوسيولوجية لتحول بناء القوة ، ط ١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .

١٧٤- الموسوعة العربية الميسرة ، دار نهضة لبنان ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .

مؤلف مجهول

١٧٥- صفحات مجهولة من تاريخ اليمن ، تح : حسين بن أحمد السياغي ، ط ٢ ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .

نبيه عاقل ( الدكتور )

١٧٦- تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

نعمة علي مرسي

١٧٧- بلاد اليمن في عهد الملك الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس الرسولي ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .  
الهمداني ، حسين بن فيض الله

١٧٨- الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ( ٢٦٨ - ٦٢٦ هـ ) ، ط ٣ ، دار التنوير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .

الوائلي ، عبد الحكيم

١٧٩- موسوعة قبائل العرب ، ط ١ ، دار أسامة ، الأردن ، ٢٠٠٢ م .

الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى

١٨٠- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط ٢ ، دار اليمن الكبرى ، صنعاء ، ١٩٩٠ - ١٩٩١ م .

الويسى ، حسين بن علي

١٨١- اليمن الكبرى : كتب جغرافي جيولوجي تاريخي ، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

رابعاً : المراجع الأجنبية :

Balafier, Mohamed

182 \_ Tresors et Collections de Monnaies islamiques des Musees du

*Yemen*, These de Doctorat . Universite de Paris - Sorbonne  
(Paris V) , 1994 .

**Hedy , W .**

183 \_ *Histoire du commerce du levant au moyen age* , Tome 2 ,  
Leipzig , 1925 .

**Nutzel , Heinrich**

184 \_ *Munzen der Rasuliden Nebst Einem Abriss der Geschichte Dieser  
Jemenischen Dynastie / Coins of the Rasulids Comprising  
A Synopsis of The History of That Yemenite Dynasty* , Translated by  
Dr . Alferd Kinzelbach , Mainz , 1987.

**Playfair , R . L .**

185 \_ *AHistory Arabia Felix or Yemen , from the commencement of  
the christian era to the present time , including An Account of the  
British settlement of Aden*, Bombay : Edncoton S . P . , 1859

**Porter , V.**

186 \_ " The Rasulid Sultan Al- Malik al – Mansur and the Mint of  
Mabyan" AAE , I , October , 1990 .

187 \_ *The New Encyclopaedia Britannica* , volume 1 \_ 9 , micropaedia  
Ready Reference , (15<sup>th</sup> edition) E . B . Inc : U . S . A , 1995.

مركز ايداع الرسائل الجامعية



## Abstract

The present dissertation has investigated the reality of Yemeni tribes with special reference to the state of Rasulids ( 626 - 858 A . H .). The foundation of Rasulids passed through many stages . It reigned on the fall of the Ayyubids control over Yemen . Rasulids were not originally Yemenis but they had ambitiously involved in good relations with Yemeni tribal factions who were not satisfied over Ayyubid rulers . Therefore, Rasulids successfully worked together with most of the tribes including Zaidies . They signed truces and contracts to work against Ayyubids .

These contracts did not last long . Rasulids came to power without a propaganda . They had come in for a lot of criticism from tribesmen . In fact, Rasulid sultans had taken on a central system to run the government which did not give any role to the other tribes . The tribal factions were politically ignored in the state affairs . The Yemeni tribes- men did not accept the ignorance of Sultan Nur-al-Deen Omer Bin Ali Bin Ali Bin Rasul, the founder of Rasuhid State.

Tribesmen believed to have more power from Rasulids due to their military support and contribution in the foundation of Rasulids . The nature of the Yemeni tribal convention did not approve the monopoly of Rasulids to power. Rasulid Sultans unfainly exercised power . Many tribes had taken on illegal ways to get on money and also to resolve their tension with Rasulids. Some Sultans were dictators and violently brutal. Consequencely, there were political, socio-economic and religious reasons that pushed many tribes to rebel against the Rasulids .

The rise of tribal rebellion was the main threat to the Rasulids. The tribes of Akk, Ashacira, Mathejj and Himyar were the most component parties. They had played the major role in the fall of Rasulids'. For a long period of time, the Rasulid Sultans had tried in vain to calm the crisis and improve the tribal status. Some others used to overwhelm any opposition. They had been coped up with a lot of tension from tribesmen who had taken up the resistance option and uprising . The bitter outbreak of violence had left a huge gap between Rasulid Sultans and tribesmen . The tribal rebellion brought along stage of instability and corruption in the Rasulids State . It was the major factor to the decline of Rasulids' and the emergence of the Tahiria State .

In the setting temporal limits of this project, the present study has been guided more by many original manuscripts, publications, arabic and foreign references and previous works done on the subject. I have investigated the events and the facts happened during the Rasulids' era. I have evidently reached out to the fact that the tribal rebellion was the main factor to the fall of the of Rasulids State in 858 A . H .